

سلطان محمّد القائنيّ

إثبات الإمامة

عن طريق العقل والنقل

الجزء الثالث





تحقيق:

عبدالسلام كاظم الجعفريّ





إثبات الإمامة

عن طريق العقل والنقل

الجزء الثالث

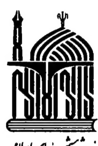
تأليف: سلطان محمد القائنيّ

من أعلام القرن الثاني عشر الهجريّ

تحقيق: عبدالسلام كاظم الجعفريّ

سرشناسه: قائني، سلطان محمد، قرن ۱۲ق.
عنوان و نام پدیدآور: إثبات الإمامة عن طريق العقل والنقل/ تأليف: سلطان محمد القائنيّ؛ تحقيق: عبدالسلام كاظم الجعفريّ.
مشخصات نشر: مشهد: مجمع البحوث الإسلاميّة، ۱٤٤۰ق.=۱۳۹۸ش.
مشخصات ظاهری: ج.
شابک: (ج۳): ۱-۰۳۵۷-۰٦-٦۰۰-۹۷۸ (دوره): ۱-۰۳٤٤-۰٦-٦۰۰-۹۷۸.
وضعیت فهرست‌نویسی: فیپا.
موضوع: علی بن ابی‌طالب ﷺ، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ٤۰ق -- اثبات خلافت.
موضوع: علی بن ابی‌طالب ﷺ، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ٤۰ق -- اثبات خلافت -- احادیث.
موضوع: امامت.
موضوع: امامت -- حدیث.
شناسهٔ افزوده: جعفری، عبدالسلام، ۱۳٤۲ -
شناسهٔ افزوده: شریعتی‌تبار، مهدی، ۱۳۳٦-
شناسهٔ افزوده: بنیاد پژوهشهای اسلامی.
رده‌بندی کنگره: BP ۲۲۳/٥/۲ ق ۲ الف ۱۳۹۸ ۲
رده‌بندی دیویی: ۲۹۷/٤٥۲.
شمارهٔ کتابشناسی ملّی: ٥٦٤۹٦۹۷.





إثبات الإمامة عن طريق العقل والنقل
الجــزء الثالث

تأليف: سلطان محمد القائنيّ

تحقيق: عبدالسلام كاظم الجعفريّ

مراجعة: الشيخ مهدي شريعتي‌تبار

تصميم الغلاف: نيما نقوي

الطبعة الأولى: ١٤٤٢ق / ١٣٩٩ش / ٢٠٠ نسخة، وزيري / الثمن: ١١٥٠٠٠٠ ريال إيرانيّ
الطباعة: مؤسّسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضويّة المقدّسة

مجمع البحوث الإسلاميّة، ص.ب: ٣٦٦-٩١٧٣٥
هاتف و فاكس وحدة المبيعات في مجمع البحوث الإسلاميّة: ٣٢٢٣٠٨٠٣-٠٥١
www.islamic-rf.ir info@islamic-rf.ir

سورة يونس وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٧٤٠ ـ ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾[١].

في الألفين: الإنذار يقتضي وضع الله تعالى في الأحكام جميعاً؛ لأنّه تعالى يعلم ما كان وما يكون إلى انقراض العالم، فلابدّ في كلّ واقعة من أن ينصب حكماً، فأوجب على النبيّ صلى الله عليه وآله الإنذار للمكلّفين بجميع الأحكام، وذلك يحتاج [إلى إمام معصوم] ولا يتمّ فائدته إلّا بإمام معصوم في كلّ زمان؛ لوجوه:

أحدها: أنّ الإمام لطف في المكلّف وهو الإنذار وهو من فعله تعالى، واللطف في المكلّف الواجب واجب، وهذا على رأي المعتزلة[٢].

وثانيها: أنّ عقولنا لا تستقلّ باستخراج جميع الأحكام الواقعة في كلّ زمان من الكتاب العزيز والسنّة؛ وهو ظاهر للاختلاف في الواقع، ولأنّ أكثر النظر فيها لاستخراج الأحكام يفيد الظنّ، فلابدّ وأن يكون من جملة من ينذره النبيّ صلى الله عليه وآله شخص ذو نفس قدسيّة بقوّة إلهاميّة يعلّمه النبيّ صلى الله عليه وآله طريقاً باستخراج الأحكام من الكتاب والسنّة يقيناً، ويقرّر عنده قوانين كليّة تفيد العلم القطعي بتفصيل الأحكام، ويكون حافظاً لذلك، وليس ذلك إلّا المعصوم.

وثالثها: أنّ غاية الإنذار العمل، والمؤدّي إلى الغاية منهم كما أنّ سبب الإنذار منهم، والمؤدّي إليه الحامل عليه، فإنّ القوى الشهويّة تعارض القوى العقليّة في أكثر الناس، والحامل عليه هو الإمام، ولابدّ وأن يكون معصوماً، وإلّا لنقض الغرض؛ لجواز أن لا يحمل عليه، بل على ضدّه، وقد وقع في رئاسة غير

---

(١) يونس (١٠): ٢.

(٢) انظر: مناهج اليقين في أُصول الدين: ٢٥٣.

المعصومين ممّن ادّعوا الإمامة ـ كمعاوية ـ وقائع شنيعة وقضايا فظيعة، وأشياء باطلة، وحرّف الشرع كثيراً، وابتدع بدائع يذكرها عنه أبو يوسف، وغيره من الجمهور.

ورابعها: أنّ الفعل إذا كان له غاية وتلك الغاية تتوقّف على أمر غالباً حتّى يحصل، وكان ذلك الفعل من فعل الفاعل لذلك الفعل الذي هو ذو الغاية، فإن لم يفعل ذلك كان بعيداً من الحكمة، ولا ريب أنّ الإنذار غاية الفعل، وهو يتوقّف على حامل للمكلّفين غير المعصومين على صحيح الاعتقاد رحكم الله تعالى، وغير المعصوم لا يعلم منه ذلك، فلابدّ من نصب إمام معصوم، لاستحالة أن لا يفعله الله تعالى[1].

وأُيّد هذا أنّ القدم منّا بمعنى السابقة كما يقال أنّ لفلان قدماً وفضلاً وشرفاً وأثراً حسناً، وقوله «صدق» أي صدق لا كذب فيه.

وفي المجمع عن الصادق عليه السلام: أنّ معنى «قدم صدق» شفاعة محمّد صلى الله عليه وآله[2].

وفي الكافي والعيّاشي والقمّي عنه عليه السلام: هو رسول الله صلى الله عليه وآله[3]

أقول: وهذا يرجع إلى ذاك.

وفي الكافي والعيّاشي عنه عليه السلام: بولاية أميرالمؤمنين عليه السلام[4].

---

(١) الألفين: ٣٤٧ الحادي والأربعون من أدلّة المائة الثامنة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٢) تفسير مجمع البيان ٥: ١٥٣، عنه في: تفسير الصافي ٢: ٣٩٣.

(٣) الكافي ٨: ٣٦٤ (في خطبة لأميرالمؤمنين عليه السلام)، تفسير القمّي ١: ٣٠٩، تفسير العيّاشي ٢: ١٢٠ ح ٥، وراجع: تفسير الصافي ٢: ٣٩٣.

(٤) الكافي ١: ٤٢٢ ح ٥٠ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، وانظر: تفسير العيّاشي ٢: ١١٩، وعنهما في: تفسير الصافي ٢: ٣٩٤.

وقيل: وهذا لأنّ الولاية من شروط الشفاعة وهما متلازمان[١].

٧٤١ و٧٤٢ ـ ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾[٢].

أي بالعدل. في الألفين: وجه الاستدلال وهو متعلّق بـ«يجزي» والمعنى: ليجزيهم بقسطه ويوفّيهم أُجورهم أو بقسطهم بما أقسطوا وأعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا الصالحات؛ لأنّ الشرك لظلم عظيم، والعُصاة ظلموا أنفسهم، وهذا وجه لمقابلة قوله **﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾**[٣].

فنقول: هذه الآية تدلّ على وجوب نصب إمام معصوم، وأنّه لا يخلو زمان فيه مكلّفون غير معصومين منه، وتقريره يتوقّف على مقدّمات:

الأُولى: أنّه جعل غاية خلق الخلق وإعادتهم أن يجزي الذين آمنوا وعملوا، الآية.

الثانية: أنّ الغاية في كلّ فعل أعظم وأشرف من ذي الغاية، وهو مبرهن في العلم الإلهي، بل قريب من البيّن.

الثالثة: بدء الخلق وإعادته أمر عظيم، فيكون إيصالهم إلى جزائهم من الثواب على فعلهم أعظم وأشرف. ومن مقدّمات هذا الإكرام والمفضال العظام نصب الإمام المعصوم الذي يفيد قوله العلم يتمكّن المكلّف من عمل الصالحات يقيناً ويخرج عن الشكّ. ولأنّه ذكر الجزاء على أمرين:

أحدهما: الإيمان، وهو من فعل القوّه النظريّة.

---

(١) القائل هو الفيض الكاشاني في: تفسير الصافي ٥: ٣٩٤.

(٢) يونس (١٠): ٤.

(٣) يونس (١٠): ٤.

والثاني: عمل الصالحات، وهو من فعل القوّة العمليّة.

والإنسان يحتاج فيهما إلى موصل إليهما، ففي طرف القوّة النظريّة العقليّة القضايا البديهيّة والضروريّة المحتاجة إلى الحواس الظاهرة والباطنة فوهبه الله تعالى ذلك.

ولو اختلّ بشيء من ذلك، بحيث فقد علماً موصلاً ذلك المفقود إليه، لعذر من جهل ذلك وفقد ذلك العلم، ولم يحسن عقابه عليه.

وفي النقليّة والعمليّة إلى موقف بالوحي المبين المفيد لليقين، وإلى نائب ذلك المُوقِف ـ لتطرّق الموت إليه ـ يحفظ شرعه، ويحمل الناس عليه ويكون قوله مقطوعاً معلوماً منه عدم الخطأ، بل يتيقّن منه الصواب في كلّ وقت، فكلّما عذر المكلّف في القوّة النظريّة بفقد مفيد للعلم، فكذا يعذر في القوّة العمليّة بفقد من يفيد قوله العلم، وذلك هو الإمام المعصوم؛ لأنّ غيره يجوّز المكلّف خطأه، فلا طريق له إلى اليقين[1].

وثاني الوجهين وهو ما في الألفين أيضاً: إذا كان الحكيم قد خلق الخلق وكلّفهم وأعادهم لأجل جزائهم على الإيمان وعمل الصالحات ولم ينصب لهم معصوماً يفيد قوله اليقين نقض غرضه، ونقض الغرض باطل[2].

٧٤٣ ـ ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا ﴾[3].

في الألفين: واعلم أنّ هذه الآية تدلّ على أنّ الإهلاك للفاسقين بذنوبهم إنّما

(١) الألفين: ٣٤٦ التاسع والثلاثون من أدلّة المائة الثامنة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.
(٢) الألفين: ٣٤٧ الأربعون من أدلّة المائة الثامنة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.
(٣) يونس (١٠): ١٣.

هو بعد أن تجيئهم البيّنات، أي الأُمور المفيدة للعلم، والرسل إنّما يركبون الحجّة بعد تبليغ ما يفيد العلم، وهذا عامّ في كلّ زمان وإلّا لمنعت بعض الأُمّة من اللطف، وهذا خلف.

ومع عدم إمام معصوم لا يحصل ما يفيد العلم؛ لأنّ ظواهر القرآن والأحاديث لا تفيد العلم، فلابدّ من إمام معصوم في كلّ الأوقات، وهو المطلوب(١).

٧٤٤ ـ ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(٢).

دلّت هذه العبارة على انحصار قوله وفعله وتركه وتقريره فيما يوحى إليه وذلك واجب في الأحكام الشرعيّة قطعاً، والإمام عليه السلام يجب أن يكون كذلك لأنّه قائم مقامه، ولأنّه تعالى ساوى بين طاعته وطاعة الرسول وطاعة الإمام في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾**(٣) فتنتفي الفائدة من نصبه، وغير المعصوم لا يعلم منه ذلك والظنّ لا يقوم مقامه، والقرآن دالّ على ذلك(٤).

وبوجهٍ آخر: الإمام متّبع للوحي كالنبيّ بالضرورة، ولا شيء من غير المعصوم كذلك بالإمكان؛ فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرور(٥).

---

(١) الألفين: ٤٥٠ العشرون من أدلّة الألف الثانية الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٢) يونس (١٠): ١٥.

(٣) النساء (٤): ٥٩.

(٤) الألفين: ٤٤٩ السابع عشر من أدلّة الألف الثانية الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٥) الألفين: ٤٤٩ الثامن عشر من أدلّة الألف الثانية الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن محمّد بن يعقوب بإسناده إلى المفضّل ابن عمر، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «ائت بقرآن غير هذا أو بدّله»، قال: قالوا: أو بدل عليّاً عليه السلام[١].

معناه: بدّله واجعل لنا خليفة غيره، فقال سبحانه لنبيّه صلى الله عليه وآله جواباً لقولهم: «قل ما يكون لي أن أُبدّله من تلقاء نفسي إن أتّبع» في ولايته عليكم «إلّا ما يوحى إليّ إنّي أخاف إن عصيت ربّي» في شأنه «عذاب عظيم»[٢].

٧٤٥ ـ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾[٣].

كلّ غير معصوم يمكن أن يكون كذلك، ولا شيء من الإمام يكون كذلك بالضرورة، ولا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة، وهو المطلوب، والمقدّمتان ظاهرتان.

٧٤٦ ـ ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٤].

في الألفين: واعلم أنّ دعاء الله بالوحي إلى النبيّ ويهديه، والنبيّ يفيد الإمام ويعلّمه ويهديه إلى صراط مستقيم، والإمام يهدي الأُمّة إلى صراط مستقيم، وغير المعصوم لا يُعلم أنّه يدعو إلى ذلك، فيحصل نقض الغرض بنصبه، فيستحيل أن يكون الإمام غير معصوم، هذا خلف[٥].

---

(١) الكافي ١: ٤١٩ ح٣٧ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.
(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢١٣ ح٢.
(٣) يونس (١٠): ١٧.
(٤) يونس (١٠): ٢٥.
(٥) الألفين: ٤٥٠ الحادي والعشرون من أدلّة الألف الثانية الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

وأُكّد بما في تأويل الآيات الظاهرة فقال: ذكر أبو عبدالله الحسين بن جبير رحمه الله في كتاب نخب المناقب روى بإسناده حديثاً يرفعه إلى عبدالله بن العبّاس وزيد ابن عليّ عن قوله تعالى: «والله يدعوا إلى دار السلام» يعني به الجنّة «ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» قال: يعني به ولاية عليّ عليه السلام[١].

وفي تفسير الصافي: في المعاني عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: إنّ السلام هو الله عزّ وجلّ وداره التي خلقها لعباده ولأوليائه عليهم السلام الجنّة[٢].

٧٤٧ ـ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٣].

نفي القترة[٤] والهوان على العموم يستلزم فعل كلّ الحسنى على العموم وترك ضدّه، وليس هذا إلّا مِن خواصّ المعصوم.

وبوجهٍ آخر: كلّ إمام داعٍ إلى ذلك بالضرورة، ولا شيء من غير المعصوم بداعٍ إلى ذلك بالإمكان، فلا شيء من الإمام بغير معصوم، وهو المطلوب.

٧٤٨ ـ ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٥].

في الألفين: غير المعصوم لا يهدي إلّا أن يُهدىٰ، وقد لا يهدي مع أنّه يُهدىٰ

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢١٤ ح٣.

(٢) تفسير الصافي ٢: ٣٩٩، وراجع: معاني الأخبار: ١٧٦ ح٢ (باب معنى السلام)، وعنه في: تفسير نور الثقلين ٢: ٣٠٠ ح٤٣.

(٣) يونس (١٠): ٢٦.

(٤) القَتَرَة: بالتحريك الغبار، وفي الغريب ترهقها قترة يعلوها سواد كالدخان. مجمع البحرين ٣: ٤٤٧ «قتر».

(٥) يونس (١٠): ٣٥.

فيكون الإنكار على اتّباعه أولى، فغير المعصوم لا يجوز اتّباعه، والإمام يـجب اتّباعه؛ فلا شيء من غير المعصوم بإمام، وهو المطلوب[١].

وأُيّد بما في تفسير الصافي: القمّي عن الباقر عليه‌السلام: فأمّا من يهدي إلى الحقّ فهو محمّد وآل محمّد من بعده، وأمّا من لا يهدي فهو من خالف من قريش وغيرهم أهل بيته من بعده[٢].

٧٤٩ ـ ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾[٣].

وهو يفيد العموم؛ لأنّ النكرة المنفيّة في موضع المذمّة، فنقول: ما قيل أنّ الصفات المشترطة في الإمام خفيّة لا يمكن الاطّلاع عليها للبشر كالإسلام والعدالة والشجاعة والعفّة وغيرها من الكيفيّات النفسيّة، فلو كان نصبه منوطاً باختيار العامّة لكان إمّا أن يشترط العلم بحصولها في المنصوب بالاختيار فهو تكليف ما لا يطاق، أو يشترط الظنّ وقد نهى الشارع وذمّ من اتّبعه كما في هذه الآية وآيات أُخر مثل: **﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾**[٤] و: **﴿إِن نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾**[٥] و: **﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾**[٦] وغير ذلك من الآيات الدالّة عليه فكيف يكون طريقاً في إثبات مسألة علميّة وحكم يعمّ به البلوى.

لا يقال: الشارع قد أمرنا باتّباع الظنّ في قبول الشهادات والمسائل الفرعيّة.

---

(١) الألفين: ٧٨ الثاني والعشرون من أدلّة المائة الأُولى الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه‌السلام.

(٢) تفسير الصافي ٢: ٤٠٢، وراجع: تفسير القمّي ١: ٣١٢، وعنه في: تفسير البرهان ٣: ٣٠ ح ٤٨٩٤، بحار الأنوار ٩: ٢١٣ ح ٩١.

(٣) يونس (١٠): ٣٦.

(٤) الأنعام (٦): ١١٦.

(٥) الجاثية (٤٥): ٣٢.

(٦) الأحزاب (٣٣): ١٠.

لأنّا نقول: العامّ[1] إذا خُصّ بدليل لا يخرج عن دلالته فيما عدا محلّ التخصيص[2].

وأيضاً نقول: أمر الإمامة لو كان من الفروعات التي جاز فيها الظنّ بالاجتهاد لزم كون المخطئ فيها غير آثم، بل مصيباً على ما اتفقوا عليه، فكيف حكموا بقتل الرفضة؟

٧٥٠ ـ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[3].

عمومه يدلّ على تعميم الرسول ولو خصّ لزمه أيضاً وجوب نصب الإمام في كلّ قوم وعصر؛ لأنّ وجود الرسول رحمة لقوله: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[4] أي العالمين في زمانه، لأنّ العالم ما يعلم به الصانع في اللغة[5] والعرف، وهو لا يطلق على الموجودين، فلابدّ أن يكون بعده صلى الله عليه وآله إمام منصوب من الله تعالى؛ لعموم رحمته وبطلان الترجيح بدون مرجّح.

وأُيّد بما في تفسير الصافي عن العيّاشي عن الباقر عليه السلام في تفسيرها في الباطن أنّ لكلّ قرنٍ من هذه الأُمّة رسولاً من آل محمّد يخرج إلى القرن الذي هو إليهم رسول وهم الأولياء وهم الرسل، وأمّا قوله «فإذا جاء رسولهم قضى بينهم

---

(١) انظر: مبادئ الوصول إلى علم الأصول: ١٢٩، تهذيب الوصول إلى علم الأُصول: ١٣٥، المحصول في علم أُصول الفقه ٣: ٧.

(٢) الألفين: ٥٥ الوجه السابع عشر من الوجوه التي ذكرها المصنّف من النظر الخامس في نقد مذهب الخصم وإبطاله في المقدّمة قبل أدلّة المائة الأُولى الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٣) يونس (١٠): ٤٧.

(٤) الأنبياء (٢١): ١٠٧.

(٥) اُنظر: كشّاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ٢: ١١٥٧.

بالقسط» فإنّ معناه أنّ رسل الله يقضون بالقسط وهم لا يظلمون[١].

٧٥١ ـ ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّى إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾[٢].

الإمام أخبر غيره بما استخبر عنه من الحقّ كالنبيّ صلى الله عليه وآله كما في هذه الآية بالضرورة، ولا شيء من غير المعصوم يخبر عن الحقّ بالإمكان، فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة.

وأُكّد بما قال في تأويل الآيات الظاهرة: من أنّ تأويله أيضاً ما ذكره أبو عبدالله الحسين بن جبير رحمه الله في (نخب المناقب) روى حديثاً مسنداً عن الباقر عليه السلام في قوله: «ويستنبئونك أحقّ» الآية، قال: يسألونك يا محمّد أعليّ وصيّك؟ قل: إي وربّي إنّه لوصيّي[٣].

ويؤيّده ما رواه محمّد بن يعقوب، عن عليّ بن إبراهيم، عن القاسم بن محمّد الجوهري، عن بعض أصحابه، عن أبي عبدالله عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ: «ويستنبئونك أحقّ هو قل» أي ما تقول في عليّ أحقّ؟ قل: إي وربّي إنّه لحقّ وما أنتم بمعجزين[٤].

٧٥٢ ـ ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى الأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ﴾[٥].

---

(١) تفسير الصافي ٢: ٤٠٥، وراجع: تفسير العيّاشي ٢: ١٢٣ ح٢٣، وعنه في: تفسير البرهان ٣: ٣٢ ح٤٩٠٤، بحار الأنوار ٢٤: ٣٠٦ ح٦.

(٢) يونس (١٠): ٥٣.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢١٤ ح٤.

(٤) الكافي ١: ٤٣٠ ح٨٧ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، عنه في: الوافي ٣: ٩٢٩ ح١٦١٤، بحار الأنوار ٢٤: ٣٥١ ح٦٨.

(٥) يونس (١٠): ٥٤.

كلّ غير معصوم كذلك بالإمكان، ولا شيء من الإمام كذلك بالضرورة، فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة.

وأُيّد بما في تفسير الصافي عن القمّي: «ظلمت» يعني آل محمّد حقّهم «لافتدت» يعني به الرجعة[1].

٧٥٣ ـ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[2].

وجود الإمام من أعظم الرحمات؛ لأنّه لا نعني بالرحمة إلّا ما انتفع به خليقته في المعاش والمعاد، والإمام وضع لذلك وإنّه قائم مقام النبيّ صلى الله عليه وآله فيكون رحمة؛ لأنّه جعله مساوياً له في الإطاعة في قوله: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ**﴾[3] وهو صلى الله عليه وآله رحمة لقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً**﴾[4] فلو كان غير معصوم لصدق بعض الإمام لا يمكن أن يكون نافعاً؛ لأنّه يمكن أن يدعو المكلّف إلى المعصية أو لا يدعوه إلى الطاعة وإلى ترك المعصية فلا يكون نافعاً، لكن الثانية نقيض الأُولى المفهومة من الآية فكيف الفرح؟ والحثّ عليه يناقض هذا فأنّى يكون خيراً ممّا يجمعون، فصدق الأُولى يستلزم كذب الثانية، فيكون ملزومها كاذباً.

ويعضده ما في تأويل الآيات الظاهرة فقال: تأويله ما ذكره أبو عليّ الطبرسي رحمه الله قال: قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «بفضل الله» رسول الله «ورحمته» عليّ ابن أبي طالب عليه السلام[5].

---

(١) تفسير الصافي ٢: ٤٠٦، وراجع: تفسير القمّي ١: ٣١٣.

(٢) يونس (١٠): ٥٨.

(٣) النساء (٤): ٥٩.

(٤) الأنبياء (٢١): ١٠٧.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢١٥، وراجع: تفسير مجمع البيان ٥: ٢٠١.

وفي الكافي عن محمّد بن الفضيل عن الرضا عليه السلام قال: قلت له: قول الله تعالى: «قل بفضل الله وبرحمته» الآية، قال: بولاية محمّد وآل محمّد صلوات الله عليهم هو خير ممّا يجمع هؤلاء من دنياهم[1].

وذكر عليّ بن إبراهيم في تفسيره أنّ قوله «فليفرحوا» المعنيّ به الشيعة[2].

قال: وروى محمّد بن مسلم، عن الأصبغ بن نباتة[3]، عن أميرالمؤمنين عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: «قل بفضل الله ورحمته» الآية، شيعتنا «هو خير ممّا يجمعون» أعداؤهم من متاع الدنيا[4].

وفي هذا المعنى ما رواه الشيخ أبو جعفر محمّد بن بابويه رحمه الله بإسنادٍ متّصل عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم وهو راكب، وخرج عليّ عليه السلام وهو يمشي، فقال له: يا أبا الحسن، إمّا أن تركب [وإمّا أن تنصرف، فإنّ الله عزّوجلّ أمرني أن تركب] إذا ركبت وتمشي إذا مشيت وتجلس إذا جلست إلّا أن تكون في حدّ من حدود الله لابدّ لك من القيام والقعود فيه، وما أكرمني الله بكرامة إلّا وأكرمك بمثلها وخصّني الله بالنبوّة والرسالة وجعلك وليّي في ذلك تقوم في حدوده وصعب أُموره، والذي بعثني بالحقّ نبيّاً ما آمن بي من أنكرك، ولا أقرّ بي من جحدك، ولا آمن بالله من

---

(١) الكافي ١: ٤٢٣ ح ٥٥ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، عنه في: تفسير البرهان ٣: ٣٥ ح ٤٩١٧، بحار الأنوار ٢٤: ٦١ ح ٤١.

(٢) تفسير القمّي ١: ٣١٣ وفيه: فليفرح شيعتنا.

(٣) رواية محمّد بن مسلم عن الأصبغ بن نباتة بعيد جدّاً ويمكن كونه محمّد بن مسلم بن شهاب الزهري، والظاهر المصنّف أخذ السند من تأويل الآيات الظاهرة فإنّه مذكور فيه كذلك.

(٤) انظر: تفسير العيّاشي ٢: ١٢٤، الكافي ١: ٤٢٣ ح ٢٩، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢١٦ ح ٨ ولم نعثر على الرواية في: تفسير القمي.

كفر بك، فإنّ فضلك لمن فضلي، وإنّ فضلي لمن فضل الله، وهو قول ربّي عزّ وجلّ: «قل بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ ممّا يجمعون» ففضل الله نبوّة نبيّكم، ورحمته ولاية عليّ بن أبي طالب، «فبذلك» قال: بالنبوّة والولاية «فليفرحوا» يعني الشيعة «هو خير ممّا يجمعون» يعني مخالفيهم من الأهل والمال والولد في دار الدنيا. والله يا علي، ما خُلِقْتَ إلّا لِيُعبَدَ ربُّك ولتعرف بك معالم الدين، ويصلح بك دارس السبيل، ولقد ضلّ مَن ضلّ عنك ولن يهتدي إلى الله من لم يهتد إليك وإلى ولايتك وهو قول ربّي عزّ وجلّ: ﴿ **وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ** ﴾[1] إلى ولايتك، ولقد أمرني ربّي تبارك وتعالى أن أفترض من حقّك ما افترض من حقّي فإنّ حقّك لمفروض على من آمن بي، ولولاك لم يعرف عدوّ الله، ومن لم يلقه بولايتك لم يلقه بشيء، ولقد أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ** ﴾ يعني في ولايتك يا علي ﴿ **وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** ﴾[2] ولو لم أُبلّغ ما أُمرت به من ولايتك لحبط عملي، ومن لقي الله عزّ وجلّ بغير ولايتك فقد حبط عمله، وعدٌ يُنْجَزُ لي، وما أقول إلّا قول ربّي تبارك وتعالى، وإنّ الذي أقول من الله أنزله فيك[3].

ومن هذا ما ذكره في تفسير العسكري عليه السلام: قال الإمام عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فضل الله العلم بتأويله وتوفيقه لموالاة محمّد وآله الطيّبين ومعاداة أعدائهم[4].

---

(١) طه (٢٠): ٨٢.

(٢) المائدة (٥): ٦٧.

(٣) الأمالي للصدوق: ٥٨٢ ـ ٥٨٣ ح ١٦/٨٠٣ المجلس الرابع والسبعون، وعنه في: تفسير البرهان ٢: ٣٣٥ ـ ٣٣٦ ح ٣٢١٥، بحار الأنوار ٢٤: ٦٤ ح ٥٠، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢١٦ ح ٩.

(٤) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ١٥ ح ١٤.

وكيف لا يكون ذلك خيراً ممّا يجمعون وهو ثمن الجنّة ويستحقّ به الكون بحضرة محمّد وآله الطيّبين الذين هم أفضل من الجنّة؛ لأنّ محمّداً وآله أشرف زينة الجنّة[١].

٧٥٤ ـ **﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[٢].

نفي الخوف والحزن عنهم على العموم ثمّ إثبات تلك الأوصاف يستلزم عصمتهم أو اقتباسهم ذلك عن المعصوم، وقد مرّ تفصيل هذا في قوله **﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**، فتذكّر.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة فقال: تأويله فهو ما ذكره أبو عليّ الطبرسي ﵀ قال: روى عقبة بن خالد عن أبي عبدالله أنّه قال: يا عقبة، لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلّا هذا الدين الذي أنت عليه، وما بين أحدكم وما بين ما تقرّ به عينه إلّا أن تبلغ نفسه ـ وأومى إلى الوريد ـ ثمّ قال: هذا في كتاب الله، وقرأ: «وكانوا يتّقون لهم البشرى» الآية[٣].

يؤيّده ما نقله الشيخ أبو جعفر محمّد بن بابويه ﵀ عن رجاله بإسنادٍ يرفعه إلى الإمام أبي جعفر أنّه قال لقوم من شيعته: إنّما يغتبط أحدكم إذا صارت نفسه إلى هاهنا ـ وأومى بيده إلى حلقه ـ فينزل عليه ملك الموت فيقول: أمّا ما له كنت ترجوه أُعطيته، وأمّا ما كنت تخافه فقد أمنت منه، ويفتح له باب إلى منزله في

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢١٧ ح ١٠، وراجع: بحار الأنوار ١: ٢١٧ ح ٣٥.

(٢) يونس (١٠): ٦٢ ـ ٦٤.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢١٨ ح ١١.

الجنّة فيقول له: انظر إلى مسكنك من الجنّة فهذا رسول الله وهذا عليّ والحسن والحسين هم رفقاؤك. ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: وهو قول الله عزّ وجلّ: «الذين آمنوا وكانوا» الآية(١).

وفي هذا المعنى ما رواه الشيخ محمّد بن يعقوب رحمه الله، عن أبان بن عثمان، عن عقبة، قال: إنّه سمع أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ الرجل منكم إذا وقعت نفسه في صدره يرى. قلت: جعلت فداك، وما الذي يرى؟ قال: يرى رسول الله صلى الله عليه وآله يقول له: أنا رسول الله، ثمّ يرى عليّاً عليه السلام فيقول: أنا عليّ بن أبي طالب الذي كنت تحبّه يجب علَيّ أن أنفعك اليوم.

قال: قلت له: أيكون أحد من الناس يرى هذا ويرجع؟ قال: لا بل إذا رأى هذا مات. قال: فأعظمت ذلك، قلت له: ذلك في القرآن؟ قال: نعم قوله: «الذين آمنوا وكانوا يتّقون» الآية(٢).

وفي تفسير الصافي: العيّاشي عن أميرالمؤمنين عليه السلام: هم نحن وأتباعنا ممّن تبعنا من بعدنا طوبى له وطوبى لهم، وطوباهم أفضل من طوبانا. قيل: ما شأن طوباهم أفضل من طوبانا؟ ألسنا نحن وهم على أمر؟ قال: لا لأنّهم حملوا ما لم تحملوا، وأطاقوا ما لم تطيقوا(٣).

وفي الإكمال عن الصادق عليه السلام: طوبى لشيعة قائمنا المنتظرين لظهوره في

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢١٨ ـ ٢١٩ ح١٢، وأخرج نحوه الديلمي في: أعلام الدين: ٤٥٨، والمجلسي في بحار الأنوار ٢٧: ١٦٤. وراجع: تفسير العيّاشي ٢: ١٢٥ ح٢٩، تفسير الصافي ٢: ٤١٠، تفسير نور الثقلين ٢: ٣١٢.

(٢) الكافي ٣: ١٣٣ ح٨، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢١٩ ح١٣.

(٣) تفسير الصافي ٢: ٤٠٨، وراجع: تفسير العيّاشي ٢: ١٢٤ ح٣٠.

غيبته، والمطيعين له في ظهوره، أُولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون[١].

وأُكّد ما ذُكر في الطرائف عن مسند أحمد بن حنبل، عن عمّار بن ياسر، أنّه سمع النبيّ صلى الله عليه وآله يقول لعليّ: يا عليّ، طوبى لمن أحبّك وصدّق بك، وويل لمن أبغضك وكذّب فيك[٢].

٧٥٥ ـ ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[٣].

القول بالاختيار مبنيّ على الخرص والظنّ، وكلّ ما هو كذلك فهو ينهى عنه ويحذّر عن اتّباعه، فالقول بالاختيار محذَّر عنه لا يجوز، الصغرى مسلّمة، والكبرى في هذه الآية: **﴿إِنْ عِندَكُم مِن سُلْطَانٍ بِهٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾**[٤] تحريض على البرهان والإيقان، وتحذير عن العمل بما لا يعلم، فلو لم يكن الإمام معصوماً لزم التكليف بغير المقدور.

٧٥٦ ـ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٥].

فيه فضيلة عظيمة لموالينا وساداتنا عليهم السلام لما في الطرائف عن الفقيه الشافعي ابن المغازلي من ثمانية طرق، فمنها عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: لمّا قدم أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله المدينة لم يكن لهم بيوت يسكنون فيها فكانوا يبيتون في

---

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة: ٣٥٧ ح ٣٥٦.

(٢) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٦٩ ح ٧٩.

(٣) يونس (١٠): ٦٦.

(٤) يونس (١٠): ٦٨.

(٥) يونس (١٠): ٨٧.

المسجد، فقال لهم النبيّ: لا تبيتوا في المسجد فتحتلموا. ثمّ إنّ القوم بنوا بيوتاً حول المسجد وجعلوا أبوابها إلى المسجد، وإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بعث إليهم معاذ بن جبل فنادى أبا بكر فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يأمرك أن تخرج من المسجد وتسدّ بابك الذي فيه. فقال: سمعاً وطاعة، [فسدّ بابه وخرج من المسجد. ثمّ أرسل إلى عمر فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يأمرك أن تسدّ بابك الذي في المسجد وتخرج منه، فقال: سمعاً وطاعة] لله ولرسوله غير أنّي أرغب إلى الله في خوخة في المسجد، فأبلغه معاذ ما قال عمر. ثمّ أرسل إلى عثمان وعنده رقيّة، فقال: سمعاً وطاعة، فسدّ بابه وخرج من المسجد. ثمّ أرسل إلى حمزة فسدّ بابه وقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله، وعليّ على ذلك يتردّد ولا يدري أهو ممّن يقيم أو ممّن يخرج، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله قد بنى له بيتاً في المسجد بين أبياته، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: اسكن طاهراً مطهّراً، فبلغ رجلاً ـ سمّاه ابن المغازلي ـ قول النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله، تخرجنا وتمسك غلمان بني عبد المطّلب؟ فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: لو كان الأمر إليّ ما جعلت من دونكم من أحد، والله ما أعطاه إيّاه إلّا الله وإنّك لعلى خير من الله ورسوله، أبشر، فبشّره النبيّ صلى الله عليه وآله، فقُتل بأُحد شهيداً.

ونفس ذلك رجال على عليّ عليه السلام فوجدوا في أنفسهم، وتبين فضله عليهم وعلى غيرهم من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله، فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله فقام خطيباً فقال: إنّ رجالاً يجدون في أنفسهم أن أسكنت عليّاً في المسجد، والله ما أخرجتكم ولا أسكنته، إنّ الله تعالى أوحى إلى موسى وأخيه «أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة»، وأمر موسى أن لا يسكن مسجده ولا ينكح فيه ولا يدخله إلّا هارون وذريّته، وإنّ عليّاً منّي بمنزلة هارون من موسى وهو أخي

دون أهلي، ولا يجوز مسجدي لأحد أن ينكح فيه النساء إلّا عليّ وذريّته، فمن ساءه هاهنا ـ وأومى بيده إلى الشام ـ [١].

وعن أحمد بن حنبل في مسنده عن عدّة طرق، فمنها عن زيد بن أرقم قال: كان لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أبواب شارعة إلى المسجد، فقال يوماً: سدّوا هذه الأبواب إلّا باب عليّ عليه السلام، فتكلّم في ذلك أُناس، قال: فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّي أُمرت بسدّ هذه الأبواب غير باب عليّ، فقال فيه قائلكم، والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكن أُمرت بشيء فاتّبعته [٢].

ورواه أيضاً أحمد بن حنبل من عدّة طرق عن عبدالله بن عمر عن النبيّ صلى الله عليه وآله [٣].

وروى أبو زكريّا بن مندة الأصفهاني الحافظ في مسانيد المأمون عن إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: حدّثني المأمون، قال: حدّثني الرشيد، قال: حدّثني المهدي، قال: حدّثني المنصور، قال: حدّثني أبي، عن عبدالله بن عبّاس قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ: أنت وارثي. وقال: إنّ موسى عليه السلام سأل الله تعالى أن يطهّر له مسجداً لا يسكنه إلّا موسى وهارون وابنا هارون، وإنّي سألت الله تعالى أن يطهّر مسجداً لك ولذرّيّتك من بعدك. ثمّ أرسل إلى أبي بكر أن سدّ بابك، فاسترجع وقال: فعل هذا بغيري؟ فقيل: [لا، فقال: سمعاً وطاعة، فسدّ بابه. ثمّ أرسل إلى

---

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٦١ ـ ٦٢ ح ٦١، المناقب لابن المغازلي: ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ح٣٠٣.

(٢) مسند أحمد ٤: ٣٦٩، وراجع: الأمالي للصدوق: ٤١٢ ح٤/٥٣٧، مجمع الزوائد ٩: ١١٤، تاريخ ابن عساكر ٤٢: ١٣٨، المناقب للخوارزمي: ٣٢٧ ح٣٣٨، الطرائف: ٦٠ ح ٥٩.

(٣) راجع: الطرائف: ٦٠ في ذيل الحديث ٥٩.

عمر فقال: سد بابك، فاسترجع وقال: فعل هذا بغيري؟ فقيل:] بأبي بكر، فقال: إنّ في أبي بكر أُسوة حسنة، فسدّ بابه. ثمّ ذكر رجلاً آخر فسدّ النبيّ صلى الله عليه وآله بابه، وذكر كلاماً له، ثمّ قال: فصعد النبيّ صلى الله عليه وآله المنبر فقال: ما أنا سددت أبوابكم ولا أنا فتحت باب عليّ ولكن الله سد أبوابكم وفتح باب عليّ عليه السلام[١].

وروى أيضاً أحمد بن حنبل عن زيد بن أبي أوفى من طريقين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: والذي بعثني بالحقّ نبيّاً ما اخترتك إلّا لنفسي وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيّ بعدي، وأنت أخي ووارثي، تمام الخبر[٢].

وجه الاستدلال بهذا المروي المتواتر أنّ ذلك يدلّ على جميع المنازل الثابتة لهارون بالنسبة إلى موسى لعليّ بالنسبة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، ولفظ «المنزلة» وإن لم يكن من العموم إلّا أنّ المراد بها هاهنا التعميم، فبيانه: هو أنّ قوله منزلة اسم جنس صالح لكلّ واحد واحد من آحاد المنازل الخاصّة وصالح للكلّ؛ ولهذا يصحّ أن يقال: فلان له منزلة فلان، ومنزلة فلان أنّ قرابته له وأنّ محبّته له، ونقرّ في جميع أُموره، وعند هذا فلو حملناه على بعض المنازل دون البعض فإمّا أن تكون معيّنة أو مبهمة، الأوّل ممتنع ضرورة في عدم دلالة اللفظ على التعيّن. والثاني أيضاً ممتنع لما فيه من الإجمال وعدم الإفادة، فلم يبق غير الحمل على الجميع. ويدلّ عليه قوله: «إلّا أنّه لا نبيّ بعدي» استثنى هذه المنزلة دون باقي المنازل، ولو لم يكن اللفظ محمولاً على كلّ المنازل لما حسن الاستثناء، وإذا ثبت التعميم فذلك يدلّ على ثبوت الإمامة لعليّ عليه السلام، وبيانه من وجوه:

---

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٦١ ح ٦٠.

(٢) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٦٣ ح ٦٣، وراجع: العمدة لابن بطريق: ٩١.

الأوّل: أنّ من جملة منازل هارون من موسى أنّه كان خليفة له على قومه في حال حياته بدليل قوله تعالى إخباراً عن موسى: ﴿**اخْلُفْنِى فِى قَوْمِى**﴾[1] لا معنى لها إلّا القيام مقام المستخلف ممّا كان له من التصرّفات وإذا كان خليفته له حال حياته وجب أن يكون خليفته بعد موته؛ لأنّ عزله غير جائز عليه؛ فثبت مثله لعليّ عليه السلام.

الثاني: أنّ من جملة منازل هارون بالنسبة إلى موسى أنّه كان شريكاً له في الرسالة بدليل قوله تعالى: ﴿**اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا**﴾[2] ومن لوازمه استحقاق الطاعة بعد وفاة موسى أنّه لو بقي فوجب أن ثبت ذلك لعليّ عليه السلام غير أنّه قام الدليل على امتناع كونه مشاركاً للنبيّ صلى الله عليه وآله في الرسالة، ولذا قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «إلّا أنّه لا نبيّ بعدي» فوجب أن يبقى مفترض الطاعة على الأُمّة بتقدير بقائه بعده صلى الله عليه وآله عملاً بالدليل بأقصى الإمكان، ولا معنى لكونه إماماً إلّا هذا وذلك يستلزم منه عصمته عليه السلام؛ لعدم القول بتقدّمه عليه السلام وعدم عصمته عليه السلام.

وثالث الوجوه: أنّ من المنازل الأُخوّة فهي تتحقّق بين موسى وهارون وبها رتّب الإرث، فيجب ذلك لعليّ عليه السلام، فثبت كونه وارثاً له في كلّ شيء إلّا ما خرج بالقطع، ولا قطع في إخراج الخلافة، فثبت كونها له عليه السلام، وفي المروي تصريح به.

وأُكّد ذلك بأخبار المؤاخاة، منها: ما في الطرائف عن أحمد بن حنبل وابن المغازلي عن جابر بن عبدالله عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: مكتوب على باب الجنّة: «محمّد

---

(١) الأعراف (٧): ١٤٢.

(٢) طه (٢٠): ٤٣ ـ ٤٤.

رسول الله، عليّ أخو رسول الله» قبل أن يخلق السماوات بألفي عام[١].

وسيجيء في المؤاخاة.

وأُيّد هذا بما جاء في مسائل المأمون للرضا عليه السلام حين سأله بحضرة العلماء من أهل خراسان وغيرهم من البلد على ما يجيء في آخر هذا الكتاب إن شاء الله تمامه، فقال: وقد وردت المسائل: وأمّا الرابعة فإخراج النبيّ صلى الله عليه وآله الناس من مسجده ما خلا العترة حتّى تكلّم الناس في ذلك وتكلّم العبّاس فقال: يا رسول الله، تركت عليّاً وأخرجتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما أنا تركته وأخرجتكم، ولكن الله تركه وأخرجكم، وفي هذا بيان قوله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى. فقال العلماء: وأين هذا من القرآن؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: أوجدكم في ذلك قرآناً أقرؤه عليكم؟ قالوا: هات. قال: قول الله تعالى: «وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوّءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة» ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى ومنزلة عليّ من رسول الله صلى الله عليه وآله ومع هذا دليل ظاهر في قول رسول الله صلى الله عليه وآله حين قال: ألا إنّ المسجد لا يحلّ لجنب إلّا لمحمّد صلى الله عليه وآله وآله.

فعند ذلك قال العلماء: يا أبا الحسن، هذا الشرح والبيان لا يوجد إلّا عندكم معاشر أهل البيت. فقال: من ينكر لنا ذلك؟ ورسول الله صلى الله عليه وآله قال: أنا مدينة العلم وعليّ بابها فمن أراد المدينة فليأتها من بابها. وفيما أوضحنا وشرحنا من الفضل والشرف والتقدّم والاصطفاء لنا ما لا ينكره إلّا معاند لله تعالى[٢].

---

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٦٣ ح ٦٤، وراجع: المناقب للخوارزمي: ١٤٥ ح١٦٨، نهج الإيمان لابن جبر: ٤٢٥، المناقب لابن المغازلي: ٩١ ح ١٣٤.

(٢) الأمالي للصدوق: ٦١٨ ضمن الحديث ١/٨٤٣ المجلس التاسع والسبعون، عنه في: بحار الأنوار ٢٥: ٢٢٤ ضمن حديث ٢٠.

وفي تفسير الصافي عن العلل والعيّاشي أنّ رسول الله ﷺ خطب الناس فقال: أيّها الناس، إنّ الله عزّ وجلّ أمر موسى وهارون أن يبنيا لقومهما بمصر بيوتاً، وأمرهما أن لا يبيت في مسجدهما جنب ولا يقرب منه النساء إلّا هارون وذريّته، وإنّ عليّاً منّي بمنزلة هارون من موسى فلا يحلّ لأحد أن يقرب النساء في مسجدي ولا يبيت فيه إلّا عليّ وذريّته؛ فمن ساءه ذلك فهاهنا ـ وضرب بيده نحو الشام ـ [١].

وفي العيون[٢] ما يقرب منه، ومن أهل العناد من قال:

أوّلاً: بأنّه من الأخبار الآحاد وذلك بما أُلزم عليه من التسليم في حجيّة أخبار الآحاد على ما قال في شرح المواقف[٣] في دفع القدح بحديث «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث درهماً ولا ديناراً».

وثانياً: بالاختصاص وهو أيضاً خلاف الحقيقة، فإنّ المنصف المتأمّل إذا نظر بعين الاعتبار فهم أنّ اختصاص النبيّ ﷺ له بالخطاب المذكور من بين جمّ غفير ليس إلّا لرجحانه على غيره بمزيّة لا تكون في غيره وهو تنبيه منه ﷺ لذوي الأبصار على ترجيحه عليهم واختصاصه له بما حلّ له ﷺ من خصائص الكمال ونهاية الاعتدال لعلّة المماثلة في جميع الأحوال فيجب له التعظيم، والإخلال بتنصيص الكريم ذي الجلال في المبدأ والمآل صلوات الله عليه وعلى أولاده خير آل.

---

(١) تفسير الصافي ٢: ٤١٤، وراجع: علل الشرائع ١: ٢٠٢ ح ٢، تفسير العيّاشي ٢: ١٢٧ ح ٣٩.

(٢) انظر: عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٣١، الباب ٢٣ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأُمّة.

(٣) انظر: شرح المواقف ٨: ٣٥٥.

فإن قيل: إنّ الولاية الثابتة لعليّ عليه السلام كانت لهارون في حياة أخيه فمعلوم أنّها ليست لعليّ عليه السلام؛ لأنّه لا ولاية له في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وإن كانت هي التي له بعد موته فلا معنى له بعد موته؛ لأنّ هارون مات قبل أخيه، فلا ولاية بعد موته بالضرورة.

قلنا: العموم مثبت لولاية له وهو كافٍ في المدّعى. وأيضاً: الولاية الثابتة له عليه السلام هي الثابتة لهارون في حياته ويكون عليّ عليه السلام وليّاً للأُمّة في حياة الرسول صلى الله عليه وآله كما كان هارون كذلك من غير فرق، فإنّ مقام الولاية الخاصّة غير مقام النبوّة، وإذا صحّ اجتماع مقام النبوّة مع مثلها فلم لا يصحّ اجتماع الولاية معها؟ وولاية هارون لا تنعزل عنه؛ لعدم جواز البداء عليه؛ لأنّه لا تعلّق منه تعالى إلّا من علم استحقاقي بالاعتدال الموجب للعصمة، وإنّما انتفت عنه بالموت والانتقال عن دار التكليف، وعليّ عليه السلام عاش بعد النبيّ صلى الله عليه وآله فلا موجب لزوال ولايته المستصحبة القطعيّة، وحينئذٍ لو حكم بالعزل لزم تغيّر حكمه صلى الله عليه وآله، وهو على حدّ الكفر واللعن والخسران والطغيان، نعوذ بالله الرّحمٰن.

٧٥٧ ـ ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ * وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[١].

كلّ غير معصوم يمكن أن يقرب إلى ما يوجب الخسران، ولا شيء من الإمام يمكن أن يقرب إليه بالضرورة؛ فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة.

ويعضده ما في تأويل الآيات الظاهرة فقال: تأويله ما ذكره عليّ بن إبراهيم رحمه الله في تفسيره قال: حدّثني أبي، عن عمرو بن سعيد الراشدي، عن عبدالله بن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أُسري برسول الله صلى الله عليه وآله فأوحى الله تعالى في

---

(١) يونس (١٠): ٩٤ و٩٥.

عليّ ما أوحى من شرفه وعظمه[١] ورد إلى البيت المعمور وجمع الله النبيّين فصلّوا خلفه، وعرض في قلب رسول الله صلى الله عليه وآله عظم ما أوحى إليه في عليّ عليه السلام، فأنزل الله عليه: فإن كنت في شكّ ممّا أُنزل إليك في عليّ فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك، يعني الأنبياء الذين صلّى بهم رسول الله صلى الله عليه وآله أي في كتب الأنبياء قبلك ما أنزلنا في كتابك من فضله، لقد جاءك الحقّ من ربّك فلا تكوننّ من الممترين، يعني من الشاكّين.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: ما شكّ رسول الله صلى الله عليه وآله ولا سأل[٢].

وهذا مثل قوله تعالى: ﴿ **وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا** ﴾[٣]، ومعنى عرض في قلب رسول الله، أي خطر على باله عظم ما أوحى الله إليه في عليّ وفضله، ولم يكن عنده في ذلك شكّ؛ لأنّ فضل عليّ عليه السلام من فضله الذي فضّل على الخلق أجمعين، ولذلك قال صلى الله عليه وآله: «يا علي، ما عرف الله إلّا أنا وأنت، وما عرفك إلّا الله وأنا»[٤]، يعني حقيقة المعرفة، وفضل كلّ منهما على قدر معرفته بالذي لا يعلم فضلهما إلّا هو سبحانه وتعالى، ومن لم يكن هذا قوله كيف يكون عنده في فضله شكّ وإنّما قال هذا للشاكّ من أُمّته في فضل عليّ عليه السلام لتنبيه الغافل.

ونقول: إذا كان هذا قول الله عزّ وجلّ لنبيّه وهو شاكّ في فضل وصيّه فكيف حال الشاكّ، نعوذ بالله منه ومن الشيطان الرجيم؛ ومن أجل ذلك قال أبو عبدالله عليه السلام: ما شكّ رسول الله ولا سأل أي الأنبياء عليهم السلام[٥].

---

(١) في تأويل الآيات: «عظمته» وفي تفسير القمّي كما في المتن.

(٢) تفسير القمّي ١: ٣١٦ـ٣١٧.

(٣) الزخرف (٤٣): ٤٥.

(٤) مختصر بصائر الدرجات: ٣٦٦ ح ١٤/٣٦١ ط. جامعة المدرّسين ـ قم.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٢١ ح ١٥.

وفي تفسير الصافي: في العلل والعيّاشي عن الهادي عليه السلام أنّه سأله أخوه موسى عن هذه الآية حين كتب إليه يحيى بن أكثم يسأله عن مسائل فيها: أخبرني عن المخاطب بالآية، فإنّ المخاطب به النبيّ صلى الله عليه وآله وليس قد شكّ فيما أنزل الله تعالى، وإن كان المخاطب به غيره فعلى غيره إذن أُنزل الكتاب؟ قال موسى: فسألت أخي عليّ بن محمّد عن ذلك، فقال: المخاطب بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن في شكّ ممّا أنزل الله ولكن قالت الجهلة: كيف لا يبعث إلينا نبيّاً من الملائكة ليفرق بينه وبين غيره في الاستغناء عن المأكل والمشرب والمشي في الأسواق، فأوحى الله إلى نبيّه: «فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك» بمحضر من الجهلة: هل بعث الله رسولاً قبلك إلّا وهو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وذلك بهم أُسوة، وإنّما قال «فإن كنت في شكّ» ولم يكن ولكن ليتبعهم كما قال: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[(١)] ولو قال «تعالوا نبتهل لنجعل لعنة الله عليكم» لم يكونوا يجيبون للمباهلة، وقد عرف أنّ نبيّه صلى الله عليه وآله مؤدّ عنه رسالته وما هو من الكاذبين وكذلك عرف النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه صادق فيما يقول ولكن أحبّ أن ينصف من نفسه[(٢)].

ولنا وجه ثالث في التوجيه وهو: أنّه يمكن أن يحتمل على أنّه صلى الله عليه وآله شكّ في وجود الموعود بإمكان البداء في خبره تعالى إذا لم يقع في سحسحة الإيجاد؛ لأنّه من مذهبنا إمكان خلاف ما أخبر قبل إعطائه وقضائه بعد تقديره ومشيئته.

---

(١) آل عمران (٣): ٦١.

(٢) تفسير الصافي ٢: ٤١٩، وراجع: علل الشرائع ١: ١٢٩ ح ١ باب العلّة التي من أجلها قال الله عزّ وجلّ لنبيّه: فإن كنت في شكّ ممّا أنزلنا إليك، تفسير العيّاشي ٢: ١٢٨ ح ٤٢، تفسير البرهان ٣: ٥٣ ـ ٥٤ ح ٤٩٦٨، تفسير نور الثقلين ٢: ٣١٩ ح ١٢٦.

٧٥٨ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُم كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾[١].

الاستدلال به على طريق الشكل الثاني ظاهر.

وأُيّد بما في تفسير الصافي عن القمّي: الذين جحدوا أميرالمؤمنين عليه السلام عرضت عليهم الولاية وفرض الله عليهم الإيمان بها فلم يؤمنوا بها[٢].

٧٥٩ ـ ﴿وَمَا تُغْنِى الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٣].

أي لا يتوقّع إيمانهم وهو في الاستدلال مثل سابقه.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة وتفسير الصافي عن الكافي والقمّي عن الصادق عليه السلام أنّه سُئل عن هذه الآية، فقال: «الآيات» الأئمّة و«النذر» الأنبياء عليهم السلام[٤] تملأ الأرض والسماء ما ينسخ الظلام البيضاء، وسرت على الماء الصباء.

٧٦٠ ـ ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾[٥].

القول بالاختيار حكم من الحاكمين أي أهل الحلّ والعقد، والحكم منه تعالى خير منه بهذه الآية، فلو لم يكن من الله تعالى فيه حكم لكان إمّا راضياً لحكمهم مع أنّ له حكماً أولى منه فلزم ترجيح المرجوح، أو غير راض به فهو مرجوح في الواقع؛ فتأمّل.

ثمّ يقولون لمن في النار من أعدائهم: هؤلاء شيعتي وإخواني الذين كنتم أنتم

---

(١) يونس (١٠): ٩٦و٩٧.

(٢) تفسير الصافي ٢: ٤٢٠، وراجع: تفسير القمّي ٢: ٢٢١ ح ١٣١، بحار الأنوار ٢٤: ١٨٢ ح١٦.

(٣) يونس (١٠): ١٠١.

(٤) تفسير الصافي ٢: ٤٢٨؛ وراجع: تفسير القمّي ١: ٣٢٠، الكافي ١: ٢٠٧ ح١ كتاب الحجّة ـ باب الآيات التي ذكرها الله عزّوجلّ في كتابه.

(٥) يونس (١٠): ١٠٩.

تحلفون في الدنيا لا ينالهم الله برحمة، ثمّ يقول الأئمّة لشيعتهم: ادخلوا الجنّة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون[١].

سورة هود وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٧٦١ ـ ﴿ الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾[٢].

التفصيل هو البيان، فإن كان في البعض فهو خلاف الظاهر من العموم، وإن كان الكلّ فهو ليس بالقرآن، وهو ظاهر، فلابدّ أن يكون المفصِّل بيان النبي صلى الله عليه وآله وهو لا يفي فيجب، وجود الإمام المفصِّل؛ ليعلم به بيانه، فلو كان غير معصوم لما حصل البيان والإيقان.

٧٦٢ ـ ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾[٣].

هذا حثّ على فضل العلم وهو يتوقّف على المعصوم، فإنّ المعنى يعطي كلّ ذي فضل ـ أي عمل صالح ـ فضله، أي جزاؤه وثوابه في الدنيا والآخرة؛ أمّا في الدنيا فيجعل له فيها من الخلق المودّة والمحبّة والفضل عليهم والمنّة، وأمّا في الآخرة فيعطيه أن يدخل أعداءه النار وأولياءه الجنّة، وذلك أميرالمؤمنين عليه السلام[٤].

مؤكّداً بما في تأويل الآيات الظاهرة عن ابن مردويه من العامّة بإسناده عن رجاله عن ابن عبّاس قال: قوله تعالى: «ويؤتى كلّ ذي فضل فضله» إنّ المعنيّ به عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٥].

---

(١) تفسير الصافي ٢: ٢٠٢، وراجع: تفسير القمّي ١: ٢٣١ ـ ٢٣٢، وعنه في: تفسير البرهان ٣: ٥٥٢ ح ٣٩١١.

(٢) هود (١١): ١.

(٣) هود (١١): ٣.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٢٢.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٢٣ ح ١، وراجع: مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام لابن مردويه: ٢٦٠ ح ٣٩١، بحار الأنوار ٣٥: ٤٢٤ ح ٤ و ٥.

٧٦٣ ـ ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾[١].

كلّ غير معصوم يمكن أن يكون كذلك بالضرورة، ولا شيء من الإمام كذلك بالضرورة، فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة.

وأيّد بما في المجمع قال: قيل: إنّ الأُمّة المعدودة هم أصحاب المهدي عليه السلام في آخر الزمان وهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً كعدّة أهل بدر، يجتمعون في ساعة واحدة كما يجتمع قزع الخريف[٢]؛ وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله عليه السلام[٣].

ويؤيّده ما في تأويل الآيات الظاهرة: عن محمّد بن جمهور، عن حمّاد بن عيسى، عن جرير، قال: روى بعض أصحابنا عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: «ولئن أخّرنا عنهم العذاب إلى أُمّة معدودة»، قال: العذاب هو القائم عليه السلام وهو عذاب على أعدائه، والأُمّة المعدودة هم الذين يقومون معه بعدد أهل بدر[٤].

وفي تفسير الصافي عن العيّاشي عن الصادق عليه السلام قال: هو القائم وأصحابه[٥].

٧٦٤ ـ ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ

---

(١) هود (١١): ٨.

(٢) قزع الخريف: أي قطع السحاب المتفرّقة وإنّما خصّ الخريف؛ لأنّه أوّل الشتاء والسحاب يكون فيه متفرّقاً غير متراكم ولا مطبق، ثمّ يجتمع بعضه إلى بعض بعد ذلك. النهاية لابن الأثير ٤: ٥٩ «قزع».

(٣) تفسير مجمع البيان ٥: ٢٤٦.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٢٣ ح ٣.

(٥) تفسير الصافي ٢: ٤٣٣، وراجع: تفسير العيّاشي ٢: ١٤١ ح ٩، وعنه في: بحار الأنوار ٥١: ٥٥ ـ ٥٦ ح ٤٣.

عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾[١].

كلّ غير معصوم فيمكن أن يقول «لولا أُنزل عليه كنز» الآية، وقد تمّ بما مرّ.

وأُيّد بما في تفسير عليّ بن إبراهيم بإسناده عن ابن مسكان، عن عمارة بن سعيد، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: كان سبب نزولها أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان خرج ذات يوم فقال لعليّ عليه السلام: إنّي سألت الله عزّ وجلّ أن يجعلك وزيري ففعل، وسألته عن يجعلك وصيّي ففعل، وسألته أن يجعلك خليفتي على أُمّتي ففعل.

فقال رجلٌ من قريش: والله لصاع من تمر في شنّ[٢] بال أحبّ إليّ ممّا سأله محمّد ربّه، فهلّا يسأل به ملكاً يعضده ومالاً يستعين به على فاقته، فوالله ما دعا عليّاً قطّ إلى حقّ وإلى باطل إلّا أجابه، فأنزل الله على نبيّه صلى الله عليه وآله هذه الآية[٣].

وأُيّد بما في الكافي بإسناده إلى عمّار بن سويد قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول في هذه الآية «فلعلّك» الآية، فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا نزل قديد[٤] قال لعليّ عليه السلام: يا عليّ، إنّي سألت ربّي أن يوالي بيني وبينك ففعل، وسألت ربّي أن يؤاخي بيني وبينك ففعل، وسألت ربّي أن يجعلك وصيّي ففعل.

فقال رجل من قريش: والله لصاع من تمر في شنّ بال أحبّ إليه ممّا سأل محمّد ربّه، فهلّا سأله ملكاً يعضده أو كنزاً يستغني به عن فاقته، والله ما دعاه إلى حقّ ولا باطل إلّا أجابه إليه، فأنزل الله تعالى: «فلعلّك» الآية[٥].

---

(١) هود (١١): ١٢.

(٢) الشَّن: القِربة الخَلَق. الصحاح ٥: ٢١٤٦ «شنن».

(٣) تفسير القمّي ١: ٣٢٤، وراجع: تفسير البرهان ٣: ٨٦ ح ٥٠٣٣.

(٤) قديد: اسم ماء بعينه، وفي الصحاح قُديد: ماء بالحجاز مصغّر. وقال ابن الأثير: هو موضع بين مكّة والمدينة. لسان العرب ٣: ٣٤٦ «قدد» وراجع: الصحاح ٢: ٥٢٢.

(٥) الكافي ٨: ٣٧٨ ح ٥٧٢، وراجع: الأمالي للمفيد: ٢٧٩ ح ٥.

وفي حديثٍ: ملكاً يعضده على عدوّه أو كنزاً يستعين به على فاقته، والله ما دعاه إلى حقّ ولا باطل إلّا أجاب الله إليه[١].

وفي تفسير الصافي والقمّي والعيّاشي ما يقرب منه، وزاد العيّاشي: ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله لأميرالمؤمنين عليه السلام في آخر صلاته رافعاً بها صوته يسمع الناس، يقول: اللهمّ هَب لعليّ المودّة في صدور المؤمنين، والهيبة والعظمة في صدور المنافقين، فأنزل الله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا**﴾[٢]، فقال رجلان من قريش: والله لصاع من تمر في شنّ بال أحبّ إليّ ممّا سأل محمّد ربّه، أفلا سأله ملكاً يعضده أو كنزاً يستظهر به على فاقته؟! فأنزل الله فيه عشر آيات من هود أوّلها: «فلعلّك تارك» الآية[٣].

والعيّاشي عن زيد بن أرقم قال: إنّ جبرئيل الروح الأمين نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله بولاية عليّ بن أبي طالب عشيّة عرفة فضاق بذلك صدر رسول الله صلى الله عليه وآله مخافة تكذيب أهل الإفك والنفاق، فدعا قوماً أنا فيهم فاستشار منهم في ذلك ليقوم به في الموسم، فلم ندر ما نقول له، وبكى صلى الله عليه وآله، فقال له جبرئيل: يا محمّد، أجزعت من أمر الله؟ فقال: كلّا يا جبرئيل ولكن قد علم ربّي ما لقيت من قريش إذ لم يقرّوا لي بالرسالة حتّى أمرني بجهادهم وأنزل إليّ جنوداً من السماء فنصروني، فكيف يقرّون لعليّ من بعدي، فانصرف عنه جبرئيل فنزل عليه: «فلعلّك» الآية[٤].

---

(١) انظر: الكافي ٨: ٣٧٨ ذيل الحديث ٥٧٢.

(٢) مريم (١٩): ٩٦.

(٣) تفسير الصافي ٢: ٤٣٥، وراجع: تفسير القمّي ١: ٣٢٤، تفسير العيّاشي ٢: ٤١ ـ ٤٢ ح ١١.

(٤) تفسير العيّاشي ٢: ١٤١، وراجع: تفسير الصافي ٢: ٤٣٥، شواهد التنزيل ١: ٣٥٦ ح ٣٦٨.

إعلم أنّ لسان الحال مرموز ولسان هذا القائل مفهوم، وشرح حاله معلوم، وإنّ الله قد أعدّ له النار ذات السموم، فظلّ من اليحموم، وجعل شرابه يحموم، وطعامه الزقّوم، وهذا الخبر من الحيّ القيّوم قدر مقدور وقضاء محتوم[١].

٧٦٥ ـ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾[٢].

الاستدلال به على طريق الشكل الثاني ظاهر.

وأُيّد بما مرّ وبما في تفسير الصافي عن العيّاشي عن الصادق: يعني فلان وفلان[٣].

٧٦٦ ـ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾[٤].

هذه الآية تدلّ على عدم جواز اختيار المفضول لأنّ المعنى ـ على ما قاله المفسّرون ـ أفمن كان على بيّنة وبرهان كمن يريد الحياة الدنيا؟ كيف وبينهما بون بعيد، ولا ريب في أنّ عليّاً وأولاده عليهم السلام أكرم وأفضل الخلق بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وكلّ من كان كذلك يجب تفضيله واختياره على غيره في أمر الإمامة فيجب كونهم أئمّة لا غيرهم.

أمّا الصغرى: فبالسير والآثار، كيف وإنّ النزاع في عصمتهم والتشاجر وقع في عدالة غيرهم، وإنّه لا خلاف بين أهل العلم أنّ عليّاً عليه السلام كان عادلاً مستعدّاً لمنصب الإمامة، بخلاف غيره من الخلفاء.

---

(١) انظر: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٢٥.

(٢) هود (١١): ١٥ ـ ١٦.

(٣) تفسير الصافي ٢: ٤٣٦، وراجع: تفسير العيّاشي ٢: ١٤٢.

(٤) هود (١١): ١٧.

وأمّا الكبرى؛ فبهذه الآية وغيرها مؤكّدة بما في العقل القطعي.

قيل أيضاً: إنّ الله سبحانه جعل الشاهد عديلاً لما فيه يحصل العلم بالقطع، وهو القرآن، فلابدّ أن يكون معصوماً وإلّا لم يكن قوله كعديله في القطع، ولو لم يكن الشاهد معصوماً أو أفضل من غيره بعده صلى الله عليه وآله لما من الاختصاص المفهوم من «منه»، هكذا قيل في الاستدلال، وهو تامّ بضمّ النقل.

أمّا ما ذكرناه من التقرير فلا، بل على المسألة المسلّمة، فتأمّل.

وقد قيل في الاستدلال: إنّ المحقّق أنّ المراد بالشاهد عليّ عليه السلام بما رواه الجمهور كابن جرير الطبري والحافظ أبي نعيم ومجاهد والفخر الرازي في تفسيره[1]. ولفظة «منه» دلّت على أنّه من جنسه صلى الله عليه وآله لأنّ «من» لبيان الجنسيّة كما دلّ عليه قوله صلى الله عليه وآله: «أنت منّي وأنا منك» ولا ريب أنّ الشاهد لابدّ أن يكون أعدل وأشرف من غيره غير صلى الله عليه وآله سيّما إذا كان منه، هذا مضافاً إلى بطلان الترجيح بغير المرجّح تامّ ثمّ لفظ «يتلو» ولعلّ على أنّه عليه السلام ثاني رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل؛ لأنّ الفاصلة تخرجه عن حقيقة التلو.

وأُكّد الاستدلال بما في الطرائف عن ابن المغازلي أنّه قال في تفسيره: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا على بيّنة من ربّه وعليّ الشاهد منه[2].

ورواه أيضاً الثعلبي في تفسيره[3].

ومن روايات الشافعي ابن المغازلي يرفعه إلى عليّ بن عيّاش قال: دخلت أنا

---

(١) حكاه عنهم في: إحقاق الحقّ ٣: ٣٥٢، وراجع: تفسير الفخر الرازي ١٧: ٢٠١، تفسير الثعلبي ٥: ١٦١ ـ ١٦٢، جامع البيان (تفسير الطبري) ١٢: ١١ ط. دار المعرفة ـ بيروت.

(٢) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٧٩ ح ١١٠، وراجع: المناقب لابن المغازلي: ٢٧٠ ح٣١٨.

(٣) الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) ٥: ١٦٢.

وأبو مريم على عبدالله بن عطاء، قال أبو مريم: حدّث عليّاً بالحديث الذي حدّثني عن أبي جعفر عليه السلام. قال: كنت عند أبي جعفر جالساً إذ مرّ عبدالله بن سلام، قلت: جعلت فداك، هذا ابن الذي عنده علم الكتاب؟ قال: لا ولكنّه صاحبكم عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي أنزل فيه آيات من كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿ **مَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ** ﴾[1]، «أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه»، ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا** ﴾[2].[3]

وذكر السدّي في تفسيره أنّ هذه الآية نزلت في عليّ عليه السلام[4].

وأيضاً بما في المجمع: «أفمن كان على بيّنة من ربّه» النبيّ صلى الله عليه وآله «ويتلوه شاهد منه» عليّ بن أبي طالب عليه السلام لأنّه يتلو النبيّ صلى الله عليه وآله ويتبعه ويشهد له وهو منه لقوله صلى الله عليه وآله: «أنا من عليّ وعليّ منّي»؛ وهو المروي عن الباقر عليه السلام وعليّ بن موسى الرضا عليه السلام[5].

وأُكّد أيضاً بما في تأويل الآيات الظاهرة فقال: رواه أيضاً الطبري[6] بإسناده عن جابر بن عبدالله، عن عليّ عليه السلام[7].

وسجّج هذا أيضاً بما ذكره عليّ بن إبراهيم في تفسيره فقال: وأمّا قوله «أفمن

---

(١) الرعد(١٣): ٤٣.

(٢) المائدة(٥): ٥٥.

(٣) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٤٩ ح٤٣، وراجع: المناقب لابن المغازلي: ٣١٣ ـ ٣١٤ ح٣٥٨ في روايات قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ** ﴾... الآية. سورة المائدة: ٥٥.

(٤) حكاه عنه ابن طاووس في الطرائف: ٤٩ في ذيل الحديث ٤٣.

(٥) تفسير مجمع البيان ٥: ٢٥٥، وعنه في: بحار الأنوار ٣٥: ٣٩٣ وتفسير نور الثقلين ٢: ٣٤٧ ح٤٦.

(٦) في هامش المصدر عن بعض النسخ: «الطبرسي» بدل «الطبري».

(٧) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٢٥ ح٦.

كان على بيّنة من ربّه» يعني رسول الله صلى الله عليه وآله «ويتلوه شاهد» يعني أميرالمؤمنين عليه السلام[١].

وأُيّد بما في تفسير الصافي عن الكافي عن الكاظم عليه السلام والرضا عليه السلام: أميرالمؤمنين عليه السلام الشاهد على رسول الله صلى الله عليه وآله، [ورسول الله صلى الله عليه وآله] على بيّنة من ربّه[٢].

والقمّيّ عن الصادق عليه السلام: إنّما أنزل «أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه إماماً ورحمة ومن قبله كتاب موسى»[٣].

وعن الباقر عليه السلام: إنّما نزلت «أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه إماماً ورحمة من قبله كتاب موسى أُولئك يؤمنون به» فقدّموا وأخّروا في التأليف[٤].

والعيّاشي عنه عليه السلام: الذي على بيّنة من ربّه رسول الله، والذي تلاه من بعده الشاهد منه أميرالمؤمنين ثمّ أوصياؤه واحد بعد واحد[٥].

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام: ما من رجل من قريش إلّا وقد نزلت فيه آية أو آيتان من كتاب الله. فقال رجل من القوم: فما نزل فيك يا أميرالمؤمنين؟ فقال: أما تقرأ الآية التي في هود: «أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه» محمّد على بيّنة من ربّه وأنا الشاهد[٦].

---

(١) تفسير القمّي: ٣٠٠، وعنه في: بحار الأنوار ٣٥: ٣٨٧ ح٣.
(٢) تفسير الصافي ٢: ٤٣٧.
(٣) تفسير القمّي ١: ٨ و٣٢٤، وراجع: تفسير الصافي ٢: ٤٣٧.
(٤) تفسير القمّي ١: ٣٢٤، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٢٥، بحار الأنوار ٣٥: ٣٨٧ ح٣، تفسير الصافي ٢: ٤٣٧.
(٥) تفسير العيّاشي ٢: ١٤٢ ح١٢، عنه في: تفسير الصافي ٢: ٤٣٧، تفسير نور الثقلين ٢: ٣٤٦، بحار الأنوار ٣٥: ٣٨٨.
(٦) تفسير العيّاشي ٢: ١٤٣ ح١٣، تفسير الصافي ٢: ٤٣٧، تفسير نور الثقلين ٢: ٣٤٦ ح٤٤.

وفي الأمالي والبصائر مثله[١].

وفي الأمالي: وأنا الشاهد فيه وأتلوه معه[٢].

أقول: وعلى هذه الرواية يكون المراد بالبيّنة القرآن ويكون يتلوه من التلاوة[٣].

وفي الاحتجاج أنّه سُئل عن أفضل منقبة له؟ فتلا هذه الآية وقال: أنا الشاهد من رسول الله صلى الله عليه وآله[٤].

وفيه حديث قال بعض الزنادقة: وأجد الله يخبر أنّه يتلو نبيّه شاهد منه وكان الذي تلاه عبدة الأصنام برهة من دهره. فقال عليه السلام: وأمّا قوله «ويتلوه شاهد منه» فذلك حجّة الله أقامها على خلقه وعرّفهم أنّه لا يستحقّ مجلس النبيّ صلى الله عليه وآله إلّا من يقوم مقامه، ولا يتلوه إلّا من يكون في الطهارة مثله بمنزلته لئلّا يتّسع من ماسّة رجس الكفر في وقت من الأوقات انتحال الاستحقاق لمقام الرسول صلى الله عليه وآله، وليضيق العذر على من يعينه على إثمه وظلمه إذ كان الله حظر على من مسّه الكفر تقلّد ما فوّضه إلى أنبيائه وأوليائه بقوله لإبراهيم: ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ**﴾[٥] أي المشركين، لأنّه سمّى الشرك ظلماً بقوله: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[٦] فلمّا

---

(١) راجع: الأمالي للشيخ الطوسي: ٣٧٢ ح ٥١/٨٠٠، وانظر: بصائر الدرجات: ١٥٩ ح ١ باب ١١ ما يبيّن فيه كيفيّة وصول الألواح إلى آل محمّد صلى الله عليه وآله (ط. الأعلمي ـ طهران) مع اختلاف قليل، وعنهما في: تفسير الصافي ٢: ٤٣٧.

(٢) انظر: الأمالي للشيخ الطوسي: ٣٧٢ ذيل الحديث ٥١/٨٠٠ مع اختلاف قليل، وكذلك راجع: الأمالي للشيخ المفيد: ١٤٥ ح ٥، تفسير الصافي ٢: ٤٣٧.

(٣) القول المذكور في المتن ورد نصّه في: تفسير الصافي ٢: ٤٣٧.

(٤) الاحتجاج ١: ٢٣٢، عنه في: تفسير الصافي ٢: ٤٣٧.

(٥) البقرة (٢): ١٢٤.

(٦) لقمان (٣١): ١٣.

علم إبراهيم أنّ عهد الله لا ينال عبدة الأصنام قال: ﴿ **وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ** ﴾[1]. واعلم أنّ من آثر المنافقين على الصادقين والكفّار على الأبرار فقد افترى على الله إثماً عظيماً إذ كان قد بيّن في كتابه الفرق بين المحقّ والمبطل، والطاهر والنجس، والمؤمن والكافر، وإنّه لا يتلو النبيّ صلى الله عليه وآله عند فقده إلّا من حلّ محلّه صدقاً وعدلاً وطهارة وفضلاً[2].

وفي المجمع عن الحسين بن عليّ عليه السلام: **شاهد من الله محمّد**[3].

أقول: وعلى هذا من كان على بيّنة يعمّ كلّ مؤمن مخلص ذو بصيرة في دينه، وهذا لا ينافي نزوله في النبيّ والوصيّ، وإلى التعميم نظر من فسّر الشاهد بالقرآن، أي شاهد من الله يشهد بصحّته[4].

٧٦٧ ـ ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ **وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ** ﴾[5].

كلّ غير معصوم يمكن أن يكون كذلك، ولا شيء من الإمام يمكن أن يكون كذلك بالضرورة، فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة، فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة، ويلزمه كلّ إمام معصوم بالضرورة.

وأُيّد بما في تفسير الصافي عن العيّاشي في تفسير «فلا تك في مرية» عن

---

(١) إبراهيم (١٤): ٣٥.

(٢) الاحتجاج ١: ٣٧٣، عنه في: تفسير الصافي ٢: ٤٣٨، وراجع: تفسير نور الثقلين ٢: ٣٤٦.

(٣) تفسير مجمع البيان ٥: ٢٥٥، عنه في: تفسير الصافي ٢: ٤٣٨.

(٤) القول المذكور في المتن ورد نصّه في: تفسير الصافي ٢: ٤٣٨.

(٥) هود (١١): ١٧ ـ ١٩.

الصادق عليه السلام: في ولاية عليّ إنّه الحقّ من ربّك[١].

والعيّاشي عن الباقر عليه السلام: هم أربعة ملوك من قريش يتبع بعضهم بعضاً[٢].

أقول: الملوك الأربعة الثلاثة ومعاوية[٣].

وعن الصادق عليه السلام: الأشهاد هم الأئمّة عليهم السلام[٤].

القمّي: يعني بالأشهاد الأئمّة، «ألا لعنة الله على الظالمين» آل محمّد حقّهم «يصدّون عن سبيل الله» عن طريق الله وهي الإمامة «يبغونها عوجاً» حرّفوها إلى غيرها[٥].

٧٦٨ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَىٰ وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٦].

في الألفين: هذه تدلّ على أنّ الإمام معصوم.

وتقريره أن نقول: حصر العالم في فريقين، أحدهما الذين اتّصفوا بصفات ثلاث: إحداها الإيمان، وثانيها: عمل الصالحات، وثالثها: أخبتوا إلى ربّهم.

والصالحات عامّ في جميع الصالحات؛ لوجهين:

---

(١) تفسير الصافي ٢: ٤٣٨، وراجع: تفسير العيّاشي ٢: ١٤٢ ح ١١.

(٢) تفسير العيّاشي ٢: ١٤٣، وراجع: تفسير الصافي ٢: ٤٣٩.

(٣) تفسير الصافي ٢: ٤٣٩.

(٤) تفسير الصافي ٢: ٤٣٩.

(٥) تفسير القمّي ١: ٣٢٥، وانظر: تفسير الصافي ٢: ٤٣٩.

(٦) هود (١١): ٢٣ و ٢٤.

أحدهما: أنّه جمع محلّى باللّام للجنس، وقد ثبت في أُصول الفقه[١] أنّه للعموم.

وثانيهما: أنّ قوله «أُولئك أصحاب الجنّة»، والأصل في الإطلاق الحقيقة[٢]، والصاحب إنّما يصدق على المالك، أو المستحقّ، أو المتولّي.

والثالث غير مراد أجمع[٣]، فتعيّن أحد الأوّلين.

وقوله «أُولئك أصحاب الجنّة» يفيد الحصر بالعرف العام، فإنّ الرابطة محذوفة وهي قولنا «هم أصحاب الجنّة»، والحكم إذا رُتّب على الوصف دلّ على علّيّة الحكم له[٤].

والأصل في العلّه أن تكون ذاتيّة وأن لا يتأخّر معلولها عنها فيلزم استحقاقهم من عملهم دائماً.

فنقول: لابدّ في هؤلاء من معصوم، وإلّا لم يستحقّوا الجنّة في وقت ما، والسالبة المطلقة الكلّيّة تضادّ الدائمة الموجبة الكلّية[٥]، والضدّان لا يجتمعان.

والأُولى صادقة، فتكذب الثانية، فهم معصومون؛ لأنّ عمل كلّ الصالحات يوجب العصمة، والإمام إمّا أن يكون في القسم الأوّل أو الثاني. والثاني محال؛ لأنّها صفة، ولأنّ من هو أعمى وأصمّ لا يصلح للهداية ولإصلاح الفاسد، والإمام هادٍ مصلح للفساد.

---

(١) راجع: العدّة في أُصول الفقه ١: ٢٩١ ـ ٢٩٢، مبادئ الوصول إلى علم الأُصول: ١٢٢.

(٢) انظر: الذريعة إلى أُصول الشريعة ١: ١٢ ـ ١٣.

(٣) في المخطوط: «بالإجماع» وما أثبتناه من المصدر.

(٤) انظر: المحصول في علم الأُصول ٥: ١٤٥ (ط. مؤسّسة الرسالة).

(٥) انظر: الجوهر النضيد: ٧٥.

فتعيّن الأوّل، فيكون معصوماً.

لا يُقال: الاعتراض عليه من وجوه:

الأوّل: أنّها دالّة على عصمة المجموع من حيث هو مجموع، فإنّ المجموع جاز أنّهم هم الذين لم يتركوا شيئاً من الطاعات، وليس يدلّ على أنّ كلّ واحد واحد كذلك.

الثاني: أنّ دلالة ترتّب الحكم على الوصف على العلّيّة دلالة مفهوم، ودلالة المفهوم ضعيفة، وهذا المطلب أمر عظيم [و][1] مطلوب مهم، فلا يصحّ الاستدلال فيه بالظنّ.

الثالث: أنّ المقابلة بين العمى و[البصر][2] و[السمع][3] والصمم، مقابلة العدم والملكة، وهما لا [يقتسمان][4] مقام النقيضين، فلا يدلّ على الحصر.

الرابع: أنّ قوله «الذين آمنوا» وباقي الصفات وأحوالهم مهملة، وقوله: السميع والبصير والأعمى والأصمّ مهملتان أيضاً، والمهملة في قوّة الجزئيّة[5]، فلا يتناقضان.

الخامس: أنّه ذكر هؤلاء في مقابلة قوله ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ**﴾ إلى قوله: ﴿**لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ**﴾[6] ولا شكّ أنّه لا حصر في

---

(١) زيادة اقتضاها السياق.

(٢) في المخطوط والمصدر: «البصير» وما أثبتناه للسياق.

(٣) في المخطوط والمصدر: «السميع» وما أثبتناه للسياق.

(٤) في المخطوط وبعض نسخ المصدر: «يقسمان» وما أثبتناه للسياق.

(٥) راجع: القواعد الجليّة في شرح الرسالة الشمسيّة: ٢٥٢.

(٦) هود (١١): ١٨ ـ ٢٢.

الترديد بين الكافرين وبين المعصومين، فلا يلزم أن يكون الإمام من أحدهما وإنّما يلزم ذلك لو كان الترديد حاصراً.

وهذا ممنوع، لأنّا نقول: الجواب عن الأوّل أنّ الحكم المعلّق على الوصف أين وجدت الصفة وجد، وهذا معلّق على صفة فأين وجدت وجد، ولا يشترط فيه الاجتماع والافتراق.

وعن الثاني: أنّ الوصف إذا لم يكن في ذكره فائدة إلّا التعليل وجب التعليل به، وهو هنا كذلك، وإلّا فخلا عن الفائدة، هذا خلف.

وعن الثالث: أنّ وجود الموضوع وقبوله ينفي التقابل بين العدم والملكة متساوياً للتقابل بين النقيضين في هذه الصورة.

وعن الرابع: أنّ المراد هنا الكلّيّة بالإجماع.

وعن الخامس: أنّه تعالى ذكر حكم الفريقين متعلّقاً بوصفين عامّين، وهما يقتسمان النقيضين، فدلّ على الحصر.

بيان ذلك: أنه تعالى قال: «مثل الفريقين كالأعمى والأصمّ والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكّرون» والأعمى هو الضالّ، وهو يصدق بآحاد الذنوب، والأصمّ بالنسبة إلى بعض الذنوب صادق في الجملة أيضاً في تلك؛ لأنّها مطلقة عامّة، والبصير يقابله [و][1] هو الذي لا يعرض له عمى الضلال[2] فهو يقابله. ولوجود الموضوع وقبوله الملكة يقتسمان النقيضين في تلك الحال[3].

---

(١) زيادة اقتضاها السياق.

(٢) في بعض طبعات الألفين «الإضلال».

(٣) الألفين: ٣٧١ الثاني والتسعون من أدلّة المائة الثامنة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

٧٦٩ ـ ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِى النَّارِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى الْجَنَّةِ خَالِدِينَ ﴾[١].

بيان ما به الشقاوة والسعادة ضروريّ لبطلان تكليف الجاهل، والبيان حقّه لا يمكن إلّا بإمام معصوم، وبيانه مرّ غير مرّة.

وأُيّد بما في تفسير الصافي عن العيّاشي، عن الباقر، عن الصادق عليهما السلام ما معناه أنّ المراد بالجنّة والنار في هذه الآية ولاية آل محمّد وولاية أعدائهم[٢].

٧٧٠ و ٧٧١ ـ ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾[٣].

«الذين» يفيد الاستغراق على ما بيّن في الأُصول[٤]، وكذا الركون لأنّه نكرة في معرض النفي[٥]، و«ظلموا» نكرة تفيد الاستغراق.

فنقول: إنّه تعالى نهى عن الركون على العموم إلى كلّ من صدر عنه ظلم في الجملة، غير المعصوم صدر عنه ذلك في الجملة فلو جاز إمامته لزم جواز اجتماع النقيضين؛ لأنّ السالبة الكلّيّة نقيض المطلقة العامّة[٦].

وفي الألفين: الإمام يجب الركون إليه في الأحكام وأوامره ونواهيه في أعظم الأشياء كالدماء، وكلّما لم يحكم الإمام بما أُنزل إليه كان ظالماً لما تقدّم من النصّ

---

(١) هود (١١): ١٠٦ ـ ١٠٨.

(٢) تفسير الصافي ٢: ٤٧٣، وانظر: تفسير العيّاشي: ١٦٠، ذيل الحديث ٦٦.

(٣) هود (١١): ١١٣.

(٤) عدّ الشهيد الثاني في «تمهيد القواعد»: ١٤٨ ـ ١٤٩ في بحث العام والخاص في القاعدة رقم «٤٦» الأسماء الموصولة من ألفاظ العموم حيث قال: والأسماء الموصولة كـ«الذي» و «التي» إذا كان تعريفهما للجنس، و تشبيههما و جمعهما. (البحث الرابع في التكليف).

(٥) راجع: مبادئ الوصول إلى علم الأُصول: ١٢٢، تمهيد القواعد: ١٦٠ القاعدة رقم «٥٣» في بحث العامّ والخاص.

(٦) انظر: الجوهر النضيد: ٦٣.

الإلهي في القرآن العظيم والذكر الكريم، وهنا مقدّمتان عقليّتان:

أحدهما: أنّ رفع الخوف واجب عقلاً وهي مقدّمة مسلّمة؛ لأنّ دفع الضرر المظنون واجب[١].

الثانية: أنّ التجرّي والعمل بقول غير المعصوم ولا يستند بالآخرة إليه في الدماء والحروب وإتلاف الأموال والفروج مخوف؛ لأنّ غير المعصوم فيه شيئان أنّه لا يعلم الحكم في الواقعة يقيناً فجاز أن لا يحكم بما أنزل الله فيدخل تحت قوله: ﴿ **وَمَن لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ** ﴾[٢] ويدخل الاعتماد على قوله في قوله «ولا تركنوا إلى الذين ظلموا» فيحصل الخوف للمكلّفين من اعتماد أقواله وأفعاله وامتثال أوامره ونواهيه [وهي مقدّمة وجدانيّة فيجب الاحتراز عنه فيلزم من وجوب اتّباعه وامتثال أوامره ونواهيه] وجوب ترك اتّباعه وترك امتثال أوامره ونواهيه فيلزم التكليف بالنقيضين وهو محال ظاهر؛ لاستحالته، وهو المطلوب.

لا يقال: هذا وارد في المفتي.

لأنّا نقول: يندفع خلله مع وجوب الإمام المعصوم، وأمّا مع عدم عصمة الإمام فلا يمكن انسداد هذا الباب[٣].

٧٧٢ ـ ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾[٤].

---

(١) انظر: الذخيرة في علم الكلام: ٢٢٣ و٥٥٣، تقريب المعارف: ٦٥، مناهج اليقين في أصول الدين: ٢٤٧.

(٢) المائدة (٥): ٤٥.

(٣) الألفين: ٣٧٤ السادس والتسعون من أدلّة المائة الثامنة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٤) هود (١١): ١١٨ ـ ١١٩.

في هذا حثّ على الاتفاق وتحذير عن الاختلاف، فلو لم يكن المعصوم ثابتاً في كلّ وقت لزم التكليف بما لا يطاق، وإنّ الفرقة الناجية من كان تعلّق بالرحمة الإلهيّة؛ فإنّ مطلق الاتفاق ليس مرضيّاً صحيحاً في الواقع بل الصحّة تابعة للرحمة، فلو جاز على ما تعلّق به لارحمة العصيان فإمّا مع وجود بقاء ذلك التعلّق أو بارتفاعهما.

الأوّل: باطل، لاستحالة اجتماع الضدّين أو النقيضين.

والثاني: أيضاً باطل؛ لأنّ الله تعالى قد حكم بثبوت تعلّق الرحمة وحصرها فيهم، فالحكم حكم بغير ما أنزل وهو الخسران، وهو تامّ سيّما على القول بنفي البداء وكونه علم علّة على ما هو من أُصولهم.

فثبت أنّ المراد بما رحم المعصومون؛ لأنّ غيرهم في أنفسهم لا يزالون مختلفين؛ لاختلاف آرائهم ومقتضيات موادّهم، فرأي كلّ واحد منهم مخالف لرأيه في آن آخر أو لرأي آخر بالإمكان؛ لاستيلاء مقتضى الاختلاف والإمكان لا يأبى عن الاختلاف والاتفاق، فلابدّ له من علّة بها يمتنع الاختلاف، وهي ليست إلّا الرحمة الإلهيّة على ما قاله تعالى.

وأيضاً: أنّ الله تعالى قد حكم بأنّ الاتفاق في الفرقة التي تعلّق بها الرحمة وهذه هي التي يلزم كونها واجبة الاتّباع على ما أشار إليه أيضاً بإيجاب تبعيّة سبيل المؤمنين، فلو لم يبيّن بالرسم الممتاز عن غيرهم لزم التكليف فوق الطاقة، وإنّ المستفاد منها الظاهر عصمة متعلّق الرحمة ولذلك وجب اتّباعهم، فكلّما وجب إيجاب الاتّباع لزم عصمة المتّبع، والإمام واجب الاتّباع بقوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ**

آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[١] فوجب فيه ما وجب فيهم.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة من أنّ المعنى: أنّهم لا يزالون مختلفين في المذاهب والملل والأديان وما اختلفوا إلّا بعد إرسال الرسل إليهم لقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾[٢] ولقول النبيّ ﷺ: افترقت أُمّة أخي موسى إلى إحدى وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية والباقي في النار، وافترقت أُمّة أخي عيسى اثنين وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية والباقي في النار، وستفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية والباقي في النار، وهم المعنيّون بقوله تعالى «إلّا ما رحم ربّك»[٣]؛ لما ذكره الشيخ محمّد بن يعقوب رحمه الله بإسناده إلى أبي عبيدة الحذّاء قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الاستطاعة وقول الناس فيها، فتلا هذه الآية «ولا يزالون مختلفين إلّا من رحم ربّك ولذلك خلقهم» يا أبا عبيدة، الناس مختلفون في إصابة القول وكلّهم هالك.

قال: قلت: فقوله: «إلّا من رحم ربّك»؟ قال: هم شيعتنا ولرحمته خلقهم وهو قوله: «ولذلك خلقهم»[٤].

فدلّ بقوله «كلّهم هالك» على أنّ الناس كلّهم هالك في إصابة القول إلّا من رحم ربّك وهم الشيعة؛ لأنّها الفرقة الناجية. وقد تقدّم[٥] البحث وأنّها عبرة

---

(١) النساء (٤): ٥٩.

(٢) الشورى (٤٢): ١٤.

(٣) راجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٢٦ ح٨ و٩.

(٤) الكافي ١: ٤٢٩ ح٨٣ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

(٥) راجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ١٨٩ ـ ١٩٠ ما أورده في الحديثين ٣٧ و٣٨.

لمعتبرها وتذكرة لمن يعيها[١].

وأُيّد أيضاً بما في تفسير الصافي عن الكافي والعيّاشي والعلل عن الصادق عليه السلام: كانوا أُمّة واحدة فبعث الله عليهم النبيّين ليتّخذ عليهم الحجّة[٢].

وفي التوحيد عنه عليه السلام: خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون به رحمته فيرحمهم[٣].

وفي الكافي عنه عليه السلام في هذه الآية: الناس يختلفون في إصابة القول وكلّهم هالك «إلّا من رحم ربّك» وهم شيعتنا ولرحمته خلقهم وهو قوله: «ولذلك خلقهم»، يقول: لطاعة الإمام[٤].

والقمّي عن الباقر عليه السلام: ولا يزالون مختلفين في الدين «إلّا من رحم ربّك» يعني آل محمّد وأتباعهم، يقول الله: «ولذلك خلقهم» يعني أهل رحمة لا يختلفون في الدين[٥].

والعيّاشي عن السجّاد عليه السلام في قوله: «ولا يزالون مختلفين» عنى بذلك من خالفنا من هذه الأُمّة وكلّهم يخالف بعضهم بعضاً في دينه، أمّا قوله: «إلّا من رحم ربّك ولذلك خلقهم» فأُولئك أولياؤنا من المؤمنين ولذلك خلقهم من الطينة الطيّبة[٦].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٢٦ ح ١٠.

(٢) تفسير الصافي ٢: ٤٧٧، وراجع: الكافي ٨: ٣٧٩ ح ٥٧٣، علل الشرائع ١: ١٢٠ ح ٢ باب علّة إثبات الأنبياء والرسل، تفسير العيّاشي ٢: ١٦٤ ح ٨١.

(٣) التوحيد: ٤٠٣ ح ١٠، وعنه في: تفسير الصافي ٢: ٤٧٧.

(٤) الكافي ١: ٤٢٩ تكملة الحديث ٨٣ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل، وعنه في: تفسير الصافي ٢: ٤٧٧.

(٥) تفسير القمّي ١: ٣٨٨، وعنه في: تفسير الصافي ٢: ٤٧٨.

(٦) تفسير العيّاشي ٢: ١٦٤ ح ٨٢، عنه في: تفسير الصافي ٢: ٤٧٨.

٧٧٣ ـ ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾[1].

عمومه يقتضي نفي الاختيار؛ فتأمّل.

سورة يوسف عليه السلام وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٧٧٤ ـ ﴿كَذٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[2].

حكم الله تعالى بأنّه عليه السلام من المخلصين تارة، وتارة بأن: ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[3]، وتارة أنّه من الصدّيقين، وكذلك في جميع مراتب باب التجلّي. وقال في التخلية على نحو العموم: «لنصرفَ عنه السوء والفحشاء» فإنّ الجمع المحلّى باللّام يفيد العموم[4]، وهذا يستلزم كونه معصوماً من أوّل العمر إلى آخره؛ لأنّه لو جاز عليه بعد تلك الأخبار العصيان لزم كذبه أو جهله تعالى وهو ممتنع بالامتناع الذاتي، فلو جاز عليه ذلك بالإمكان الذاتي لزم التلازم بين الإمكان الذاتي والامتناع الذاتي وهما متناقضان؛ تأمّل.

وإذا ثبت عصمة النبيّ صلى الله عليه وآله من أوّل العمر ثبت عصمة الإمام عليه السلام؛ لأنّ كلّ من قال بعصمة النبيّ صلى الله عليه وآله كذلك قال بعصمة الإمام عليه السلام والقول بما سواه إحداث قول على ما مرّ غير مرّة.

وأُكّد هذا بما قيل: إنّ الذين لهم تعلّق بهذه الواقعة هم يوسف عليه السلام والمرأة

---

(١) هود (١١): ١٢٣.

(٢) يوسف (١٢): ٢٤.

(٣) يوسف (١٢): ٢٢.

(٤) العدّة في أُصول الفقه ١: ٢٧٦، مبادئ الوصول إلى علم الأُصول: ١٢٢، المعتمد في أُصول الفقه ١: ٢٤١.

وزوجها والنسوة والشهود وربّ العالمين وإبليس، وكلّهم قالوا ببراءة يوسف عليه السلام عن الذنب فلم يبق لمسلم توقّف في هذا الباب:

أمّا يوسف عليه السلام فقوله: ﴿ **هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَفْسِي** ﴾[1] وقوله: ﴿ **رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ** ﴾[2].

وأمّا المرأة فلقولها: ﴿ **وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ** ﴾[3] وقالت: ﴿ **الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ** ﴾[4].

وأمّا زوجها فلقوله: ﴿ **إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ** ﴾[5].

وأمّا النسوة فلقولهنّ: ﴿ **امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾[6].

وأمّا الشهود فلقوله تعالى: ﴿ **شَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا** ﴾ الآية[7].

وأمّا شهادة الله بذلك فقوله عزّ من قائل: «كذلك لنصرف عنه السوء إنّه من عبادنا المخلصين».

وأمّا إقرار إبليس بذلك فلقوله: ﴿ **فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾[8] فأقرّ بأنّه لا يمكنه إغواء العباد المخلصين، وقد قال الله: «إنّه من عبادنا المخلصين»، فقد أقرّ إبليس بأنّه لم يغوه وقد حكم الله بأن ليس له عليهم

---

(١) يوسف (١٢): ٢٦.

(٢) يوسف (١٢): ٣٣.

(٣) يوسف (١٢): ٣٢.

(٤) يوسف (١٢): ٥١.

(٥) يوسف (١٢): ٢٨.

(٦) يوسف (١٢): ٣٠.

(٧) يوسف (١٢): ٢٦.

(٨) ص (٣٨): ٨٢ـ٨٣.

سلطان، فنفي التسلّط منه تعالى يستلزم نفي إمكان الغواية منه.

وعند هذا نقول: إنّ هؤلاء الجهّال الذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام الفضيحة وموجبات الخذلان إن كانوا من أتباع دين الله فليقبلوا شهادة الله بطهارته، وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا إقرار إبليس بطهارته.

وأُيّد ما ذكرنا من فضل الأئمّة الأطهار صلوات الله عليهم بدوام الإظهار بما في الكافي ونقله القمّي عن الصادق عليه السلام: لمّا طرح إخوة يوسف يوسف في الجبّ أتاه جبرئيل عليه السلام فدخل عليه فقال: يا غلام، ما تصنع هاهنا؟ فقال: إنّ إخوتي ألقوني في الجبّ. قال: فتحبّ أن تخرج منه؟ قال: ذاك إلى الله عزّ وجلّ إن شاء أخرجني. قال: فقال له: إنّ الله يقول لك: أُدعني بهذا الدعاء حتّى أُخرجك من الجبّ. فقال: وما الدعاء؟ قال: قل: «اللهمّ إنّي أسألك بأنّ لك الحمد لا إله إلّا أنت المنّان بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والإكرام، أن تصلّي على محمّد وآل محمّد، وأن تجعل لي ممّا أنا فيه فرجاً ومخرجاً»[(١)].

٧٧٥ ـ ﴿ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * قُلْ هٰذِهِ سَبِيلِى أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِى ﴾[(٢)].

كلّ غير معصوم ليس يأمن من عذابه بالإمكان، وإنّ الإمام داعي إلى سبيل ربّه بأمره بالضرورة؛ لأنّه تابع النبي وإنّه على بصيرة ووحي، ولأنّه مساوٍ له في إيجاب الطاعة على ما قاله تعالى في آية الأمر بإطاعة أُولي الأمر، وكلّ من كان له داعياً إلى سبيله بأمره يكون معصوماً؛ فالإمام يكون معصوماً.

أمّا الكبرى؛ فلاستحالة رضائه تعالى بدعوة المخطي، وأُكّد بأنّ عليّاً عليه السلام سبق

---

(١) الكافي ٢: ٥٥٧ ح٤ باب الدعاء للكرب والهم والحزن والخوف، تفسير القمّي ١: ٣٥٤، عنهما الفيض الكاشاني في تفسير الصافي ٣: ١١.

(٢) يوسف (١٢): ١٠٧ ـ ١٠٨.

من حيث التبعيّة، وكلّ من كان كذلك كان أفضل، فهو أفضل.

أمّا الصغرى؛ فلما مرّ من أنّه أسبق إيماناً.

أمّا الكبرى؛ فبهذه الآية وغيرها.

وأيّد هذا بما في الكافي عن الباقر عليه السلام: رسول الله صلى الله عليه وآله وأميرالمؤمنين والأوصياء من بعدهما عليهما السلام(١).

وعنه عليه السلام: عليّ اتّبعه(٢).

وفي تفسير الصافي عن الجواد عليه السلام حين أنكروا عليه حداثة سنّه، قال: وما ينكرون؟ قال الله لنبيّه: «قل هذه سبيلي» الآية، فوالله ما تبعه إلّا عليّ عليه السلام وله تسع سنين وأنا ابن تسع سنين(٣).

والقمّيّ والعيّاشيّ ما يقرب من هذه الروايات، فهو على بصيرة من أمره وكذلك من اتّبعه أميرالمؤمنين وأولاده صلوات الله عليهم(٤).

سورة الرعد وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٧٧٦ ـ ﴿ وَفِى الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ ﴾(٥).

---

(١) الكافي ١: ٤٢٥ ح٦٦ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية وفيه: «من بعدهم» وفي هامش المصدر عن بعض النسخ كما في المتن، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢١ ح٤٢، تفسير البرهان ٣: ٢١٤ ح٥٤١٠، وراجع: تفسير العيّاشي ٢: ٢٠١.

(٢) تفسير الصافي ٣: ٥٣، البرهان في تفسير القرآن ٣: ٢١٥ ح٥٤١٤.

(٣) تفسير الصافي ٣: ٥٣، بحار الأنوار ٢٨: ٢٦١.

(٤) انظر: تفسير القمّي ١: ٣٥٨، تفسير العيّاشي ١: ٢٠٠ ـ ٢٠١، وراجع: تفسير الصافي ٣: ٥٣.

(٥) الرعد(١٣): ٤.

ذكر هذا ومثل هذا في الكتاب الكريم إمّا راجح أو لا، والثاني محال لاستحالة الترجيح بدون المرجّح في قوله وفعله تعالى، فلابدّ من رجحان، وقد أثبتنا في العلم الإلهي أنّ كلّ من كان أو ما كان له رجحان في الواقع واستعداد لوجود كان الواجب أن يتأثّر من قوله وفعله وتأثيره وإرادته سبحانه، وأمر الإمامة من الأُمور العظيمة الراجحة في نفس الواقع، فلابدّ أن يكون الحاكم فيه أمره ورضاه سبحانه فكيف الاختيار وعدم العصمة؟ وإنّ الضرورة تحكم بأنّها أهمّ من الدني، سبحانه فكيف يجوز للحكيم السبق بذكر الأدنى دون الأعلى؛ تأمّل فإنّه تامّ.

وأُيّد هذا بما في تأويل الآيات الظاهرة: في المجمع قال: روى جابر بن عبدالله أنّه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ عليه السلام: يا عليّ، الناس من شجرة شتّى وأنا وأنت من شجرة واحدة، ثمّ قرأ: «وفي الأرض قطع متجاورات وجنّات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يُسقى بماء واحد»[١].

فمعنى أنّهما صلوات الله عليهما من شجرة واحدة يعني شجرة النبوّة وهي الشجرة المباركة الزيتونة الإبراهيميّة والشجرة الطيّبة الثابتة أصلها في الأرض وفرعها في السماء، صلوات الله عليهما وعلى ذرّيّتهما السادات النجباء الأُمراء والأتقياء في كلّ صباح ومساء[٢].

وصاحب كشف الغمّة[٣] روى هذا الخبر بهذا النحو عن الحافظ أبي بكر بن مردويه، ونقله في الحديقة[٤]، وهذا كناية عن اتحاد نفس النبي وعليّ صلوات الله

---

(١) تفسير مجمع البيان ٦: ١١.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٢٨ ح ١.

(٣) كشف الغمّة ١: ٥٢، ٣٠٠، ٣٢٣.

(٤) انظر: حديقة الشيعة ١: ٢٤٤ الفصل الرابع: دلائل تعيين الإمام عليه السلام.

عليهما كما دلّت عليه الأخبار الكثيرة مثل قوله صلى الله عليه وآله: أنا وعليّ من نور واحد[١].

٧٧٧ ـ ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٢].

غير المعصوم يمكن أن يكون من أصحاب النار كذلك، والإمام ليس من أصحاب النار كذلك بالضرورة؛ فغير المعصوم ليس بإمام دائماً أو بالضرورة على اختلاف الرأيين، والمقدّمتان ظاهرتان.

٧٧٨ ـ ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[٣].

وجه الاستدلال به من وجوه:

الأوّل: ما في الألفين: الهداية في القول والفعل والاعتقاد، ولا يتمّ ذلك إلّا بأربعة أشياء:

الأوّل: أن يكون عالماً بجميع ما جاء به النبيّ صلى الله عليه وآله، وكلّ حكم لله تعالى في كلّ واقعة للمكلّفين، ولا يكفي الظنّ لقوله: ﴿**إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**﴾[٤]، وإنّ الهداية لا تكون إلّا بالعلم، ويكون كلّ اعتقاداته برهانيّة.

الثاني: قيامه بجميع الأوامر والنواهي الشرعيّة بحيث لا يقع الإخلال منه بشيء لا عمداً ولا سهواً ولا تأويلاً، وإلّا لم يتحقّق الهداية المطلقة.

الثالث: أن يكون مصيباً في جميع أقواله وآرائه وأوامره ونواهيه للمكلّفين.

الرابع: أن يكون المكلّف جازماً بذلك جزماً يقينيّاً برهانيّاً، بحيث يتمّ فائدته وهي اتّباع المكلّف له في جميع ما يأمره وينهاه خصوصاً في الأشياء المبنيّة على

---

(١) الخصال ١: ٣١ح١٠٨.

(٢) الرعد(١٣): ٥.

(٣) الرعد(١٣): ٧.

(٤) يونس (١٠): ٣٦.

الاحتياط التامّ وترجيح المعارضة، مثلاً إذا دعاه إلى الجهاد وهو يبذل نفسه ويعرضها للهلاك مع قوله ﴿ **وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ﴾[(١)] فإنّه لو لم يعلم علماً جزماً بحصول مرتبة الشهادة من امتثال قوله بأن يَقتُل ويُقتَل وإلّا لم يبذل نفسه للهلاك قطعاً، وكذا في باقي الأحكام.

وإنّما يتمّ الثلاثة الأُول مع العصمة، والأخير مع وجوب العصمة، فدلّ على أنّ الإمام يجب كونه معصوماً، وهو المطلوب[(٢)].

٧٧٩ ـ الثاني: ما في الألفين: الإمام هاد لا بهداية أحد في زمان وجوب اتّباعه وهو زمان إمامته، وكلّ من كان كذا فهو يعلم الأحكام يقيناً ويمتنع منه القبح والإخلال بالواجب.

أمّا الصغرى: أمّا أنّه هاد فلقوله تعالى: «إنّما أنت» الآية، وأمّا أنّه لا يهديه أحد في زمان إمامته وإلّا لكان امتناع ذلك أولى من اتّباعه فلقوله: ﴿ **أَفَمَن يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمْ مَن لَا يَهِدِّى إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴾[(٣)] فقد أنكر على اتّباع المهتدي دون الهادي ووبّخ عليه.

أمّا الكبرى: أمّا علمه بالأحكام؛ فلأنّه لو جهل شيئاً منها لاحتاج إلى هاد فيه، ولو ظنّ فالظنّ متفاوت فكان الأقوى أولى بالاتّباع، والعلم أولى، فإمّا أن لا يحصل لأحد فيلزم عدم بيان الله تعالى حكماً وتكليفاً وهو محال، ويحصل لغيره فيكون هادياً له فيكون هو واجب الاتّباع لكن هذا محال لقوله تعالى: ﴿ **أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ** ﴾، وإمّا امتناع فعله للقبيح وتركه الواجب وإلّا لوجب على الرعيّة الإنكار عليه

---

(١) البقرة (٢): ١٩٥.

(٢) الألفين: ٢٩٧ الحادي والخمسون من أدلّة المائة السابعة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٣) يونس (١٠): ٣٥.

وأمره بالمعروف فيكون هادياً، لكنّه باطل بالآية[1].

٧٨٠ ـ الثالث: ما في الألفين: للإمام صفات:

أحدها: أنّه هادٍ؛ لقوله في هذه الآية.

ثانيها: أنّه مفترض الطاعة.

ثالثها: أنّه وليّ الناس كافّة لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾[2].

ولا داعي للمكلّف إلى فعل مقتضى القوّة الشهويّة والغضبيّة من المعاصي مع غلبة الشهويّة ووجود القدرة أعظم من فعل الإمام المتّصف بهذه الصفات بها[3] مع بقائه على الإمامة، فإنّه إذا رأى من هو بهذه المنزلة عند الله تعالى يفعل ذلك وهو باقٍ على منزلته كان داعياً عظيماً للمكلّف إلى فعل ذلك، فيدخل في الاستعاذة بالله تعالى منه، فيكون من الشيطان وأتباعه.

والعقل الصريح يمنع أن يكون نائب رسول الله صلى الله عليه وآله والقائم مقامه قد أمرنا الله بالتعوّذ منه[4].

٧٨١ ـ الرابع: إن كان المراد بقوله «لكلّ قوم هاد» إن كان هو النبيّ صلى الله عليه وآله فإن كان المراد بالقوم ما هو المخصوص بزمانه صلى الله عليه وآله فهو بعد كونه مخالف لحقيقة العموم عثرة وزجرة الاختصاص والترجيح بدون مرجّح مع عموم اللطف، فلابدّ أن يكون عامّاً لكلّ الموجودين في ساحة الحضور وغيرهم إلى قيام التكليف وبقائه،

---

(١) الألفين: ٢٩٧ ـ ٢٩٨ الثاني والخمسون من أدلّة المائة السابعة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٢) المائدة (٥): ٥٥.

(٣) كذا في المخطوط والمصدر، والظاهر المناسب «لها» لِما يقتضيه السياق.

(٤) الألفين: ٣٠٩ الثامن والثمانون من أدلّة المائة السابعة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

ولا ريب أنّه لم يبق في الأزمان، فلابدّ أن يكون المراد به من كان قـائماً مـقامه، فإسناد الهداية إليه أو إليه ﷺ بنوع من التوجيه وهو أنّه الوسيلة والمستخلف على ما دلّ عليه الحصر بـ«إنّما» ولو كان العموم حقيقة في الحاضرين والموجودين في زمانه، فلابدّ من جري الهادي من بعده بالعقل والنقل وإجماع الكلّ.

وبالجملة إنّه هو الإمام أو ما يلزمه فيجب اتّباعه وبما قال تعالى في آية أُولي الأمر، فإذا كان الله تعالى حكم بأنّه هادٍ على العموم، لابدّ أن يكون محفوظاً عن الضلال والخطأ في جميع أوقات كونه إماماً وهادياً، ولا معنى للعصمة إلّا ذلك.

وأُكّدت تلك الوجوه بما في الطرائف عن الثعلبي ـ وهو من أعيان مفسّريهم ـ في تفسير هذه الآية عن ابن عبّاس قال: لمّا نزلت هذه الآية ضرب رسول الله يده على صدره وقال: أنا المنذر، وأومأ بيده إلى منكب عليّ عليه السلام وقال: أنت الهادي يا علي، بك يهتدي المهتدون من بعدي[1].

وأُيّدت بما في تفسير عليّ بن إبراهيم بإسنادٍ يرفعه إلى أبي بصير عـن أبـي عبدالله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: «إنّما أنت منذر» الآية، قال: المنذر رسول الله ﷺ والهادي أميرالمؤمنين وبعده الأئمّة في كلّ زمان إمام هاد من ولده ﷺ[2].

ويؤيّده ما رواه الكليني بإسناده إلى بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «إنّما أنت منذر» الآية، قال: رسول الله المنذر ولكلّ قوم زمـانٍ مـنّا هـاد يهديهم إلى ما جاء به نبيّ الله المنذر، ثمّ الهداة من بعده عليّ ثمّ الأوصياء من ولده

---

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٧٩ ح١٠٧، وراجع: تفسير الثعلبي ٥: ٢٧٢ وفيه: وضـع رسول الله ﷺ يده على صدره... إلخ، وانظر: مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام لابن مردويه: ٢٢٦ ح٤٠٧.

(٢) تفسير القمّي ١: ٣٥٩، وعنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٢٩ ح٣، تفسير الصافي ٣: ٥٩.

واحد بعد واحد[١].

وروي أيضاً فيه عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: «إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد»، فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله المنذر وعليّ الهادي. يا أبا محمّد، هل من هاد اليوم؟ قال: قلت: بلى جعلت فداك، ما زال منكم هاد من بعد هاد حتّى دفعت إليك. فقال: رحمك الله يا أبا محمّد، لو كانت إذا نزلت آية على رجل، ثمّ مات ذلك الرجل، ماتت الآية، مات الكتاب، ولكنّه حتّى يجري فيمن بقي كما جرى فيما مضى[٢].

ذكر أبو عليّ الطبرسي رحمه الله أنّه روي عن ابن عبّاس أنّه قال: لمّا نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا المنذر وعليّ الهادي من بعدي، يا عليّ بك يهتدي المهتدون[٣].

وروى الحاكم أبوالقاسم الحسكاني بالإسناد عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير، عن أبيه، عن حكم بن جبير، عن أبي بريدة الأسلمي قال: دعا رسول الله صلى الله عليه وآله بالطهور وعنده عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد عليّ عليه السلام لمّا تطهّر فألصقها بصدره ثمّ قال: «إنّما أنت منذر» يعني نفسه، ثمّ ردّها إلى صدر عليّ عليه السلام ثمّ قال: «ولكلّ قوم هاد»، ثمّ قال له: إنّك منارة الأنام وغاية الهدى وأمير القرىٰ، أشهد على ذلك أنّك كذلك[٤].

---

(١) الكافي ١: ١٩١ ح٢ كتاب الحجّة ـ باب أنّ الأئمّة عليهم السلام هم الهداة، وعنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٢٩ ح٤.

(٢) الكافي ١: ١٩١ ح٣ كتاب الحجّة ـ باب أنّ الأئمّة هم الهداة، وعنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٢٩ ح٥، بحار الأنوار ٢: ٢٧٩ ح٤٣.

(٣) تفسير مجمع البيان ٦: ١٥، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٥٩.

(٤) تفسير مجمع البيان ٦: ١٥، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٣٠ ح٦، وراجع: بحار الأنوار ٣٥: ٣٩٨، شواهد التنزيل ١: ٣٠١ ح٤١٤.

٧٨٢ ـ ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[١].

الإمام يدعو المكلّفين إلى هذه المراتب ويحتاج إلى تمام الغرض بحصول ذلك للمكلّفين، ولا يمكن إلّا بالمعصوم، وهو المطلوب.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة مِن أنّ تأويله: أفمن يعلم أي هل يكون مساوياً في الهدى من يعلم ﴿أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ عنه؟ وهذا استفهام يراد به الإنكار، ومعناه أنّ الله سبحانه فرّق بين الولي والعدو، فالوليّ هو الذي يعلم يقيناً أنّ الذي أُنزل على محمّد صلى الله عليه وآله من ربّه أنّه الحقّ والعدو هو الأعمى الذي عمى عنه، أي هل يستوي هذا وهذا في الدرجة والمنزلة؟! لا يستوون عند الله، فليس العالم كالجاهل والمبصر كالأعمى.

فالوليّ العالم أميرالمؤمنين عليه السلام، والعدوّ الجاهل الأعمى وهو عدوّه لما يأتي بيانه[٢].

وهو ما نقله ابن مردويه عن رجاله إلى ابن عبّاس أنّه قال: إنّ قوله تعالى «أفمن يعلم إنّما أُنزل إليك من ربّك الحقّ» هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٣].

---

(١) الرعد(١٣): ١٩ ـ ٢٢.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٣١ ح٦.

(٣) نقله عنه الحسيني النجفي في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٣١ ح٧، وراجع: مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام لابن مردويه: ٢٦٧ ح ٤١٠٠ (آيات سورة الرعد).

ويؤيّده ما ذكره أبو عبدالله الحسين بن جبير رحمه الله في نخب المناقب قال: روينا حديثاً مسنداً عن أبي الورد الإماميّ[١] المذهب عن أبي جعفر قال: قوله عزّ وجلّ: «أفمن يعلم أنّما أُنزل إليك من ربّك الحقّ» هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والأعمى منّا عدوّه، وأُولو الألباب شيعته الموصوفون بقوله: «الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق» المأخوذ عليهم في الذرّ بولايته، ويوم الغدير، ثمّ وصفهم بوصف آخر فقال: «الذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل» وهو رحم آل محمّد صلى الله عليه وآله التي أمر الله بصلتها ومودّتها[٢]:

لما رواه عليّ بن إبراهيم رحمه الله عن محمّد بن الفضيل، عن أبي الحسن موسى عليه السلام أنّ رحم آل محمّد معلّقة بالعرش تقول: اللهمّ صِل مَن وصلني واقطع من قطعني، وهي تجري[٣] في كلّ رحم[٤].

وفي تفسير العسكري عليه السلام أنّه قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: إنّ الرحم التي اشتقّها الله من قوله أنا «الرّحمٰن» هي رحم آل محمّد صلى الله عليه وآله وإنّ من إعظام الله إعظام محمّد، وإنّ من إعظام محمّد إعظام رحم محمّد، وإنّ كلّ مؤمن ومؤمنة من شيعتنا هو من رحم محمّد صلى الله عليه وآله، وإنّ من إعظامهم إعظام محمّد، فالويل لمن استخفّ بشيء من حرمة محمّد صلى الله عليه وآله وطوبى لمن عظّم حرمته ووصلها[٥].

---

(١) في هامش المصدر عن بعض النسخ «العامي» بدل «الإمامي».

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٣١ ح٨.

(٣) في الكافي: «وهي كلّ ذي رحم» بدل «وتجري في كلّ رحم».

(٤) الكافي ٢: ١٥١ ح٧ باب صلة الرحم، وعنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٣٢ ح٩، وراجع: تفسير العيّاشي ٢: ٢٠٨ ح٢٩.

(٥) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٧ ذيل الحديث ١٢، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٢٦٨ ضمن الحديث ١٢، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٤ ح٣ و٢٣٢ ح١٠.

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: نزلت في رحم آل محمّد صلى الله عليه وآله وقد تكون في قرابتك، ثمّ قال: فلا تكوننّ ممّن يقول للشيء: إنّه في شيء واحد[١].

وفي تفسير الصافي: العيّاشي عنه عليه السلام: الرحم معلّقة بالعرش تقول: اللهمّ صِل من وصلني واقطع من قطعني وهو رحم آل محمّد وهو قول الله: «الذين يصلون» الآية[٢].

٧٨٣ ـ ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[٣].

كلّ غير معصوم يمكن أن يكون له هذه الصفات، ولا شيء منَ الإمام له هذه الصفات بالضرورة، ينتج لا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة.

أُيّد بما ذكره عليّ بن إبراهيم في تفسيره قال: يعني عهد أميرالمؤمنين عليه السلام الذي أخذه رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خمّ، «ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل» يعني صلة رحم آل محمّد صلى الله عليه وآله بعده «ويفسدون في الأرض أُولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار»[٤].

٧٨٤ ـ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ * الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[٥].

العلم بما يطمئنّ وبالصالحات على العموم؛ ليترتّب عليه العمل وحسن الجزاء يتوقّف على المعصوم في كلّ عصر، كما مرّ غير مرّة.

---

(١) الكافي ٢: ١٥٦ ح٢٨ كتاب الكفر والإيمان ـ باب صلة الرحم، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٦٦.
(٢) تفسير الصافي ٣: ٦٦، وراجع: تفسير العيّاشي ٢: ٢٠٨ ح٢٧.
(٣) الرعد(١٣): ٢٥.
(٤) انظر: تفسير القمّي ١: ٣٥، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٣٢ ح١٠.
(٥) الرعد(١٣): ٢٨ و٢٩.

وأُكّد بما في الطرائف عن الثعلبي في تفسيره بسنده إلى ابن عبّاس رحمه الله في قوله تعالى: «طوبى لهم وحسن مآب» قال: طوبى شجرة أصلها في دار عليّ عليه السلام وفي دار كلّ مؤمن منها غصن فـ«طوبى لهم وحسن مآب» أي حسن مرجع[1].

وفي حديثٍ آخر رواه الثعلبي أيضاً بإسناده إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه سُئل عن قوله تعالى: «طوبى لهم وحسن مآب»، قال صلى الله عليه وآله: طوبى شجرة في الجنّة أصلها في داري وفرعها على أهل الجنّة. فقيل: يا رسول الله، سألناك عنها فقلت شجرة في الجنّة أصلها في داري وفرعها على أهل الجنّة، ثمّ سألناك عنها فقلت: شجرة في الجنّة أصلها في دار عليّ وفرعها على أهل الجنّة؟ فقال: ألا إنّ داري ودار عليّ غداً واحدة في مكان واحد[2].

وروى ابن المغازلي الشافعي في كتابه نحو ذلك[3].

وأُكّد أيضاً بما في تأويل الآيات الظاهرة فقال تأويله ما رواه الرجال مسنداً عن ابن عبّاس أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الذين آمنوا وتطمئنّ قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب» ثمّ قال لي: أتدري يابن أُم سليم مَن هم؟ قال: مَن هم يا رسول الله؟ قال: نحن أهل البيت وشيعتنا. ثمّ بيّن سبحانه الذين تطمئنّ قلوبهم مَن هم فقال: «الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب» أي وحسن مرجع في الآخرة، وهي عبارة عن الجنّة[4].

---

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٠٠ ح١٤٣، وراجع: تفسير الثعلبي ٥: ٢٩٠.

(٢) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٠٠ ح ١٤٤، وراجع: تفسير الثعلبي ٥: ٢٩١، شواهد التنزيل ١: ٣٠٥ ح٤١٨، بحار الأنوار ٣٦: ٦٩، العمدة لابن بطريق: ٣٥٠ ح٦٧٦.

(٣) المناقب لابن المغازلي: ٢٨٦، وعنه ابن طاووس في: الطرائف: ١٠٠.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٣٣ ح ١١.

وأمّا تأويل شجرة طوبى ذكر أبو عليّ الطبرسي رحمه الله قال: روى الثعلبي بإسناده عن الديلمي عن أبي صالح عن ابن عبّاس قال: طوبى شجره أصلها في دار عليّ في الجنّة وفي دار كلّ مؤمن منها غصن[١].

ورواه أيضاً أبو بصير عن أبي عبدالله عليه السلام[٢].

وأُيّد أيضاً بما روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بالإسناد عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه صلوات الله عليهم قال: سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن طوبى، فقال: شجرة أصلها في داري وفرعها على أهل الجنّة. ثمّ سُئل عنها مرّة أُخرى فقال: في دار عليّ عليه السلام، فقيل له في ذلك، فقال: إنّ داري ودار عليّ في الجنّة بمكان واحد[٣].

قال[٤]: وروى عليّ بن إبراهيم بإسناده إلى أبي عبيدة الحذّاء عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثر تقبيل فاطمة عليها السلام، فأنكر عليه بعض نسائه ذلك، فقال صلى الله عليه وآله: لمّا أُسري بي إلى السماء فدخلت الجنّة فأراني جبرئيل عليه السلام من شجرة طوبى وناولني تفّاحة فأكلتها، فحوّل الله ذلك في ماء ظهري فلمّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، وكلّما اشتقت إلى الجنّة قبّلتها، وما قبّلتها إلّا وجدت رائحة شجرة طوبى منها، فهي حوراء إنسيّة[٥].

---

(١) تفسير مجمع البيان ٦: ٣٧، وراجع: تفسير الثعلبي ٥: ٢٩١.

(٢) الكافي ٢: ٢٣٩ ح ٣٠ باب المؤمن وعلاماته وصفاته، وراجع: تفسير مجمع البيان ٦: ٣٧.

(٣) شواهد التنزيل ١: ٣٠٤ ح ٤١٧، وعنه الطبرسي في: تفسير مجمع البيان ٦: ٣٧.

(٤) أي الطبرسي.

(٥) تفسير مجمع البيان ٦: ٣٧، وانظر: تفسير القمّي ١: ٢٢ وراجع: تفسير نور الثقلين ٢: ٥٠٢ ح ١٢٢، علل الشرائع ١: ١٨٣ ح ١ باب ١٤٧ العلّة التي من أجلها كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثر من تقبيل فاطمة عليها السلام.

ويؤكّد هذا ما في الطرائف ما وجده في «حديث سفيان الثوري» تأليف سليمان بن أحمد الطبراني عن هشام بن عروة عن عائشة قالت: كنت أرى رسول الله صلى الله عليه وآله يفعل بفاطمة عليها السلام شيئاً من التقبيل واللطافة[1]، فقلت: يا رسول الله، تفعل بفاطمة شيئاً لم أراك تفعله قبل؟ فقال صلى الله عليه وآله: يا حميراء، إنّه لمّا كانت ليلة أُسري بي إلى السماء دخلت الجنّة فوقعت على شجرة من شجر الجنّة لم أر في الجنّة أحسن منها حسناً ولا أنضر منها ورقاً ولا أطيب منها ثمراً من ثمرها فأكلتها فصارت نطفة في ظهري، فلمّا هبطتُ إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة فإذا اشتقت إلى الجنّة شممت فاطمة.

يا حميراء، إنّ فاطمة ليست كسائر الآدميّين، لا تعتلّ كما يعتللن ـ يعني به الحيض ـ[2].

وروى في معنى التفّاحة حديثاً شريفاً لطيفاً رواه الشيخ أبو جعفر محمّد الطوسي رحمه الله عن رجاله عن الفضل بن شاذان ذكره في كتابه مسائل البلدان يرفعه إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: دخلت على فاطمة عليها السلام والحسن والحسين عليهما السلام يلعبان بين يديها، ففرحت بهما فرحاً شديداً، فلم ألبث حتّى دخل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: يا رسول الله، أخبرني بفضيلة هؤلاء لأزداد لهم حُبّاً.

فقال: يا سلمان، ليلة أُسري بي إلى السماء أدارني جبرئيل في سماواته وجنّاته، فبينا أنا أدور في قصورها وبساتينها ومقاصيرها إذ سمعت رائحة طيّبة فأعجبتني تلك الرائحة، فقلت: يا حبيبي، ما هذه الرائحة التي غلبت على روائح الجنّة كلّها؟ فقال: يا محمّد، تفّاحة خلقها الله تبارك وتعالى بيده منذ ثلاثمائة ألف

---

(١) في المصدر: «والألطاف».

(٢) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١١١ ح ١٦٣.

عام ما ندري ما يريد بها، فبينا أنا كذلك إذ رأيت ملائكة معهم تلك التفّاحة وقالوا: يا محمّد، ربّنا السلام يقرؤك [السلام] وقد أتحفك بهذه التفّاحة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فأخذت تلك التفّاحة فوضعتها تحت جناح جبرئيل فلمّا هبط بي إلى الأرض أكلت تلك التفّاحة فجمع الله ماءها في ظهري، فغشيت خديجة بنت خويلد فحملت بفاطمة من ماء التفّاحة، فأوحى الله عزّ وجلّ إليّ أن قد ولد لك حوراء إنسيّة فزوّج النور من النور؛ فاطمة من عليّ عليه السلام، فإنّي قد زوّجتها في السماء وجعلت خمس الأرض مهرها، ويستخرج فيما بينهما ذريّة طيّبة وهما سراجا الجنّة الحسن والحسين ويخرج من صلب الحسين أئمّة يقتلون ويخذلون؛ فالويل لقاتلهم وخاذلهم[1].

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: طوبى شجرة في الجنّة، أصلها في دار النبيّ صلى الله عليه وآله وليس من مؤمن إلّا وفي داره غصن منها، لا يخطر على قلبه شهوة شيء إلّا أتاه به ذلك ولو أنّ راكباً مجدّاً سار في ظلّها مائة عام ما خرج منه ولو طار من أسفلها غراب ما بلغ أعلاها حتّى يسقط هرماً، ألا ففي هذا فارغبوا[2].

وفي الإكمال عن الصادق عليه السلام: طوبى لمن تمسّك بأمرنا في غيبة قائمنا فلم يزغ قلبه بعد الهداية. فقيل له: ما طوبى؟ قال: شجرة.. إلى آخر ما مرّ[3].

٧٨٥ ـ ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[4].

وجوه الاستدلال به مثل ما مرّ في سورة الأعراف في مثل هذه الآية.

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٣٦ ـ ٢٣٧ ح١٦، بحار الأنوار ٣٦: ٣٦١ ح٢٣٦.

(٢) الكافي ٢: ٢٣٩ ح ٣٠ باب المؤمن وعلاماته وصفاته.

(٣) إكمال الدين وإتمام النعمة: ٣٥٨ ح ٥٥.

(٤) الرعد (١٣): ٣٣.

٧٨٦ ـ ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾[١].

وجه الاستدلال أنّ الأهواء جمع مضاف وهو يفيد العموم حيث لا عهد، ولا عهد هنا؛ للأصل ولأنّه صلى الله عليه وآله ما تبع إلّا الوحي فإذا كان النبيّ صلى الله عليه وآله لا يجوز له ذلك فلا يجوز لغيره لأنّا مأمورون باتّباعه ومقتدون بأُسوته، وبذلك ظهر أنّ تابعي أهل الحلّ والعقد من أهل الإجماع الذي ادّعوه في الخلفاء، ليس لهم ناصر من الله ولا واق يمنع العقاب الأُخروي عنهم.

فإن قلت: إنّه على تقدير العموم لا ينفي ما ذكروا من الإجماع؛ لأنّهم قالوا بعصمة قول المجموع لا كلّ واحد وهذا يفيد عموم الأفراد في الجمع.

قلت: إنّ المجموع فرد واحد من الأفراد، فيدخل في حقيقة العموم على ما قال تعالى بعد هذه الآية تأكيداً لهذا على وجه العموم: **﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾**[٢].

وأُكّد بما في الطرائف عن أبي نعيم ـ المحدّث ـ في كتابه الذي استخرجه من كتاب الاستيعاب في تفسير قوله تعالى: **﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ ﴾**[٣]، فقال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا أُسري به جمع الله بينه وبين الأنبياء عليهم السلام ثمّ قال له: سلهم يا محمّد على ماذا بُعثتم؟ فقالوا: بُعثنا على شهادة أن لا إله إلّا الله والإقرار بنبوّتك والولاية لعليّ بن أبي طالب عليه السلام[٤].

---

(١) الرعد (١٣): ٣٧ ـ ٣٨.

(٢) الرعد (١٣): ٣٨.

(٣) الزخرف (٤٣): ٤٥.

(٤) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٠١ ح١٤٧.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي عليّ الطبرسي رحمه الله قال: روي أنّ أبا عبدالله عليه السلام قرأ هذه الآية وأومى بيده إلى صدره وقال: نحن والله ذريّة رسول الله صلى الله عليه وآله[١].

ويؤيّده ما رواه الشيخ الطوسي رحمه الله بإسناده إلى أبي عبدالله بن الوليد قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام في زمن بني مروان، قال: ممّن أنتم؟ قلنا: من أهل الكوفة. قال: ما من البلدان أكثر محبّاً لنا من أهل الكوفة لاسيّما هذه العصابة، إنّ الله هداكم لأمر جهله الناس فأحببتمونا وأبغضنا الناس، وتابعتمونا وخالفنا الناس، وصدّقتمونا وكذّبنا الناس، فأحياكم الله محيانا، وأماتكم مماتنا، وأشهد على أبي أنّه كان يقول: ما بين أحدكم وبين ما تقرّ عينه أو يغتبط إلّا أن تبلغ به نفسه هكذا ـ وأهوى بيده إلى حلقه ـ وقد قال عزّ وجلّ في كتابه: «ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذريّة»؛ فنحن ذريّة رسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

وقد تقدّم ذكر الذريّة الطيّبة.

٧٨٧ ـ ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾[٣].

كلّ غير معصوم يمكن أن يقول هكذا، وتمّ بالشكل الثاني، وهو ظاهر.

وأُكّد بأنّ المراد بـ«من عنده علم الكتاب» هم الراسخون الثابتون على

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٣٧ ح١٧، وراجع: تفسير مجمع البيان ٦: ٤٨، وعنه في: بحار الأنوار ١١: ١٤.

(٢) الأمالي للطوسي: ١٤٤ ح٤٧/٢٣٤، وراجع: بحار الأنوار ٦٥: ١٣١ ح٦٣، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٣٧ ـ ٢٣٨ ح١٨.

(٣) الرعد(١٣): ٤٣.

الاعتقادات الحقّة والعاملون بالآيات المتشابهة العالمون بها حقّ الإيقان والعمل وليس إلّا المعصومين على ما مرّ في آية ﴿ **وَالرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ** ﴾[(١)] على ما أومأ إليه إردافه تعالى من عنده إلى نفسه والاستواء في الشهادة معه سبحانه ليس إلّا من كان له وصف العصمة.

وأُكّد بما في الطرائف من روايات الشافعي والسدّي في تفسيره أنّ المراد بمن عنده علم الكتاب عليّ عليه السلام ـ على ما مرّ في بيان قوله: ﴿ **أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ** ﴾[(٢)] ـ[(٣)].

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن محمّد بن يعقوب بإسناده إلى بريد بن معاوية عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «من عنده علم الكتاب» قال: إيّانا عنى، وعليّ أوّلنا وخيرنا وأفضلنا بعد النبيّ صلى الله عليه وآله[(٤)].

وروى أيضاً عن رجاله بإسناده إلى جابر بن عبدالله قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ما ادّعى أحدٌ من الناس أنّه جمع القرآن كلّه كما أُنزل إلّا كذّاب، وما جمعه وحفظه كما أنزل الله إلّا عليّ بن أبي طالب والأئمّة من بعده عليهم السلام[(٥)].

وروى أيضاً عن محمّد بن الحسين بإسناده عن رجاله عن محمّد بن عيسى عن أبي عبدالله المؤمن عن أبي عبدالله الأعلى[(٦)] قال: سمعت أبا عبدالله يقول:

---

(١) آل عمران (٣): ٧.

(٢) هود (١١): ١٧.

(٣) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٤٩ ح٤٣.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٣٨ ح١٩، وراجع: الكافي ١: ٢٢٩ ح٦ كتاب الحجّة ـ باب أنّه لم يجمع القرآن كلّه إلّا الأئمّة عليهم السلام وأنّهم يعلمون علمه كلّه.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٣٩ ح٢٠.

(٦) في المصدر: عبد الأعلى مولىٰ آل سام.

والله إنّي لأعلم كتاب الله من أوّله إلى آخره كأنّه في كفّي منه خبر السماء وخبر الأرض ما كان وما هو كائن، قال الله عزّ وجلّ: «فيه تبيان لكلّ شيء»[١].

وروى أيضاً عن محمّد بن يحيى عن رجاله بإسنادٍ يرفعه إلى عبد الرّحمٰن بن كثير عن أبي عبدالله عليه السلام: ﴿ **قَالَ الَّذِى عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ** ﴾[٢] قال: قال: ففرّج أبو عبدالله بين أصابعه فوضعها على صدره ثمّ قال: وعندنا والله علم الكتاب كلّه[٣].

وقال صاحب الاحتجاج: روى محمّد بن أبي عمير عن عبدالله بن الوليد السمّان قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ما يقول الناس في أُولي العزم وعن صاحبكم ـ يعني أميرالمؤمنين ـ؟ قال: قلت: ما يقدّمون على أُولي العزم أحداً. فقال: إنّ الله تبارك وتعالى قال عن موسى: ﴿ **وَكَتَبْنَا لَهُ فِى الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَىْءٍ مَوْعِظَةً** ﴾[٤] ولم يقل «كلّ شيء»، وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿ **وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ** ﴾[٥] ولم يقل «كلّ الذي تختلفون فيه»، وقال عن صاحبكم: «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب»، وقال عزّ وجلّ: ﴿ **وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ** ﴾[٦] وعلم هذا الكتاب عنده[٧].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٣٩ ح ٢١.

(٢) النمل (٢٧): ٣٨.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٣٩ ح ٢٢.

(٤) الأعراف (٧): ١٤٥.

(٥) الزخرف (٤٣): ٦٣.

(٦) الأنعام (٦): ٥٩.

(٧) الاحتجاج ٢: ١٣٩، عنه في: بحار الأنوار ٣٥: ٤٢٩ ح ٣، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٣٩ ح ٢٣، تفسير نور الثقلين ٢: ٦٨ ح ٢٥٦.

وروى الشيخ المفيد رحمه الله عن رجاله حديثاً مسنداً إلى سلمان الفارسي رحمه الله قال: قال لي أميرالمؤمنين: يا سلمان، أيّما أفضل: محمّد أو سليمان بن داود؟ قال سلمان: فقلت: بل محمّد صلى الله عليه وآله. فقال: يا سلمان، هذا آصف بن برخيا قدر أن يحمل عرش بلقيس من سبأ إلى فارس في طرفة عين وعنده علم [من] الكتاب ولا أقدر أنا وعندي علم ألف كتاب أنزل الله منها: على شيث بن آدم خمسين صحيفة، وعلى إدريس النبي ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم الخليل عشرين صحيفة، وعلم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان؟

قلت: صدقت يا سيّدي.

فقال: اعلم يا سلمان، إنّ الشاكّ في أُمورنا وعلومنا كالممتري في معرفتنا وحقوقنا، وقد فرض الله طاعتنا وولايتنا في كتابه في غير موضع وبيّن فيه ما وجب العمل به وهو مكشوف(١).

اعلم أنّه قد جاء في هذا التأويل دليل واضح وبرهان مبين في تفضيل أميرالمؤمنين على آله الميامين وعلى أُولي العزم من النبيّين وغيرهم من الصدّيقين والشهداء والصالحين غير نبيّنا صلوات الله عليهم أجمعين، وإنّما فُضّل عليهم بالعلم، وقد روي ذلك بتواتر الأخبار من المؤالف والمخالف قد مرّت وتجيء كلّها دالّ على أنّه أعلم بجميع الكتب، ولا شيء من الأوصاف التي دلّت على شرف الموصوف أعزّ من العلم لقوله تعالى: ﴿**هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾(٢)، وقوله: «قل كفى بالله» الآية، أي حاضراً عالماً لما يعلم

---

(١) عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٤٠ ح ٢٤، وراجع: بحار الأنوار ٢٦: ٢٢١ ح ٤٧، إرشاد القلوب للديلمي ٢: ٤١٦ (ط. منشورات الرضي ـ قم).

(٢) الزمر (٣٩): ٩.

أنّي مرسل من عنده، ثمّ عطف على نفسه سبحانه فقال: «ومن عنده علم الكتاب» أي وكفى به مع الله شهيداً لعلمه بالكتاب، ولم يجعل معه الكفاية غيره، ولو كان غيره أولى منه لكان ينبغي ذكره دونه؛ لبطلان الترجيح من غير مرجّح.

وجاء في موضع آخر مثل هذا فقال تعالى: ﴿ **قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا** ﴾[(١)] وجاء مثل هذا التخصيص، وقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[(٢)] وهو المعنيّ بالمؤمنين[(٣)].

وقد مرّ، ونذكرها لك دقيقة فلك أن تعرفها، وإلّا فلم تعيّرني فيها، وهي:

إنّه قد تحقّق في العلم الأعلى عدم تخلّف العلّة عن معلولها، وقد ثبت أيضاً أنّ الله جلّ وعزّ هو العلّة في الإيجادات والغايات، وأنّه خالق كلّ شيء ولا مؤثّر في الموجودات ولا شيء منها موجوداً إلّا بتأثيره وبمدخليّة تأثيره وهو علّة العلل، فلابدّ أن يكون أثره مبقياً للنظام كان مع العالم كأجزاء، وكلّاً جزئيّاً وكلّيّاً، وقد تحقّق أيضاً أنّ من جملة ذلك وجود الإمام عليه السلام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، ولهذا ورد أنّه لو لم يكن لساخت الأرض[(٤)]، وهو من جملة أثره، بل هو أهمّ أثره، فإنّه في البدء والعالم العقليّ غاية إيجاد الكونين، وفي الخاتم مؤثّر ووسيلة لبقاء النظام، فهو الوسيلة التامّة لذلك ولبقاء النوع بوجود المجعول فهو الغاية لإيجاد هذا والمبقي لبقاء محاله، فلابدّ أن يكون نفعه وأثره في كلّ شيء كموجده على ما قال تعالى:

---

(١) الإسراء (١٧): ٩٦.

(٢) الأنفال (٨): ٦٤.

(٣) انظر: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٤٠ ذيل الحديث ٢٤.

(٤) راجع: بصائر الدرجات: ٥٠٨ الأحاديث ١ـ٨ باب ١٢ أنّ الأرض لا تبقى بغير إمام لو بقيت لساخت، وانظر: بحار الأنوار ٥٧: ٢١٣، دلائل الإمامة لابن جرير الطبري: ٤٣٦ ضمن حديث ١١/٤٠٧.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[١] وإنّه تعالى شهيد على النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله كربّه، والنبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله شهيد على العالمين، فإنّ المعنيّ به النفع والأثر، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[٢]، وقد مرّ أنّ كلّ موجود يعرف به الصانع فهو عالم فهو شهيد على كلّ شهيد، فخليفته صلى‌الله‌عليه‌وآله كذلك؛ لأنّه قائم مقامه وهو مقام خطير أعان الله تعالى باليسير، وهذه فضيلة لم ينلها أحد غير عليّ وأولاده بعد النبيّ صلوات الله عليهم أجمعين. وبالذي ذكرنا تبطل شبه القائلين في غيبة الإمام عليه‌السلام.

وأُيّد أيضاً بما في تفسير الصافي فقال في الاحتجاج: سأل رجل عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام عن أفضل منقبة له، فقرأ الآية وقال: إيّاي عنى بـ«من عنده علم الكتاب»[٣].

وفي المجالس عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله أنّه سُئل عن هذه الآية، قال: ذاك أخي عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام[٤].

والعيّاشي عن الباقر عليه‌السلام أنّه قيل له: هذا ابن عبدالله بن سلمان يزعم أنّ أباه الذي يقول الله: «كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب»! قال:

---

(١) فصّلت (٤١): ٥٣.

(٢) الأنبياء (٢١): ١٠٧.

(٣) تفسير الصافي ٣: ٧٧، وراجع: الاحتجاج ١: ٢٣١.

(٤) الأمالي للصدوق: ٦٥٩ ح ٣/٨٩٢ المجلس الثالث والثمانون، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٧٧، وراجع: الوسائل ٢٧: ١٨٨ ح ٣٣ باب عدم جواز استنباط الأحكام النظريّة من ظواهر القرآن، بحار الأنوار ٣٥: ٤٢٩ ح ١، تفسير نور الثقلين ٢: ٥٢٣ ح ٢١١، ينابيع المودّة ١: ٣٠٧ ح ٧ الباب الثلاثون في تفسير قوله تعالى: ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾.

كذب، هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام[١].

وعنه عليه السلام: نزلت في عليّ عليه السلام أنّه عالم هذه الأُمّة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله[٢].

والقمّيّ عن الصادق عليه السلام: هو أميرالمؤمنين عليه السلام. وسُئل عن الذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الذي عنده علم الكتاب؟ فقال: ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلّا بقدر ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر[٣].

وقال أميرالمؤمنين: ألا إنّ العلم الذي هبط به آدم من السماء إلى الأرض وجميع ما فضّلت به النبيّون إلى خاتم النبيّين في عترة خاتم النبيّين[٤].

سورة إبراهيم وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٧٨٨ ـ ﴿الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[٥].

وهو بدل من قوله «إلى النور»، والاستدلال به من وجهين:

الأوّل: أنّ الغرض من الأزل اهتداء الخلق ممّن كان مكلّفاً مخلياً عن العوائق، محلّياً بالبوارق[٦]، بالاختيار المجعول فيهم، فإنّه لو كان مخصوصاً بقوم دون قوم

---

(١) تفسير العيّاشي ٢: ٢٢٠ ح٧٧، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٧٧.

(٢) تفسير العيّاشي ٢: ٢٢١ ح٧٩، وراجع: تفسير الصافي ٣: ٧٧، تفسير نور الثقلين ٢: ٥٢٣ ح٢١٤.

(٣) تفسير القمّي ١: ٣٦٧، وعنه في: تفسير الصافي ٣: ٧٧، تفسير البرهان ٣: ٢٧٣ ح٥٦٤٢.

(٤) راجع: مصادر الهامش السابق.

(٥) إبراهيم (١٤): ١.

(٦) البوارق: السيوف لأنّها تتلألأ. المحيط في اللغة ٥: ٤٠٨ «برق».

لزم المحال المخالف لإجماع الكلّ، فلو كان الخليفة بعد النبيّ غير معصوم لزم نفي ذلك الغرض، وهو ظاهر بما مرّ غير مرّة كيف ولو جاز الخطأ على المرشد فأنّى يكون صراط الله الحميد فكيف يجوز كونه محموداً على ذلك.

الثاني: ما في الألفين: أنّ الله تعالى حكم بأنّه يخرج المؤمن من كلّ الظلمات إلى النور ولا يتمّ إلّا بعصمة الإمام وعدم خلوّ الزمان من إمام معصوم، فوجب ذلك لأنّ وعد الله تعالى في حكم الواقع؛ لأنّه يجب وقوعه ويستحيل خلفه لمقدّمتين:

أمّا الأُولى: فلأنّ لفظ «الظلمات» عامّ؛ لأنّه اسم جنس معرّف باللّام فيعمّ؛ لما تحقّق في الأُصول[1].

أمّا الثانية: فتتوقّف على مقدّمات:

الأُولى: أنّ الجهل ظلمة، وهو ظاهر.

الثانية: الحكم بخلاف ما أنزل الله تعالى ظلم، فأُولئك هم الظالمون.

الثالثة: عدم إصابة حكم الله في الأحكام ظلمة، لأنّه جهل.

الرابعة: التحيّر والخوف وتجويز الخطأ أيضاً ظلمة، وهو ظاهر.

إذا عرفت ذلك فنقول: لو لم يكن الإمام معصوماً لجاز حمل الناس على الخطأ ولم يكن لهم طريق إلى العلم بحكم الله في الوقائع الشرعيّة، فإنّها لا تنضبط، فلا يمكن الخلاص من ذلك إلّا بنصب إمام معصوم.

فلو لم ينصب إماماً معصوماً لزم خلاف الوعد من الله تعالى، وخلاف الوعد من الله تعالى محال؛ فعدم نصب إمام معصوم محال، وهو المطلوب[2].

---

(١) راجع: العدّة في أُصول الفقه ١: ٢٩١ ـ ٢٩٤، مبادئ الوصول إلى علم الأُصول: ١٢٢.

(٢) الألفين: ٣٧٤ الخامس والتسعون من أدلّة المائة الثامنة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

وأُكّد بأنّ الله تعالى بعد هذا قال: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ** ﴾[١]، وحكمه تعالى في السلف والخلف واحد، فيجب وقوع ما قال في نبيّنا صلى الله عليه وآله.

وأُيّد بما في تفسير الصافي عن القمّي أنّ أيّام الله تعالى ثلاثة: يوم القائم، ويوم الموت، ويوم القيامة[٢].

وفي الخصال عن الباقر عليه السلام: أيّام الله: يوم يقوم القائم، ويوم الكرّة[٣]، ويوم القيامة[٤].

٧٨٩ ـ ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۞ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾[٥].

قد مرّ مثله الاستدلال، فتذكّر.

ونقول أيضاً: إنّ طيب الكلام يستلزم طيب صاحبه أو إنّ طيبه باعتبار طيب صاحبه وكذا خبثه، ولا شيء من غير المعصوم يبرئ عن الخبث، والإمام عليه السلام ينبغي أن يكون بريئاً عنه ما دام إماماً بالضرورة أو الدوام، فغير المعصوم لا يكون إماماً بالضرورة أو الدوام، فغير المعصوم لا يكون إماماً بالضرورة.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة فقال: تأويله ما ذكره عليّ بن إبراهيم في تفسيره قال: روي عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: شجرة طيّبة أصلها ثابت في بني

---

(١) إبراهيم (١٤): ٥.

(٢) تفسير الصافي ٣: ٨٠، وراجع: تفسير القمّي ١: ٣٦٧، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٤١ ح ١.

(٣) الكرّة: الرجعة.

(٤) الخصال ١: ١٠٨ ح ٧٥، وعنه في: تفسير الصافي ٣: ٨٠، وراجع: معاني الاخبار: ٣٦٥ باب معنى أيّام الله عزّ وجلّ.

(٥) إبراهيم (١٤): ٢٤ ـ ٢٥.

هاشم، وفرع الشجرة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وغصن الشجرة فاطمة عليها السلام، وثمرتها الحسن والحسين والأئمّة من ولد عليّ وفاطمة عليهم السلام، وعلم الأئمّة من أولادهم أغصانها، وشيعتهم ورقها، وإنّ المؤمن من شيعتنا ليموت فتسقط من تلك الشجرة ورقة، وإنّ المؤمن ليولد للمؤمن منهم فتورق الشجرة ورقة.

قلت: أرأيت قوله: «تؤتي أُكلّها كلّ حين بإذن ربّها»؟ قال: علمها وهو ما يفتي به الأئمّة عليهم السلام وشيعتهم في كلّ حجّ وعمرة من الحلال والحرام فضرب الله لآل محمّد صلى الله عليه وآله هذا مثلاً إنّهم في الناس على هذا القياس، ثمّ ضرب لأعدائهم ضدّه فقال: ﴿ **وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَالَهَا مِن قَرَارٍ** ﴾[١] معنى «اجتثّت» أي اقتلعت واقتطعت ما لها من قرار، أي ثبات في الأرض[٢].

وفي الكافي بعد فرعها: والأئمّة من ذريّتهما أغصانها، وعلم الأئمّة ثمرتها، وشيعتهم المؤمنون ورقها[٣].

وفي المجمع في تفسير «مثل كلمة خبيثة» عن الباقر عليه السلام: أنّ هذا مثل بني أُميّة[٤].

٧٩٠ ـ ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾[٥].

كلّ غير معصوم يمكن أن يكون ممّن يضلّه الله ويمنع عمّا يثبّت الله الذين

---

(١) إبراهيم (١٤): ٢٦.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٤٢ ح٢، وراجع: تفسير القمّي ١: ٣٦٩.

(٣) الكافي ١: ٤٢٨ ح٨٠ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، وعنه في: تفسير الصافي ٣: ٨٥، بحار الأنوار ٢٤: ١٤٢ ـ ١٤٣ ح١٢.

(٤) تفسير مجمع البيان ٦: ٧٥، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٨٦، بحار الأنوار ٢٤: ١٣٧.

(٥) إبراهيم (١٤): ٢٧.

آمنوا بالقول الثابت، الآية بالضرورة، ولا شيء من الإمام كذلك بالضرورة أو ما دام إماماً دائماً أو بالضرورة، ينتج في الكلّ: لا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة، والمقدّمات ظاهرة.

وأيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة قال: عند الموت وفي الآخرة. قال: في القبر عندما يُسأل عن ربّه وعن نبيّه وعن إمامه[1].

وروى الشيخ محمّد بن يعقوب بإسناده عن رجاله عن سويد بن غفلة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: إنّ ابن آدم إذا كان في آخر يوم من الدنيا وأوّل يوم من الآخرة مثّل له ماله وولده وعمله فيلتفت إلى ماله فيقول: والله إنّي كنت عليك حريصاً شحيحاً[2]، فما لي عندك؟ فيقول له: خذ منّي كفنك. قال: فيلتفت إلى ولده فيقول: والله إنّي كنت لكم لمحبّاً وعليكم لمحامياً، فما لي عندكم؟ فيقولون: نؤدّيك إلى حفرتك ونواريك فيها. فقال: فيلتفت إلى عمله فيقول: والله إنّي كنت فيك لزاهداً وإنّك كنت عليّ ثقيلاً، فما لي عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتّى أُعرض أنا وأنت على ربّك.

قال: فإن كان لله وليّاً أتاه أطيب خلق الله ريحاً وأحسنهم منظراً وأحسنهم رياشاً[3] فيقول: أبشر بروح وريحان وجنّة ونعيم ومقدمك خير مقدم، فيقول له: مَن أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح ارتحل من الدنيا إلى الجنّة، وإنّه ليعرف غاسله ويناشد عامله أن يعاجله فإذا أُدخل قبره جاء ملكا القبر يجرّان بأشعارهما

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٤٢ ذيل الحديث ٢، ورواه القمّي في: تفسيره ١: ٣٦٩ مسنداً عن أمير المؤمنين عليه السلام مفصّلاً.

(٢) الشُّحُّ: أشدّ البخل، وهو أبلغ من المنع من البخل، وقيل: البخل بالمال. النهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ٤٤٩ «شحح».

(٣) الرياش: اللباس الفاخر. الصحاح ٣: ١٠٠٨ «ريش».

ويخدّان الأرض بأنيابهما وأصواتهما كالرعد العاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف، فيقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ ومن إمامك؟ فيقول: الله ربّي، والإسلام ديني، ونبيّي محمّد صلى الله عليه وآله، وإمامي عليّ، فيقولان له: ثبّتك الله فيما يحبّ ويرضى، وهو قوله سبحانه: «يثبّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة». ثمّ يفسحان في قبره له باباً إلى الجنّة ويقولان له: نم قرير العين نوم الشاب الناعم، فإنّ الله يقول: ﴿**أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا**﴾[١].

قال: وإن كان لله عدوًّا فإنّه يأتيه أقبح خلق الله ريشاً وأنتنه ريحاً فيقول له: أبشر بنُزل من حميم وتصلية جحيم، وإنّه ليعرف غاسله ويناشد حملته أن يحبسوه، فإذا دخل قبره أتاه ملكا القبر فألقيا عنه أكفانه ثمّ يقولان له: من ربّك؟ وما دينك؟ ومن نبيّك؟ ومن إمامك؟ فيقول: لا أدري، فيقولان: لا دُريت ولا هُدِيتَ، ويضربان يافوخه بمرزبة[٢] معهما ضربة ما خلق الله من دابّة إلّا تذعر لها ما خلا الثقلين، ثمّ يفتحان له باباً إلى النار ثمّ فيقولان له: نَم بسوء حال، ويكون فيه من الضيق مثل ما فيه من القنا[٣] من الزجّ[٤] حتّى إنّ دماغه ليخرج من بين ظفره ولحمه ويسلّط الله عليه حيّات الأرض وعقاربها وهوامّها فتنهشه حتّى يبعثه الله من قبره يتمنّى قيام الساعة ممّا هو فيه من الشرّ، نعوذ بالله من عذاب القبر والبغض لآل محمّد عليهم السلام[٥].

---

(١) الفرقان (٢٥): ٢٤.

(٢) المِرْزَبة: عُصَيّة من حديد. لسان العرب ١: ٤١٦ «رزب».

(٣) القنا: جمع قناة، وهي الرمح. النهاية لابن الأثير ٤: ١١٧ «قنا».

(٤) الزجّ: الحديدة التي تُركَّبُ في أسفل الرمح، والجمع أزجاج وأزجّة. لسان العرب ٢: ٢٨٥ «زجج».

(٥) الكافي ٣: ٢٣١ ح ١ باب أنّ الميّت يمثّل له ماله وولده وعمله قبل موته. ورواه أيضاً العيّاشي في: ⇐

٧٩١ ـ ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ * وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ** ﴾[1].

الاستدلال به على طريق الشكل الثاني.

٧٩٢ ـ وأيضاً إنّه قد تحقّق أنّ الرحمة والنعمة مترادفان عرفاً، وإنّ الإمام كالنبيّ صلى الله عليه وآله رحمة لقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾[2] فإنّه عليه السلام قائم مقامه في ذلك، فيكون مثله رحمة ونعمة، فإذا كان رحمة منه سبحانه فلو جاز عليه العصيان لما كان رحمة، هذا خلف. ولو قلنا إنّه عاص من حيث ذلك لكنّا بدّلنا نعمة الله تعالى.

٧٩٣ ـ وثالث الأوجه: أنّ بيان النعمة واجب وإلّا لزم التكليف بما لا يطاق فيجب البيان وليس إلّا بالإمام، ومقدّمات كلّ من تلك الأدلّة مبرهنة مسلّمة.

وأُيّد ذلك بما في تأويل الآيات الظاهرة فقال: تأويله ما ذكره عليّ بن إبراهيم في تفسيره بإسنادٍ يرفعه إلى زيد الشحّام عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «ألم تر إلى الذين» الآية، قال: نزلت في الأفجرين: بني أُميّة وبني المغيرة؛ فأمّا بنو المغيرة فقطع الله دابرهم، وأمّا بنو أُميّة فمتّعوا حتّى حين[3].

⇐ تفسيره ٢: ٢٢٧ ح ٢٠، والصدوق في من لا يحضره الفقيه ١: ١٣٧ باب غسل الميّت، والشيخ الطوسي في: أماليه: ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ح ٥٩/٧١٩، والبحراني في: تفسير البرهان ٣: ٣٠٤ ح ٥٧٣٤، والمجلسي في: البحار ٦: ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ح ٢٦، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٤٣ ح ٣. وفي بعض المصادر المذكورة ورد مع اختلاف قليل).

(١) إبراهيم (١٤): ٢٨ ـ ٣٠.

(٢) الأنبياء (٢١): ١٠٧.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٤٤ ح ٤، وراجع: تفسير القمّي ١: ٣٧١، وعنه في: تفسير الصافي ٣: ٨٧.

ويؤيّده ما ذكره أبو عليّ الطبرسي رحمه الله قال: سأل رجل أميرالمؤمنين عليه السلام عن هذه الآية، فقال: هما الأفجران من قريش: بنو أُميّة وبنو المغيرة؛ فأمّا بنو أُميّة فمتّعوا إلى حين، وأمّا بنو المغيرة فيكفيهم يوم بدر(١).

ويعضده ما ذكره محمّد بن يعقوب بإسناده إلى عبدالله بن كثير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «ألم تر إلى الذين» الآية، قال: عنى بها قريشاً قاطبة الذين عادوا رسول الله صلى الله عليه وآله ونصبوا له الحرب وجحدوا وصيّة وصيّه عليّ ابن أبي طالب عليه السلام(٢).

وروى أيضاً عن الأصبغ بن نباتة قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: ما بال أقوام غيّروا سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وعدلوا عن وصيّه لا يخافون أن ينزل بهم العذاب، ثمّ تلا هذه الآية، ثمّ قال: نحن النعمة التي أنعم الله بها على عباده وبنا يفوز من فاز يوم القيامة(٣).

٧٩٤ ـ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۞ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ رَبَّنَا إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾(٤).

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٤٥ ح٥، وراجع: تفسير مجمع البيان ٦: ٧٨، وعنه في: تفسير الصافي ٣: ٨٧. ورواه الشيخ الطوسي في: تفسير التبيان ٦: ٢٩٤ بعنوان «روي».

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٤٥ ح٦، وراجع: الكافي ١: ٢١٧ ح٤ باب أنّ النعمة التي ذكرها الله عزّوجلّ في كتابه الأئمّة عليهم السلام، وانظر: تفسير العيّاشي ٢: ٢٢٩ ح٢٣، تفسير الصافي ٣: ٨٧، تفسير البرهان ٣: ٣٠٦ ح٥٧٣٩، بحار الأنوار ١٦: ٣٥٩ ح٥٦، تفسير نور الثقلين ٢: ٥٤٢ ـ ٥٤٣ ح٨٠.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٤٥ ح٧، وراجع: الكافي ١: ٢١٧ ح١ كتاب الحجّة ـ باب أنّ النعمة التي ذكرها الله عزّوجلّ في كتابه الأئمّة عليهم السلام.

(٤) إبراهيم (١٤): ٣٥ ـ ٣٧.

وجه الاستدلال: أنّ كلّ غير معصوم يمكن أن يكون من عبدة الأوثان ومن المضلّين غير تابعين ومن غير من تهوي إليهم الناس بالضرورة، ولا شيء من الإمام كذلك بالضرورة أو بالدوام أو ما دام إماماً بالضرورة أو الدوام، ينتج: لا شيء من الإمام بغير معصوم بعد عكسها بالعكس المستوي، وإنّ الإمام من ذريّته عليه السلام كما مرّ، فإن كان من العاصين مع إمكان غيره لزم الترجيح من دون مرجّح، وإنّ من الخلفاء من كان من عبدة الأوثان، واستعاذ إبراهيم في الدعاء من هؤلاء وقد تمنّى الإمامة لذريّته فقال: ﴿ **وَمِنْ ذُرِّيَتِي** ﴾ فقال: ﴿ **لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾[1] وذلك يدلّ على أن ليس لهم قابليّة ذلك الأمر.

وأُكّد بما مرّ في قوله: ﴿ **لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** ﴾.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة فقال: تأويله ما ذكره أبو عليّ الطبرسي رحمه الله قال: قوله «أسكنت من ذريّتي» أي بعض ذريّتي، ولا خلاف أنّه يريد ولده إسماعيل عليه السلام، وقوله: «بوادٍ غير ذي زرع» وهو وادي مكّة، وقوله: «فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم» بفتح الواو، ومعناه من هويت الشيء أحببته ومِلْتُ إليه ميلاً طبيعيّاً.

وهذا الدعاء من إبراهيم لولده إسماعيل عليه السلام وللصفوة من ذريّته، وهم النبيّ والأئمّة صلوات الله عليهم لما روي عن الباقر عليه السلام أنّه قال: نحن بقيّة تلك العترة، وإنّما كانت دعوة إبراهيم لنا خاصّة[2].

وذكر عليّ بن إبراهيم في تفسيره قال: قوله: «فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات» أي من ثمرات القلوب[3].

---

(١) البقرة (٢): ١٢٤.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٤٦ ح٨، وراجع: تفسير مجمع البيان ٦: ٨٤.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٤٦ ذيل الحديث ٨، وراجع: تفسير القمّي ١: ٣٧١.

وقد استجاب الله دعاء إبراهيم في الصفوة الطاهرة من ذريّته عليه السلام بحبّ المؤمنين إيّاهم وميلهم إليهم.

وفي هذا المعنى في الكافي عن زيد الشحّام قال: دخل قتادة على أبي جعفر عليه السلام فقال له وأجابه قتادة، فقال له عليه السلام: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾[(١)]، فقال قتادة: ذلك من خرج من بيته بزاد وراحلة وكراء حلال يريد هذا البيت كان آمناً حتّى يرجع إلى أهله.

فقال أبو جعفر عليه السلام: نشدتك بالله يا قتادة هل تعلم أنّه قد يخرج الرجل من بيته بزاد وراحله وكراء حلال يريد هذا البيت فيقطع عليه الطريق فتذهب نفقته ويضرب مع ذلك ضربة فيها اجتياحه؟[(٢)] قال قتادة: نعم اللهمّ. فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة! إن كنت فسّرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت، وإن قد أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت. ويحك يا قتادة! من خرج من بيته بزاد حلال وكراء حلال يؤمّ[(٣)] هذا البيت عارفاً بحقّنا يهوانا قلبه، كما قال الله سبحانه: «فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم» ولم يعن البيت فيقول إليه[(٤)]، فنحن والله دعوة إبراهيم التي من هوانا قلبه قبلت حجّته وإلّا فلا.

يا قتادة، فإذا كان كذلك كان آمناً من عذاب جهنّم يوم القيامة[(٥)].

---

(١) سبأ (٣٤): ١٨.

(٢) أي استئصاله وهلاكه.

(٣) في الكافي: «يروم».

(٤) أي لم يعن البيت فيقول مكان تهوي إليهم تهوى إليه، بل عني إيّاهم فقال: تهوي إليهم أهل البيت عليهم السلام، راجع: تفسير الصافي ١: ٢٢ (الهامش) نقلاً عن المصنّف.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٤٦ ح ٩، وراجع: الكافي ٨: ٣١١ ح ٤٨٥، وعنه في: تفسير البرهان ١: ٤٠ ح ١٢٣، الوافي ٢٦: ٤٤٣ ح ٢٥٥٣٦، تفسير الصافي ١: ٢٢.

وأُيّد ما ذكرنا بما في تفسير الصافي: العيّاشي عن الصادق عليه السلام أنّه أتاه رجل فسأله عن شيء فلم يجبه، فقال له الرجل: فإن كنت ابن أبيك فإنّك من أبناء عبدة الأوثان[١]. فقال له: كذبت، إنّ الله أمر إبراهيم أن ينزل إسماعيل بمكّة ففعل، فقال إبراهيم: «ربّ اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام» فلم يعبد أحد من ولد إسماعيل صنماً قطّ، ولكن العرب عبدة الأوثان[٢]، وقالت بنو إسماعيل: هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكفرت ولم تعبد الأصنام[٣].

وفي الاحتجاج عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: قد حظر على من مسّه الكفر تقلّد ما فوّضه إلى أنبيائه وأوليائه بقوله لإبراهيم: ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ**﴾[٤] أي المشركين؛ لأنّه سمّى الشرك بقوله: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[٥]، فلمّا علم إبراهيم عليه السلام أنّ عهد الله بالإمامة لا ينال عبدة الأصنام قال: «واجنبني» الآية[٦].

وفي الأمالي عن النبيّ صلى الله عليه وآله ما يقرب منه، وقال في آخره: فانتهت الدعوة إليّ وإلى أخي عليّ عليه السلام لم يسجد أحدٌ منّا لصنم قطّ، فاتّخذني الله نبيّاً، وعليّاً وصيّاً[٧].

والعيّاشي عن الصادق عليه السلام: من اتّقى الله منكم وأصلح فهو منّا أهل البيت. قيل:

---

(١) في تفسير العيّاشي: «الأصنام» بدل «الأوثان».

(٢) في تفسير العيّاشي: «الأصنام» بدل «الأوثان» أيضاً.

(٣) تفسير الصافي ٣: ٨٩، وراجع: تفسير العيّاشي ٢: ٢٣١ ح ٣١، وعنه في: تفسير البرهان ٣: ٣١١ ح ٥٧٥٩، تفسير نور الثقلين ٢: ٢٩٧ ح ٣٢، بحار الأنوار ٣: ٢٥٢ ح ١٠.

(٤) البقرة (٢): ١٢٤.

(٥) لقمان (٣١): ١٣.

(٦) الاحتجاج ١: ٣٧٣، وعنه في: تفسير الصافي ٣: ٨٩، تفسير نور الثقلين ٣: ٥٤٦ ح ٩٧، بحار الأنوار: ٩٠: ١١٦.

(٧) انظر: أمالي الشيخ الطوسي: ٣٧٣ ح ٦٢/٨١١.

منكم أهل البيت؟! قال: منّا أهل البيت، قال فيها إبراهيم: «فمن تبعني فإنّه منّي»(١).

وعن الباقر عليه السلام: من أحبّنا فهو منّا أهل البيت. قيل: منكم؟ قال: منّا والله، أما سمعت قول إبراهيم: «فمن تبعني فإنّه منّي»(٢).

وعنه عليه السلام: نحن هم ونحن بقيّة تلك الذريّة(٣).

وفي آخر: نحن والله بقيّة تلك العترة(٤).

وعنه عليه السلام: أما أنّه لم يَعْنِ الناس كلّهم، أنتم أُولئك ونُظَراؤكم، إنّما مثلُكم في الناس مثل الشَّعرة البيضاء في الثّور الأسود، ومثل الشَّعرة السوداء في الثّور الأبيض، وينبغي للناس أن يحجّوا هذا البيت، ويُعظّموه لتعظيم الله إيّاه، وأن يَلقونا حيث كنّا عن الأدلّاء إلى الله(٥).

وفي البصائر عن الصادق عليه السلام في حديث: وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا(٦).

---

(١) تفسير العيّاشي ٢: ٢٣١ ح٣٣، وراجع: تفسير الصافي ٣: ٩٠، تفسير نور الثقلين ٢: ٥٤٨ ح١٠٣.

(٢) تفسير العيّاشي ٢: ٢٣١ ذيل الحديث ٣٣، وراجع: تفسير الصافي ٣: ٩٠، تفسير نور الثقلين ٢: ٥٤٨ ح١٠٢.

(٣) تفسير العيّاشي ٢: ٢٣١ ح٣٥، وعنه في: تفسير الصافي ٣: ٩٠، تفسير نور الثقلين ٢: ٥٤٩ ح١٠٧.

(٤) تفسير العيّاشي ٢: ٢٣٢ ح٣٦ وأيضاً أورده في صفحة ٢٣٤ ضمن الحديث ٤١ من نفس الجزء، وعنه في: تفسير الصافي ٣: ٩٠، تفسير البرهان ٣: ٣١٣ ح٢/٥٧٦٥.

(٥) تفسير العيّاشي ٢: ٢٣٣ ح٣٩، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٩٠، تفسير البرهان ٣: ٣١٥ ح ٥٧٧٤، تفسير نور الثقلين ٢: ٥٥١ ح١١٥.

(٦) بصائر الدرجات: ١٤٩ ح٢ باب نادر، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٩١، تفسير نور الثقلين ٢: ٥٥١ ح١١٦.

سورة الحجر وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٧٩٥ ـ ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ إلى قوله: **﴿ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾**[1].

وجه الاستدلال به أنّه سبحانه قد أمر الملائكة بالسجود لنبيّه صلى الله عليه وآله، والمسجود أفضل من الساجد، هذا مضافاً إلى إكرامه عليه السلام بأنّه نفخ فيه من روحه وعظّم بأنّه خالقه وجاعله خليفة وبشراً، والملائكة معصومون لقوله تعالى: **﴿ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾**[2]؛ فالأفضل من المعصوم معصوم.

وإذا تقرّر ذلك فنقول: عليّ عليه السلام مساوٍ للنبيّ؛ لأنّه نفسه لقوله تعالى: **﴿ أَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾**[3] فإنّ الاتفاق على أنّ المراد به عليّ عليه السلام ـ كما مرّ ـ ولأخبار المؤاخاة مثل «نفسك نفسي»، ولأنّه تعالى سوّى بينه وبينه من إيجاب الإطاعة في قوله: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾**[4]؛ فعليّ عليه السلام معصوم، وكلّما كان عليّ عليه السلام معصوماً كان الإمام معصوماً؛ لأنّه لا قائل بالفرق فكلّ إمام معصوم، وهو المطلوب.

وفي قوله: **﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾** إلخ، إشارة إلى أنّ المعيّن للخليفة هو من كان له خلقه؛ لأنّه يحذو حذو **﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾**[5].

---

(١) الحجر (١٥): ٢٨ ـ ٣٨.
(٢) الأنبياء (٢١): ٢٧.
(٣) آل عمران (٣): ٦١.
(٤) النساء (٤): ٥٩.
(٥) البقرة (٢): ٣٠.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: القمّي والعيّاشي عن أميرالمؤمنين عليه السلام: وكان ذلك من الله تعالى تقدمة في آدم قبل أن يخلقه، واحتجاجاً منه عليهم، من الحديث وقد سبق مع صدره وذيله في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿**إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[١].

وفي التوحيد: إنّه سُئل عن قوله: «ونفخت فيه من روحي» فقال: روح اختاره الله واصطفاه وخلقه وأضافه إلى نفسه وفضّله على جميع الأرواح فنفخ منه في آدم[٢].

وفي حديث آخر: لأنّه اصطفاه على سائر الأرواح كما اصطفى بيتاً من البيوت.

وليعلم أنّ الأرواح مقدّرة[٣] في بدن الإنسان ويزيد عَدَدُها بزيادة صاحبها في الفضل والشرف، والأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم اختصّوا بروح لا يكون في غيرهم كما استفاض بالأخبار عن الأئمّة الأطهار صلوات الله عليهم بدوام الأزهار والإظهار[٤].

ففي الكافي عن أميرالمؤمنين أنّه جاء رجل إليه فقال: يا أميرالمؤمنين، إنّ أُناساً زعموا أنّ العبد لا يزني وهو مؤمن، ولا يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن، ولا يأكل الربا وهو مؤمن، ولا يسفك الدم الحرام وهو مؤمن، فقد ثقل علَيّ هذا وحرج منه صدري حين أزعم أنّ هذا العبد يصلّي صلاتي،

---

(١) تفسير الصافي ٣: ١٠٨، وراجع: تفسير القمّي ١: ٣٧(في تفسير سورة البقرة)، تفسير العيّاشي ٢: ٢٤٠ ح٧.

(٢) التوحيد: ١٧٠ ح١ باب ٢٧ معنى قوله عزّوجلّ «ونفخت فيه من روحي»، عنه في: تفسير الصافي ٣: ١٠٨، تفسير البرهان ٣: ٣٦٣ ح١٧/٥٨٥٣، تفسير نور الثقلين ٣: ١١ ح٣٢، ورواه أيضاً الصدوق في: معاني الأخبار: ١٦ ـ ١٧ ح١١، وعنه المجلسي في: بحار الأنوار ٤: ١١ ح٢.

(٣) في تفسير الصافي: «متعدّدة» بدل «مقدّرة».

(٤) انظر: تفسير الصافي ٣: ١٠٩.

ويدعو دعائي، ويناكحني وأُناكحه، ويوارثني وأوارثه وقد خرج من الإيمان من أجل ذنب يسير أصابه!

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: صدقت، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول، والدليل عليه كتاب الله، خلق الله عزّ وجلّ الناس ثلاث طبقات وذلك قول الله عزّ وجلّ في الكتاب: أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، والسابقون؛ فأمّا ما ذكره من أمر السابقين فإنّهم أنبياء مرسلون وغير مرسلين جعل الله فيهم خمسة أرواح: روح القدس وروح الإيمان وروح القوّة وروح الشهوة وروح البدن؛ فروح القدس بعثوا أنبياء مرسلين وغير مرسلين وبها علموا الأشياء، وبروح الإيمان عبدوا الله ولم يشركوا به شيئاً، وبروح القوّة جاهدوا عدوّهم وعالجوا معاشهم، وبروح الشهوة أصابوا لذيذ الطعام ونكحوا الحلال من شباب النساء، وبروح البدن دبّوا ودرجوا؛ فهؤلاء مغفور لهم، مصفوح عن ذنوبهم.

ثمّ قال: قال الله تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُم مَن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ**﴾[1]، ثمّ قال في جماعتهم: ﴿**وَأَيَّدَهُم بِروحٍ مِنْهُ**﴾[2]، يقول: أكرمهم بها ففضّلهم على من هو سواهم، فهؤلاء مغفور لهم مصفوح عن ذنوبهم.

ثمّ ذكر أصحاب الميمنة وهم المؤمنون حقّاً بأعيانهم جعل الله فيهم أربعة أرواح: روح الإيمان وروح القوّة وروح الشهوة وروح البدن، فلا يزال العبد يستكمل هذه الأرواح الأربعة ـإلى أن قال عليه السلام ـفأمّا أصحاب المشأمة فهم اليهود والنصارى، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ**

---

(١) البقرة(٢): ٢٥٣.

(٢) المجادلة(٥٨): ٢٢.

﴿أَبْنَاءَهُمْ﴾ يعرفون محمّداً والولاية في التوراة والإنجيل كما يعرفون أبناءهم في منازلهم، ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * الْحَقُّ مِن رَبِّكَ﴾ أنّك الرسول إليهم ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[١]، فلمّا جحدوا ما عرفوا ابتلاهم بذلك فسلبهم روح الإيمان وأسكن أبدانهم ثلاثة أرواح: روح القوّة وروح الشهوة وروح البدن، ثمّ أضافهم إلى الأنعام فقال: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾[٢]؛ لأنّ الدابّة إنّما تحمل روح القوّة وروح الشهوة وتعتلف بروح الشهوة وتسير بروح البدن.

فقال السائل: أحييت قلبي بإذن الله يا أميرالمؤمنين[٣].

وفي تفسير الصافي عن العيّاشي عنه عليه السلام أنّه سُئل عن اليوم الوقت المعلوم، فقال: أتحسب أنّه يوم يبعث فيه الناس؟ إنّ الله أنظره إلى يوم يبعث فيه قائمنا، كأنّ في مسجد الكوفة وجاء إبليس حتّى يجثوا[٤] بين يديه على ركبتيه فيقول: يا ويله من هذا اليوم فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه، فذلك هو يوم الوقت المعلوم[٥].

٧٩٦ ـ ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[٦].

الاستدلال بها من وجوه:

---

(١) البقرة (٢): ١٤٦ و ١٤٧.

(٢) الفرقان (٢٥): ٤٤.

(٣) الكافي ٢: ٢٨١ ـ ٢٨٣ ح ١٦ باب الكبائر.

(٤) يجثوا: هو الذي يَجلس على رُكْبَتَيه. النهاية في غريب الحديث والأثر ١: ٢٣٩ «جثا».

(٥) تفسير الصافي ٣: ١١٢، وراجع: تفسير العيّاشي ٢: ٢٤٢ ح ١٤.

(٦) الحجر (١٥): ٣٩ ـ ٤٢.

الأوّل: أنّ «لأغوينّهم» فعل، وهو في الإثبات يفيد الإطلاق، وهو يفيد العموم في النفي، كما بعد «إلّا» الذي استثنى من الإثبات فتفيد نفي الغواية عن المُخْلَصين على إطلاق العموم لأنّ نفي الماهية المطلقة يستلزم نفي كلّ شيء من أفرادها، وهذا يستلزم عصمة المُخْلَصين.

فإن قلت: ما الوجه في ذكر «منهم» فإنّ التوصيف يستغني عنه؟

قلت: يحتمل أن يكون «من» للتبيين وهو بيان للعباد، أي إنّ العباد من الناس لا من الملك وبه يردع ما يوهم من عدمه من أنّ المراد بالعباد المُخْلَصين الملائكة المقرّبون. ويمكن أن يراد به البدل إشارة إلى أنّ العبوديّة حقّهما فبهم بدلاً منهم والتبعيض ممكن وحينئذٍ يكون المراد بالمشار إليه في هذا البعض، والمراد بالصراط هو عليّ عليه السلام لما مرّ في سورة الحمد، فيكون المراد بـ«علي» بفتح اللّام: النهج، أي الصراط نهجي، و«علي» بكسر اللّام منوّناً قراءة فحينئذٍ يكون من العلوّ والشرف مرفوعاً على الوصفيّة، أو على أنّه خبر مبتدأ محذوف، ويمكن أن يقرأ على هذا مجروراً بالإضافة، أي هذا الذي ذكر من عدم الغواية الذي يستلزم العصمة، طريق عليّ عليه السلام.

وأُيّد بما في الكافي عن الصادق عليه السلام: هذا صراط عليّ مستقيم[1].

والعيّاشي عن السجّاد عليه السلام[2]: هو أميرالمؤمنين[3].

لا يقال: إنّ هذا الذي ذكرت لا يستلزم العصمة؛ لأنّ نفي مجرّد غواية الشيطان

---

(١) الكافي ١: ٤٢٤ ح٦٣ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، وعنه في: تفسير الصافي ٣: ١١٣.

(٢) في تفسير العيّاشي «عن عبدالله بن جعفر، عن أخيه» وفي تفسير الصافي كما في المتن.

(٣) تفسير العيّاشي ٢: ٢٤٢ ح١٥، وراجع: تفسير الصافي ٣: ١١٣.

لا يستلزم نفي الغواية المطلقة، فكيف نفى مطلق الغواية لإمكان الغواية بالنفس الأمّارة وغيرها من الذي ينشأ من المواد الإمكانيّة، ولو قلنا باستلزامه ذلك؛ لكان لابدّ من القول بنفي أحد موجبتي الغواية، وهو قول من النصارى أو بعض الفلاسفة.

لأنّا نقول: أوّلاً إنّ كونهم مُخْلَصين دليل على نفي الكلّ وإلّا فلا إخلاص، وبهذا ذكر وجه التوصيف بالإخلاص، فإنّ التبعيض يكفي في الاختصاص ونفي غواية الشيطان، فذكر الإخلاص لنفي غواية غيره.

وثانياً: أنّ كلّ من قال بنفي غواية الشيطان قال بنفي غواية غيره، ولا قائل بالتفصيل على ما دلّ عليه الاستقراء.

٧٩٧ ـ الثاني: ما في الألفين: إمّا أن لا يكون شيء من الناس معصوماً، أو يكون كلّ الناس معصوماً، أو يكون البعض معصوماً.

والأوّل باطل؛ لقوله: «إلّا عبادي» الآية، و«سلطان» نكرة في معرض النفي فيعمّ[1] وجوهه، وكلّ آت بذنب فللشيطان عليه سلطان في الجملة، وهو ينافي النفي الكلّي.

والثاني باطل بالإجماع، ومطلوبنا الثالث إمّا أن يكون هو الإمام وحده أو مع غيره.

والثالث؛ محال لقوله تعالى: ﴿ **أَفَمَن يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ** ﴾ الآية[2]، ولأنّ الاحتياج إلى عصمة الإمام أكثر من عصمة غيره، ولتأثيرها فيه وفي غيره من الناس،

---

(١) العدّة في أُصول الفقه ١: ٢٧٥، مبادئ الوصول إلى علم الأُصول: ١٢٢.

(٢) يونس (١٠): ٣٥.

وعصمة غيره لا تؤثّر إلّا فيه، فيكون هو أولى بالعصمة، والأوّل والثاني هو مطلوبنا[١].

٧٩٨ ـ الثالث: ما في الألفين: الإمام هادٍ بالضرورة، ولا شيء من الهادي بغاوٍ بالضرورة ما دام هادياً، ينتج لا شيء من الإمام بغاوٍ بالضرورة على قول القدماء[٢]، ودائماً على قول المتأخّرين[٣].

أمّا الصغرى؛ فلقوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا** ﴾[٤].

وأمّا الثانية؛ فظاهرة.

وإذا ثبت أنّ الإمام ليس بغاوٍ فهو معصوم لقوله تعالى: «إنّ عبادي ليس» الآية، فكلّ من اتّبع الشيطان فهو غاوٍ.

وبحكم هذه الآية الحصر بين الغاوين وغيرهم وبين المخلصين الذين ليس له عليهم سلطان؛ لهذه الآية ولقوله: «ولأغوينّهم أجمعين» الآية[٥].

وأُيّدت بما رواه الكليني في الكافي عن رجاله بإسناده أنّه قال لأبي بصير: يا أبا محمّد، ذكركم الله سبحانه في كتابه فقال: «إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان»، والله ما أراد بهذا إلّا الأئمّة وشيعتهم[٦].

الوجوه مؤكّدة بما في الطرائف عن الحافظ محمّد بن مؤمن فيما أورده في كتابه واستخرجه من التفاسير الاثني عشر ـ وهو من علماء الأربعة المذاهب

---

(١) الألفين: ٢٧٨ الثامن عشر من أدلّة المائة السابعة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٢) انظر: القواعد الجليّة في شرح الرسالة الشمسيّة: ٣٦٢ ـ ٣٦٣.

(٣) القواعد الجليّة في شرح الرسالة الشمسيّة: ٣٦٣.

(٤) الأنبياء (٢١): ٧٣.

(٥) الألفين: ٣٥٥ الثالث والستّون من أدلّة المائة الثامنة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٦) الكافي ٨: ٣٥ ضمن حديث ٦.

وثقاتهم ـ في تفسير هذه الآية بإسناده إلى قتادة عن الحسن البصري، قال: كان يقرأ هذا الحرف: «هذا صراط عليّ مستقيم»، فقلت للحسن: ما معناه؟ قال: يقول: هذا طريق عليّ بن أبي طالب عليه السلام ودينه طريق ودين مستقيم، فاتّبعوه وتمسّكوا به فإنّه واضح لا عوج فيه[١].

٧٩٩ ـ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[٢].

الإمام عليه السلام نصب ليعرّفهم طريق التقوى وما يحصل طريق التوبة وطرق النجاة المستلزم لدخول الجنّة وما فيها بالضرورة، ولا شيء من غير المعصوم يفعل ذلك بالإمكان، فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة.

وأُكّد بما في تأويل الآيات الظاهرة من تأويله ورد من طريق العامّة، وهو ما نقله أبو نعيم الحافظ عن رجاله عن أبي هريرة قال: قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: يا رسول الله، أنا أحبّ إليك أم فاطمة؟ قال: فاطمة أحبّ إليّ وأنت أعزّ عليّ منها، وكأنّي بك وأنت على حوضي تذود عنه الناس، وإنّ عليه أباريق عدد نجوم الدنيا[٣]، وأنت والحسن والحسين وحمزة وجعفر في الجنّة إخواناً على سررٍ متقابلين، وأنت معي وشيعتك، ثمّ قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: «نزعنا ما في صدورهم من غلّ إخواناً على سرر متقابلين»[٤].

ويؤيّده ما في الكافي: عن عمرو بن أبي المقدام عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: ألا

---

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٩٦ ح ١٣٥، وراجع: بحار الأنوار ٣٥: ٥٩.

(٢) الحجر (١٥): ٤٥ ـ ٤٧.

(٣) في المصدر: «السماء» وفي هامش المصدر عن بعض النسخ كما في المتن «الدنيا».

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٤٩ ح ٤، وراجع: تفسير البرهان ٣: ٣٧٤ ح ٥٨٩٥.

إنّ لكلّ شيء جوهراً وجوهر ولد آدم محمّد ﷺ، ونحن وشيعتنا بعدنا، حبّذا شيعتنا ما أقربهم من عرش الله وأحسن صنع الله إليهم يوم القيامة، والله لولا أن يتعاظم الناس ذلك أو يتداخلهم زهو[1] لسلّمت عليهم الملائكة قُبُلاً، والله ما من عبد من شيعتنا يتلو القرآن في صلاته قائماً إلّا وله بكلّ حرف مائة حسنة، ولا قرأ في صلاته جالساً إلّا وله خمسون حسنة، ولا في غير الصلاة إلّا وله عشر حسنات، وإنّ للصامت من شيعتنا لأجر من قرأ القرآن كلّه ممّن خالفه، أنتم والله على فرشكم نيام لكم أجر المجاهدين، وأنتم والله في صلاتكم لكم أجر الصافّين في سبيل الله، وأنتم والله الذين قال الله عزّ وجلّ: «ونزعنا ما في صدورهم من غلّ إخواناً على سرر متقابلين»، إنّما شيعتنا أصحاب الأربعة الأعين: عينان في الرأس وعينان في القلب، ألا إنّ الخلائق كلّهم كذلك، ألا إنّ الله عزّ وجلّ فتح أبصاركم وأعمىٰ أبصارهم[2].

٨٠٠ ـ **﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾** إلى قوله: **﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ * وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ * إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾**[3].

وجه الاستدلال: أنّ المستفاد منها أنّ الناس على ثلاثة أقسام: الضلالة في جميع أوقات عمره كما في الآية الأُولى وما يكون بعد هذه الآيات، والرشد والصلاح في جميع أيّام عمره كما في الآية الثانية، فإنّهم المتفرّسون الذين يثبتون

---

(١) في الوافي في بيان ذلك: الزهو الكبر والفخر، يعني لولا كراهة استعظام الناس ذلك أو كراهة أن يدخل الشيعة كبر وفخر لسلّمت الملائكة على الشيعة مقابلةً وعياناً. الوافي: ٥: ٨٠٨ ذيل الحديث ٣٠٧٢، وراجع: مجمع البحرين ١: ٢١٠ «زها».

(٢) الكافي ٨: ٢١٤ ح ٢٦٠.

(٣) الحجر (١٥): ٧٢ ـ ٧٧.

في نظرهم حتّى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته والاستقامة في البعض وضدّها في البعض على ما أشار تعالى إليه بقوله: «في ذلك للمؤمنين»، ويرشد إلى ذلك العطف وجمع الآية للمتوسّمين وإفراده بالمؤمنين مع تأخّره، وهذا الحصر عقليّ برهانيّ على ما مرّ غير مرّة.

فنقول: الإمام إمّا من الطائفة الأُولى وبطلانه ظاهر مجمع عليه بين الفريقين، أو من الثانية أو الثالثة، والثالث باطل مع إمكان الأوّل أو وجوده؛ لبطلان ترجيح المرجوح.

وأُيّد بما في تفسير الصافي في الكافي عن الباقر عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام في قوله «إنّ في ذلك لآيات للمتوسّمين»: كان رسول الله صلى الله عليه وآله المتوسّم، وأنا من بعده والأئمّة من ذريّتي المتوسّمون[1].

والعيّاشي عنه عليه السلام في هذه الآية قال: هم الأئمّة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله في هذه الآية[2].

وعن الصادق عليه السلام إنّه سُئل عن هذه الآية فقال: نحن المتوسّمون، والسبيل فينا مقيم[3].

وزاد القمّي: والسبيل طريق الجنّة[4].

---

(١) تفسير الصافي ٣: ١١٨، وراجع: الكافي ١: ٢١٩ ح ٥ كتاب الحجّة ـ باب أنّ المتوسّمين الذين ذكرهم الله تعالى هم الأئمّة، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٥١ ح ٩، بحار الأنوار ١٧: ١٣١ ح ٢.

(٢) تفسير العيّاشي ٢: ٢٤٧ ح٢٨، وعنه في: تفسير الصافي ٣: ١١٨، تفسير البرهان ٣: ٣٨٣ ح٥٩١٨.

(٣) تفسير العيّاشي ٢: ٢٤٧ ح٢٩، وعنه في: تفسير الصافي ٣: ١١٨، تفسير البرهان ٣: ٣٨٣ ح٥٩١٩.

(٤) تفسير القمّي ١: ٣٧٧، عنه في: تفسير الصافي ٣: ١١٨.

وعنه عليه السلام: «وإنّها لبسبيل مقيم» قال: لا يخرج منّا أبداً(١).

وفي البصائر عن الباقر عليه السلام: ليس مخلوق إلّا وبين عينيه مكتوبٌ: مؤمن أو كافر، وذلك محجوب عنكم وليس بمحجوبٍ عن الأئمّة من آل محمّد صلى الله عليه وآله، ثمّ ليس يدخل عليهم أحد إلّا عرفوه مؤمن أو كافر، ثمّ تلا هذه الآية(٢).

وفي الإكمال عن الصادق عليه السلام: إذا قام القائم عليه السلام لم يقم بين يديه أحد من خلق الرّحمٰن إلّا عرفه صالح أم طالح، وفيه آية للمتوسّمين وهو السبيل المقيم(٣).

والعيّاشي عنه عليه السلام: في الإمام آية للمتوسّمين، وهو السبيل المقيم ينظر بنور الله وينطق عن الله، لا يعزب عنه شيء ممّا أراد(٤).

فصلوات الله وسلامه على المتوسّمين أئمّة الدين وهداة المسلمين صلاة باقية في كلّ آن وحين.

تمّت المائة الثامنة فنشرع في المائة التاسعة

---

(١) تفسير الصافي ٣: ١١٨، وراجع: الكافي ١: ٢١٨ ح ٤ باب أنّ المتوسّمين الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه هم الأئمّة عليهم السلام، تفسير نور الثقلين ٣: ٢٣ ح ٨٣.

(٢) بصائر الدرجات: ٣٧٤ ح ١ باب ١٧ في الأئمّة عليهم السلام أنّهم المتوسّمون في الأرض وهم الذين ذكر الله في كتابه يعرفون الناس بسيماهم، عنه في: تفسير الصافي ٣: ١١٨، تفسير البرهان ٣: ٣٧٩ ح ٥٩٠٧ وانظر: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٥١ ح ١٠.

(٣) إكمال الدين وإتمام النعمة: ٦٧١ ح ٢٠، وعنه في: تفسير الصافي ٣: ١١٨ ـ ١١٩.

(٤) تفسير العيّاشي ٢: ٢٤٨ ح ٣١، عنه في: تفسير الصافي ٣: ١١٩.

[المائة التاسعة من أدلّة عصمة الإمام عليه السلام]

سورة النحل وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٨٠١ ـ ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١).

وجه الاستدلال: أنّ كلّ غير معصوم يمكن أن يكون من المخاطبين المشركين بالضرورة، ولا شيء من الإمام كذلك بالضرورة، فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة. ويكون مطلوبنا ووجوه أُخر على طريق الشكل الثاني ممكن.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة فقال: تأويلها ما ذكره المفيد في كتاب «الغيبة» بإسناده عن عبد الرّحمٰن بن كثير، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ «أتى أمر الله فلا تستعجلوه»، قال: هو أمرنا يعني قيام قائمنا آل محمّد صلى الله عليه وآله، أمرنا الله لا نستعجل به.

فيؤيّده إذا أتى ثلاثة جنود: الملائكة، والمؤمنون، والرعب. وخروجه عليه السلام كخروج رسول الله من مكّة وهو قوله: **﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾**(٢).(٣)

---

(١) النحل (١٦): ١.

(٢) الأنفال (٨): ٥.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٥٢ ح ١، وما ورد في المتن جاء في كتاب «الغيبة» للنعماني: ٢٤٣ ح ٤٣ مع اختلاف قليل، ولعلّه كون المفيد مصحّف النعماني. وأخرجه المجلسي في: البحار ٥٢: ٣٥٦ ح ١١٩ عن غيبة النعماني.

ويعني قوله «أتى أمر الله» يعني أمره آت وكلّ آت قريب، فكأنّه قد أتى، وجاز الإخبار عن الآتي بالماضي لصدق المخبر به، فكأنّه قد مضى.

ومثل ذلك في القرآن كثير كقوله: ﴿**وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا**﴾[١] وكقوله: ﴿**وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ**﴾[٢]، وقوله: «فلا تستعجلوه» خطاب للمكذّبين بقيام القائم عليه السلام من الله، وله منّا الإجلال والإكرام[٣].

٨٠٢ ـ ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[٤].

فيه حثّ على الشكر والاهتداء، فيلزم بيان مواضع الشكر وما به الاهتداء لبطلان إغراء المكلّف، والإمام لابدّ أن يكون منه وإلّا لزم على الحكيم ترك الأهمّ مع الاستباق بالأعم.

وأُيّد بما في الكافي عن أبي عبدالله قال: النجم رسول الله صلى الله عليه وآله، والعلامات هم الأئمّة عليهم السلام[٥].

وعن الرضا عليه السلام قال: نحن العلامات، والنجم رسول الله صلى الله عليه وآله[٦].

---

(١) الأعراف (٧): ٤٨.

(٢) الأعراف (٧): ٥٠.

(٣) انظر: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٥٢.

(٤) النحل (١٦): ١٤ـ١٦.

(٥) الكافي ١: ٢٠٦ ح ١ كتاب الحجّة ـ باب أنّ الأئمّة عليهم السلام هم العلامات التي ذكرها الله عزّ وجلّ، وعنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٥٢ـ٢٥٣ ح ٢.

(٦) الكافي ١: ٢٠٧ ح ٣ الباب المذكور في الهامش السابق، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٥٣ ح ٣، وورد في: تفسير العيّاشي ٢: ٢٥٦ ح ١٠ عن أبي الحسن عليه السلام، وعنه المجلسي في: البحار ٢٤: ٨١ ح ٢٦.

وذكر عليّ بن إبراهيم في تفسيره بإسناده إلى المعلّى[١]، عن أبي عبدالله قال: العلامات الأئمّة والنجم رسول الله وأميرالمؤمنين عليهما السلام[٢].

وفي المجمع قال أبو عبدالله عليه السلام: نحن العلامات، والنجم رسول الله صلى الله عليه وآله، ولقد قال: إنّ الله جعل النجوم أماناً لأهل السماء، وجعل أهل بيتي أماناً لأهل الأرض[٣].

وفي تفسير الصافي: في الكافي عن الصادق عليه السلام: إنّ الله تعالى جعل الأئمّة أركان الأرض أن تميد بأهلها[٤].

وفي الإكمال عن الباقر عليه السلام: لو أنّ الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله[٥].

٨٠٣ ـ ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُنكِرَةٌ وَهُم مُسْتَكْبِرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[٦].

الاستدلال به على طريق الشكل الثاني ظاهر، وإنّ المستكبرين جمع محلّى باللّام وهو يفيد العموم[٧]، فلو كان الإمام مستكبراً بالفعل لكان غير محبوبه تعالى.

---

(١) في المصدر: المعلّى بن خنيس.

(٢) تفسير القمّي ١: ٣٨٣ وفيه: النجم رسول الله صلى الله عليه وآله والعلامات الأئمّة عليهم السلام، وعنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٨٠ح ٢١، وما في المتن موافق لما في تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٥٣ ح ٤، وورد نحوه أيضاً في: تفسير العيّاشي ٢: ٢٥٥ ح٨.

(٣) تفسير مجمع البيان ٦: ١٤٦، وعنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٥٣ ح ٥.

(٤) تفسير الصافي ٣: ١٢٩، وراجع: الكافي ١: ١٩٦ ضمن الحديث ١ كتاب الحجّة ـ باب أنّ الأئمّة عليهم السلام هم أركان الأرض.

(٥) إكمال الدين وإتمام النعمة: ٢٠٢ ح٣، عنه في: تفسير الصافي ٣: ١٢٩.

(٦) النحل (١٦): ٢٢ ـ ٢٣.

(٧) راجع: مبادئ الوصول إلى الأصول: ١٢٢، العدّة في أُصول الفقه ١: ٢٧٦.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: القمّي والعيّاشي عن الباقر عليه السلام: «لا يؤمنون بالآخرة» يعني الرجعة، «قلوبهم منكرة» يعني كافرة «وهم مستكبرون» يعني عن ولاية عليّ عليه السلام، «إنّه لا يحبّ المستكبرين» يعني عن ولاية عليّ عليه السلام[١].

٨٠٤ ـ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[٢].

مثل ما مرّ.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: العيّاشي عن الباقر عليه السلام: «ماذا أنزل ربّكم» في عليّ «قالوا أساطير الأوّلين» سجع أهل الجاهليّة في جاهليّتهم، «ليحملوا أوزارهم» ليستكملوا[٣] الكفر يوم القيامة، «ومن أوزار الذين يضلّونهم» يعني كفر الذين يتولّونهم[٤].

والقمّي: يحملون آثامهم، يعني الذين غصبوا أميرالمؤمنين عليه السلام وآثام كلّ واحد من اقتدى بهم وهو قول الصادق عليه السلام[٥].

٨٠٥ ـ ﴿ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[٦].

الاستدلال على طريق الشكل الثاني ظاهر.

---

(١) تفسير الصافي ٣: ١٣٠، وراجع: تفسير القمّي ١: ٣٨٣، تفسير العيّاشي ١: ٢٥٧ ذيل الحديث ١٤.

(٢) النحل (١٦): ٢٤ و ٢٥.

(٣) في تفسير العيّاشي: «ليتكلّموا الكفر يوم القيامة» بدل «ليستكملوا الكفر يوم القيامة».

(٤) تفسير الصافي ٣: ١٣١، وراجع: تفسير العيّاشي ٢: ٢٥٧ ـ ٢٥٨، تفسير نور الثقلين ٣: ٤٨ ح ٥٨، بحار الأنوار ٦٩: ٢٢٢ ح ١٠، تفسير البرهان ٣: ٤١٢ ح ٦٠٠١.

(٥) تفسير القمّي ١: ٣٨٣، عنه في: تفسير الصافي ٣: ١٣١.

(٦) النحل (١٦): ٢٦.

مُؤيَّد بما في تفسير الصافي عن القمّي عن الصادق عليه السلام قال: وهو مثل لأعداء آل محمّد عليهم السلام [١].

٨٠٦ ـ ﴿ وَمِنْهُم مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾ [٢].

مثل ما مرّ.

ويُعضد بما في تفسير الصافي: العيّاشي عن الباقر عليه السلام: ما بعث الله نبيّاً قطّ إلّا بولايتنا والبراءة من أعدائنا وذلك قول الله تعالى: «ولقد بعثنا» الآية إلى قوله: «من حقّت عليه الضلالة» يعني بتكذيبهم آل محمّد صلى الله عليه وآله [٣].

٨٠٧ ـ ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٤].

كلّ غير معصوم منكر بالبعث واليوم الآخرة بالإمكان، ولا شيء من الإمام كذلك بالضرورة، فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة.

ويعضده بما في [كتاب] الكليني عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: قوله تبارك وتعالى: «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقّاً ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون»، قال: فقال: يا أبا بصير، ما تقول في هذه الآية؟ قال: قلت: إنّ المشركين يزعمون ويحلفون لرسول الله صلى الله عليه وآله أنّ الله لا يبعث الموتى. قال: فقال: تبّاً لمن قال هذا، سلهم هل كان المشركون يحلفون بالله أم باللّات والعزّى.

---

(١) تفسير الصافي ٣: ١٣٢، وراجع: تفسير القمّي ١: ٣٨٤.

(٢) النحل (١٦): ٣٦.

(٣) تفسير الصافي ٣: ١٤٣، وراجع: تفسير العيّاشي ٢: ٢٥٨ ح ٢٥، تفسير نور الثقلين ٣: ٥٣ ح ٧٩.

(٤) النحل (١٦): ٣٨.

قال: قلت: جعلت فداك، فأوجدنيه. فقال لي: يا أبا بصير، لو قد قام قائمنا [بعث الله] إليه قوماً من شيعتنا قُباع[1] سيوفهم على عواتقهم فيبلغ ذلك قوماً من شيعتنا لم يموتوا فيقولون: بعث فلان وفلان من قبورهم وهم مع القائم، فيبلغ ذلك قوماً من عدوّنا فيقولون: يا معشر الشيعة، ما أكذبكم! هذه دولتكم فأنتم تقولون فيها الكذب، لا والله ما عاش هؤلاء ولا يعيش أحد منهم إلى يوم القيامة. قال: فحكى الله قولهم فقال: «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت»[2]. فقال سبحانه وتعالى تكذيباً لهم: «بلى وعداً عليه حقّاً ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون» وهم أعداء أهل البيت عليهم السلام. ثمّ قال: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾ أي لشيعتهم وعدوّهم ﴿الَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من بعث الموتى وإحيائهم ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهم أعداؤهم ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ * إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ من إحياء الموتى ﴿أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[3].

وهذا دليل واضح في الرجعة فكن لها قائلاً، وعن المكذّبين بها عادلاً، وإلى المصدّقين بها مائلاً[4].

٨٠٨ إلى ـ ٨١٢ ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لَا تَعْلَمُونَ﴾[5].

الأمر بسؤالهم يستلزم عصمة أهل الذكر، وإلّا يلزم أمره سبحانه ورضاه

---

(١) قَبِيعَة السيف: ما على طرف مقبضه من فضّة أو حديد. الصحاح ٣: ١٢٦٠ قبع.

(٢) الكافي ٨: ٥٠ ح١٤، وعنه في: بحار الأنوار ٥٣: ٩٢ـ٩٣ ح١٠٢، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٥٣ـ ٢٥٤ ح٦، وورد أيضاً في: تفسير العيّاشي ٢: ٢٥٩ ح٢٦ مع اختلاف قليل، ومثله نقله ابن طاووس في كتابه سعد السعود: ٢٣٤ ـ ٢٣٥ (الطبعة المحقّقة بتحقيق فارس الحسّون) عن كتاب الشيخ المفيد فيما نزل في القرآن في أهل البيت عليهم السلام.

(٣) النحل (١٦): ٣٩ و٤٠.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٥٣ ـ ٢٥٥ ح٦.

(٥) النحل (١٦): ٤٣.

بالخطأ مع أنّه لا يأمر بالسوء والفحشاء.

وإنّه لابدّ من مزيّة لهم لعدم جواز ترجيح المساوي، فكيف ترجيح المرجوح؟ والرجحان والمزيّة ليس إلّا بالعصمة؛ لاشتراك الموادّ في ما سواها.

و«إن كنتم لا تعلمون» يقتضي العموم، فلابدّ أن يعلموا كلّ ما لا تعلمون، ومنه المتشابهات وغيرها، فليسوا إلّا المعصومين الراسخين؛ لأنّ العلم حقّه في الكلّ ينافي الخطأ في البعض.

وإنّ حكمه تعالى بأنّهم «أهل الذكر» أي أهل الشرف أو مقابل النسيان على ما في اللغة[1]، وعلى التقديرين يلزم عصمتهم، وإن كان المراد به القرآن أو النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ـ على ما ورد في الآثار[2] ـ فيفيد المطلوب أيضاً.

وإن لم يبيّن أهل الذكر باسمهم أو رسمهم أو بشيء تميّزوا به عن غيرهم؛ لزم التأخير عن وقت الحاجة أو التكليف بما لا يطاق وتكليف الجاهل، فيجب كونه عليه‌السلام منصوصاً بنحوٍ من الأنحاء، وذلك يستلزم عصمته لما مرّ غير مرّة، وإنّه لا يختصّ بقوم دون قوم وبعصر دون عصر على ما عليه اتفاق العلماء، ولوجود الداعي في كلّ زمان، ولعدم ترجيح عصر فيجب كونه في كلّ عصر، ويجب كونه أفضل لما مرّ، فيجب أنّه من أهل البيت عليهم‌السلام بالأدلّة الأُخرى، ولا يكون الأفضل بعد النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله إلّا عليّ عليه‌السلام.

---

(١) قال الجوهري في الصحاح ٢: ٦٦٤ «ذكر» ما لفظه: الذِكْرُ والذِكْرَىٰ، بالكسر: خلاف النسيان، وكذلك الذُكْرَة.

(٢) راجع: بصائر الدرجات ١: ٦٣ ح ٢٧، الكافي ١: ٢١١ ح ٤ كتاب الحجّة ـ باب أنّ أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمّة عليهم‌السلام، وانظر: بقيّة أحاديث الباب أيضاً، وسيأتي الإشارة إلى ذلك في كلام المصنّف.

ويؤكّد الأوجه ما في الطرائف عن العامّة[(١)]، وأُيّد بما في المجمع أنّ المراد بأهل الذكر أهل القرآن[(٢)]، ويقرب من ما رواه جابر بن يزيد ومحمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: نحن أهل الذكر وقد سمّى الله رسوله ذكراً في قوله: ﴿ **ذِكْرًا * رَسُولًا** ﴾[(٣)]، فعلى أحد الوجهين أنّهم أهل الذكر[(٤)].

ويؤيّده ما في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وآله الذكر، والأئمّة أهل الذكر[(٥)].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون. قلت: فإنّكم المسؤولون ونحن السائلون؟ قال: نعم. [قلت:] حقّ علينا أن نسألكم؟ قال: نعم. قلت: حقّ عليكم أن تجيبونا؟ قال: لا، ذلك إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل، ألم تسمع قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **هٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾[(٦)].[(٧)]

---

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٩٣ ـ ٩٤ ح ١٣١، وراجع: تفسير البرهان ٣: ٤٢٨ ـ ٤٢٩ ح ٦٠٥١.

(٢) تفسير مجمع البيان ٦: ١٥٩، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٥٥ ذيل الحديث ٦.

(٣) الطلاق (٦٥): ١٠ ـ ١١.

(٤) تفسير مجمع البيان ٦: ١٥٩، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٥٥ ح ٧، وراجع: بحار الأنوار ١١: ١٧، تفسير البرهان ٣: ٤٢٨ ح ٢٢/٦٠٥١.

(٥) الكافي ١: ٢١٠ ح ١ كتاب الحجّة ـ باب أنّ أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمّة عليهم السلام، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٥٥ ح ٨، بحار الأنوار ١٦: ٣٥٩ ح ٥٥، تفسير البرهان ٣: ٤٢٣ ح ١/٦٠٢٩.

(٦) صٓ (٣٨): ٣٩.

(٧) الكافي ١: ٢١٠ ـ ٢١١ ح ٣ كتاب الحجّة ـ باب أنّ أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمّة عليهم السلام، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٥٦ ح ١٠، ورواه صاحب تفسير البرهان عن أبي جعفر عليه السلام، راجع: تفسير البرهان ٣: ٤٢٦ ح ١٢/٦٠٤٠.

وفي تفسير الصافي في أخبار كثيرة: ورسول الله الذكر، وأهل بيته المسؤولون، وهم أهل الذكر[١].

وزاد في العيون عن الرضا عليه السلام: قال الله تعالى: ﴿**قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ**﴾[٢]؛ فالذكر رسول الله ونحن أهله[٣].

وفي البصائر[٤] عن الباقر، وفي الكافي[٥] عن الصادق عليهما السلام: الذكر القرآن، وأهله آل محمّد.

وزاد في الكافي: أمر الله بسؤالهم ولم يُؤمر بسؤال الجهّال، وسمّى الله القرآن ذكراً فقال: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾[٦].

والعيّاشي عن الباقر عليه السلام: قيل له: إنّ من عندنا يزعمون أنّ قول الله عزّ وجلّ: «فاسألوا أهل الذكر» أنّهم اليهود والنصارى؟ قال: إذاً يدعونكم إلى دينهم، ثمّ قال

---

(١) انظر: تفسير الصافي ٣: ١٣٧، وراجع: الكافي ١: ٢١٠ ـ ٢١١ أحاديث باب أنّ أهل الذين أمر الله بسؤالهم هم الأئمّة عليهم السلام، بصائر الدرجات ١: ٥٨ ـ ٦٣ أحاديث باب ١٩ في أئمّة أهل البيت عليهم السلام أنّهم أهل الذكر إن شاؤوا أجابوا وإن شاؤوا لم يجيبوا.

(٢) الطلاق (٦٥): ١٠ ـ ١١.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٣٩ «التاسعة» ضمن حديث ١ باب ٢٣ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفَرق بين العترة والأُمّة، عنه في: تفسير الصافي ٣: ١٣٧.

(٤) بصائر الدرجات ١: ٦٣ ح ٢٧، وفيه: «الذكر القرآن ونحن أهله» باب ١٩ في أئمّة آل محمّد عليهم السلام أنّهم أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم والأمر إليهم إن شاؤوا أجابوا وإن شاؤوا لم يجيبوا.

(٥) الكافي ١: ٢٩٥ ضمن الحديث ١ من كتاب الحجّة ـ باب الإشارة والنص على أميرالمؤمنين عليه السلام، وعنه في: تفسير الصافي ٣: ١٣٧.

(٦) النحل (١٦): ٤٤.

بيده إلى صدره[١]: نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون[٢].

٨١٣ ـ ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[٣].

عدم الاستكبار عن العبادة والاستباق بالمأمور على وجه العموم يستلزم عصمة الملائكة، وقد عرفت فيما أسلفنا على وجه الاستقصاء أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أفضل من الملائكة، وأنّ الإمام عليه السلام مساوي النبي صلى الله عليه وآله فيلزم عصمته؛ فتذكّر.

وأُيّدت المقدّمة الأُولى بما في المجمع: قد صحّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ لله ملائكة في السماء السابعة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة، ترعد فرائصهم[٤] من مخافة الله، لا تقطر دموعهم قطرة إلّا صارت ملكاً، فإذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم وقالوا: ما عبدناك حقّ عبادتك[٥].

٨١٤ ـ ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٦].

كونه بياناً وهدى ورحمة لا يتمّ إلّا بالمعصوم إذ أكثره مجمل وهو ظاهر لا يفيد

---

(١) في مرآة العقول ٢: ٤٣١: «إلى صدره» متعلق بـ«قال» بتضمين معنى الإشارة، أو القول بمعنى الفعل كما هو الشائع.

(٢) تفسير العيّاشي ٢: ٢٦٠ ح ٣٢، عنه في: تفسير الصافي ٣: ١٣٧. ورواه الكليني أيضاً في الكافي ١: ٢١١ ح٧ كتاب الحجّة ـ باب أنّ أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمّة عليهم السلام.

(٣) النحل (١٦): ٤٩ ـ ٥٠.

(٤) الفريصة: لحمة عند نُغْص الكتف، في وسط الجَنْب، عند مَنْبِض القلب، وهما فريصتان ترتعدان عند الفزع. تاج العروس ٩: ٣٢١ «فرص».

(٥) تفسير مجمع البيان ٦: ١٦٤، وعنه في: تفسير الصافي ٣: ١٣٩، تفسير نور الثقلين ٣: ٦٠ ح ١١٠، بحار الأنوار ٦٧: ٣٣٨.

(٦) النحل (١٦): ٦٤.

اليقين؛ ولذا اختلفوا فيه فلا يحصل إلّا بقول المعصوم، فيجب نصبه، وهو المطلوب.

٨١٥ـ ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ إلى قوله: **﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾**[(١)].

التصريح بذلك وغيره من الأُمور ممّا ينتفع به الإنسان، إمّا أن يكون أهمّ من الإمامة أو هي الأهمّ من مثل هذه أو كانا متساويين؛ بطلان الأوّل ظاهر، فلو كانا مساويين فالتصريح بأحدهما دون الآخر ترجيح المساوي، فلابدّ أن يكون مصرّحاً بها، والبيان في الثاني أظهر، فيبقى أن يكون المراد الأعمّ أو الأهمّ فإنّ ارتكاب أحد المجازين ليس أولى من الآخر؛ فتأمّل.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن الحسن بن أبي الحسن الديلمي بإسناده، عن رجاله عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: «وأوحى ربّك» الآية، قال: ما بلغ بالنحل أن يوحى إليها، بل فينا نزلت، فنحن النحل، ونحن المقيمون لله في أرضه بأمره، والجبال شيعتنا، والشجر النساء المؤمنات[(٢)].

ويؤيّده ما وجدته في مزارٍ بالحضرة الغرويّة سلام الله على مشرّفها في زيارة جامعة، وهو ما هذا لفظه: «اللهمّ صلّ على الفئة الهاشميّة، والمشكاة الباهرة النبويّة، والدوحة المباركة الأحمديّة، والشجرة الميمونة[(٣)] الرضيّة، التي تنبع

---

(١) النحل (١٦): ٦٨ـ٦٩.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٥٦ـ٢٥٧ ح١٢، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١١٠ ح٢، تفسير البرهان ٣: ٤٣٦ ح٦٠٧٨ عن الديلمي.

(٣) في هامش المصدر عن بعض النسخ: «المباركة».

بالنبوّة وتتفرّع بالرسالة، وتثمر بالإمامة، وتغذّي ينابيع الحكمة، وتسقى من مصفّى العسل، والماء العذب العذق الذي فيه حياة القلوب، ونور الأبصار الموحى إليه بأكل الثمرات، واتّخاذ البيوتات من الجبال والشجر وممّا يعرشون، السالك سُبل[١] ربّه التي من رام غيرها ضلّ، ومن سلك سواها هلك، (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) ».

[أيّها][٢] المستمع الواعي، القائل الداعي[٣].

فقد بان لك أنّ الموحىٰ إليه والمعنيّ بـه ليس هـو النـحل، فـإنّما هـو النـبيّ والأئمّة عليهم السلام.

توجيه التأويل الأوّل: إنّما سمّي الأئمّة عليهم السلام النحل، والشيعة الجبال، والنساء الشجر، على سبيل المجاز تسمية الشيء باسم مماثله.

ومعنى تسميتهم بالنحل؛ لأنّ النحل كما ذكر تعالى ﴿ **يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ** ﴾ وكذلك الأئمّة عليهم السلام يخرج من علومهم شراب تشرب منه قلوب المؤمنين «مختلف ألوانه» أي معانيه في علوم شتّى، «فيه شفاء للناس» من داء الجهل والعمى والالتباس.

وللنحل معنى آخر: وهو أنّه قد جاء في أسماء أميرالمؤمنين «أمير النحل» والنحل الأئمّة عليهم السلام فهو أميرهم، فهذا معنى النحل.

وأمّا الجبال، إنّما سمّي الشيعة الجبال؛ لأنّ الجبال أوتاد الأرض ـ أن تميد

---

(١) في كنز جامع الفوائد: «سبيل».

(٢) ما بين المعقوفتين أثبتناه من تأويل الآيات الظاهرة.

(٣) إلى هنا ورد في بحار الأنوار ٢٤: ١١٠ ـ ١١١ ح ٢ و٣.

بأهلها ـ [وكذلك][1] هم وأئمّتهم، ولارتفاع درجاتهم عند ربّهم عن غيرهم من الأنام.

وإنّما سمّي النساء الشجر؛ لأنّ الشجر إذا سقي الماء تفرّع له فروع، وكذلك النساء يلقحن من ماء الفحل ويتفرّع لهنّ فروع وهي الأولاد.

وقوله «النساء المؤمنات» لأنّ الخطاب لأئمّة المؤمنين، فما يعني إلّا النساء المؤمنات.

وأمّا معنى قوله: ﴿ **وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ** ﴾ وهم الأئمّة عليهم السلام؛ لأنّهم أهل بيت الوحي ﴿ **أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ** ﴾ وهم شيعتهم ﴿ **بُيُوتًا** ﴾ يأوون إليها ويتّقون بها، ويدعونها ويودعونها[2] علومهم، ويدّخرون فيها كنوز أسرارهم، بلا خشية منهم، ولا تقيّة، هذا ما وصل إليه الذهن من المعنى، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب[3].

٨١٦ـ ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[4].

التقابل وكونه أمراً بالعدل مع أنّه على الصراط المستقيم بما حكم الله تعالى يستلزم عصمته، كيف وإنّه لو صدر عنه معصية في حال الاستواء هو مع هذا وقد

---

(١) ما بين المعقوفتين أضفناه لمقتضى السياق.

(٢) في تأويل الآيات وكنز جامع الفوائد: «ويؤدونها» وفي هامش الأوّل عن بعض النسخ كما في المتن.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٥٧ ـ ٢٥٨ ح١٣، وراجع: كنز جامع الفوائد ١: ٢٧٣ ـ ٢٧٥.

(٤) النحل (١٦): ٧٦.

نفى الله تعالى على العموم التسوية؛ لأنّ «هل» للإنكار بمعنى النفي، والفعل نكرة في معرض النفي فهو يفيد العموم[١]، فنقول: لو كان الإمام غير معصوم لا يأمر بالعدل ولا يكون على الصراط المستقيم في الجملة، لكان يستوي هو وغيره، هذا خلف، وتساوي المكلّفين في وجه الحاجة لكن دفع حاجتهم موقوف على دفع حاجته إذ المحتاج في تحصيل الشيء لا يعني غيره في تحصيله إلّا بعد استغنائه وتحصيله، فإن كانت إمامته دافعة لحاجته لزم العصمة إذ وجه الحاجة جواز الخطأ وإن لم يكن دافعة لحاجته وتحقّق احتياجه لم يدفع حاجة غيره، فلا يصلح للإمامة.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة فقال: تأويله: قال أبو عليّ الطبرسي ﵀: قوله: «ضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء» من الكلام؛ لأنّه لا يفهم ولا يُفْهَم عنه، «وهو كَلّ على مولاه» أي ثقل ووبال على مولاه ووليّه الذي يتولّى أمره، «أينما يوجّهه لا يأت بخير» أي لا منفعة فيه لمولاه، «هل يستوي هو» أي هذا الرجل الأبكم «ومن يأمر بالعدل» ويأتمر به «وهو على صراط مستقيم» أي على طريق واضح ودين قويم فيما يأتي به ويذر، ويأمر وينهى، لا يخالجه شكّ ولا ارتياب.

والمراد من الجواب أنّهما لا يستويان قطّ، لأنّه لا جواب لهذا الكلام إلّا النفي[٢]. وإنّما ضرب الله هذا المثل في هذين الرجلين لأُولي البصائر والأبصار بحيث يحصل التميز والاعتبار بين الرجل الأبكم وبين الذي يأمر بالعدل وهو على

---

(١) العدّة في أُصول الفقه ١: ٢٧٥، مبادئ الوصول إلى علم الأُصول: ١٢٢.

(٢) تفسير مجمع البيان ٦: ١٨٢.

صراط مستقيم، فأمّا الرجل الأبكم فهو من قريش وكان مولاه النبيّ صلى الله عليه وآله وكان كلّاً عليه وكان لا يوجّهه إلّا وردّ خائباً مجبوهاً مخذولاً بلا خير ولا نفع، وأمّا الذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم فهو أميرالمؤمنين عليه السلام.

لما رواه أبو عبدالله الحسين بن جبير في كتابه نخب المناقب حديثاً مسنداً عن حمزة بن عطاء عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «هل يستوي هو» الآية، قال: هو أميرالمؤمنين عليه السلام يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم[١].

٨١٧ ـ ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[٢].

غير المعصوم يجوز عليه ذلك فلا يجوز اتّباعه.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: القمّي عن الصادق عليه السلام: نحن ـ والله ـ نعمة الله التي أنعم بها على عباده، وبنا فاز من فاز[٣].

وفي الكافي عنه، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام في هذه الآية قال: لمّا نزلت **﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾** الآية[٤] اجتمع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد المدينة فقال بعضهم لبعض: ما تقولون في هذه الآية؟ فقال بعضهم: إن كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرها، وإن آمنّا فهذا أوّل ذُلّ حين يسلّط علينا ابن أبي طالب. فقالوا: قد علمنا أنّ محمّداً صادق فيما يقول ولكنّا نتولّاه[٥] ولا نطيع

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٥٨ ح ١٤ و١٥.

(٢) النحل (١٦): ٨٦.

(٣) تفسير الصافي ٣: ١٤٩، وراجع: تفسير القمّي ١: ٣٨٨، وعنه في: تفسير البرهان ٣: ٤٤٢ ح٦١٠٨.

(٤) المائدة (٥): ٥٥.

(٥) في المخطوط وتفسير الصافي: «ولكنّا لا نتولّاه» وما أثبتناه من الكافي وبقيّة المصادر. في ⇐

عليّاً عليه السلام فيما أمرنا. قال: فنزلت هذه الآية: «يعرفون نعمت الله ثمّ ينكرونها» يعني ولاية عليّ عليه السلام[١].

٨١٨ ـ ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هٰؤُلَاءِ ﴾[٢].

عمومه يقتضي أنّ لهذه الأُمّة التي بعد النبيّ صلى الله عليه وآله شهيداً مؤكّدة بما في العقل، ولا ريب أنّ مقام الشاهد أعلى رتبة من المشهود، فلابدّ له من رجحان، وهو ليس إلّا بالعصمة، والشهادة ليس إلّا بالعدالة، العدالة في حقّ الأنبياء الشاهدين هي المطلقة، فكذا حال الشاهدين من الأئمّة.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن الصادق عليه السلام قال: لكلّ زمان وأُمّة إمام، تُبعث كلّ أُمّة مع إمامها[٣].

وعن عليّ بن إبراهيم في تفسيره: لكلّ أُمّة إمام، يعني يشهد عليها يوم القيامة[٤].

وقال: يعني الأئمّة عليهم السلام. ثمّ قال لنبيّه صلى الله عليه وآله: «وجئنا بك شهيداً على هؤلاء»، يعني

⇐ شرح أُصول الكافي للمازندراني ٧: ٩٢ قال: ضمير «نتولّاه» راجع إلى محمّد صلى الله عليه وآله وإرجاعه إلى علي عليه السلام بعيد لفظاً ومعنى.

(١) الكافي ١: ٤٢٧ ح٧٧ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، عنه في: تفسير الصافي ٣: ١٤٩، تفسير البرهان ٣: ٤٤٢ ح٦١٠٧، بحار الأنوار ٢٤: ٦٣ ح٤٩، تفسير نور الثقلين ٣: ٧٢ ح١٦٧.

(٢) النحل (١٦): ٨٩.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٥٩ ذيل الحديث ١٦، وراجع: تفسير مجمع البيان ٦: ١٨٨، تفسير القمّي ١: ٣٨٨، وانظر: بحار الأنوار ٧: ٣٠٧.

(٤) حكاه عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٦٠ ولم نعثر عليه في: تفسير علي بن إبراهيم.

على الأئمّة عليهم السلام[١].

٨١٩ ـ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[٢].

كونه كذلك بالبيان الذي هو الإمام، وهو ظاهر لعدم وفاء غيره، ولا يتمّ إلّا بعصمته.

٨٢٠ ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾[٣].

غير المعصوم بالفعل يأمر بضدّه وينهى عن ضدّ الفحشاء كلّها بالفعل؛ لأنّ الفحشاء جمع محلّى بالألف واللام يفيد العموم[٤]، ولا شيء من الأمر كذلك بالفعل بهادٍ بالضرورة، فلا شيء من غير المعصوم بهادٍ أو بإمام بالضرورة.

وبالشكل الثاني أيضاً ممكن.

وأُيّد بما قال عليّ بن إبراهيم في تفسيره من أنّ العدل رسول الله صلى الله عليه وآله والإحسان أميرالمؤمنين عليه السلام، وذي القربى الأئمّة عليهم السلام، «وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي» وهم أعداؤهم[٥].

ويعني ذلك أنّ الله سبحانه أمر بثلاثة وهي: العدل، والإحسان، وإيتاء ذي

---

(١) تفسير القمّي (علي بن إبراهيم) ١: ٣٨٨، وعنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٦٠ ح١٨.

(٢) النحل (١٦): ٨٩.

(٣) النحل (١٦): ٩٠.

(٤) راجع: العدّة في أُصول الفقه ١: ٢٧٦، مبادئ الوصول إلى علم الأُصول: ١٢٢.

(٥) تفسير القمّي ١: ٣٨٨ وفيه: العدل شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله والإحسان أميرالمؤمنين عليه السلام والمنكر والبغي فلان وفلان. وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٦٠ ح١٩، وانظر: بحار الأنوار ٢٤: ١٩٠ ح١٢، تفسير فرات الكوفي ١: ٢٣٦.

القربى. وكنّى بالعدل عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وبالإحسان عن الوصي، وذلك على سبيل المجاز تسمية المضاف إليه باسم المضاف.

ومثله قوله: ﴿ **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ** ﴾[1]، أي أهل القرية، وكذلك النبيّ والوصيّ عليهما السلام، أيّ النبي أهل العدل، والوصي أهل الإحسان. وأمّا قوله «ذي القربى» أنّهم الأئمّة عليهم السلام، قال: ذلك حقيقة لا مجاز؛ لأنّهم أقرب القرباء إليهما صلوات الله عليهما وعليهم.

وينهى سبحانه عن ثلاثة أشياء وهي: الفحشاء، والمنكر، والبغي. وكنّى بذلك عن أعدائهم وسمّاهم بذلك مجازاً أيضاً، أي أهل الفحشاء والمنكر والبغي[2].

ويؤيّده ما في تأويل الآيات الظاهرة: عن الحسن بن الحسن الديلمي رحمه الله عن رجاله بإسناده إلى عطيّة بن الحارث عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «إنّ الله يأمر بالعدل» الآية، قال: العدل شهادة الإخلاص وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، والإحسان ولاية أمير المؤمنين والإتيان بطاعتهما صلوات الله عليهما، وإيتاء ذي القربى الحسن والحسين والأئمّة من ولده عليهم السلام، «وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي» وهو من ظلمهم وقتلهم ومنع حقوقهم[3].

وموالاة أعدائهم، فهي المنكر الشنيع والأمر الفظيع[4].

٨٢١ـ ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ

---

(١) يوسف (١٢): ٨٢.

(٢) راجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٣) بحار الأنوار ٢٤: ١٨٨ ح٧ عن إرشاد القلوب، تفسير البرهان ٣: ٤٤٩ ح٦١٣٧ عن إرشاد القلوب أيضاً.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٦١ ح ٢٠.

اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّما يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُم تَعْمَلُونَ * وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١].

الاستدلال بها على طريق الشكل الثاني ظاهر بالوجوه السابقة؛ فتأمّل.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة منقولاً عن الكليني عن زيد بن الجهم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: لمّا فرض الله ولاية عليّ عليه السلام فكان من قول رسول الله صلى الله عليه وآله للناس الأوّل والثاني: سلِّموا عليه بإمرة المؤمنين، فكان ممّا أكّد الله سبحانه عليهما في ذلك اليوم بأزيد من قول النبيّ صلى الله عليه وآله: قوما فسلّما عليه بإمرة المؤمنين، فقالا: أمن الله أو من رسوله يا رسول الله؟ فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله: بل من الله ومن رسوله صلى الله عليه وآله. فلمّا سلّما عليه بإمرة المؤمنين أنزل الله عزّ وجلّ: «وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم» إلى قوله: «ما تفعلون» يعني به قول رسول الله صلى الله عليه وآله لهما وقولهما له: أمن الله أو من رسوله، **﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ﴾** أئمّة[٢] هي أزكى من أئمّتكم. قال: قلت: جعلت فداك، أئمّة؟ قال: إي والله أئمّة. قلت: فإنّا نقرأ «أربى». فقال: وما أربى؟ ـ وأومأ بيده وطرحها ـ وقال: «إنّما يبلوكم الله به» يعني بعليّ عليه السلام

---

(١) النحل (١٦): ٩١ ـ ٩٤.

(٢) في هامش المصدر عن بعض النسخ: «أُمّة».

«وليبيّن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون» إلى قوله: «بعد ثبوتها» يعني بعد مقالة الرسول صلى الله عليه وآله في عليّ عليه السلام «وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله» يعني به عليّاً عليه السلام «ولكم عذاب عظيم»[1].

وقال عليّ بن إبراهيم في تفسيره: قوله عزّ وجلّ: «وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم» يعني عهد أميرالمؤمنين الذي أخذه رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ قال الله لهم ناهياً محذّراً: «ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً» وهذه إشارة إلى امرأة كانت بمكّة وكان لها جوار تأمرهنّ أن يغزلن الصوف وهي معهنّ من الفجر إلى الزوال، ثمّ تأمرهنّ أن ينكثن ما غزلنه من الزوال إلى الغروب وكان هذا دأبها، فضرب الله بها المثل، أي فإن نقضتم عهد أميرالمؤمنين المؤكّد المبرم من الله ومن رسوله كنتم كهذه المرأة التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً[2].

قال: وأمّا قوله: «أن تكون أُمّة هي أربى من أُمّة» فإنّه روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال لقارئ هذه الآية: ويحك! «ما أربى»، إنّما أُنزل: أن تكون أئمّة هي أزكى من أئمّتكم، «إنّما يبلوكم الله به» أي يختبركم بعهد الله ورسوله في أمير المؤمنين عليه السلام[3].

ومعنى قوله: «أئمّة هي أزكى من أئمّتكم» أي أطهر، والطاهر المعصوم فهم المعصومون[4].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٦٢ ح ٢١، وراجع: الكافي ١: ٢٩٢ ح ١ كتاب الحجّة ـ باب الإشارة والنص على أميرالمؤمنين عليه السلام، عنه في: تفسير البرهان ٣: ٤٥٠ ح ٦١٣٩، وأخرج نحوه المجلسي في البحار ٣٦: ١٤٨ ـ ١٤٩ ح ١٢٦، عن تفسير العيّاشي ٢: ٢٦٨ ح ٦٤.

(٢) تفسير القمّي ١: ٣٨٩، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٦٣ ح ٢٢.

(٣) تفسير القمّي: ٣٨٩، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٦٣ ذيل الحديث ٢٢.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٦٣.

وفي تفسير الصافي: في الجوامع عن الصادق عليه السلام: نزلت هذه الآيات في ولاية عليّ عليه السلام، والبيعة له هي حين قال النبيّ صلى الله عليه وآله: سلِّموا على عليّ بإمرة المؤمنين[١].

وزاد القمّي: جعلكم أُمّة واحدة على مذهب واحد وأمر واحد «لكن يضلّ من يشاء» يعذّب بنقض العهد «ويهدي من يشاء» قال: يثيب[٢].

والعيّاشي ما يقرب منه[٣].

وعنه عليه السلام: «التي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً» هي فلانة، نكثت أيمانها[٤].

٨٢٢ـ ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾[٥].

الإمام إمّا من الفرقة الثانية أو من الأُولى، الثاني ظاهر البطلان بالإجماع وغيره، فثبت كونه منهم، ونفي تسلّط الشيطان عنهم على العموم يستلزم عصمة كلّهم أو بعضهم لا أقلّ به رفع تسلّطه عن غيره، فإنّه لو حكمنا بعد ذلك على الأخبار بتجويز تسلّطه على من نفى تسلّطه على العموم يستلزم الحكم بغير ما أنزل، وهو على حدّ الكفر.

---

(١) تفسير الصافي ٣: ١٥٣ـ ١٥٤، وراجع: تفسير جوامع الجامع ٢: ٣٤٦.

(٢) تفسير القمّي ١: ٣٨٩، عنه في: تفسير الصافي ٣: ١٥٤، تفسير البرهان ٣: ٤٥١ ح٦١٤٢، بحار الأنوار ٣٦: ١٧٠ ضمن حديث ١٥٧، تفسير نور الثقلين ٣: ٨٢ ح ٢١٠.

(٣) انظر: تفسير العيّاشي ٢: ٢٦٨ـ ٢٦٩.

(٤) تفسير العيّاشي ٢: ٢٦٩ ح٦٥، وراجع: تفسير الصافي ٣: ١٥٤.

(٥) النحل (١٦): ٩٨ـ ١٠٠.

هذا مضافاً إلى أنّ الإيمان والتوكّل يتوقّف على ما يحصل به يقيناً، وهو ليس إلّا بالمعصوم.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة فقال: روى عليّ بن إبراهيم عن حمّاد بن عيسى يرفعه بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قوله تعالى: «إنّه ليس له سلطان» الآية، فقال أبو عبدالله عليه السلام: ليس له عليهم سلطان أن يزيلهم عن الولاية، وأمّا الذنوب فإنّهم ينالونها كما تنال من غيرهم (١).

ويؤيّده ما نقله الشيخ محمّد بن يعقوب رحمه الله بإسناده إلى أبي بصير عن أبي عبدالله قال: قلت له: قوله عزّ وجلّ: «فإذا قرأت القرآن» الآية، فقال: يا أبا محمّد، يسلّط والله من المؤمن على بدنه ولا يسلّط على دينه كما فعل في أيّوب عليه السلام فشوّه خلقه ولم يسلّط على دينه، وقد يسلّط من المؤمنين على أبدانهم ولا يسلّط على دينهم.

قلت: فقوله عزّ وجلّ: «إنّما سلطانه على الذين يتولّونه والذين هم به يشركون»؟ قال: الذين كفروا بالله وبه مشركون يسلّط على أديانهم وعلى أبدانهم (٢).

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٦٣ ح٢٣، وراجع: بحار الأنوار ٦٣: ٢٥٥ ح١٢٣، تفسير البرهان ٣: ٣٩٠، ورواه العيّاشي في تفسيره ٢: ٢٧٠ ح٦٩ مرفوعاً إلى أبي عبدالله عليه السلام.

(٢) الكافي ٨: ٢٨٨ ح٤٣٣، وعنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٦٤ ح٢٤، بحار الأنوار ٦٣: ٢٦٤ ح٤٨، ورواه العيّاشي مرسلاً في: تفسيره ٢: ٢٦٩ ح٦٦.

سورة الإسراء وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٨٢٣ ـ ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١).

هذا يدلّ على عصمة النبيّ صلى الله عليه وآله فكذا ما كان مساويه.

قال في تأويل الآيات الظاهرة: تأويله ما رواه عليّ بن إبراهيم رحمه الله، عن أبيه، عن عبدالله بن المغيرة، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «سبحان الذي أسرى» الآية، قال: روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: بينا أنا راقد بالأبطح، وعليّ عن يميني، وجعفر عن يساري، وحمزة بين يديّ إذ أنا بحفيف(٢) أجنحة الملائكة وقائل يقول: إلى أيّهم بعثت يا جبرئيل؟ فأشار إليّ وقال: إلى هذا وهو سيّد ولد آدم، وهذا وزيره ووصيّه وختنه، وهذا عمّه حمزة سيّد الشهداء، وهذا ابن عمّه جعفر له جناحان خضيبان يطير بهما في الجنّة مع الملائكة، دعه فلتنم عيناه وتسمع أُذناه وليعي قلبه، واضربوا له مثلاً: ملك بنى داراً واتّخذ مأدبة(٣) وبعث داعياً.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الملك: الله، والدار: الدنيا، والمأدبة: الجنّة، والداعي إليها: أنا. وذكر الحديث بطوله(٤).

وممّا ورد في الإسراء إلى السماء منقبة عظيمة وفضيلة جسيمة

---

(١) الإسراء (١٧): ١.

(٢) الحفيف: صوت الشيء تسمعه كالرنّة أو طيران الطائر ونحوه ذلك. لسان العرب ٩: ٥١ «حفف».

(٣) المأدبة ـ بضم الدال وفتحها ـ: طعام صنع لدعوة أو عُرس. القاموس المحيط ١: ٤٧ «أدب».

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٧١ ـ ٢٧٢ ح٣، ورواه في: تفسير القمّي ٢: ١٣ مرسلاً، وعنه في: بحار الأنوار ١٨: ٣٣٧ ح٣٨، تفسير نور الثقلين ٣: ١٠٠ ح٥، تفسير البرهان ٣: ٤٨٠ ح٦١٩٨.

لأمير المؤمنين عليه السلام اختصّ بها دون الأنام: وهو ما نقله الشيخ أبو جعفر الطوسي رحمه الله في أماليه عن رجاله مرفوعاً عن عبدالله بن عبّاس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أعطاني الله خمساً، وأعطى عليّاً خمساً: أعطاني جوامع الكلم وأعطى عليّاً جوامع العلم، وجعلني نبيّاً وجعله وصيّاً، وأعطاني الكوثر وأعطاه السلسبيل، وأعطاني الوحي وأعطاه الإلهام، وأسرى بي وفتح له أبواب السماء والحجب حتّى نظر إليّ ونظرت إليه.

قال: ثمّ بكى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: ما يبكيك فداك أبي وأُمّي؟.

فقال: يابن عبّاس، أوّل ما كلّمني ربّي أن قال: يا محمّد، انظر إلى تحتك، فنظرت إلى الحجب قد انخرقت وإلى أبواب السماء قد فتحت ونظرت إلى عليّ عليه السلام وهو رافع رأسه فكلّمني وكلّمته بما كلّمني ربّي عزّ وجلّ.

فقلت: يا رسول الله، فما[1] كلّمك ربّك؟

فقال: قال لي ربّي: يا محمّد، إنّي جعلت عليّاً وصيّك ووزيرك وخليفتك من بعدك، فأعلمه وها هو يسمع كلامك، فأعلمته وأنا بين يدي ربّي عزّ وجلّ، فقال لي: قد قبلت وأطعت، فأمر الله الملائكة أن تُسلّم عليه ففعلت، فردّ عليهم السلام، ورأيت الملائكة يتباشرون به، وما مررت بملائكة من ملائكة السماء إلّا هنّؤوني وقالوا: يا محمّد، والذي بعثك بالحقّ لقد دخل السرور على جميع الملائكة باستخلاف الله عزّ وجلّ لك ابن عمّك، ورأيت حملة العرش وقد نكّسوا رؤوسهم إلى الأرض، فقلت: يا جبرئيل، لِم نكّس حملة العرش رؤوسهم؟ فقال: يا محمّد، ما من ملك من الملائكة إلّا وقد نظر إلى وجه عليّ بن

---

(١) في المصدر: «بم» بدل «فما».

أبي طالب استبشاراً به ما خلا حملة العرش، فإنّهم استأذنوا الله عزّ وجلّ في هذه الساعة، فأذن لهم فنظروا إلى عليّ بن أبي طالب ونظر إليهم.

فلمّا هبطتُ جعلت أخبره بذلك وهو يخبرني به، فعلمت أنّي لم أطأ موطئاً إلّا وقد كشف لعليّ عنه حتّى نظر إليه.

فقال ابن عبّاس: فقلت: يا رسول الله، أوصني.

فقال: يابن عبّاس، عليك بحبّ عليّ بن أبي طالب.

قلت: يا رسول الله، أوصني.

قال: عليك بمودّة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والذي بعثني بالحقّ نبيّاً لا يقبل الله من عبدٍ حسنة حتّى يسأله عن حبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو تعالى أعلم؛ فإن جاء بولايته قبل عمله على ما كان فيه، وإن لم يأت بولايته لم يسأله عن شيء وأمره إلى النار، الحديث[1].

٨٢٤ ـ ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِى إِسْرَائِيلَ فِى الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِى الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ إلى قوله: **﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾**[2].

الإمام لابدّ فيه من نفي ذلك عنه بالضرورة، وغير المعصوم ليس كذلك

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسي: ١٠٥ ح ١٥/١٦١ المجلس الرابع، وعنه في: بحار الأنوار ١٨: ٣٧٠ ح٧٧، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٧٦ ـ ٢٧٧، وراجع: الدرّ النظيم لابن حاتم الشامي: ١٠٦ ـ ١٠٧ فصل في الإسراء والمعراج، كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: ٤٦٣، كشف الغمّة ٢: ٦٠.

(٢) الإسراء (١٧): ٤ ـ ٨.

بالضرورة، ولأنّ الإمام لنفي هذه الأوصاف بالضرورة، فلابدّ أن يكون معصوماً.

وأُيّد بما في [كتاب] الكليني عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «وقضينا» إلى قوله: «علوّاً كبيراً» قال: مرّة قتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومرّة قتل[1] الحسن عليه السلام «ولتعلنّ علوّاً كبيراً» قال: قتل الحسين عليه السلام، «فإذا جاء وعد أُولاهما» أي جاء نصر دم الحسين عليه السلام.

«بعثنا عباداً لنا أُولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار» قال: يبعثهم الله قبل خروج القائم عليه السلام فلا يدعون وتراً لآل محمّد عليهم السلام إلّا قتلوه، «وكان وعداً مفعولاً» خروج القائم عليه السلام.

«ثمّ رددنا لكم الكرّة عليهم» خروج الحسين عليه السلام يخرج في سبعين ألفاً من أصحابه عليهم البيض المذهّبة لكلّ بيضة وجهان[2]، المؤدّون إلى الناس أنّ هذا الحسين قد خرج حتّى لا يشكّ المؤمنون فيه بأنّه ليس بدجّال ولا شيطان، والحجّة القائم بين أظهرهم، فإذا استقرّت المعرفة في قلوب المؤمنين أنّه الحسين عليه السلام وجاء الحجّة الموت فيكون الذي يغسّله ويكفّنه ويحنّطه ويلحده في حفرته الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولا يلي الوصي إلّا وصيّ مثله[3].

فعلى هذا التأويل، فيكون المعنى على ما قيل[4]: إنّا «قضينا إلى بني إسرائيل» على لسان موسى وعيسى عليهما السلام «في الكتاب» يعني التوراة والإنجيل «لتفسدنّ في

---

(١) في الكافي وتأويل الآيات الظاهرة: «طعن الحسن عليه السلام» بدل «قتل الحسن عليه السلام».

(٢) في هامش الكافي: لعلّ المراد أنّها صقلت وذهبت في موضعين: أمامها وخلفها.

(٣) الكافي ٨: ٢٠٦ ح ٢٥٠، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٧٧ ـ ٢٧٨ ح ٧، بحار الأنوار ٥٣: ٩٣ ح ١٠٣.

(٤) القائل هو شرف الدين الحسيني صاحب تأويل الآيات الظاهرة.

الأرض» يخاطب بذلك أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله، وقوله تعالى: «ثمّ رددنا لكم الكرّة عليهم» يخاطب بتلك أصحاب الحسين عليه السلام وعلى آبائه الكرام، وهذا دليل صحيح على الرجعة وأنّ الحسين عليه السلام يرجع إلى الدنيا.

ويؤيّد هذا ما جاء في اليوم الثالث من شعبان: «الممدود بالنُّصرة يوم الكرّة المعوّض عن قتله أنّ الأئمّة من نسله والشفاء في تربته والفوز معه في أوبته»[١]، أي رجعته إلى الدنيا؛ فافهم ذلك[٢].

٨٢٥ـ ﴿إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣].

في الألفين: وجه الاستدلال أنّه تعالى أراد من المكلّفين الطريقة التي هي أقوم، وهي الصواب الذي لا يحتمل غيره، ولا يعلم ذلك إلّا بتوقف من النبيّ صلى الله عليه وآله أو من يقوم مقامه، وغير المعصوم لا يحصل منه ذلك، فيجب أن يكون قائم مقامه معصوماً، وهو الإمام، وهو المطلوب[٤].

وأُيّد بما في [كتاب] الكليني عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله: «إنّ هذا» الآية، يهدي إلى الإمام[٥].

وفي تأويل الآيات الظاهرة: ومعنى ذلك أنّ في القرآن آيات بيّنات ودلالات واضحات تدلّ على الإمام عليه السلام مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ**﴾ الآية[٦] ومثل:

---

(١) مصباح المتهجّد: ٨٢٦ (ط. مؤسّسة فقه الشيعة)، مختصر بصائر الدرجات: ٣٥ (منشورات المطبعة الحيدريّة ـ النجف)، بحار الأنوار ٥٣: ٩٤ ـ ٩٥ ح١٠٧.

(٢) راجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٧٨.

(٣) الإسراء (١٧): ٩.

(٤) الألفين: ٣٩٧ السابع والستّون من أدلّة المائة التاسعة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٥) الكافي ١: ٢١٦ ح٢ كتاب الحجّة ـ باب أنّ القرآن يهدي للإمام عليه السلام، عنه في: بحار الأنوار ٧: ٣٣٩ ح١٢، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٧٩ ح٨.

(٦) المائدة (٥): ٥٥.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ ﴾[١] وأمثال ذلك في القرآن كثير، وقوله: «يهدي للتي هي أقوم» أي إلى معرفة الإمام وولايته وطاعته. واعلم أنّ هذا القرآن يهدي إلى معرفة الإمام، والإمام يهدي إلى معرفة القرآن؛ لأنّهما حبلان متّصلان لا يفترقان ولا يقوم أحدهما إلّا بصاحبه على مرّ الأزمان[٢].

نقول أيضاً: إنّه سبحانه حكم بأنّه هاد ومع ذلك رأينا الاختلاف في الآراء، وهل هذا إلّا بالقول بنفي العصمة، ولو لم ينصّ عليه في الواقع لزم كونه غير هاد في الواقع، وهو محال.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: في المعاني عن الصادق عن أبيه عن جدّه السجّاد عليه السلام: الإمام منّا لا يكون إلّا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها؛ ولذلك لا يكون إلّا منصوصاً. فقيل: ما معنى المعصوم؟ قال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله: «إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم»[٣].

٨٢٦ ـ ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾[٤].

التبيين الذي عمّ كلّ شيء بحيث يحصل اليقين في أُمور المعاش والمعاد لا يمكن إلّا بالإمام المعصوم، وهو ظاهر، كيف وإنّ أمر الإمامة من المهمّات فلو لم

---

(١) النساء (٤): ٥٩.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٧٩.

(٣) تفسير الصافي ٣: ١٨٠، وراجع: معاني الأخبار: ١٣٢ ح ١ باب معنى عصمة الإمام عليه السلام، وعنه في: تفسير البرهان ٣: ٥٠٩ ح ٦٢٦٨، بحار الأنوار ٢٥: ١٩٤ ح ٥، تفسير نور الثقلين ٣: ١٤١ ح ٨٩

(٤) الإسراء (١٧): ١٢.

يبيّنه مع تبيين ما هو أولى منه لزم الترجيح من غير مرجّح، ولو كان الإجماع مفصّلاً له لما اختلف فيه، وإنّ التفصيل غير محقّق إلّا بالنصّ الجلي الذي لا يخفى رشده.

وأُيّد بما في الاحتجاج: قال ابن الكوّا لأميرالمؤمنين عليه السلام: أخبرني عن المحو الذي يكون في القمر؟ فقال: الله أكبر الله أكبر! رجلٌ أعمى يسأل عن مسألة عمياء، أما سمعت الله يقول: «وجعلنا الليل» الآية[١].

وعن الصادق عليه السلام: لمّا خلق الله القمر كتب الله عليه «لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عليّ أميرالمؤمنين» وهو السواد الذي يرونه[٢].

وفي تفسير العيّاشي[٣] ما يقرب من الحديثين.

٨٢٧ ـ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مُظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِى الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾[٤].

الاستدلال بالشكل الثاني ظاهر.

وأُكّد بأنّ الإمام وليّ من لا وليّ له فلو صدر عنه القتل المحرّم لزم كونه غير وليّ؛ فتأمّل. فإنّه وضع ليردع عن ذلك، فلو جاز عليه لكان محتاجاً إلى رادع غيره، وهكذا يتسلسل؛ فتدبّر.

وفي الألفين: المراد هنا بالحقّ الحقّ المعلوم يقيناً، فعلى هذا الحدود والقصاصات لا يجوز إلّا بالاستظهار التامّ، وهو مبنيّ على قول الإمام، فإنّ الحدود

---

(١) الاحتجاج ١: ٣٨٧، عنه في: تفسير الصافي ٣: ١٨١، بحار الأنوار ٥٥: ١٥٩ ح ١٠، تفسير نور الثقلين ٣: ١٤٣ ح ١٠٢.

(٢) تفسير الصافي ٣: ١٨١.

(٣) راجع: تفسير العيّاشي ٢: ٢٨٣ الأحاديث ٢٩، ٣٠، ٣١.

(٤) الإسراء (١٧): ٣٣.

إليه، والقصاص هو الذي يأمر به، فإن لم يكن معصوماً لم يحصل الاحتياط والعلم بقوله، فدلّ على أنّ الإمام يجب أن يكون معصوماً[١].

ويُعضد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «ومن قتل» الآية قال: نزلت في قتل الحسين عليه السلام، أي وليّ الحسين كان منصوراً.

المعنى: أنّ الحسين عليه السلام قُتِل مظلوماً والله تعالى قد جعل لوليّه ـ وهو القائم عليه السلام ـ السلطان والقدرة على أعدائه إذا قام بأمر الله، فلو قتل منهم مهما قتل لم يكن في ذاك مسرفاً؛ لأنّه كان منصوراً من عند الله على أعدائه.

كما روى الرجال الثقات بإسنادهم عن بعض أصحابنا، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: «ومن قتل مظلوماً» الآية، قال: نزلت في الحسين عليه السلام لو قتل وليّه أهل الأرض به ما كان مسرفاً، ووليّه القائم عليه السلام[٢].

٨٢٨ ـ ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾[٣].

في الألفين: أقول: هذا نهي عن إثبات اليد على مال اليتيم؛ ثمّ استثنى بقوله: «إلّا بالتي هي أحسن»، فهذا الاستثناء للإمام لا لغيره، ولا يجوز لغيره التصرّف فيه، فغير المعصوم لا يؤمن عليه ولا يعلم وجه الاستثناء الأحسن، ولا ولاية له عليه؛ لمساواته غيره لو لم يكن معصوماً، فلابدّ من إمام معصوم، وهو المراد[٤].

٨٢٩ ـ ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْآنِ

---

(١) الألفين: ٤١٥ الثاني من أدلّة المائة العاشرة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٧٩ ـ ٢٨١ ح ٩ و ١٠، ورواه مختصراً في: تفسير البرهان ٣: ٥٢٨ ح ٦٣٥٥.

(٣) الإسراء (١٧): ٣٤.

(٤) الألفين: ٤١٥ الرابع من أدلّة المائة العاشرة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾[١].

كلّ غير معصوم كذلك بالإمكان، ولا شيء من الإمام كذلك بالضرورة، فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة، المقدّمتان ظاهرتان.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: قال: قال عليّ بن إبراهيم: كان رسول الله قد رأى في نومه كأنّ قروداً تصعد على منبره واحد يصعد وواحد ينزل، فساءه ذلك وغمّه غمّاً شديداً، فهو تأويله[٢].

ويؤيّده: ما ذكره أبو عليّ الطبرسي قال: إنّ الرؤيا التي رآها النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ قروداً تصعد على منبره وتنزل فساءه ذلك واغتمّ به، فلم يُرَ ضاحكاً حتّى مات صلى الله عليه وآله. قال: رواه سهل عن سعد[٣] عن أبيه، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبدالله عليه السلام[٤].

وقوله: «فتنة للناس» أي امتحاناً لهم واختباراً.

وقوله: «الشجرة الملعونة» أي الملعون أهلها. فلمّا حذف المضاف استتر الضمير في اسم المفعول، فأنّث المفعول لما جرى ذكر الشجرة.

وأمّا أهل الشجرة الملعونة هم بنو أُميّة، على ما ذكره عليّ بن إبراهيم[٥]، وذكر أبو عليّ الطبرسي[٦] مثله.

---

(١) الإسراء (١٧): ٦٠.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٨١ ح ١٢.

(٣) في مجمع البيان وتأويل الآيات الظاهرة: «سهل بن سعيد» بدل «سهل عن سعد» وفي هامش تأويل الآيات عن بعض النسخ كما في المتن.

(٤) تفسير مجمع البيان ٦: ٢٦٦، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٨١ ح ١٣.

(٥) تفسير القمّي ٢: ٢١، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٨١ ذيل الحديث ١٣، تفسير الصافي ٣: ٢٥٠.

(٦) تفسير مجمع البيان ٦: ٢٦٦، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة، ذيل الحديث ١٣.

فعلى هذا التأويل تكون القرود التي رآها النبيّ ﷺ بني أُميّة الذين عَلَوا منبره، وغيّروا سنّته، وقتلوا ذريّته.

لما روي عن المنهال بن عمرو، قال: دخلت على عليّ بن الحسين عليه السلام فقلت له: كيف أصبحت وأمسيت يابن بنت رسول الله ﷺ؟ قال: أصبحنا والله بمنزلة بني إسرائيل من آل فرعون يذبّحون أبناءهم، ويستحيون نساءهم، وأصبح خير البريّة بعد رسول الله ﷺ يُلعن على المنابر، وأصبح من يحبّنا منقوصاً حقّه بحبّه إيّانا(١).

اعلم أنّه ما رأىٰ النبيّ ﷺ هذه الرؤيا إلّا فتنة للناس ليتميّز المؤمنون من الكافرين، فارتدّ الناس كلّهم إلّا القليل.

واعلم أنّ الله سبحانه أرى نبيّه ﷺ ما يكون من بعده من دول(٢) الظالمين، وأراه إيّاهم على صورة غير الآدميّين، بل على صورة القردة لقوله تعالى: ﴿**كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾(٣)، وأراه ذلك ليخبرهم بأنّ الذي يعلو منبره من بعده من غير أهل بيته أنّهم قردة ممسوخون ليخوّفهم بذلك، فقال تعالى: «ونخوّفهم» الآية(٤).

وفي تفسير الصافي: العيّاشي عن الباقر عليه السلام إنّه سُئل عنها، فقال: إنّ رسول الله رأى أنّ رجالاً من بني تيم وعدي على المنابر يردّون الناس عن الصراط القهقرى. قيل: والشجرة الملعونة؟ قال: هم بنو أُميّة(٥).

---

(١) تفسير مجمع البيان ٦: ٢٦٦.

(٢) في تأويل الآيات الظاهرة: «فعل» بدل «دول».

(٣) البقرة (٢): ٦٥.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٨٢ ح ١٤.

(٥) تفسير الصافي ٣: ١٩٩، وراجع: تفسير العيّاشي ٢: ٢٩٨ ح ٩٦ و ٩٧.

وعن الصادق عليه السلام مثله إلّا أنّه قال: رأى أنّ رجالاً على المنابر يردّون الناس ضلّالاً زُرَيق وزُفَر[١].

أقول: وهما كنايتان عن الأوّلين تيم وعدي وجداهما[٢].

قال: وفي رواية أُخرى عنه: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رأى رجالاً من نار على منابر من نار، يردّون الناس على أعقابهم القهقرى. قال: ولسنا نسمّي واحداً[٣].

وفي أُخرى: إنّا لا نسمّي الرجال، ولكن رسول الله رأى قوماً على منبره يضلّون الناس بعده عن الصراط القهقرى[٤].

وفي رواية أُخرى قال: رأيت الليلة صبيان بني أُميّة يرقون على منبري هذا. فقلت: يا ربّ، معي؟ قال: لا ولكن بعدك[٥].

وفي الكافي: عن أحدهما عليهما السلام: أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً كئيباً حزيناً، فقال له عليّ: ما لي أراك كئيباً حزيناً؟ فقال: وكيف لا أكون كذلك وقد رأيت في ليلتي هذه أنّ بني تيم وبني عدي وبني أُميّة يصعدون منبري هذا يردّون الناس عن

---

(١) تفسير الصافي ٣: ١٩٩، وراجع: تفسير العيّاشي ٢: ٢٩٧ ح ٩٥، تفسير البرهان ٣: ٥٤٢ ح ٦٤١٣.

(٢) هذه العبارة ذكرها الفيض الكاشاني بعد أن نقل الحديث المذكور.

(٣) تفسير الصافي ٣: ١٩٩ ـ ٢٥٠، وراجع: تفسير العيّاشي ٢: ٢٩٨ ح ٩٦، عنه في: تفسير البرهان ٣: ٥٤٣ ح ٦٤١٤، بحار الأنوار ٣١: ٥٢٦ ح ٢٨، تفسير الصافي ٣: ٢٠٠، تفسير نور الثقلين ٣: ١٨٠ ح ٢٧٩.

(٤) تفسير العيّاشي ٢: ٢٩٨ ح ٩٧، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٢٠٠، تفسير البرهان ٣: ٥٤٣ ح ٦٤١٥، بحار الأنوار ٣١: ٥٢٦ ذيل الحديث ٢٨، تفسير نور الثقلين ٢: ١٨٠ ح ٢٨٠، تفسير كنز الدقائق ٧: ٤٣٧ (ط. وزارة الإرشاد ـ طهران).

(٥) تفسير العيّاشي ٢: ٢٩٨ ح ٩٨، وراجع: تفسير الصافي ٣: ٢٠٠، تفسير البرهان ٣: ٥٤٣ ح ٦٤١٦، بحار الأنوار ٣١: ٥٢٦ ح ٢٩، تفسير نور الثقلين ٣: ١٨٠ ح ٢٨١، تفسير كنز الدقائق ٧: ٤٣٨.

الإسلام القهقرى. فقلت: يا ربّ، فِي حياتي أو بعد موتي؟ فقال: بعد موتك[١].

أقول: معنى هذا الخبر مستفيض من الخاصّة والعامّة، إلّا أنّ العامّة رووا تارة أنّه رأى قوماً من بني أُميّة يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة، فقال: هو حظّهم من الدنيا يعطونه بإسلامهم، وأُخرى أنّ قروداً تصعد منبره وتنزل فساءه ذلك واغتمّ به[٢].

والقمّيّ قال: نزلت لمّا رأى النبيّ ﷺ في نومه كأنّ قروداً تصعد منبره فساءه ذلك وغمّه غمّاً شديداً فأنزل الله: «وما جعلنا الرؤيا التي أريناكِ إلّا فتنة لهم ليعمهوا[٣] منها والشجرة الملعونة في القرآن»، كذا نزلت وهم بنو أُميّة[٤].

والعيّاشي عن الباقر عليه السلام: «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلّا فتنة لهم ليعمهوا فيها والشجرة الملعونة في القرآن» يعني: بني أُميّة[٥].

مضمراً أنّه سُئل عن هذه الآية فقال: إنّ رسول الله ﷺ نام فرأى أنّ بني أُميّة يصعدون منبره، يصدّون الناس، كلّما صعد منهم رجل رأى رسول الله ﷺ الذلّة والمسكنة فاستيقظ جزوعاً من ذلك، فكان الذين رآهم اثني عشر رجلاً من بني

---

(١) الكافي ٨: ٣٤٥ ح٥٤٣، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٢٠٠، ونحوه في: تفسير العيّاشي ٢: ٢٩٨ ح٩٨.

(٢) راجع: تفسير الصافي ٣: ٢٠٠، وانظر: تفسير الرازي ٣٢: ١٣٤ (سورة الكوثر).

(٣) يعمهون: أي يتحيّرون ويتردّدون. يقال عَمِهَ في طغيانه عَمَهاً من باب تعب: إذا تردّد متحيّراً، ومنه «رجل عامه» وعَمِه أي متحيّر جائر عن الطريق، فالعمه في الرأي خاصّة. مجمع البحرين ٦: ٣٥٤ «عمه».

(٤) تفسير القمّي ٢: ٢١، عنه في: تفسير الصافي ٢: ٢٠٠، تفسير البرهان ٣: ٥٤٤ ح٦٤٢٢، بحار الأنوار ٣١: ٥١٤.

(٥) تفسير العيّاشي ٢: ٢٩٧ ح٩٣، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٢٠٠، تفسير البرهان ٣: ٥٤٢ ح٦٤١١، بحار الأنوار ٣١: ٥٢٥ ح٢٦.

أُميّة، فأتاه جبرئيل عليه السلام بهذه الآية، ثمّ قال جبرئيل: إنّ بني أُميّة لا يملكون شيئاً إلّا ملك أهل البيت ضِعْفَيه[١].

وفي الاحتجاج: عن أميرالمؤمنين قال في حديثٍ: أمّا إنّ معاوية وابنه سينالها بعد عثمان، ثمّ يليها سبعة من ولد الحكم بن العاص واحداً بعد واحد تكملة اثنا عشر إمام ضلالة، وهم الذين رأى رسول الله صلى الله عليه وآله على منبره يردّون الأُمّة على أدبارهم القهقرى؛ عشرة منهم من بني أُميّة ورجلان أسّسا ذلك لهم وعليهما أوزار هذه الأُمّة إلى يوم القيامة[٢].

وفي مقدّمة الصحيفة السجّاديّة: عن الصادق عن أبيه عن جدّه عليهم السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخذته نعسة[٣]، وهو على منبره فرأى في منامه رجالاً ينزون[٤] على منبره نزو القردة، يردّون الناس على أعقابهم القهقرى، فاستوى رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً والحزن يُعرَف في وجهه، فأتاه جبرئيل بهذه الآية: «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك» الآية، يعني: بني أُميّة، قال: يا جبرئيل، أعلى عهدي يكونون وفي زمني؟ قال: لا ولكن تدور رحا الإسلام من مهاجرك، فتلبث بذلك عشراً، ثمّ تدور رحا الإسلام على رأس خمس وثلاثين من مهاجرك، فتلبث بذلك خمساً، ثمّ لابدّ من رحا ضلالة هي قائمة على قطبها ثمّ ملك الفراعنة.

قال: وأنزل الله تعالى في ذلك: **﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾**[٥] يملكها بنو أُميّة ليس فيها ليلة القدر.

---

(١) تفسير الصافي ٣: ٢٠٠، تفسير نور الثقلين ٣: ١٨١ ح ٢٨٤.

(٢) الاحتجاج ١: ٢٢٥، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٣) النعسة: الخفقة. لسان العرب ٦: ٢٣٣ «نعس».

(٤) النَّزو: الوثوب. لسان العرب ١٥: ٣٢٠ «نزا».

(٥) القدر (٩٧): ١ ـ ٣.

قال: فأطلع الله نبيّه صلى الله عليه وآله أنّ بني أُميّة تملك سلطان هذه الأُمّة، وملكها طول هذه المدّة، فلو طاولتهم الجبال لطالوا عليها حتّى يأذن الله بزوال ملكهم، وفي ذلك يستشعرون عداوتنا أهل البيت وبغضنا، أخبر الله نبيّه بما يلقى أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله وأهل مودّتهم وشيعتهم منهم في أيّامهم وملكهم(١).

أقول: وإنّما أُري صلى الله عليه وآله والناس عن الإسلام القهقرى؛ لأنّ الناس كانوا يظهرون الإسلام وكانوا يصلّون إلى القبلة ومع هذا كانوا يخرجون من الإسلام شيئاً فشيئاً، كالذي يرتدّ عن الصراط السوي القهقرى ويكون وجهه إلى الحقّ حتّى إذا بلغ غاية سعيه رأى نفسه في الجحيم(٢).

وفي الاحتجاج: عن الحسن بن عليّ عليهما السلام في حديثٍ إنّه قال لمروان بن الحكم: أمّا أنت يا مروان فلست أنا سببتك ولا سببت أباك، ولكن الله عزّ وجلّ لعنك، ولعن أباك، وأهل بيتك، وذريّتك، وما خرج من صلب أبيك إلى يوم القيامة، على لسان نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله. يا مروان، ما تنكر أنت ولا أحد ممّن حضر هذه اللعنة من رسول الله صلى الله عليه وآله لك ولأبيك من قبلك، وما زادك ذاك يا مروان بما خوّفك إلّا طغياناً كبيراً، وصدق الله وصدق رسوله، يقول الله تبارك وتعالى: «والشجرة الملعونة في القرآن ونخوّفهم فما يزيدهم إلّا طغياناً كبيراً». وأنت يا مروان وذريّتك الشجرة الملعونة في القرآن، وذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله(٣).

---

(١) الصحيفة السجّاديّة: ٦٢٢ (تحقيق مؤسّسة الإمام المهدي عليه السلام)، والصحيفة السجّاديّة الكاملة: ١٤ (تحقيق مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم) وراجع: تفسير الصافي ٣: ٢٠١، تفسير نور الثقلين ٥: ٦٢٢ ح ٤٤.

(٢) راجع: تفسير الصافي ٣: ٢٠١.

(٣) الاحتجاج ١: ٤١٦، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٢٠١، بحار الأنوار ٤٤: ٨٥.

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام في حديثٍ: وجعل أهل الكتاب القائمين والعالمين بظاهره وباطنه من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أُكُلها كلّ حين بإذن ربّها، أي يطهّر مثل هذا العلم لمحتمليه في الوقت وبعد الوقت، وجعل أعداءها أهل الشجرة الملعونة الذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره. ولو علم المنافقون ـ لعنهم الله ـ ما عليهم من ترك هذه الآيات التي بيّنت لك تأويلها فلأسقطوها مع ما أسقطوا منه[١].

أقول: وفي قوله سبحانه: «فما يزيدهم إلّا طغياناً كبيراً» لطافة لا تخفى[٢].

٨٣٠ ـ ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾[٣].

أقول: هذا نكرة منفيّة فتعمّ[٤]، والاستثناء الذي قاله تعالى في مثله ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾[٥] دلّ عليه وقد قال تعالى قبل هذا: ﴿**وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا**﴾[٦] فدلّ على خصوص العباد فينفي الاستثناء المضمر المراد، فيلزم من ذلك نفي كلّ سلطان للشيطان على قوم خلقه في جميع الأوقات، إذ كلّ من صدر منه ذنب في وقت ما كان للشيطان عليه سلطان في الجملة، وهو ينافي قوله «ليس لك عليهم سلطان»، ويدلّ هذا على عصمة قوم من ابتداء قدرتهم ووجودهم إلى آخر عمرهم من الصغائر والكبائر سهواً وعمداً وتأويلاً، وكلّ من أثبت ذلك أثبت عصمة الإمام، إذ لم يقل أحد

---

(١) بحار الأنوار ٨٩: ٤٥، تفسير نور الثقلين ٢: ٥٣٧ ح ٦٤، ٣: ١٧٩ ح ٢٧٥.

(٢) تفسير الصافي ٣: ٢٠٢.

(٣) الإسراء (١٧): ٦٥.

(٤) مبادئ الوصول إلى علم الأُصول: ١٢٢.

(٥) الحجر (١٥): ٤٢.

(٦) الإسراء (١٧): ٦٤.

بعصمة الأنبياء من أوّل عمرهم إلى آخر عمرهم من جميع الصغائر والكبائر، سهواً وعمداً وتأويلاً إلّا وقال بعصمة الإمام، ومن نفى عصمة الإمام لم يقل بذلك، فالفرق قول ثالث خارق للإجماع؛ فتأمّل.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: العيّاشي مضمراً في هذه الآية: نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ونحن نرجو أن تجري لمن أحبّ الله من عباده[١].

٨٣١ـ ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[٢].

ممّن ائتمنوا به من نبيّ أو وصيّ أو شقيّ على ما في التفسير[٣]، فلو قلنا إنّه أعمّ من الحقّ والباطل على ما يرشد إليه العموم فيلزم عصمة الإمام كما إذا أردنا به الحقّ؛ لأنّ حكمه تعالى بحقّيّة الإمام في الواقع ينافي عدم عصمته، وأمّا إرادة الباطل خصوصاً فلم يقل به أحد مع أنّه خلاف الأصل والظاهر؛ فتأمّل.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: القمّي عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله في قومه، وعليّ عليه السلام في قومه، والحسن في قومه، والحسين في قومه، وكلّ من مات بين ظهراني قوم جاء معه[٤].

والعيّاشي ما يقرب من معناه[٥].

وفي الكافي والعيّاشي عن الباقر عليه السلام: لمّا نزلت هذه الآية قال المسلمون: يا رسول الله، لست إمام الناس كلّهم أجمعين؟ فقال: أنا رسول الله إلى الناس

---

(١) تفسير الصافي ٣: ٢٠٤، وراجع: تفسير العيّاشي ٢: ٣٠١ ح١١٢، تفسير البرهان ٣: ٥٤٩ ح٦٤٤١، تفسير نور الثقلين ٣: ١٨٦ ح٣٠٣.

(٢) الإسراء (١٧): ٧١.

(٣) انظر: تفسير الصافي ٣: ٢٠٦.

(٤) تفسير الصافي ٣: ٢٠٦، وراجع: تفسير القمّي ٢: ٢٣.

(٥) تفسير العيّاشي ٢: ٣٠٢ ح١١٤، وعنه في: بحار الأنوار ٨: ١١ ح٧، تفسير الصافي ٣: ٢٠٦.

أجمعين، ولكن سيكون من بعدي أئمّة على الناس من الله من أهل بيتي يقومون في الناس فيُكَذَّبون ويظلمهم أئمّة الكفر والضلال وأشياعهم؛ فمن والاهم واتّبعهم وصدّقهم فهو منّي ومعي وسيلقاني، ألا ومن ظلمهم وكذّبهم فليس منّي ولا معي وأنا منه بريء[1].

وفي المجالس عن الحسين عليه السلام أنّه سُئل عن هذه الآية فقال: إمامٌ دعا إلى هُدى فأجابوه إليه، وإمامٌ دعا إلى ضلالة فأجابوه إليها؛ هؤلاء في الجنّة وهؤلاء في النار، وهو قوله تعالى: ﴿ **فَرِيقٌ فِى الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى السَّعِيرِ** ﴾[2].[3]

والعيّاشي عن الصادق عليه السلام: سيُدعى كُلّ أُناس بإمامهم؛ أصحاب الشمس بالشمس، وأصحاب القمر بالقمر، وأصحاب النار بالنار، وأصحاب الحجارة بالحجارة[4].

وفي المجالس عنه عليه السلام: أنتم والله على دين الله، ثمّ تلا هذه الآية، ثمّ قال: عليٌّ إمامنا ورسول الله صلى الله عليه وآله إمامنا، كم من إمام يجيء يوم القيامة يلعن أصحابه ويلعنونه[5].

---

(١) الكافي ١: ٢١٥ ح ١ باب أنّ الأئمّة عليهم السلام في كتاب الله إمامان إمام يدعو إلى الله وإمام يدعو إلى النار، تفسير العيّاشي ٢: ٣٠٤ ح ١٢١، وعنهما في: تفسير الصافي ٣: ٢٠٦؛ وراجع: تفسير البرهان ٣: ٥٥١ ح ٦٤٥٠، بحار الأنوار ٨: ١٣ ح ١٢، تفسير كنز الدقائق ٧: ٤٥٦.

(٢) الشورى (٤٢): ٧.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق: ٢١٧ ضمن حديث طويل (المجلس الثلاثون)، وراجع: بحار الأنوار ٤٤: ٣١٣، تفسير الصافي ٣: ٢٠٦، تفسير نور الثقلين ٣: ١٩٢ ح ٣٣٥.

(٤) تفسير العيّاشي ٢: ٣٠٣ ح ١١٨، وعنه في: تفسير الصافي ٣: ٢٠٦، وراجع: تفسير البرهان ٣: ٥٥٤ ح ٦٤٥٩، الفصول المهمّة للحرّ العاملي ١: ٣٥٦ ح ٤٥٦، تفسير نور الثقلين ٣: ١٩٤ ح ٣٤٢، تفسير كنز الدقائق ٧: ٤٦٠، بحار الأنوار ٨: ١٢ ح ١٠.

(٥) ورد نصّه في: تفسير العيّاشي ٢: ٣٠٣ ح ١٢٠ وعنه: بحار الأنوار ٨: ١٣ ح ١١، وراجع: تفسير ⇐

وفي المجمع عنه عليه السلام: ألا تحمدون الله؟! إذا كان يوم القيامة فدعا كلّ قوم إلى من يتولّونه، وفزعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وفزعتم إلينا، قال: فإلى أين ترون أن يذهب بكم؟ إلى الجنّة وربّ الكعبة ـ قالها ثلاثاً ـ.[1]

وفي تأويل الآيات الظاهرة: قال أبو عليّ الطبرسي رحمه الله: روى سعيد بن جبير عن ابن عبّاس، وروى عن عليّ عليه السلام أيضاً أنّ الأئمّة إمامان: إمام هدى، وإمام ضلالة[2].

قال: روى الخاصّ والعامّ عن الرضا عليه السلام بالأسانيد الصحيحة أنّه روى عن آبائه عليهم السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: يوم القيامة فيه يُدعى كلّ أُناس بإمامِ زمانهم وكتاب ربّهم وسنّة نبيّهم[3].

ويؤيّده ما ذكره عليّ بن إبراهيم في تفسيره قال: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أليس عدلاً من ربّكم أن يؤتى كلّ قوم هاهنا من كانوا يتولّونه في الدنيا؟ فيقولون: بلى يا ربّنا. فيقال لهم: فليلحق كلّ أُناس بإمامهم، ثمّ يُدعى بإمام إمام ويقال: ليقم أبوبكر وشيعته، وليقم عمر وشيعته، وليقم عثمان وشيعته، وليقم عليّ وشيعته[4].

٨٣٢ ـ ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا * وَإِن كَادُوا

⇐ نور الثقلين ٣: ١٩٤ ح ٣٤٤، الفصول المهمّة في أُصول الأئمّة ١: ٣٥٦ ـ ٣٥٧ ح ٤٥٧، تفسير كنز الدقائق ٧: ٤٦٠، ينابيع المودّة ٣: ٣٧٢ ح ٢ الباب الحادي والتسعون، وورد مع اختلاف قليل في المحاسن ١: ١٥٥ ح ٣، وعنه في: تفسير الصافي ٣: ٢٠٧.

(١) تفسير مجمع البيان ٦: ٢٧٥، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٢٠٧، وراجع: تفسير جوامع الجامع ٢: ٣٨٥، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٨٢ ح ١٧.

(٢) تفسير مجمع البيان ٦: ٢٧٥، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٨٢ ح ١٥.

(٣) تفسير مجمع البيان ٦: ٢٧٥، وعنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٨٢ ح ١٦.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٨٣ ح ١٨.

لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾[١].

غير المعصوم كذلك بالإمكان، ولا شيء من الإمام كذلك بالضرورة، فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: في الخصال عن أميرالمؤمنين عليه السلام: من عمي عن فضلنا وناصبنا العداوة بلا ذنب سبق إليه منّا، إلّا أن دعوناه إلى الحقّ، ودعاه من سوانا إلى الفتنة والدنيا فأتاهما بنصب البراءة منّا والعداوة[٢].

وفي تأويل الآيات الظاهرة قال: تأويله ما ذكره الشيخ محمّد بن العبّاس رحمه الله من قبل أن نذكر رواياته الصحيحة نذكر ما قيل فيه في كتب الرجال، منها: كتاب خلاصة الأقوال قال مصنّفه رحمه الله: محمّد بن العبّاس بن عليّ بن مروان بن الماهيار[٣] ـ بالياء بعد الهاء والراء أخيراً ـ أبو عبدالله البزّاز ـ بالزاي قبل الألف وبعدها ـ المعروف بابن الجُحام [بالجيم المضمومة][٤]، ثقة في أصحابنا، عين سديد كثير الحديث، له كتاب ما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام[٥]، وقال جماعة من

---

(١) الإسراء (١٧): ٧٢ ـ ٧٤.

(٢) تفسير الصافي ٣: ٢٠٧، وراجع: الخصال: ٦٣٣ (حديث الأربعمائة)، بحار الأنوار ١٠: ١١١، تفسير نور الثقلين ٣: ١٩٥ ح ٣٥١.

(٣) في المخطوط: «ماهيار» بدل «الماهيار» وما أثبتناه من المصدر وهو الموافق لكتب الرجال.

(٤) ما بين المعقوفتين أثبتناه من المصدر.

(٥) تفسير ابن الجُحام: لمؤلّفه محمّد بن العبّاس بن علي بن مروان بن الماهيار أبو عبدالله، البزّاز، المعروف بابن الجحام، من باب الطاق (قاموس الرجال ٩: ٣٤٨)، وكان حيّاً سنة (٣٢٨ هـ) (فهرس التراث ١: ٣٦٢).

قال النجاشي في ترجمته: ثقة ثقة، من أصحابنا، عين سديد كثير الحديث، له كتاب المقنع ⇐

⇐ في الفقه، كتاب الدواجن، كتاب ما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام، وقال جماعة من أصحابنا: إنّه كتاب لم يصنّف في معناه مثله. وقيل: إنّه ألف ورقة (رجال النجاشي: ٣٧٩ ترجمة رقم ١٠٣٠).

وقد عرفت في المتن ما ذكر العلّامة في الخلاصة وكذلك ابن داود في مدحه ونحو ذلك ذكر التفريشي في نقد الرجال، وغيرها من كتب الرجال.

وقال صاحب الذريعة: تفسير ابن الجحام: (مؤلّفه) هو أبو عبدالله البزّاز محمّد بن العبّاس ابن علي بن مروان بن ماهيار المعروف بابن الجحام ـ بالجيم المضمومة والحاءِ المهملة بعدها ـ كما ضبطه العلّامة في الخلاصة، وكذا في «إيضاح الاشتباه» له، فقال: الجحام، بالجيم قبل الحاء المهملة، فضبطه بالحاء المهملة ثمّ الجيم اشتباه، وقد أشرنا آنفاً إلى أنّه من المكثرين في التأليف في القرآن، فقد عدّ من تصانيفه في الفهرس ثلاثة كتب بعنوان التأويل ذكرناها في (ج ٣ ص٣٠٦)، ثمّ ذكر «التفسير الكبير» وهو المقصود في المقام، ثمّ ذكر كتاب «الناسخ والمنسوخ» وكتاب «قراءة أميرالمؤمنين عليه السلام» وغير ذلك. فالتفسير الكبير غير التأويلات الثلاثة على حسب ذكره بعدها، والظاهر أنّ هذا التفسير هو الذي عبّر عنه النجاشي بقوله: كتاب ما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام، ثمّ قال: وقال جماعة من أصحابنا: إنّه كتاب لم يصنّف في معناه مثله. وقيل: إنّه ألف ورقة وكان هذا التفسير موجوداً عند السيّد علي بن طاووس (المتوفّى سنة ٦٦٤ هـ) وينقل عنه كثيراً في تصانيفه، ووصفه في سعد السعود بقوله: تفسير القرآن وتأويله وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه وزيادات حروفه وفضائله وثوابه بروايات الصادقين عليهم السلام، وينقل عنه في: رسالة محاسبة النفس بعنوان كتاب «ما نزل من القرآن في النبيّ والأئمّة عليهم السلام» وكان هذا التفسير أيضاً عند السيّد شرف الدين علي الحسيني الاسترآبادي، تلميذ المحقّق الكركي (المتوفّى سنة ٩٤٠ هـ) وينقل عنه كثيراً في كتاب تأويل الآيات الظاهرة، كما مرّ (في ج ٣ ص ٣٠٤).

وكان أيضاً عند السيّد هاشم العلّامة التوبلي (المتوفّى ١١٠٧ هـ) كما ينقل عنه في: تفسيره البرهان وغيره. ويظهر من مجموع ما نُقل عن هذا التفسير في الكتب المشار إليها أنّ المؤلّف له يروي عن الكليني مكرّراً ويكثر من النقل عن كتاب القراءات للسياري، ومن هذه القرينة يستظهر أنّ النسخة الناقصة الأوّل والآخر الممحو كثير من صفحاته بالماء، الموجودة عند سيّدنا هبة الدين الشهرستاني، هي هذا التفسير بعينه للرواية فيها عن الكليني والنقل عن القراءات للسيّاري، وبما أنّ تلك النسخة عتيقة يظنّ وجود أصلها في سائر البلاد (الذريعة ٤: ٢٤١ رقم ١١٧٩).

ويعتبر هذا الكتاب من المصادر المهمّة في مجال تأليف تأويل الآيات المباركة، لكنّه ـ مع ⇐

أصحابنا: إنّه كتاب لم يُصنّف مثله في معنّاه، وقيل: إنّه ألف ورقة(١).

وقال الحسن بن داود رحمه الله في كتابه عن اسمه ونسبه ما ذكر أوّلاً، ثمّ قال: إنّه ثقة ثقة من أصحابنا عين من أعيانهم سديد كثير الحديث(٢).

وهذا كتابه المذكور لم أقف عليه كلّه، بل نصفه من هذه الآية إلى آخر القرآن.

روى المشار إليه رحمه الله عن أحمد بن القاسم، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد السيّاري، عن محمّد بن خالد البرقي، عن الفضل، عن أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿**وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ**﴾ في عليّ عليه السلام(٣).

وقال أيضاً: حدّثنا محمّد بن همام، عن محمّد بن إسماعيل العلوي، عن عيسى بن داود النجّار، عن أبي الحسن موسى بن جعفر، عن أبيه صلوات الله عليهما قال: كان القوم قد أرادوا النبيّ صلى الله عليه وآله ليريبوا رأيه في عليّ عليه السلام وليمسك منه بعض الإمساك حتّى إنّ بعض نسائه ألحَحْن عليه في ذلك، فكاد يركَنُ إليهم بعض الرُكون، فأنزل الله عزّ وجلّ: «وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك

⇐ الأسف ـ أصل الكتاب لم يصل إلينا وكأنّه من الكتب المفقودة، بالرغم من أنّ صاحبه حاز على درجة عالية من الوثاقة والجلالة بين علمائنا، كما عرفت في كلام النجاشي وغيره.

وأخيراً طُبع بعض ما وصل من هذا الكتاب، بحيث جمعت أحاديثه في مجلّد واحد تحت عنوان «تأويل ما نزل من القرآن الكريم في النبيّ وآله عليهم السلام»، جمع الأحاديث ورتّبها فارس تبريزيان، ونُشر من قبل نشر الهادي عام ١٤٢٠ هـ فإذن حجم الذي وصل إلينا من أحاديث الكتاب قليل جدّاً، وذلك عند المقارنة بين هذا المقدار الواصل إلينا وبين ما ذكروا في التعريف بحجم الكتاب، حيث قال النجاشي: «وقيل: إنّه ألف ورقة». فبأخذ نظر الاعتبار بالنسبة إلى زمان النجاشي ألف ورقة كثير جدّاً. نعم، فلا يستبعد لو كان الكتاب بتمامه عندنا خرج في عدّة مجلّدات.

(١) خلاصة الأقوال في معرفة الرجال: ٢٦٦ ترجمة رقم ٩٤٩.

(٢) كتاب الرجال لابن داود: ١٧٥ ترجمة رقم ١٤١٥.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٨٤ ح ٢٠، وعنه في: تفسير البرهان ٣: ٥٦١ ح ٦٤٨٥.

ـ في عليّ ـ لتفتري علينا غيره وإذاً لاتّخذوك خليلاً* ولولا أن ثبّتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً»[١].

فمعنى ذلك: ولولا أن ثبّتنا فؤادك على الحقّ بالنبوّة والعصمة «لقد كدت تركن إليهم» ركوناً قليلاً، أي لقد قاربت أن تسكن إليهم بعض السكون وتميل إليهم بعض الميل.

والمعنى: «لقد كدت تركن إليهم» ولكن ما ركنت لأجل ما ثبّتناك بالعصمة فلا بأس عليك في ذلك، لأنّك لم تفعله بيد ولا لسان[٢].

وقد صحّ عنه صلوات الله عليه وآله أن قال: وضع عن أُمّتي ما حدّثت به نفسها ما لم تعمل به أو تتكلّم[٣].

قال ابن عبّاس ﷺ: رسول الله معصوم، ولكن هذا تخويف لأُمّته لئلّا يركن أحد من المؤمنين إلى أحدٍ من المشركين[٤].

فعليه وعلى أهل بيته المعصومين صلاة باقية دائمة إلى يوم الدين[٥].

وقوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾[٦]. تأويله: نقله صاحب كتاب كشف الغمّة بحذف الإسناد عن أنس بن مالك قال: رأيت رسول الله ﷺ مقبلاً على عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو يتلو: «ومن الليل فتهجّد به نافلة» الآية، ثمّ قال: يا علي، إنّ الله عزّ وجلّ ملّكني الشفاعة في

---

(١) انظر: تفسير البرهان ٣: ٥٦١ ح ٦٤٨٩.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١ ـ ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ح ٢١.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٨٥ ح ٢٢، وأورده المجلسي في: بحار الأنوار ١٧: ٥٤.

(٤) تفسير البرهان ٣: ٥٦١، ذيل الحديث ٦٤٨٦.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٨٥ ح ٢٣.

(٦) الإسراء (١٧): ٧٩.

أهل التوحيد من أُمّتي، وحظر ذلك على من ناصبك أو ناصب وليّك[1] من بعدك[2].

ومعنى ذلك: أنّ المقام المحمود وهو الشفاعة وأنّها لا تكون إلّا لشيعة عليّ عليه السلام، فهذا هو الفضل العالي[3].

وفي هذا المعنى ما رواه الشيخ رحمه الله في أماليه: عن الفحّام، عن المنصوري، عن عمّه، عن أبيه، عن الإمام عليّ بن محمّد عن آبائه عليهم السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: إذا حشر الناس يوم القيامة نادى منادٍ: يا رسول الله، إنّ الله جلّ اسمه قد أمكنك من مجازاة محبّيك ومحبّي أهل بيتك والموالين لهم فيك، والمعادين لهم فيك فكافئهم بما شئت، فأقول: يا ربّ الجنّة، فأُنادى: بوّأهم[4] منها حيث شئت، فذلك المقام المحمود الذي وعدت به[5].

٨٣٣ـ وقوله تعالى: ﴿**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا**﴾[6].

فيه تحذير عن الباطل، والقول بالاختيار يؤدّي إلى البطالة والفساد فيكون محذَّراً عنه، والمقدّمتان ظاهرتان، وإنّ التحذير عن غير المؤمنين غير معقول.

وأُكّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن الشيخ أبي جعفر الطوسي رحمه الله في معنى تأويله حديثاً بإسناده عن رجاله، عن نعيم بن حكيم، عن أبي مريم الثقفي، عن

---

(١) في المخطوط: «وليّك» بدل «ناصب وليّك» وما أثبتناه من كشف الغمّة وتأويل الآيات الظاهرة وأمالي الشيخ الطوسي.
(٢) كشف الغمّة ٢: ٢٨، وراجع: أمالي الشيخ الطوسي: ٤٥٥ ح١٠١٧/٢٣ المجلس السادس عشر.
(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٨٦ ح٢٤.
(٤) في الأمالي: «فولّهم».
(٥) أمالي الشيخ الطوسي: ٢٩٨ ح٥٨٦/٣٣.
(٦) الإسراء (١٧): ٨١.

أميرالمؤمنين عليه السلام قال: انطلق بي رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى أتى بي إلى الكعبة فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله على مَنْكبي، ثمّ قال لي: انهض، فنهضت، فلمّا رأى منّي ضعفاً قال: اجلس، فنزل ثمّ قال: يا علي، اصعد على مَنْكبي، فصعدت على مَنْكبه ثمّ نهض بي رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لي: الق صنمهم الأكبر وكان من نُحاس مُوتَّداً بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: عالجه، فعالجته ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً»، فلم أزل أُعالجه حتّى استَمْكَنْتُ منه، فقال لي: اقذفه، فقذفته فتكسّر، فنزلت من فوق الكعبة وانطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله وخشينا أن يرانا أحد من قريش وغيرهم[١].

وروي في معنى حمل النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام عند حطّ الأصنام عن البيت الحرام خبر حسن أحببنا ذكره هاهنا؛ لأنّ هذا التأويل يحتاج إليه، وهو: ما روي بحذف الإسناد عن الرجال الثقات، عن عبد الجبار بن كثير التميمي اليماني، قال: قلت لمولاي جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: يابن رسول الله، في نفسي مسألة أُريد أن أسألك عنها.

فقال لي: إن شئت أخبرتك بمسألتك قبل أن تسألني، وإن شئت فاسأل.

قال: فقلت: يابن رسول الله، وبأيّ شيء تعلم ما في نفسي قبل سؤالي؟!

فقال: بالتوسّم والتفرّس، أما سمعت قول الله عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ**

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٨٦ ـ ٢٨٧ ح٢٦، عنه في: تفسير البرهان ٣: ٥٧٦ ح٦٥٢٧، ورواه أيضاً الخوارزمي في المناقب: ١٢٣ ح ١٣٩ الفصل الحادي عشر في بيان شرف صعوده عليه السلام ظهر النبي صلى الله عليه وآله لكسر الأصنام، وراجع: تاريخ بغداد ١٣: ٣٠٣ في ترجمة نعيم بن حكيم المدائني ط. دار الكتاب العربي، ورواه الحاكم في: المستدرك ٣: ٥ (في كتاب الهجرة).

لِلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾[(١)] وقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله».

فقلت: يابن رسول الله، أخبرني بمسألتي.

فقال: مسألتك عن رسول الله صلى الله عليه وآله لِمَ لم يطق حمله عليّ بن أبي طالب عليه السلام عند حطّ الأصنام عن سطح الكعبة مع قوّته وشدّته وما ظهر منه في قلع باب خيبر ورمى بها[(٢)] أربعين ذراعاً، وكان لا يُطيق حمله أربعون رجلاً، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يركب الناقة والفرس والبغلة والحمار، ورَكِبَ البُراق ليلة المعراج، وكلّ ذلك دون عليّ عليه السلام في القوّة والقدرة؟

قال: فقلت له: عن هذا أردت أن أسألك يابن رسول الله، فأخبرني.

فقال: نعم، إنّ عليّاً عليه السلام برسول الله تشرّف، وبه ارتفع وفضّل، وبه وصل إلى إطفاء نار الشرك وإبطال كلّ مَعبودٍ من دون الله عزّ وجلّ، ولو علاه النبيّ صلى الله عليه وآله لكان النبيّ صلى الله عليه وآله بعليّ عليه السلام مرتفعاً شريفاً وواصلاً في حطّ الأصنام، ولو كان ذلك لكان عليّ أفضل من النبيّ صلى الله عليه وآله، ألا ترى أنّ عليّاً عليه السلام لمّا علا ظهر النبيّ عليهما السلام قال: شَرفْتُ وارتفعتُ حتّى لو شئت أن أنال السماء لَنِلْتُها، أو ما علمت أنّ المصباح هو الذي يُهتدى به في الظُّلم، وانبعاث فرعه من أصله؟ وقال عليّ عليه السلام: أنا من أحمد كالضوء من الضوء، أو ما محمّداً وعليّاً عليهما السلام إلّا كانا نوراً بين يدي الله عزّ وجلّ قبل أن يخلق آدم بألفي عام؟ وأنّ الملائكة لمّا رأت ذلك النور أنّ له أصلاً قد انشقّ منه شُعاع لامع قالت: إلهنا وسيّدنا، ما هذا النور؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليهم: هذا

---

(١) الحجر (١٥): ٧٥.

(٢) كذا في النسخة الخطيّة والمصادر، والمعروف من أهل اللغة بأنّ باباً مذكّر، كما قال الطريحي في مجمع البحرين ٢: ١٠ «بوب»، وقال أيضاً: ولذا عيب على ابن أبي الحديد قوله:

يا قالع الباب التي عن هزّها عجزت أكفّ أربعون وأربع

نور أصله نبوّة، وفرعه إمامة؛ أمّا النبوّة فلمحمّد ﷺ عبدي ورسولي، وأمّا الإمامة فلعليّ محبّي[١] ووليّي، ولولاهما ما خلقت خلقي.

أوما علمت أنّ رسول الله ﷺ رفع بيد عليّ عليه السلام بغدير خُمّ حتّى نظر الناس إلى إبطيهما فجعل أميرالمؤمنين عليه السلام إمامهم؟

وحمل الحسن والحسين عليهما السلام يوم حظيرة بني النجّار، فقال له بعض أصحابه: ناولني أحداهما يا رسول الله؟ فقال: نِعْمَ المحمولان ونِعْمَ الراكبان وأبوهما خيرٌ منهما.

وكان رسول الله ﷺ يصلّي بأصحابه فأطال سجدة من سجداته، فلمّا سلّم قيل له: يا رسول الله، لقد أطلت هذه السجدة؟! فقال: رأيت ابني الحسين قد علا ظهري فكرهت أنأُعالجه حتّى ينزل من قِبَل نفسه.

فأراد بذلك رفعهم وتشريفهم.

فالنبيّ ﷺ رسولٌ نبيّ[٢]، وعليّ عليه السلام إمام ليس برسول الله ولا نبي، فهو غير مطيق لحمل أثقال النبوّة.

قال: فقلت: زدني يابن رسول الله ﷺ.

فقال: نعم، إنّك لأهل للزيادة.

اعلم[٣] أنّ رسول الله ﷺ حمل عليّاً عليه السلام على ظهره يريد بذلك أنّه أبو ولده وأنّ

---

(١) في المصدر: «نجيّي» وفي تفسير البرهان «حجّتي».

(٢) في كنز جامع الفوائد ودافع المعاند لابن منصور كما في المتن، وفي تأويل الآيات الظاهرة: «إمام ونبيّ» وفي علل الشرائع و تفسير البرهان والبحار: «فالنبيّ إمام ونبي»، وفي معاني الأخبار: «فالنبيّ رسول بني آدم».

(٣) اعلم، لم ترد في جميع المصادر.

الأئمّة من ولده كما حوّل رداءه في صلاة الاستسقاء؛ ليُعلم أصحابه بذلك أنّه يطلب الخصب.

فقلت: يابن رسول الله زدني.

فقال: نعم، حمل رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام يريد أن يُعلم قومه أنّه هو الذي يخفّف عن ظهره ما عليه من الدَّين والعدات، والأداء عنه ما حمل من بعده.

فقلت: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله زدني.

فقال: حمله ليُعلم بذلك أنّه ما حمله إلّا لأنّه معصوم، لا يحمل وزراً، فتكون أفعاله عند الناس حكمة وصواباً.

وقال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: يا علي، إنّ الله تبارك وتعالى حمّلني ذنوب شيعتك ثمّ غفرها وذلك قوله تعالى: ﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾[1]، ولمّا أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾[2] قال النبيّ صلى الله عليه وآله: عليٌّ نفسي وأخي فإنّه مطهّر معصوم لا يضلّ ولا يشقى، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾[3]، ولو أخبرتك بما في حمل النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام من المعاني التي أرادها به لقلت: إنّ جعفر بن محمّد مجنون، فحسبك من ذلك ما قد سمعت.

قال: فقمت إليه وقبّلت رأسه ويده وقلت: الله أعلم حيث يجعل رسالته[4].

---

(١) الفتح (٤٨): ٢.

(٢) المائدة (٥): ١٠٥.

(٣) النور (٢٤): ٥٤.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٨٦ ـ ٢٨٩ ح٢٦، وراجع: علل الشرائع ١: ١٧٣ ح ١ باب العلّة التي من ⇐

٨٣٤ ـ وقوله تعالى: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا** ﴾[1].

كونه شفاء ورحمة يتوقّف على المبيِّن الذي حكم منه باليقين وهو ليس إلّا بالمعصوم، وغير المعصوم ظالم بالإمكان فيكون به خاسراً فكيف يكون رحمة له، والإمام ليس كذلك؛ فتأمّل.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة فقال: تأويله ما ذكر محمّد بن العبّاس رحمه الله بإسناده إلى أبي حمزة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين ـ آل محمّد حقّهم ـ إلّا خساراً»[2].

وقال أيضاً عن أبي الحسن موسى عن أبيه عليه السلام: «نزلت هذه الآية «ولا يزيد الظالمين ـ لآل محمّد ـ إلّا خساراً»[3].

٨٣٥ ـ ﴿ **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا** ﴾[4].

الاستدلال به بالشكل الثاني ظاهر ظاهر.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله:

⇐ أجلها لم يطق أميرالمؤمنين عليه السلام حمل رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أراد حطّ الأصنام من سطح الكعبة، معاني الأخبار: ٣٥٠ ح ١ باب معنى حمل النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام، بحار الأنوار ٣٨: ٧٩ ح ٢، كنز جامع الفوائد ١: ٢٨٤ ح ٢٨١، تفسير البرهان ٣: ٥٧٦ ح ٦٥٢٨.

(١) الإسراء (١٧): ٨٢.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٩٠ ح ٢٨، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٢٥ ح ١٦، تفسير البرهان ٣: ٥٨١ ح ٦٥٣٤.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٩٠ ح ٢٩، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٢٦ ح ١٧، تفسير البرهان ٣: ٥٨١ ح ٦٥٣٥.

(٤) الإسراء (١٧): ٨٩.

«فأبى أكثر الناس إلّا كفوراً» قال: نزلت في ولاية عليّ عليه السلام[1].

وعن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: فأبى أكثر الناس ـ بولاية عليّ عليه السلام ـ إلّا كفوراً[2].

وفي [كتاب] الكليني عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل بهذه الآية هكذا: فأبى أكثر الناس ـ بولاية عليّ عليه السلام ـ إلّا كفوراً[3].

٨٣٦ ـ ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذٰلِكَ سَبِيلًا﴾[4].

النهي عن الإفراط والتفريط، سيّما في الأمر الجزئي الذي هو أدنى مرتبة بالنسبة إلى أمر الإمامة الذي هو أهمّ يستلزم التنصيص به.

وأُيّد بما في تفسير الصافي عن الباقر عليه السلام تفسيرها: ولا تجهر بولاية عليّ ولا ممّا أكرمته به حتّى آمرك بذلك، «ولا تخافت بها» يعني: لا تكتمها عليّاً وأعلمه بما أكرمته به «وابتغ بين ذلك سبيلاً» سلني آذن لك أن تجهر بأمر عليّ بولايته فأذن له بإظهار ذلك يوم غدير خُمّ[5].

٨٣٧ ـ ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِىٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾[6].

القمّي قال: ولم يذلّ فيحتاج إلى ناصرٍ ينصره[7].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٩٠ ح ٣٠، وعنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٨١ ح ٧٠، تفسير البرهان ٣: ٥٨٥ ح ٦٥٥٩.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٩١ ح ٣١، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٨١ ح ٧١، تفسير البرهان ٣: ٥٨٥ ح ٦٥٥٨.

(٣) الكافي ١: ٤٢٥ ح ٦٤ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٨٩ ح ٦٦، تفسير البرهان ٣: ٥٨٥ ح ٦٥٥٩ وراجع: تفسير العيّاشي ٢: ٣١٧ ح ١٦٦.

(٤) الإسراء (١٧): ١١٠.

(٥) تفسير الصافي ٣: ٢٨٨، ورواه المجلسي في: البحار ٣٦: ١٧١ عن بصائر الدرجات.

(٦) الإسراء (١٧): ١١١.

(٧) تفسير القمّي ٢: ٣٠، وعنه في: تفسير الصافي ٣: ٢٢٨.

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: قال رجل عنده «الله أكبر»، فقال: الله أكبر من أيّ شيء؟ فقال: من كلّ شيء. فقال عليه السلام: حددته. فقال الرجل: كيف أقول؟ قال: قل: الله أكبر من أن يوصف[١].

وقال في روايةٍ أُخرى فقال: وكان ثمّة شيء فيكون أكبر منه. فقيل: وما هو؟ قال: أكبر من أن يوصف[٢].

وفي التهذيب عنه عليه السلام أنّه أمر من قرأ هذه الآية أن يكبّر ثلاثاً[٣].

وفي الفقيه في وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: يا علي، أمانٌ لأُمّتي من السرق ﴿ **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ** ﴾[٤] إلى آخر السورة[٥].

وفي ثواب الأعمال والمجمع والعيّاشي عن الصادق عليه السلام: من قرأ سورة بني إسرائيل في كلّ ليلة جمعة، لم يمت حتّى يدرك القائم عليه السلام، ويكون مع أصحابه[٦].

---

(١) الكافي ١: ١١٧ ح٨ كتاب التوحيد ـ باب معاني الأسماء واشتقاقها، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٢) الكافي ١: ١١٨ ح٩ كتاب التوحيد ـ باب معاني الأسماء واشتقاقها، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٢٢٩.

(٣) تهذيب الأحكام ٢: ٢٩٧ ح١١٩٥ باب ١٥ في كيفيّة الصلاة وصفتها والمفروض من ذلك، وعنه في: تفسير الصافي ٣: ٢٢٩.

(٤) الإسراء (١٧): ١١٠.

(٥) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٧٠ ضمن حديث طويل (وصايا النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام) باب النوادر، وعنه في: تفسير الصافي ٣: ٢٢٩، بحار الأنوار ٧٤: ٥٨ باب ما أوصىٰ به رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أميرالمؤمنين عليه السلام.

(٦) راجع: ثواب الأعمال: ١٠٧ (ثواب من قرأ سورة بني إسرائيل)، تفسير مجمع البيان ٦: ٢١٣، تفسير العيّاشي ٢: ٢٧٦ ح١، وعنهم جميعاً في: تفسير الصافي ٣: ٢٢٩، وذكره أيضاً في: تفسير نور الثقلين ٣: ٩٧ ح١ عن مجمع البيان.

سورة الكهف وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٨٣٨ ـ ﴿لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾[١].

إنزال الكتاب بنفي العوج على نحو العموم، وكونه مستقيماً بنفي الإفراط والتفريط فيه لغاية الإنذار، ولا يتمّ إلّا بوجود معلّم بعد النبيّ صلى الله عليه وآله يعلّم ذلك الكتاب، بحيث لا يكون فيه ريب وإلّا لما فائدة في ذلك، وبه ينفي الغرض وتنتفي الحجّة.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي حمزة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «لينذر بأساً شديداً من لدنه»، فقال أبو جعفر عليه السلام: البأس الشديد هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهو من لدن رسول الله وقاتل عدوّه، فذلك قوله: «لينذر بأساً شديداً من لدنه»[٢].

يعني رسول الله صلى الله عليه وآله، «بأساً شديداً» أي ذا بأس شديد، فحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه أميرالمؤمنين عليه السلام وشدّة بأسه وسطوته متفق عليها بلا خلاف فيه، وقوله: «من لدنه» أي من عنده ومن أهل بيته ومن نفسه صلّى الله عليهما وعلى ذريّتهما الطيّبين صلاة باقية في كلّ عصر وحين[٣].

٨٣٩ ـ إلى ٨٤١ ﴿قُل رَّبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٤].

لا ريب أنّ المراد بالقليل ليس هو النبيّ صلى الله عليه وآله فلابدّ أن يكون هذا هو من كان من

---

(١) الكهف (١٨): ٢.

(٢) تفسير العيّاشي ٢: ٣٢١ ح٢، تفسير البرهان ٣: ٦١١ ح٦٦٠٩، تفسير الصافي ٣: ٢٣٠، تفسير نور الثقلين ٣: ٩٧ ح١.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٩١ ـ ٢٩٢.

(٤) الكهف (١٨): ٢٢.

أُمّته صلى الله عليه وآله وهو ظاهر، وينفي أن يعلم أنّ ذلك صدر منه تعالى على ما هو يستلزم المدح لهم وهو كنوع من الإعجاز، وقد يثبت بالاشتهار التامّ أنّ العالم بما كان بعده صلى الله عليه وآله ليس إلّا عليّ وذريّته عليهم السلام، وكيف وأنّ العالم والحاكم بشيء لا يكون عن الديانات مع الاختلاف فيه عن العقل على نحو عدم اختلاط الظنّ والريب يستلزم كونه عالماً، كذلك بكلّ الضروريّات؛ لأنّ إفاضة هذا الأمر الغير الضروري دون غيره منه تعالى من الذي لا يجوز فيه الترجيح بدون المرجّح، فكيف المرجوح؟

وأُكّد ذلك بما في تفسير الصافي: روت العامّة[١] عن عليّ عليه السلام: هم سبعة وثامنهم كلبهم، ويدلّ عليه من طرق الخاصّة ما روي في روضة الواعظين[٢] عن الصادق عليه السلام أنّه يخرج مع القائم عليه السلام من ظهر الكعبة سبعة وعشرون رجلاً؛ خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الذين كانوا يهدون بالحقّ وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف ويُوشع بن نُون وأبو دُجانة الأنصاري والمقداد ومالك الأشتر؛ فيكونوا بين يديه أنصاراً وحكّاماً[٣].

٨٤٢ ـ ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُولَٰئِكَ﴾ إلى قوله: ﴿حَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[٤].

---

(١) انظر: تفسير الكشّاف ٢: ٤٧٨ (ط. البابي الحلبي ـ مصر)، تفسير البيضاوي ٣: ٤٨٩ (ط. دار الفكر)، تفسير البحر المحيط ٦: ١٠٩ (ط. دار الكتب العلميّة).

(٢) روضة الواعظين ٢: ٢٦٦ ط. منشورات الرضي.

(٣) تفسير الصافي ٣: ٢٣٧ ـ ٢٣٨، وراجع: تفسير البرهان ٣: ٦٢٠ ح ٦٦٣٥، بحار الأنوار ٥٣: ٩٠ ح ٩٥، تفسير نور الثقلين ٣: ٣٥٢ ح ٤٠.

(٤) الكهف (١٨): ٢٩ ـ ٣١.

صدرها يدلّ على بيان الحقّ وهو ليس إلّا بمعصوم بعده صلى الله عليه وآله وإلّا لم تتمّ الحجّة، بل لهم الحجّة عليه سبحانه، وكلّ غير معصوم اختار الخلاف عنه الحقّ فيكون ظالماً كذلك بالإمكان، ولا شيء من الإمام كذلك بالضرورة، فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة، والمقدّمتان ظاهرتان، وإنّ عموم الصالحات ـ كما مرّ ـ يستلزم الإمام المعصوم، فتمّ الاستدلال بثلاثة أوجه.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: وعن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قوله تعالى: «قل الحقّ من ربّكم» في ولاية عليّ عليه السلام «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنّا أعتدنا» لظالمي آل محمّد حقّهم «ناراً أحاط بهم سرادقها»[1].

وعن عيسى بن داوٗد عن أبي الحسن موسى بن جعفر عن أبيه صلوات الله عليهما في قوله تعالى: «وقل الحقّ» قال: وقرأ إلى قوله: «إنّا أعتدنا للظالمين» لآل محمّد «ناراً أحاط بهم سرادقها»، ثمّ قرأ: «إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنّا لا نضيع أجر من أحسن عملاً» يعني بهم آل محمّد صلوات الله عليهم[2].

وفي الكافي عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل بهذه الآية هكذا: «وقل الحقّ من ربّكم (في ولاية عليّ) فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنّا أعتدنا للظالمين (لآل محمّدٍ) ناراً أحاط بهم سرادقها» الآية[3].

وذكر مثله عليّ بن إبراهيم في تفسيره، قال: نزلت هذه الآية هكذا: «وقل الحقّ

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٩٢ ح ٢، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٢٦ ح ١٨، وانظر: تفسير البرهان ٣: ٦٣١ ح ٦٦٦٠، ورواه السيّاري في: التنزيل والتحريف: ٨٣ ح ٣٢١ مرسلاً.

(٢) انظر: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٩٢ ـ ٢٩٣ قطعة من الحديث ٣، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٨١ ح ٧٢.

(٣) الكافي ١: ٤٢٥ قطعة من الحديث ٦٤ كتاب الحجّة ـ باب نادر، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٧٩ ح ٦٦، تفسير البرهان ٣: ٦٣١ ح ٦٦٦٠، وراجع: تفسير العيّاشي ٢: ٤٦٦ ح ٦.

من ربّكم ـ يعني بولاية عليّ ـ فمن شاء فليكفر إنّا أعتدنا للظالمين (لآل محمّد حقّهم) ناراً» الآية[1].

٨٤٣ ـ ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِنْهُ شَيْئًا ﴾[2].

الإمام لا يجوز أن يكون حاله كحال الرجل الذي نسب إليه الكفر؛ لاستحالة الترجيح بدون مرجّح، فلابدّ أن يكون حاله في جميع الحالات حال الرجل الممدوح، وحاصله يرجع إلى نفي استواء العاصي في عصيانه وغيره، وإنّ كلّ غير معصوم يمكن أن يصدر منه إنكار الضروريّ من الدين بالضرورة، مثل هذا الرجل، وتمّ الاستدلال بما مرّ غير مرّة.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة فقال: وأمّا الباطن فهو ما ذكره محمّد بن العبّاس رحمه الله بإسناده إلى القاسم بن [عروة][3]، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «واضرب لهم مثلاً» الآية، قال: هما عليّ عليه السلام ورجل آخر[4].

يعني هذا التأويل: ظاهر لا يحتاج[5] إلى بيان حال هذين الرجلين وإن لم تذكر الآيات المتعلّقة بهما إلى قوله «منتصراً».

وبيان ذلك: أنّ حال عليّ عليه السلام لا يحتاج إلى بيان.

---

(١) تفسير القمّي ٢: ٣٥، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٢٢ ح٧، تفسير البرهان ٣: ٦٣٢ ح٦٦٦٦.

(٢) الكهف (١٨): ٣٢ـ٣٣.

(٣) في المخطوط: «بن عوف» وما أثبتناه من المصدر وتفسير البرهان والبحار.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٩٤ ح٥، عنه في: بحار الأنوار ٣٦: ١٢٤، تفسير البرهان ٣: ٦٣٣ ح٦٦٦٩، كنز جامع الفوائد ١: ٢٨٩.

(٥) في المصدر: «يحتاج» بدل «لا يحتاج» ولكن في هامش المصدر عن بعض النسخ كما في المتن.

وأمّا البحث عن الرجل الآخر وهو عدوّه فإنّ الله ضرب هذا المثل فيهما، فقوله تعالى: «لأحدهما جنّتين» وهما عبارة عن الدنيا فجنّته منهما له في حياته، والأُخرى للتابعين له بعد وفاته؛ لأنّه كافر، والدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر، وإنّما جعل الجنّتين له؛ لأنّه هو الذي أنشأها وغرس أشجارها وأجرى أنهارها وأخرج ثمارها، وذلك على سبيل المجاز إذ جعلنا الجنّة هي الدنيا.

ومعنى ذلك أنّ الدنيا استوثقت له ولأتباعه ليتمتّعوا بها حتّى حين.

ثمّ قال تعالى: ﴿**فَقَالَ**﴾ أي صاحب الجنّة ﴿**لِصَاحِبِهِ**﴾ وهو عليّ عليه السلام ﴿**أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا**﴾ أي دنيا وسلطاناً ﴿**وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾ أي عشيرة وأعواناً. ﴿**وَدَخَلَ جَنَّتَهُ**﴾ أي دخل في دنياه وانغمر فيها وابتهج بها وركن إليها ﴿**وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ**﴾ بقوله وفعله ولم يكفه ذلك حتّى قال: ﴿**مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هٰذِهِ أَبَدًا**﴾ أي جنّته ودنياه، ثمّ كشف عن اعتقاده وقال: ﴿**وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُدِدْتُ إِلىٰ رَبِّى**﴾ كما تزعمون أنتم مردّاً إلى الله ﴿**لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا**﴾ أي من جنّته ﴿**مُنْقَلَبًا**﴾. فـ﴿**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ**﴾ وهو عليّ ﴿**أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لٰكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّى**﴾ معناه إنّك كفرت بربّك فإنّي أنا أقول هو الله ربّي وخالقي ورازقي ﴿**وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّى أَحَدًا**﴾.

ثمّ دلّه على ما كان أولى لو قاله: ﴿**وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾ كان في جميع أُموري ولا قوّة لي عليها إلّا بالله، ثمّ إنّه أرجع القول إلى نفسه فقال: ﴿**إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا**﴾ أي فقيراً محتاجاً إلى الله ومع ذلك ﴿**فَعَسَىٰ رَبِّى أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِن جَنَّتِكَ**﴾ ودنياك في الدنيا بقيام ولدي القائم دولة وملكاً وسلطاناً، وفي الآخرة حكماً وشفاعة وجناناً ومن الله رضواناً ﴿**وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا**﴾ أي على

جنّتك ﴿حُسْبَانًا مِنَ السَّماءِ﴾ أي عذاباً ونيراناً فتحرقها أو سيفاً من سيوف القائم فيمحقها ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا﴾ أي أرضاً لا نبات فيها ﴿زَلَقًا﴾ أي يزلق الماشي عليها. ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ التي أثمرتها جنّته[١]، يعني ذهبت دنياه وسلطانه ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا﴾ من دينه ودنياه وآخرته وعشيرته ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ﴾ ولا عشيرة ﴿يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾.

ثمّ الله سبحانه أبان حال عليّ صلوات الله عليه وحال عدوّه وإن كان له في الدنيا دولة وولاية من الشيطان، فإنّ لعليّ عليه السلام الولاية في الدنيا والآخرة من الرّحمٰن، وولاية الشيطان ذاهبة، وولاية الرّحمٰن ثابتة، وذلك قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾[٢] وممّا ورد أنّها ولاية عليّ عليه السلام[٣]:

هو ما رواه أحمد بن العبّاس بإسناده إلى أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: قوله تعالى: «هنالك الولاية لله الحقّ هو خيرٌ ثواباً وخير عقباً»[٤].

قال: هي ولاية عليّ عليه السلام هي خير ثواباً وخير عقباً أي: عاقبة من ولاية عدوّه صاحب الجنّة الذي حرّم الله عليه الجنّة[٥].

فللّه على ذلك الفضل والمنّة، واختصاص الولاية على ما يقتضيه آية ﴿إِنَّمَا

---

(١) في المصدر: «جنّتك» بدل «جنّته». وما في المتن موافق لما في هامش المصدر عن بعض النسخ.

(٢) الكهف (١٨): ٣٤ـ٤٤.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٩٤ـ٢٩٦ ح ٥، عنه في: بحار الأنوار ٣٦: ١٢٤ـ١٢٦.

(٤) بحار الأنوار ٣٦: ١٢٦، تفسير البرهان ٣: ٦٣٨ ح ٦٦٨٣.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٩٦ ح ٦.

﴿وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ (١) يوجب نفي الاختيار أيضاً.

ويؤيّده ما في الكافي عن عبد الرّحمٰن بن كثير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قوله تعالى: «هنالك الولاية لله الحقّ»، فقال: ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام (٢).

ومعنى قوله «هنالك الولاية» يعني الولاية لأميرالمؤمنين عليه السلام هي الولاية لله؛ لأنّه جاء في الدعاء: «من والاكم فقد والى الله ومن تبرّأ منكم فقد تبرّأ من الله»، جعلنا الله وإيّاكم والمؤمنين من الموالين لمحمّد وآله الطيّبين، ومن المتبرّئين من أعدائهم الظالمين إنّه أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين (٣).

٨٤٤ ـ ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (٤).

فيه حثّ وترغيب على الأعمال الصالحة التي يبقى أثرها على نحو العموم؛ لأنّ الجمع المحلّى باللّام يفيد الاستغراق (٥)، والعلم بها لا يمكن إلّا بالمعصوم في كلّ دهر لما مرّ.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن محمّد بن العبّاس بإسناده عن عمرو الجعفي قال: حدّثنا محمّد بن إسماعيل بن عبد الرّحمٰن الجعفي قال: دخلت أنا وعمّي الحُصين بن عبد الرّحمٰن على أبي عبدالله عليه السلام فسلّم عليه، فردّ عليه السلام وأدناه، فقال: ابن من هذا معك؟ قال: ابن أخي إسماعيل. قال: رحم الله إسماعيل

---

(١) المائدة (٥): ٥٥.

(٢) الكافي ١: ٤١٨ قطعة من الحديث ٣٤ و٤٢٢ ح ٥٢ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، عنه في: بحار الأنوار ٣٦: ١٢٦، تفسير البرهان ٣: ٦٣٨ ح ٦٦٨٢.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٩٦ ح ٧.

(٤) الكهف (١٨): ٤٦.

(٥) راجع: العدّة في أُصول الفقه ١: ٢٧٦، مبادئ الوصول إلى علم الأُصول: ١٢٢.

وتجاوز عن سيّئ عمله، كيف خلّفتموه؟[١] قال: نحن جميعاً بخير ما أبقى الله لنا مودّتكم. قال: يا حصين، لا تستصغرنّ مودّتنا فإنّها من الباقيات الصالحات. فقال: يابن رسول الله، ما استصغرتها ولكن أحمد الله عليها.

لقولهم صلوات الله عليهم: من حمد فليقل: الحمد لله على أوّل[٢] النعم. قيل: وما أوّل[٣] النعم؟ قال: ولايتنا أهل البيت[٤].

٨٤٥ ـ ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[٥].

عمومه يقتضي نفي القول بالاختيار، وكلّ غير معصوم ظالم بالإمكان، ولا شيء من الظالم وليّاً وبدلاً من الله بالخلافة بالضرورة، الصغرى ظاهرة، والكبرى بيّنتها الآية.

وأُيّد بما في تفسير الصافي عن العيّاشي عن الباقر عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اللهمّ أعزّ الإسلام بعمر بن الخطّاب أو بأبي جهل بن هشام، فأنزل الله هذه الآية بعينهما[٦].

وفي الكافي عن الجواد عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل متفرّداً بوحدانيّته ثمّ

---

(١) في المصدر: «تخلّفوه» وفي تفسير البرهان: «مُخلّفوه».

(٢) في المصدر: «أولى» بدل «أوّل» ولكن في هامش المصدر عن بعض النسخ موافق لما في المتن.

(٣) كما في الهامش السابق.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٩٧ ح٨، وعنه في: تفسير البرهان ٣: ٦٤٠ ح ٦٦٩١، وأخرج ذيله المجلسي في: البحار ٢٣: ٢٥٠ ح ٢٥.

(٥) الكهف (١٨): ٥٠ ـ ٥١.

(٦) تفسير الصافي ٣: ٢٤٦، تفسير العيّاشي ٢: ٣٢٩ قطعة من الحديث ٤٠.

خلق محمّداً وعليّاً وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثمّ خلق جميع الأشياء، فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوّض أُمورها إليهم[١].

٨٤٦ـ ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾[٢].

الإمام قائم مقام النبيّ صلى الله عليه وآله وخليفته، والغاية المرادة من النبي صلى الله عليه وآله بعده تحصل من الإمام، فلابدّ أن يكون قد نصب الله الإمام بالحقّ بشيراً ونذيراً وأن يكون عالماً بجميع ما جاء به بحيث يردع الخصوم ويقمع حجّة كلّ من خالف النبيّ صلى الله عليه وآله، كما أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كذلك عن الله سبحانه، وكما أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله جميع ما يقوله ويأمر به وينهى عنه حقّ، فكذا الإمام؛ لعموم اللطف وعدم ترجيح مع مشاركة كلّ خليفة في الاحتياج إلى معلّم كذلك، وغير المعصوم ليس كذلك، فيستحيل أن يكون الإمام غير معصوم بالضرورة[٣].

٨٤٧ـ ﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ ﴾[٤].

الأعمال الحسنة علّة للجزاء وإنّها علّة للجزاء الحسنى على خلاف في القراءة، وعلى أيّ تقدير العمل يحتفي بالعلم، وهو لا يمكن إلّا بإمام معصوم.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن عليّ عليهم السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله: أتاني جبرئيل عن ربّي عزّ وجلّ وهو يقول: ربّي يقرئك السلام ويقول

---

(١) الكافي ١: ٤٤١ قطعة من الحديث ٥ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام، وراجع: تفسير الصافي ٣: ٢٤٦ـ٢٤٧، بحار الأنوار ١٥: ١٩ ح٢٩، تفسير نور الثقلين ٣: ٢٦٨ ح ١٢٠ و ١٢١.

(٢) الكهف (١٨): ٥٦.

(٣) انظر: الألفين: ٤٠٢ الثامن والسبعون من أدلّة المائة التاسعة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام مع زيادة في بعض الألفاظ.

(٤) الكهف (١٨): ٨٨.

لك: يا محمّد، بشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ويؤمنون بك وبأهل بيتك بالجنّة، ولهم عندي جزاء الحسنى يدخلون الجنّة[١].

أي جزاء الحسنى وهي ولاية أهل البيت عليهم السلام ودخول الجنّة[٢]. فيكون التنكير للتكثير والتعظيم المستلزم للعموم على ما يقتضيه العقل والنقل؛ فتأمّل.

٨٤٨ ـ ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا * الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾[٣].

كلّ غير معصوم كذلك بالإمكان، وتمّ الاستدلال.

وأُيّد بما في تفسير الصافي عن العيون عن الرضا عليه السلام أنّ غطاء العين لا يمنع من الذِّكر، والذِّكر لا يُرى بالعين[٤]، ولكن الله عزّ وجلّ شبّه الكافرين بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالعُميان؛ لأنّهم كانوا يستثقلون قول النبيّ صلى الله عليه وآله فيه، ولا يستطيعون له سمعاً[٥].

والقمّي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: يعني بالذكر ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام قال: «كانوا لا يستطيعون سمعاً» إذا ذكر عليّ صلوات الله عليه عندهم أن يسمعوا ذكره لشدّة بغض له وعداوة منهم له ولأهل بيته[٦].

---

(١) بحار الأنوار ٢٤: ٢٦٩ ح ٣٩، تفسير البرهان ٣: ٦٧٤ ح ٦٧٨٥.

(٢) انظر: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٩٧ ح ٩.

(٣) الكهف (١٨): ١٠٠ و ١٠١.

(٤) في التوحيد والبحار وتفسير البرهان: «العيون» بدل «العين».

(٥) تفسير الصافي ٣: ٢٦٦، وراجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٣٦ ذيل الحديث ٣٣ باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار في التوحيد، التوحيد: ٣٥٣ ح ٢٥ باب الاستطاعة، تفسير البرهان ٣: ٦٨٥ ح ٦٨٠٢، تفسير نور الثقلين ٣: ٣١٠ ح ٢٤٣.

(٦) تفسير القمّي ٢: ٤٧، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٢٦٦، بحار الأنوار ٢٤: ٣٧٧ قطعة من حديث ١٠٤، نور الثقلين ٣: ٣١١ ح ٢٤٥.

٨٤٩ ـ ﴿ ذٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴾[١].

والاستدلال به على طريق الشكل الثاني ظاهر.

وأُيّد بما في تفسير الصافي فقال: في العيون عن الرضا عليه السلام فيما كتبه للمأمون: ويجب البراءة من أهل الاستيثار ومن أبي موسى الأشعري وأهل ولايته الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً، ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بَآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بولاية أميرالمؤمنين عليه السلام ﴿وَلِقَائِهِ﴾ كفروا بأن لقوا الله بغير إمامته ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[٢] فهم كلاب أهل النار[٣].

٨٥٠ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾[٤].

قد مرّ الاستدلال بمثله، فتذكّر.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة قال: محمّد بن العبّاس بإسناده عن عيسى ابن داود النجّار قال: حدّثنا مولاي موسى بن جعفر عليه السلام قال: سألت عن قول الله عزّوجلّ: «إنّ الذين آمنوا» الآية، قال: نزلت في آل محمّد صلى الله عليه وآله[٥].

---

(١) الكهف (١٨): ١٠٦.

(٢) الكهف (١٨): ١٠٤ و١٠٥.

(٣) تفسير الصافي ٣: ٢٦٨، وراجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٢٦ قطعة ضمن حديث ١ باب ما كتبه الرضا عليه السلام للمأمون في محض الإسلام وشرائع الدين، عنه في: بحار الأنوار ١٠: ٣٥٨ قطعة من حديث ١.

(٤) الكهف (١٨): ١٠٧ و١٠٨.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٩٨ ح ١٠، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٦٩ ح ٤٠، تفسير البرهان ٣: ٦٨٨ ح٦٨١٣.

وعن أبي إسحاق، عن أبي الحارث، عن عليّ عليه السلام أنّه قال: لكلّ شيء ذُرْوة، وذُرْوة الجنّة الفردوس وهي لمحمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله[1].

٨٥١ ـ ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[2].

لا يخفى أنّ مجرّد العمل وإن ترك بعضه واقتحم في الحرام لا يستلزم لقاء رحمة الربّ والزلفى عنده، وهذا ظاهر فيكون المراد أن يتيسّر ذلك بنفي الشرك على العموم على ما تقتضيه الآية والاستباق بالعمل الذي أمر به مع الإخلاص، أو الذي يستلزمه ويحمل على الجميع ويتوقّف صحّة كلّ الأعمال عليه، وقد عرفت أنّه كاد أن لا يحصل إلّا بإمام معصوم.

وأُيّد بما في تفسير الصافي عن الصادق عليه السلام أنّه سُئل عن هذه الآية، فقال: العمل الصالح: المعرفة بالأئمّة، «ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً» التسليم لعليّ عليه السلام لا يُشرك معه في الخلافة مَنْ ليس ذلك له، ولا هو من أهله[3].

والقمّيّ عنه عليه السلام: «ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً» قال: لا يتّخذ مع ولاية آل محمّد عليهم السلام غيرهم، وولايتهم العمل الصالح من أشرك بعبادة ربّه فقد أشرك بولايتنا، وكفر بها، وجحد أميرالمؤمنين حقّه وولايته[4].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة: ١: ٢٩٨ ح١١، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٦٩ ح٤١، وراجع: تفسير البرهان ٣: ٦٨٨ ح٦٨١٤.

(٢) الكهف (١٨): ١١٠.

(٣) تفسير الصافي ٣: ٢٧٠، وراجع: تفسير العيّاشي ٢: ٣٥٣ ح٩٧، تفسير البرهان ٣: ٦٩١ ح٦٨٢٨، بحار الأنوار ٣٦: ١٠٦ ح٥٤، تفسير نور الثقلين ٣: ٣١٧ ـ ٣١٨ ح٢٧٩، تفسير كنز الدقائق ٨: ١٨٣.

(٤) تفسير القمّي ٢: ٤٧، وعنه في: تفسير الصافي ٣: ٢٧٠، بحار الأنوار ٢٤: ٣٧٧ ح١٠٤، تفسير ⇐

سورة مريم وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٨٥٢ـ ﴿كٓهيعٓصٓ﴾(١).

قد مرّ أنّ هذا ومثله من المتشابهات على ما اعترف بـه أكـثر الخـصوم، ولا يعلمها على القطع إلّا المعصوم الراسخ في العلم، وهو ليس مقتصراً في النبيّ صلى الله عليه وآله وجمع الراسخين، ولا يجوز أن يكون غير الإمام معصوماً بـالإجماع، فـلابدّ أن يكون هو الإمام.

وأُيّد بما في تفسير الصافي فقال: في الإكمال عن الحجّة القائم عليه السلام في حديث سُئل عن تأويلها، فقال: هذه الحروف من أنباء الغيب أطلع الله عبده زكريّا عليه السلام عليها، ثمّ قصّها على مـحمّد صلى الله عليه وآله، وذلك أنّ زكـريّا سأل ربّـه أن يـعلّمه أسـماء الخمسة فأهبط الله عليه جبرئيل فعلّمه إيّاها فكان زكريّا إذا ذكر مـحمّداً وعـليّاً وفاطمة والحسن والحسين سُرِّي(٢) عنه همُّه وانجلى كـربُه، وإذا ذكـر حُسـين خنقته العَبْرة ووقعت عليه البُهرَة(٣).

فقال ذات يوم: إلهي، ما بالي إذا ذكرت أربعاً منهم تسـلّيتُ بأسـمائهم مـن همومي وإذا ذكرت الحسين عليه السلام تدمع عيني وتثور زفرتي؟ فأنبأه الله تبارك وتعالى عن قصّته، فقال: «كهيعص» فالكاف: اسم كربلا، والهاء: هلاك العترة [الطاهرة]،

⇐ البرهان ٣: ٦٩٠ ح ٦٨٢٢، تفسير نور الثقلين ٣: ٣١٣ـ٣١٤ ح ٢٥٨.

قال المجلسي في البحار في بيان الحديث ما لفظه: لعلّ المراد بالعبادة هنا العبادة القلبيّة، وهـي الاعتقاد بالولاية، أو هي أيضاً داخلة فيها والشرك فيها تشريك غير من جعل الله له الولاية مع من جعلها له.

(١) مريم (١٩): ١.

(٢) سُرِّيَ عنه: تجلّى همُّه. وانسرى عنه الهمّ: انكشف. لسان العرب ١٤: ٣٨٠ «سرا».

(٣) البُهرة ـ بالضم ـ: تتابع النفس وانقطاعه. راجع: بحار الأنوار ١٤: ١٧٩.

والياء: يزيد ـ لعنه الله ـ وهو ظالم الحسين، والعين: عطشه، والصاد: صبره. فلمّا سمع بذلك زكريّا لم يفارق مسجده ثلاثة أيّام ومنع منها الناس من الدخول عليه وأقبل على البكاء والنَّحيب، وكانت ندبته: إلهي، أتفجع خيرَ خلقِك بولده؟ أتُنزل بلوى هذه الرزيّة بفنائه؟ إلهي، أتُلبس عليّاً وفاطمة ثياب هذه المصيبة؟ إلهي، أتُحلّ كرب هذه الفجيعة بساحتهما؟

ثمّ كان يقول: إلهي، ارزقني ولداً تقرّ به عيني عند الكبر، واجعله وارثاً وصيّاً، واجعل محلّه منّي محلّ الحسين، فإذا رزقتنيه فافتنّي بحبّه، ثمّ أفجعني[1] به كما تفجع محمّداً حبيبك صلى الله عليه وآله بولده.

فرزقه الله يحيى وفجعه به، وكان حَمل يحيى ستّة أشهر، وحمل الحسين عليه السلام كذلك[2].

وفي المناقب[3] عنه عليه السلام مثله.

وفي المعاني عن الصادق عليه السلام، معناه: أنا الكافي، الهادي، الولي، العالم،

---

(١) قال شرف الدين الحسيني في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٠١ بعد أن نقل الخبر ما لفظه: ومعنى قوله: وافجعني به كما تفجع محمّداً، ومحمّد صلى الله عليه وآله توفّي قبل قتل الحسين عليه السلام وكذلك زكريّا عليه السلام وهذا يدلّ على أنّ الأنبياء عليهم السلام أحياء عند ربّهم يرزقون، وبهذا القول صار بين يحيى وبين الحسين عليهما السلام مماثلة في أشياء منها: حمله لستّة أشهر، ومنها قتله ظلماً، ومنها أنّ رأس يحيى عليه السلام أُهدي إلى بغيّ من بغايا بني إسرائيل، والحسين صلوات الله عليه أُهدي رأسه الكريم إلى باغ من بغاة بني أُميّة لأنّهم شرّ البريّة فعليهم اللعنة الجزئيّة والكلّيّة وعلى الممهّدين لهم والتابعين من جميع البريّة.

(٢) تفسير الصافي ٣: ٢٧٢، وراجع: إكمال الدين وإتمام النعمة ٢: ٤٦١ ح ٢١ باب من شاهد القائم عجّل الله فرجه ورآه وكلّمه، إرشاد القلوب: ٤٢٢، تفسير البرهان ٣: ٦٩٨ ح ٦٨٣٤، بحار الأنوار ٥٢: ٨٤، العوالم (الإمام الحسين عليه السلام) للبحراني: ١٠٧، تفسير نور الثقلين ٣: ٣١٩ ح ٣، الاحتجاج ٢: ٢٧٣، دلائل الإمامة للطبري: ٥١٣.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٢٣٧، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٢٧٣.

الصادق الوعد(١).

وعنه عليه السلام: كاف لشيعتنا، هادٍ لهم، وليّ لهم، عالم بأهل طاعتنا، صادق لهم وعده حتّى يبلغ بهم المنزله التي وعدهم إيّاها في بطن القرآن(٢).

٨٥٣ـ ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾(٣).

المراد منه كونه عليه السلام رضيّاً بحيث عصم من الزلل والخطيئات من أوّل العمر؛ حتّى يستعدّ به الوراثة والولاية.

وأيضاً أنّه سبحانه قبل دعاء زكريّا وأجاب التماسه على ما دلّ على المقدّمتين قوله تعالى: **﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾**(٤) وقوله تعالى: **﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا * وَحَنَانًا مِن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾**(٥)، فإنّ الله تعالى حكم بأنّه آتاه الحكمة والرحمة والطهارة والتقوى، ثمّ نفى تأكيداً عنه الجبر والعصيان على وجه العموم بالماضي، ثمّ بالسلام عليه يوم ولد من أن يناله الشيطان بما ينال به غيره ومن عذاب القبر

---

(١) معاني الأخبار: ٢٢ ح١ باب معنى الحروف المقطّعة في أوائل السور من القرآن، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٢٧٣، تفسير البرهان ٣: ٦٩٧ ح٦٨٣٢.

(٢) معاني الأخبار: ٢٨ ح٦ باب معنى الحروف المقطّعة في أوائل السور من القرآن وفيه: «كاف» كاف لشيعتنا، «ها» هادي لهم، «يا» وليّ لهم، «عين» عالم بأهل طاعتنا، «صاد» صادق لهم وعدهم... إلخ، والعبارة في المتن موافقة لـ: تفسير الصافي ٣: ٢٧٣، وراجع: تفسير البرهان ٣: ٦٩٧ ح٦٨٣٣.

(٣) مريم(١٩): ٥ و٦.

(٤) مريم(١٩): ٧.

(٥) مريم(١٨): ١٢ـ١٥.

وأحوال البعث يوم يبعث حيّاً، وهذا يستلزم التصريح بالإخبار عن عصمته صلى الله عليه وآله من أوّل الفطرة.

وأيّدها بما في الكافي عن الباقر عليه السلام: مات زكريّا فورثه ابنه يحيى الكتاب والحكمة وهو صبي صغير[١].

وفي المجمع عن الرضا عليه السلام: إنّ الصبيان قالوا ليحيى: اذهب بنا نلعب، فقال: ما للّعب خُلِقنا، قال الله تعالى: «وآتيناه الحكم صبيّاً»[٢].

وفي تفسير الإمام عليه السلام في سورة البقرة عند تفسير قوله: ﴿ **وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِجَالِكُمْ** ﴾[٣] ما ألحق الله صبياناً[٤] برجال كاملي العقول إلّا هؤلاء الأربعة: عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريّا، والحسن، والحسين عليهم السلام.

ثمّ ذكر قصّتهم وذكر في قصّة يحيى قوله تعالى: «وآتيناه الحكم صبيّاً»، قال: ومن ذلك الحكم أنّه كان صبيّاً فقال له الصبيان: هلمّ نلعب، قال: والله ما للّعب خُلِقنا وإنّما خلقنا للجدّ لأمر عظيم.

ثمّ قال: «وحناناً من لدنّا» يعني تحنّناً «ورحمة» على والديه وسائر عبادنا يعني طهارة من آمن به وصدّقه «وكان تقيّاً» يتّقي الشرور والمعاصي.

«وبرّاً بوالديه» محسناً إليهما مطيعاً لهما «ولم يكن جبّاراً عصيّاً» يقتل على الغضب ويضرب على الغضب، لكن ما من عبدٍ للّه تعالى إلّا وقد أخطأ أو همّ

---

(١) الكافي ١: ٣٨٢ قطعة من حديث ١ باب حالات الأئمّة عليهم السلام في السن، عنه في: بحار الأنوار ١٤: ٢٥٦ ضمن حديث ٥١، تفسير نور الثقلين ٣: ٣٣٤ قطعة من حديث ٦٦، تفسير الصافي ٣: ٢٧٥.

(٢) تفسير مجمع البيان ٦: ٤٠٨، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٢٧٥، تفسير نور الثقلين ٣: ٣٢٥ ح٣٣.

(٣) البقرة (٢): ٢٨٢.

(٤) في المخطوط وتفسير الصافي: «صبيّاً» بدل «صبياناً» وما أثبتناه من تفسير الإمام عليه السلام وبقيّة المصادر.

بخطيئة ما خلا يحيى بن زكريّا فلم يذنب ولم يهمّ بذنب[١].

فإذا تقرّر ذلك فنقول: إذا ثبت عصمة نبيّ من الأنبياء صلوات الله عليهم من أوّل العمر، ثبت عصمة الخليفة كذلك؛ لأنّ كلّ مَنْ قال بعصمة النبيّ صلى الله عليه وآله كذلك قال بعصمة الإمام، وكذلك مَنْ لم يقل بعصمة النبيّ صلى الله عليه وآله لم يقل بعصمة الإمام عليه السلام، فالقول بعصمة النبيّ صلى الله عليه وآله على هذا النحو بدون عصمة الإمام إحداث قول على ما نقلناه عن العلّامة كما مرّ غير مرّة، وبه تمّ المطلوب.

ويعضده ما في تأويل الآيات الظاهرة: عن محمّد بن العبّاس بإسناده عن عيسى بن داود النجّار قال: حدّثني أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: كنت عند أبي يوماً قاعداً حتّى أتى رجل فوقف به وقال: أفي القوم[٢] باقر العلوم ورئيسه محمّد بن عليّ؟ قيل له: نعم، فجلس طويلاً ثمّ قام إليه فقال: يابن رسول الله، أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ في قصّة زكريّا: «وإنّي خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً» الآية. قال: نعم الموالي بنو عمّ، وأحبّ الله أن يهب له وليّاً من صلبه، وذلك أنّه فيما كان علم من فضل محمّد صلى الله عليه وآله.

قال: يا ربّ، أمع ما شرّفت محمّداً وكرّمته ورفعت ذكره حتّى قرنته بذكرك فما يمنعك ـ يا سيّدي ـ أن تهب له ذريّته من صلبه فيكون فيها النبوّة؟

قال: يا زكريّا قد فعلت ذلك بمحمّد ولا نبوّة بعده وهو خاتم الأنبياء، ولكن الإمامة لابن عمّه وأخيه عليّ بن أبي طالب عليه السلام من بعده وأخرجت الذريّة من صلب عليّ إلى بطن فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وصيّرت بعضها من بعض فخرجت منه الأئمّة حججي على خلقي، وإنّي مُخرج من صلبك ولداً يرثك ويرث من آل

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٦٥٩، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٢) في المصدر: «أفيكم» وفي هامش المصدر عن بعض النسخ موافق لما في المتن.

يعقوب، فوهب الله له يحيى عليه السلام(١).

وعن عبد الخالق قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول في قول الله عزّ وجلّ: «لم نجعل له من قبل سميّاً» قال: ذلك يحيى بن زكريّا لم يكن له «من قبل سميّاً»، وكذلك الحسين عليه السلام لم يكن له من قبل سميّاً، ولم تبك السماء إلّا عليهما أربعين صباحاً.

قلت: فما كان بكاؤها؟ قال: تطلعُ الشمس حمراء. قال: وكان قاتل الحسين ولد زنا وقاتل يحيى بن زكريّا ولد زنا(٢).

وكذا روى عليّ بن إبراهيم في تفسيره عن سيف بن عميرة عن حكيم بن الحسين قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: والله لقد أُوتي عليّ عليه السلام الحكم صبيّاً كما أُوتي يحيى بن زكريّا الحكم صبيّاً(٣).

وذكر أبو عليّ الطبرسي رحمه الله قال: روى العيّاشي بإسناده عن عليّ بن أسباط قال: قدمت المدينة وأنا أُريد مصر فدخلت على أبي جعفر محمّد بن عليّ الرضا وهو إذ ذاك خماسيّ(٤)، فجعلت أتأمّله لأصفه لأصحابنا بمصر، فنظر إليّ وقال: يا

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٠١ـ٣٠٢ ح٢، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣٧٣ ح١٠١، تفسير البرهان ٣: ٦٩٩ ح٦٨٣٧.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٠٢ ح٣، كنز جامع الفوائد ١: ٢٩٧ ح٢٨٨، تفسير البرهان ٣: ٧٠١ ح٦٨٣٨ عن تأويل الآيات، وأخرج ذيله في: بحار الأنوار ١٤: ١٨٤ ح٣٠.

(٣) حكاه عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٠٣ ح٦ وراجع: كنز جامع الفوائد ١: ٢٩٨ ح٢٨٩، ورواها أيضاً البحراني في: تفسير البرهان ٣: ٧٠٣ ح٦٨٥٥ والمجلسي في: البحار ٤٠: ١٨١ ح٦ عن كنز جامع الفوائد.

(٤) بيان الخماسي: من كان طوله خمسة أشبار كما ذكره اللغويّون، وقد يطلق في العرف على من له خمس سنين، فعلى الأوّل إشارة إلى الجواد عليه السلام وعلى الثاني إلى القائم عجّل الله فرجه، مع أنّه ⇐

علي، إنّ الله أخذ في الإمامة كما أخذ في النبوّة، فقال سبحانه عن يوسف: ﴿ **وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا** ﴾[١]، وقال عن يحيى: «وآتيناه الحكم صبيّاً»[٢].

٨٥٤ ـ ﴿ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴾[٣].

هذا في الاستدلال كسابقه فإنّ حكمه تعالى قبل ولادة عيسى بزكاته وطهارته من الذنوب ونمائه على الخير يستلزم عصمته عليه السلام من أوّل العمر؛ لاستحالة الكذب عليه تعالى والقلب محال، ودلّ عليه قوله تعالى: ﴿ **آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مقْضِيًّا** ﴾[٤]، وقوله: ﴿ **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا** ﴾[٥].

وهذه المقدّمة أُيّدت بما في الكافي في تفسير «مباركاً» عنهم عليهم السلام فيما وعظ الله به عيسى: فبُوركت كبيراً وبُوركت صغيراً حيثما كنت، أشهد أنّك عبدي، ابن أمتي[٦].

⇐ يحتمل أن يكون التشبيه في محض عدم البلوغ. هذا ما ذكره المجلسي في: البحار ٢٥: ١٠٣ بعد أن نقل الحديث.

(١) يوسف (١٢): ٢٢.

(٢) تفسير مجمع البيان ٦: ٤٠٨، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٠٣ ح٦، بحار الأنوار ١٤: ١٧٦ ـ ١٧٧ ضمن حديث طويل حديث ١٣ وبحار الأنوار ٢٥: ١٠٢ ح٣، تفسير البرهان ٣: ٧٠٣ ح٦٨٥٦ عن العيّاشي، كنز جامع الفوائد ١: ٢٩٨ ح ٢٩٠.

(٣) مريم (١٩): ١٩.

(٤) مريم (١٩): ٢١.

(٥) مريم (١٩): ٢٩ ـ ٣٣.

(٦) الكافي ٨: ١٣٢ قطعة من حديث ١٠٣، وراجع: الأمالي للصدوق: ٦٠٦ ضمن حديث ٨٤١ المجلس الثامن والسبعون، تفسير الصافي ٣: ٢٨٠، تفسير نور الثقلين ٣: ٣٣٣ ح ٦٥.

وعن الباقر عليه السلام أنّه سُئل: كان عيسى بن مريم حين يكلّم في المهد حجّة الله على أهل زمانه؟ فقال: كان يومئذ نبيّاً حجّة الله غير مرسل، أما تسمع لقوله حين قال: «إنّي عبد الله آتاني الكتاب» الآية.

قلت[١]: فكان يومئذٍ حُجّة الله على زكريّا في تلك الحال وهو في المهد؟ فقال: كان عيسى في تلك الحال آية للناس، ورحمة من الله لمريم حين تكلّم فعبّر عنها، وكان نبيّاً حُجّةً على من سمع كلامه في تلك الحال، ثمّ صمت فلم يتكلّم حتّى مضت له سنتان، وكان زكريّا الحُجّة لله عزّوجلّ على الناس بعدما صمت عيسى سنتين، ثمّ مات زكريّا فورثه ابنُه يحيى الكتاب وهو صبيّ صغير، أما تسمع لقوله عزّ وجلّ: ﴿ **يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا** ﴾[٢]، فلمّا بلغ عيسى عليه السلام سبع سنين تكلّم بالنبوّة والرسالة حين أوحى الله إليه، فكان عيسى الحجّة على يحيى وعلى الناس أجمعين[٣].

وعن الرضا عليه السلام: قد قام عيسى بالحجّة وهو ابن ثلاث سنين[٤].

٨٥٥ ـ ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾[٥].

---

(١) في المخطوط وتفسير الصافي: «قيل» وما أثبتناه من الكافي وتفسير البرهان.

(٢) مريم (١٩): ١٢.

(٣) الكافي ١: ٣٨٢ ح ١ باب حالات الأئمّة عليهم السلام في السن، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٢٨٠، تفسير البرهان ٣: ٧٠٩ ح ٦٨٧٤، تفسير نور الثقلين ٣: ٣٣٣ ح ٦٦.

(٤) الكافي ١: ٣٢١ ح ١٠ كتاب الحجّة ـ باب الإشارة والنص على أبي جعفر الثاني عليه السلام، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٢٨٠، تفسير البرهان ٣: ٧١٠ ذيل الحديث ٦٨٧٥، تفسير نور الثقلين ٣: ٣٣٤ ح ٦٨ وراجع أيضاً: روضة الواعظين: ٢٣٧، الإرشاد ٢: ٢٧٦، الخرائج والجرائح ٢: ٨٩٩، الصراط المستقيم للعاملي ٢: ١٦٦، بحار الأنوار ٥٠: ٢١ ح ٨، إعلام الورى ٢: ٩٢، وفي بعض المصادر المذكورة ورد فيها: قد قام عيسى بالحجّة وهو أقل من ثلاث سنين.

(٥) مريم (١٩): ٥٠.

هذا الجعل منه سبحانه يستلزم عدم إمكان الكذب منهم صلوات الله عليهم، ولو أمكن لزم إمكان جهله أو كذبه جلّ شأنه وهو ممتنع بالامتناع الذاتي، ولمّا ثبت امتناع الكذب عنهم بذلك في الجملة يثبت براءتهم من أوّل العمر إلى آخره؛ لاستحالة القلب المحال، والقول بعصمة النبي بهذا النحو دون ...[1] إحداث قول لا يقول به من الجماعة؛ فلزم عصمة الإمام على طريق ما مضى.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة فقال: تأويله ما ذكره الشيخ أبو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتابه كمال الدين، وقال ما هذا لفظه: ثمّ غاب إبراهيم عليه السلام الغيبة الثانية حين نفاه الطاغوت عن مصر فقال: ﴿**وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّى عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّى شَقِيًّا**﴾. فقال الله تقدّس ذكره: ﴿**فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُم مِن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا**﴾[2] يعني به عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ لأنّ إبراهيم عليه السلام كان قد دعا الله عزّ وجلّ أن يجعل له لسان صدق في الآخرين، فجعل الله عزّ وجلّ له ولإسحاق ويعقوب لسان صدق علياً، يعني به علياً عليه السلام[3].

وذكر أيضاً عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن جدّه أنّه قال: كتبت إلى الحسن عليه السلام أسأله عن قول الله عزّ وجلّ: «ووهبنا له» الآية، فأخذ الكتاب ووقّع تحته: وفّقك الله ورحمك، هو أميرالمؤمنين عليه السلام[4].

---

(١) في المخطوط ـ هنا ـ كلمة غير واضحة.

(٢) مريم (١٩): ٤٨ ـ ٥٠.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٠٤ ح٨، وراجع: كمال الدين وتمام النعمة ١: ١٣٩ وفيه: «فأخبر عليّ عليه السلام بأنّ القائم عجّل الله فرجه هو الحادي عشر من ولده» بدل «يعني به علياً»، عنه في: تفسير البرهان ٣: ٧١٥ ذيل الحديث ٦٨٨٩.

(٤) تفسير القمّي ٢: ٥١ وفيه: يعني أميرالمؤمنين عليه السلام حدّثني بذلك أبي عن الحسن بن عليّ ⇐

وذكر محمّد بن العبّاس رحمه الله قال: حدّثنا أحمد بن القاسم، قال: حدّثنا أحمد بن محمّد السيّاري، عن يونس بن عبد الرّحمٰن قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: إنّ قوماً طالبوني باسم أميرالمؤمنين في كتاب الله عزّ وجلّ، فقلت لهم: من قوله عزّوجلّ: «وجعلنا لهم لسان صدق عليّاً»، فقال: صدقت هو هكذا، ومعنى قوله: «لسان صدق عليّاً» أي وجعلنا لهم ولداً ذا لسان صدق وكلّ ذي قول صدق فهو صادق، والصادق معصوم [وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام][1].[2]

٨٥٦ ـ ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ إلى قوله: **﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾**[3].

حكمه وإخباره سبحانه بأنّ من الأنبياء من كان صدّيقاً وصادق الوعد ونجيّاً، ثمّ حكم بإنعامه عليهم ثمّ خصّ ذرّيّة إبراهيم بتأكيد الهداية وإكرام الاجتباء يستلزم عصمتهم على نحو ما ذكرنا سابقاً، فتمّ الاستدلال. هذا مضافاً إلى ما ذكرنا من أنّ الإمام لابدّ من كونه من ذريّة إبراهيم عليه السلام، فلابدّ أن يكون من هؤلاء؛ لاستحالة الترجيح بدون مرجّح.

وأيضاً اختصاص بعض الذريّة بالإكرام والامتنان، وهذا الإنعام والاجتباء ليس

⇐ العسكري عليه السلام، ومثله في: بحار الأنوار ٣٦: ٥٧ ح ١، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٠٤ ح ٩، تفسير البرهان ٣: ٧١٧ ح ٦٨٩٢ مع اختلاف قليل (كلاهما عن عليّ بن إبراهيم).

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد في المخطوط، بل أضفناه من المصدر.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ح ١٠، وراجع: بحار الأنوار ٣٦: ٥٧ ح ٣، تفسير البرهان ٣: ٧١٧ ح ٦٨٩٣.

(٣) مريم (١٩): ٥١ ـ ٥٨.

إلّا باستعداد مجهول فيهم، وذلك ليس إلّا بسبب مقتضيات سواء الناسوتيّة وانسلاخ المواد عن أدناس الهيولانيّة؛ وبذلك رُجح هؤلاء على غيرهم، وليس هذا إلّا العصمة، لاشتراك المواد الإمكانيّة فيما سواها.

وأيضاً عصمة معصوم في السبق يستلزم عصمة معصوم في الخلف بما ذكرنا، وهذا مع افتراق ممّن هدينا عن سبقه يستلزم رجحان ما ذكرنا أيضاً.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن محمّد بن العبّاس رحمه الله بإسناده إلى محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان عليّ بن الحسين عليه السلام يسجد في سورة مريم ويقول: «ممّن هدينا واجتبينا إذا تُتلى عليهم آيات الرّحمٰن خرّوا سُجّداً وبكيّاً» ويقول: نحن عُنِينا بذلك، ونحن أهل الحبوة[1] والصفوة[2].

ويؤيّده ما قاله أيضاً: حدّثنا محمّد بن همام بن سُهيل[3]، عن محمّد بن إسماعيل العلوي، عن عيسى بن داود النجّار، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: «أُولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيّين» الآية، قال: نحن ذريّة إبراهيم ونحن المَحْمُولون مع نُوح، ونحن صفوة الله، وأمّا قوله: «وممّن هدينا واجتبينا» فهم ـ والله ـ شيعتنا الذين هداهم الله

---

(١) في البحار: «الجبوة»، وفي تفسير البرهان: «الهدى». قال ابن منظور في: لسان العرب ١٤: ١٣١ «جبي»: في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾: قال الزجّاج معناه: وكذلك يختارك ويصطفيك، وهو مشتقّ من جبيت الشيء: إذا خلصته لنفسك.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٠٥ ح ١١، تفسير البرهان ٣: ٧٢٣ ح ٦٩٠٩.

(٣) في المخطوط والبحار «سهل» وما أثبتناه من تأويل الآيات الظاهرة وتفسير البرهان وهو الصحيح ظاهراً لأنّه الموافق لما ورد في بعض كتب الرجال. معجم رجال الحديث ١٨: ٣٤٢ ترجمة رقم ١١٩٩٢.

لمودّتنا واجتباهم[١] لديننا فحيوا عليه وماتوا عليه، وصفهم الله بالعبادة والخشوع ورقّة القلب فقال: «إذا تتلى عليهم آيات الرّحمٰن خرّوا سجّداً وبكيّاً».

ثمّ قال عزّ وجلّ: **﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾**[٢] وهو جبل من صُفر يدور في وسط جهنّم، ثمّ قال عزّ وجلّ: **﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾** من غشّ آل محمّد **﴿وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾** إلى قوله: **﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾**[٣].[٤]

ويؤيّده ما في التهذيب في أدعية نوافل شهر رمضان: «سبحان مَن خلق الجنّة لمحمّد وآل محمّد، سبحان من يورثها محمّداً وآل محمّد وشيعتهم»[٥].

٨٥٧ ـ **﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾** إلى قوله: **﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾**[٦].

الاستدلال به على طريق الشكل الثاني ظاهر، وإن كان كلّ إمام عليه السلام ممّن يتلى عليهم الآيات بالضرورة، وكلّ من يُتلى عليهم الآيات غير الفريقين بالضرورة

---

(١) في المخطوط: «واجتبيناهم»، وما أثبتناه من المصدر.

(٢) مريم (١٩): ٥٩.

(٣) مريم (١٩): ٦٠ ـ ٦٣.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٠٥ ح ١٢، وراجع: بحار الأنوار ٢٣: ٢٢٣ ح ٣٧، تفسير البرهان ٣: ٧٢٣ ح ٦٩١٠.

(٥) تهذيب الأحكام ٣: ٩٨ ضمن حديث (طويل) ٢٥٨ باب في الدعاء بالزيادة في تمام المائة ركعة، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ١٨٨ ضمن حديث (تفسير سورة الأعراف)، تفسير الصافي ٣: ٢٨٧، مصباح المتهجّد: ٥٧٥، تفسير نور الثقلين ٣: ٣٥٢ ح ١٢٢، بحار الأنوار ٦٧: ٢٧٥.

(٦) مريم (١٩): ٧٣ ـ ٩٧.

فالإمام غيرهما فلابدّ أن يكون متّصفاً بوصف لا يكون فيهما؛ ليصير بذلك مستعدّاً يحصل به الرجحان وليس إلّا العصمة؛ لاشتراك غيره معه فيما سواه، وبيان المقدّمات قد مرّ.

وأُيّد بما في [كتاب] الكليني عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: «وإذا تتلى» إلى قوله: «نديّاً» قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دعا قريشاً إلى ولايتنا فنفروا وأنكروا، فقال الذين كفروا من قريش للذين آمنوا وأقرّوا لأميرالمؤمنين عليه السلام ولنا أهل البيت بالولاية: أيّ الفريقين خير مقاماً وأحسن نديّاً، تعبير لهم منهم. فقال الله عزّ وجلّ ردّاً عليهم: ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِءْيًا**﴾[1].

قال: قلت: قوله تعالى: ﴿**مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا**﴾[2].

قال: كلّهم كانوا في الضلالة لا يؤمنون بولاية أميرالمؤمنين عليه السلام ولا بولايتنا وكانوا ضالّين مضلّين، فيمدّ الله لهم في ضلالتهم وطغيانهم حتّى يموتوا.

قلت: قوله: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا**﴾[3].

قال: «حتّى إذا رأوا ما يوعدون إمّا العذاب» وهو خروج القائم وهو الساعة، فسيعلمون ذلك اليوم ما ينزل بهم من عذاب الله على يد قائمه[4]، وذلك قوله: «من هو شرّ مكاناً وأضعف جنداً».

---

(١) مريم (١٩): ٧٤.

(٢) مريم (١٩): ٧٥.

(٣) مريم (١٩): ٧٥.

(٤) في تفسير البرهان: «وَلِيُّهُ» بدل «قائمه».

قلت: قوله: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾[١].

قال: يزيدهم هدًى على هدًى باتّباعهم القائم حيث لا يجحدونه ولا ينكرونه.

قلت: قوله عزّ وجلّ: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾[٢].

قال: إلّا من دان الله بولاية أميرالمؤمنين والأئمّة المعصومين عليهم السلام من بعده، فهذا العهد عند الله.

قلت: قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾[٣].

قال: ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام هي الودّ الذي قال الله عزّ وجلّ.

قلت: قوله: ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾[٤].

قال: إنّما يَسَّره الله على لسانه حين أقام عليّاً أميرالمؤمنين عليه السلام علماً، فبشّر به المؤمنين وأنذر به الكافرين وهم الذين ذكرهم الله في كتابه «لُدّا» أي كفّاراً[٥].

٨٥٨ ـ ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾[٦].

الاستدلال به بطريق التقوى، وبالشكل الثاني ظاهر ممّا مرّ.

وأُيّد بما رواه عليّ بن إبراهيم رحمه الله عن أبيه، عن عبدالله بن شريك العامري، عن

---

(١) مريم (١٩): ٧٦.

(٢) مريم (١٩): ٨٧.

(٣) مريم (١٩): ٩٦.

(٤) مريم (١٩): ٩٧.

(٥) الكافي ١: ٤٣١ ح ٩٠ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣٣٣ ح ٥٨، تفسيرالبرهان ٣: ٧٢٧ ح ٦٩٢٤، تفسير نور الثقلين ٣: ٢٥٥ ح ١٤٢.

(٦) مريم (١٩): ٨٥ و٨٦.

عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: يا علي، يخرج يوم القيامة أقوام من قبورهم بياض وجوههم كبياض الثلج، عليهم ثياب بياضها كبياض اللبن، عليهم نعال الذهب شراكها من اللؤلؤ يتلألأ، فيؤتون بنوق من نور عليها رحائل من ذهب مُكلّلة بالدرّ والياقوت فيركبون عليها حتّى ينتهون إلى عرش الرّحمٰن، والناس في الحساب يهتمّون ويغتمّون وهؤلاء يأكلون ويشربون فرحون.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: من هؤلاء يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فقال: يا علي، هم شيعتك وأنت إمامهم، وهو قول الله عزّ وجلّ: «يوم نحشر المتّقين إلى الرّحمٰن وفداً» على الرّحائل[1]، «ونسوق المجرمين إلى جهنّم ورداً» أعداؤك يساقون إلى النار بلا حساب[2].

٨٥٩ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا﴾[3].

قد مرّ طريق الاستدلال به.

وأُيّد بما قال عليّ بن إبراهيم: روي أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام كان جالساً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: قل يا علي: اللهمّ اجعل لي في قلوب المؤمنين ودّاً، فقال: فأنزل الله هذه الآية[4].

---

(١) الرحائل لعلّه جمع الرحالة ككتابة وهي السرج أو جمع الرحال الذي هو جمع الرحل وهو مركب البعير. البحار ٧: ١٧٣.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٠٧ـ٣٠٨ ح ١٤، تفسير القمّي ٢: ٥٣ ـ ٥٤ مع اختلاف، وانظر: إرشاد القلوب للديلمي ٢: ٢٩٢، شرح الأخبار للقاضي النعمان ٣: ٤٦١، تفسير نور الثقلين ٣: ٣٥٩، تفسير البرهان ٣: ٧٣٤ ح ٦٩٣٥.

(٣) مريم (١٩): ٩٦.

(٤) تفسير القمّي ٢: ٥٦، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٢٩٧، بحار الأنوار ٢٤: ٣٣٥ قطعة من حديث ⇐

وقال أيضاً: روى فضالة بن أيّوب عن ابن أيّوب، عن أبان بن عثمان، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات» قال: آمنوا بأميرالمؤمنين وعملوا الصالحات بعد المعرفة، معناه بعد المعرفة بالله وبرسوله والأئمّة صلوات الله عليهم[١].

وقال محمّد بن العبّاس رحمه الله بإسناده إلى ابن عبّاس قال: نزلت هذه الآية في عليّ عليه السلام: «إنّ الذين» إلى قوله: «ودّا»، قال: محبّة في قلوب المؤمنين[٢].

وقال أيضاً: حدّثنا عبد العزيز بن يحيى، عن محمّد بن زكريّا، عن يعقوب بن جعفر بن سليمان، عن[٣] عليّ بن عبدالله بن العبّاس[٤]، عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «إنّ الذين آمنوا» الآية، قال عليه السلام: نزلت في عليّ عليه السلام، فما من مؤمن إلّا وفي قلبه حبّ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام[٥].

وأُيّد أيضاً بما في تفسير الصافي: قال العيّاشي عنه عليه السلام: دعا رسول الله صلى الله عليه وآله لأميرالمؤمنين في آخر صلاته رافعاً صوته يسمع الناس، يقول: اللهمّ هب لعليّ المودّة في صدور المؤمنين، والهيبة والعظمة في صدور المنافقين، فأنزل الله: «إنّ

⇐ ٥٨، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٠٨ ح ١٥، تفسير البرهان ٣: ٧٣٧ ح ٦٩٤٥، كنز جامع الفوائد ١: ٣٠٢ ح ٢٩٧، وانظر: تفسير فرات الكوفي: ٢٥٢ ح ٣٤٢.

(١) عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٠٨ ح ١٦ وحكاه عن تأويل الآيات البحراني في: تفسير البرهان ٣: ٧٣٨ ح ٦٩٤٧. ولم نعثر عليه في: تفسير القمّي.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٠٨ ـ ٣٠٩ ح ١٧ تفسير البرهان ٣: ٧٣٨ ح ٦٩٤٨ عن خصائص السيّد الرضي، كنز جامع الفوائد ١: ٣٠٣ ح ٢٩٩.

(٣) في المخطوط: «بن» بدل «عن»، وما أثبتناه من تأويل الآيات.

(٤) في البحار زيادة: عن أبيه، والرواية مرويّة عن عبدالله بن عبّاس، وليس عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٠٩ ح ١٨، وعنه في: بحار الأنوار ٣٥: ٣٥٧ ح ٩، وراجع: كنز جامع الفوائد ١: ٣٠٣ ـ ٣٠٤ ح ٣٠٠، تفسير البرهان ٣: ٧٣٧ ح ٦٩٤٤.

الذين آمنوا» الآية[١].

وفي الكافي عنه عليه‌السلام قال: ولاية عليّ هي المودّة الذي قال الله[٢].

٨٦٠ ـ ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾[٣].

البشارة والإنذار ليس مختصّاً بقوم دون قوم كما عرفت، فلابدّ أن يكون ذلك بعده صلى‌الله‌عليه‌وآله، والأولى به الإمام القائم مقامه، فلو جاز عليه الخطأ والعصيان كغيره لفقد الترجيح ولاحتاج إلى غيره، وهلمّ جرّاً التسلسل، فلابدّ من عدم جوازه عليه مع أنّ بيان ما به التقوى البشارة والإنذار لا يُعلم إلّا بالمعصوم.

وأُيّد بما في تفسير الصافي عن روضة الواعظين عن النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله في قوله: «إنّ الذين آمنوا» قال: هو عليّ عليه‌السلام، «قوماً لدّاً» قال: بني أُميّة قوماً ظلمة[٤].

وفي الكافي والقمّي عن الصادق عليه‌السلام قال: إنّما يسّره الله على لسانه حين أقام أميرالمؤمنين عليّاً عليه‌السلام فبشّر به المؤمنين وأنذر به الكافرين وهم الذين ذكرهم في كتابه «لدّاً» أي كفّاراً[٥].

سورة طه وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه‌السلام

٨٦١ ـ ﴿ طه ﴾[٦].

---

(١) تفسير الصافي ٣: ٢٩٧، وراجع: تفسير العيّاشي ٢: ١٤٢ ح ١١، وعنه في: بحار الأنوار ٣٥: ٣٥٤ ح ٣، تفسير نور الثقلين ٣: ٣٦٣ ح ١٦٤.

(٢) الكافي ١: ٤٣١ ضمن حديث ٩٠ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

(٣) مريم (١٩): ٩٧.

(٤) تفسير الصافي ٣: ٢٩٨، وراجع: تفسير البرهان ٣: ٧٣٩ ح ٦٩٥٢، روضة الواعظين ١: ١٠٦ ط. الرضي ـ قم.

(٥) الكافي ١: ٤٣١ ضمن حديث ٩٠ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، تفسير القمّي ٢: ٥٧، وعنهما في: تفسير الصافي ٣: ٢٩٨.

(٦) طه (٢٠): ١.

سبق الاستدلال بمثله فهو مثله.

وهو مؤكّد بما في تأويل الآيات الظاهرة فقال: تأويل «طه» ذكره صاحب نهج الإيمان قال: في تفسير الثعلبي ـ وهو من أئمّة مفسّريهم ـ قال: قال جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: قوله عزّ وجلّ «طه» أي طهارة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين، ثمّ قرأ: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[1]. [2]

٨٦٢ ـ ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَل لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾[3].

وجه الاحتجاج به أنّ عليّاً عليه السلام منزلته من النبيّ صلى الله عليه وآله منزلة هارون من موسى، ومنزلته الخلافة والأُخوّة والوزارة، فكذا عليّ عليه السلام وإنّه صلى الله عليه وآله صدر منه مثل هذا، وبيانه بما تواتر من الأخبار على ما في الطرائف عن مسند أحمد بن حنبل غير ما تقدّم بإسناده إلى أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: اللهمّ إنّي أقول كما قال أخي موسى: «اللهمّ اجعل لي وزيراً من أهلي» الآية[4].

ومن روايات الفقيه الشافعي ابن المغازلي في ذلك في كتاب المناقب بإسناده

---

(١) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٠٩ ح١، عنه في: بحار الأنوار ٢٥: ٢٠٥ ح٢٢، وراجع: تفسير الثعلبي ٦: ٢٣٦، وعنه في: نهج الإيمان لابن جبر: ٨٥، العمدة لابن بطريق: ٣٨ ح١٩، الصراط المستقيم للعاملي: ١٨٦، تفسير البرهان ٣: ٧٤٨ ح٦٩٦٤.

(٣) طه (٢٠): ٢٥ ـ ٣٥.

(٤) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٣٣ ح٢١٠، وراجع: فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٦٧٨ ح١١٥٨، العمدة لابن بطريق: ٢٧٢ ح٤٣١، بحار الأنوار ٣٨: ١٤٤ ح١١٠، ينابيع المودّة ٢: ١٥٣ ح٤٢٧.

إلى أنس قال: لمّا كان يوم المباهلة وآخى النبيّ صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار وعليّ عليه السلام واقف يراه ويعرف مكانه لم يؤاخ بينه وبين أحد، فانصرف عليّ باكي العين، فافتقده النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: ما فعل أبو الحسن؟ قالوا: انصرف باكي العين يا رسول الله. قال: يا بلال، اذهب فائتني به، فمضى بلال إلى عليّ وقد دخل إلى منزله باكي العين، فقالت فاطمة: ما يبكيك، لا أبكى الله عينيك؟ قال: يا فاطمة، آخى النبيّ صلى الله عليه وآله بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف يراني ويعرف مكاني ولم يؤاخ بيني وبين أحد. قالت: لا يحزنك إنّه لعلّه إنّما ادّخرك لنفسه. قال بلال: يا عليّ، أجب النبيّ صلى الله عليه وآله. فأتى عليّ عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال النبي: وما يبكيك يا أبا الحسن؟ قال: آخيت بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف تراني وتعرف مكاني ولم تؤاخ بيني وبين أحد. قال: إنّما ادّخرتك لنفسي، ألا يسرّك أن تكون أخا نبيّك؟ قال: بلى يا رسول الله أنىٰ لي بذلك، فأخذ بيده وأرقاه المنبر وقال: اللهمّ هذا منّي وأنا منه، ألا إنّه منّي بمنزلة هارون من موسى، ألا من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه(١).

وعن حصين الثعلبي(٢) عن أسماء بنت عميس قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله بإزاء ثَبير(٣) وهو يقول: أشرِق ثَبير، أشرِق ثَبير(٤)، اللهمّ إنّي أسألك ما سألك أخي

---

(١) عنه: ابن طاووس في: الطرائف: ١٤٨ ح ٢٢٤، المجلسي في: بحار الأنوار ٣٧: ١٨٦ ـ ١٨٧ و٣٨: ٣٤٣، ابن بطريق في: العمدة: ١٦٩ ح ٢٦٢، ولم نعثر عليه في مناقب ابن المغازلي المطبوع.

(٢) في تأويل الآيات وتفسير البرهان: «التغلبي» وفي هامش المصدرين عن بعض النسخ كما في المتن.

(٣) ثبير كأمير، جبل بمكّة، كأنّه من الثَّبْرَة وهي الأرض السهلة. مجمع البحرين ٣: ٢٣٥ «ثبر».

(٤) قال ابن الأثير في النهاية ٢: ٤٦٤ «شرق»: ثبير: جبل في منى، أي أَدْخُل أيها الجبل في الشروق،

موسى أن تشرح لي صدري، وأن تيسّر لي أمري، وأن تحلل عقدة من لسـاني يفقهوا قولي، وأن تجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً أخي، أُشدد به ازري وأشركه في أمري، كي نسبّحك كثيراً ونذكرك كثيراً، إنّك كنت بنا بصيراً[١].

وفي تأويل الآيات الظاهرة: ما رواه أبو نعيم الحافظ بإسناده عن رجاله عن ابن عبّاس قال: أخذ النبيّ صلى الله عليه وآله بيد عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبيدي، ونحن بمكّة وصلّى أربع ركعات، ثمّ رفع يديه إلى السماء وقال: اللهمّ إنّ نبيّك موسى بـن عـمران سألك فقال: «ربّ اشرح لي» الآيـة، وأنـا مـحمّد نـبيّك أسألك ربّ اشـرح لي صدري ويسّر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً أخي، أُشدد به أزري وأشركه في أمري. قال ابن عبّاس: فسمعت منادياً ينادي: قد أُوتيت ما سألت[٢].

وعن ابن عمر قال: لمّا آخى النبيّ صلى الله عليه وآله بين أصحابه جاءه عليّ تدمع عـيناه، فقال: يا رسول الله، واخيت بين أصـحابك ولم تـؤاخ بـيني وبـين أحـد. قـال: فسمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: أنت أخي في الدنيا والآخرة[٣].

⇐ وهو ضوء الشمس. ثمّ قال: وذكر بعضهم أنّ أيّام التشريق بهذا سـمّيت. وفـي عـلل الشـرائـع للصدوق: ٤٤٤ ح ١ بسنده عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبدالله عليه السلام: قال: كان أهـل الجـاهليّة يقولون أشرق ثبير يعنون الشمس... إلخ.

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣١٠ ح ٢، تفسير البرهان ٣: ٧٦٢ ح ٧٠٠٧، تفسير فرات الكوفي: ٢٥٦ ح ٣٤٧، وعنه في: بحار الأنوار ٣٨: ١٤٣ ح ١٠٦.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣١٠ ح ٣، عنه في: بحار الأنوار ٣٦: ١٢٦ ذيل الحـديث ٦٧، تـفسير فرات الكوفي: ٢٥٦ ح ٣٤٧، تفسير البرهان ٣: ٧٦٢ ح ٧٠٠٨.

(٣) سنن الترمذي ٥: ٦٣٦ ح ٣٧٢٠ باب مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام (ط. دار إحياء التراث العربي ـ بيروت)، ذخائر العقبى: ٦٦ طبعة مكتبة القدس ـ القاهرة، مناقب الإمام علي عليه السلام لمحمّد بـن ⇐

ورواه الفقيه الشافعي ابن المغازلي من أكثر من خمس طرق وزاد فيه تفضيلاً لعليّ عليه السلام[١].

وعن أحمد بن حنبل في مسنده عن مَحْدوج[٢] بن زيد الباهلي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله آخى بين المسلمين ثمّ قال: يا عليّ، أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي، ثمّ قال بعد كلام ذكره في وصف حال الأنبياء عليهم السلام: ألا وإنّي أُخبرك يا عليّ أنّ أُمّتي أوّل الأُمم يحاسبون يوم القيامة ثمّ أنت أوّل من يُدعى بك لقرابتك ومنزلتك عندي، ويدفع إليك لوائي وهو لواء الحمد فتسير بين السماطين[٣]، وإن آدم وجميع ما خلق الله يستظلّون به. ثمّ ذكر صفة اللواء، قال: فتسير باللواء والحسن عن يمينك والحسين عن يسارك حتّى تقف بيني وبين إبراهيم في ظلّ العرش، ثمّ تُكسى حلّة خضراء من الجنّة، ثمّ ينادي منادٍ من تحت العرش: نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك عليّ. أبشر يا علي، إنّك تُكسىٰ إذا كُسيت، وتُدعىٰ إذا دُعيت، وتُحيىٰ إذا حييت[٤].

⇐ سليمان الكوفي ١: ٣٤٣ ح ٢٦٩، مستدرك الحاكم ٣: ١٤، كشف الغمّة ١: ٣٣٦، شرح الأخبار للقاضي المغربي ١: ١٩١ ح ١٥٠.

(١) مناقب الإمام علي عليه السلام لابن المغازلي: ٣٧ ـ ٣٩ الأحاديث ٥٧ ـ ٦١.

(٢) في المخطوط والطرائف: «مخدوج» بالخاء المعجمة وما أثبتناه من فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل.

(٣) السمّاط: الجماعة من الناس والنخل والمراد به الجماعة الذين كانوا جلوساً عن جانبيه. النهاية لابن الأثير ٢: ٤٠١ «سمط»، وقال في: تاج العروس ١٠: ٢٩٧ سماط القوم، بالكسر: صفّهم. ومنه يُقال: قام بين السمّاطين أي الصفّين.

(٤) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٦٦٣ ح ١١٣١ وحكاه عن أحمد بن حنبل صاحب كتاب الطرائف: ٧١ ح ٨٥، وراجع: كتاب الأربعين لمحمّد طاهر القمّي: ٩٨، بحار الأنوار ٣٩: ٢١٨، نهج الإيمان لابن جبر: ٤٠١، ينابيع المودّة ١: ٤٣١ ح ١، مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام لابن ⇐

والأخبار بذلك كثيرة رووها في كتبهم المعتبرة عن أعيان علمائهم، بحيث لا يمكن لهم الإنكار وإن كانوا أغمضوا عنها بالتأويل والتشكيك، كلّها دالّة على اختصاص مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام بالمنزله الرفيعة والدرجة العليّة من خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله منزلة هارون من موسى عليه السلام[1] من دون العالمين، ولهذه المنزلة منازل:

منها قوله: «وزيراً من أهلي» والوزير هو المؤازر والمعاضد والمعاون والمساعد وكذلك كان مع النبيّ صلى الله عليه وآله[2].

قوله: «من أهلي» وهو ظاهر لأنّه أهله وابن عمّه، وقوله عليه السلام إنّه أخوه وهو أخوه ظاهراً يوم المؤاخاة، وباطناً في النور المسطور وفي الطهارة والعصمة في الجعل الأوّل قبل إيجاد الموجودات في عالم العقلي في سبق الأسباب السابقة على الوجودات العيانيّة على ما يقتضيه قوله صلى الله عليه وآله في عدّة أخبار «إنّه منّي وأنا منه»[3]،

⇐ المغازلي: ٤٢ ح ٦٥ (تحت عنوان خبر اللواء وحمله) في بعض المصادر المذكورة ورد الحديث بتفصيل أكثر.

(١) راجع: الروايات التي نقلها ابن المغازلي الشافعي في كتابه مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ٢٧ ـ ٣٧ الأحاديث ٤٠ ـ ٥٦ تحت عنوان قول النبي صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى».

(٢) انظر: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣١١.

(٣) روى أحمد بن حنبل في كتابه «فضائل الصحابة» ٢: ٦٥٦ ـ ٦٥٧ ح ١١١٩ بسنده إلى عبدالله بن رافع عن أبيه عن جدّه قال: لمّا قتل عليّ بن أبي طالب أصحاب الألوية يوم أُحد قال جبرئيل: يا رسول الله إنّ هذه لهي المواساة، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: «إنّه منّي وأنا منه» قال جبرئيل: وأنا منكما يا رسول الله، وراجع أيضاً: الحديث ١١٢٠ في المصدر نفسه، وروى ابن حنبل بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «عليّ منّي وأنا منه وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي»، راجع: المصدر السابق ٦٤٧ ح ١١٠٤. وانظر كذلك: ما نقله ابن البطريق في كتابه «العمدة»: ١٩٧ ـ ٢١٠ الأحاديث ٢٩٦ ـ ٣٢١ الفصل الرابع والعشرون في قوله صلى الله عليه وآله: «عليّ منّي وأنا منه» حيث نقل عدّة روايات مع ذكر أسانيدها من كتب أبناء العامّة. ونقل الحديث أيضاً: ابن ماجة في سننه ١: ٤٤، وابن حنبل في مسنده ٤: ١٦٤، وابن المغازلي في مناقبه ٢٢٣ ح ٢٦٧.

على ما رواه أحمد بن حنبل من طريقين عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لعليّ عليه السلام: والذي بعثني بالحقّ نبيّاً ما اخترتك إلّا لنفسي، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي، وأنت أخي ووارثي[١].

وكذا رواه أحمد بن حنبل وابن المغازلي عنه صلى الله عليه وآله قال: مكتوب على باب الجنّة: «محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، عليّ أخو رسول الله» قبل أن يخلق الله السماوات بألفي عام[٢].

وإنّهما من نور واحد قبل هذا[٣].

وقوله: «واشدد به أزري» أي قوّ ظهري، ذلك كان لرسول الله صلى الله عليه وآله ظهراً وظهيراً، ومؤيّداً ونصيراً، وتكون الآيات السابقة واللّاحقة دليلاً، والسير والآثار شاهداً وقريناً.

وقوله: «وأشركه في أمري» أي في إبلاغ رسالتي إلى قومي، وكذلك كان في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله وسورة براءة وغيرها يصدق ذلك تصديقاً بعده بالوصيّة إليه وإلى

---

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٦٤٢ ح ١٠٩١ و٦١٢ ح ١٠٤٥ و٥٩٨ ح ١٠٢٠ و٥٦٧ ح ٩٥٤.

(٢) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٦٦٥ ح ١١٣٤ ونقل الحديث بطريق آخر أيضاً في صفحة ٦٦٨ الحديث ١١٤٠، وراجع: مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام لابن المغازلي: ٩١ ح ١٣٤. وأيضاً: أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١١١.

(٣) راجع: مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام لابن المغازلي: ٨٧ ـ ٨٩ الأحاديث ١٣٠ و١٣١ و١٣٢ تحت عنوان قوله صلى الله عليه وآله: «كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله»، وانظر: أيضاً: فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٦٦٢ ـ ٦٦٣ ح ١١٣٠ حيث روى بسنده عن سلمان أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله عزّ وجلّ قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلمّا خلق الله آدم قسّم ذلك النور جزءين فجزء أنا وجزء عليّ. وعن ابن عبّاس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ عليه السلام: «خلقتُ أنا وأنت من نور الله تعالى» راجع: فرائد السمطين ١: ٤٠ ح ٣، ينابيع المودّة ١: ٤٩.

أولاده طهّرهم الله تطهيراً، ولولاه لما حصل التبليغ وكمال الدين تأييداً وتأبيداً، والمنزلة الجليلة التي شرفت على المنازل كلّها الخلافة في الحياة والممات، وهارون عليه السلام كان خليفة موسى في حياته ولو كان حيّاً لكان هو الخليفة [لكنّه توفّي قبله][١]، ولهارون من موسى منازل أُخر ليس هذا موضع ذكرها، ومن الأُمور التي شارك فيها أميرالمؤمنين النبيّ صلى الله عليه وآله دون غيره من الأنام وهي منازل ومواطن لم يسمّها موسى، ولا هارون، ولا أحد من الأنبياء عليهم السلام والرسل[٢].

وبها ثبت تفضيل الإمام عليّ عليه السلام على غيره.

وأُيّدت بما رواه الشيخ أبو جعفر الطوسي رحمه الله عن رجاله مسنداً عن الفضل بن شاذان يرفعه إلى بريدة الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ: يا علي، إنّ الله تعالى أشهدك معي سبعة مواطن: أوّلهنّ فليلة أُسري بي إلى السماء فقال لي جبرئيل: أين أخوك؟ قلت: ودّعته خلفي[٣]، قال: فادع الله فليأتك به، فدعوت الله فإذا أنت معي، فإذا الملائكة صفوف وقوف، فقلت: مَن هؤلاء يا جبرئيل؟ فقال: هؤلاء الملائكة يباهيهم الله بك، فأذن لي، فنطقت بمنطق لم تنطق الخلائق بمثله، نطقت بما خلق الله وبما هو خالق إلى يوم القيامة.

والموطن الثاني: أتاني جبرئيل فأسرى بي إلى السماء فقال لي: أين أخوك؟ قلت: ودّعته خلفي[٤]، قال: فادع الله فليأتك [به]، فدعوت الله فإذا أنت معي، فكشف الله لي عن السماوات السبع والأرضين السبع حتّى رأيت سكّانها

---

(١) زيادة أضفناها من تأويل الآيات الظاهرة.

(٢) انظر: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣١١.

(٣) في أمالي الشيخ والبحار: «خلفته ورائي» بدل «ودعته خلفي».

(٤) العبارة كما في الهامش السابق.

وعمّارها وموضع كلّ ملك منها، فلم أر من ذلك شيئاً إلّا وقد رأيتَه.

والموطن الثالث: ذهبت إلى الجنّ ولست معي، فقال جبرئيل: أين أخوك؟ قلت: ودّعته خلفي، فقال: فادع الله فليأتك به، فدعوت الله عزّ وجلّ فإذا أنت معي، فلم أقل لهم شيئاً ولم يردّوا علَيّ شيئاً إلّا وقد سمعته وعلمته كما سمعته وعلمته.

والموطن الرابع: إنّي لم أسأل الله شيئاً إلّا أعطانيه فيك إلّا النبوّة فإنّه قال: يا محمّد، خصصتك بها [وختمتها بك][1].

والموطن الخامس: خُصِّصنا بليلة القدر وليست لغيرنا.

والموطن السادس: أتاني جبرئيل فأسرى بي إلى السماء وقال لي: أين أخوك؟ فقلت: ودّعته خلفي، قال: فادع الله عزّ وجلّ فليأتك به، فدعوت الله عزّوجلّ فإذا أنت معي، فأذن جبرئيل عليه السلام فصلّيت بأهل السماوات جميعاً وأنت معي.

والموطن السابع: إنّا نبقى[2] حين لا يبقى أحد، وهلاك الأحزاب بأيدينا[3].

وهذا دليل على أنّهما يكرّان إلى الدنيا ويلبثان فيها ما شاء الله، كما روي عن الأئمّة في حديث الرجعة[4]، ثمّ يبقيان حين لا يبقى أحد من الخلق.

وقوله: «هلاك الأحزاب بأيدينا» والأحزاب هم حزب الشيطان وأهل الظلم

---

(١) زيادة من أمالي الشيخ والبحار.

(٢) في المصدر: «نفي».

(٣) أمالي الشيخ الطوسي: ٦٤٢ ح ١٣٣٤ المجلس الثاني والثلاثون مع اختلاف قليل بالألفاظ، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣١١ ـ ٣١٣ ح ٤، وانظر: بحار الأنوار ١٨: ٣٨٨ ح ٩٧.

(٤) لقد أورد العلّامة المجلسي في ذلك عدّة أحاديث في باب الرجعة، راجع: البحار ٥٣: ٣٩.

والعدوان، فعليهم لعنة الرّحمٰن ما كرّ الجديدان وما اطّرد الخافقان[١].

وممّا ورد في الأُمور التي شارك أميرالمؤمنين عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وأنّ أمره أمره ونهيه نهيه، وأنّ الفضل جرى له كما جرى لرسول الله صلى الله عليه وآله ولرسول الله الفضل على جميع خلق الله عزّ وجلّ فيكون هو كذلك، ما ورد من قضيّة التسوية واتّحاد النفس.

وما رواه الشيخ رحمه الله في أماليه عن رجاله عن سعيد الأعرج قال: دخلت وسليمان بن خالد على أبي عبدالله عليه السلام، فابتدأني فقال: يا. سعيد[٢]، ما جاء عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يؤخذ به، وما نهى عنه ينتهى عنه، جرى له من الفضل ما جرى لرسول الله ولرسوله الفضل على جميع الخلق، العائب على أميرالمؤمنين عليه السلام في شيء كالعائب على رسول الله صلى الله عليه وآله، والرادّ عليه في صغير أو كبير على حدّ الشرك بالله، كان ـ والله ـ أميرالمؤمنين باب الله الذي لا يؤتى [إلّا] منه، وسببه الذي من تمسّك بغيره هلك، وكذلك جرى الحكم للأئمّة واحداً بعد واحد، جعلهم أركان الأرض وهم الحجّة البالغة على مَن فوق الأرض وما تحت الثرى. أما علمت أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام كان يقول: أنا قسيم الله بين الجنّة والنار[٣]، وأنا الفاروق الأكبر[٤]، وأنا صاحب العصا[٥]

---

(١) انظر: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣١٣.

(٢) في أمالي الشيخ الطوسي: «يا سليمان» بدل «يا سعيد».

(٣) أي قسيم من الله بين الجنّة والنار أي أهليهما؛ وذلك لأنّ حبّه موجب للجنّة وبغضه موجب للنار. راجع هامش: الكافي ١: ١٩٦ ح ١ باب أنّ الأئمّة هم أركان الأرض.

(٤) الفاروق الأكبر إذ به يفرق بين الحقّ والباطل وأهليهما. راجع: المصدر السابق.

(٥) صاحب العصا، أي عصا موسى التي صارت إليه من شعيب وإلى شعيب من آدم يعني هي عندي أقدر بها على ما قدر عليه موسى. راجع: المصدر السابق أيضاً.

والميسم[١]، ولقد أقرّ بي جميع الملائكة والروح بمثل ما أقرّوا لمحمّد صلى الله عليه وآله، ولقد حملت مثل حمولة محمّد وهي حمولة الربّ، وإنّ محمّداً يُدعى فيُكسى، ويُستَنطَق فينطق، وأنا أُدعى فأُكسى، فأُستنطق فأنطق، ولقد أُعطيت خصالاً لا يُعطيها أحد قبلي؛ علمت المنايا[٢] والقضايا وفصل الخطاب[٣].

٨٦٣ ـ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِى النُّهَىٰ﴾[٤].

أي لذوي العقول الناهية عن اتّباع الباطل وارتكاب القبائح، جمع «نُهية»، فلو جاز عليهم العصيان لأمكن فعله منهم وإمكانه يستلزم صرفه هذا الاسم عن المسمّى به، وبه يرتفع أُولو النهى بالإمكان وهو ينافي الدوام الذي حكم الله تعالى به، فإنّه قضيّة موجبة تقتضي وجود الموضوع، والاختصاص يقتضي المرجّح وليس وجود المانع يمنعه، وإنّ الإمام هو المخرج للمكلّفين في القوّة العمليّة علماً وعملاً التي تقتضيها هذه الصفة بالفعل بالنسبة إلى كلّ حال، فيجب أن يكون في الإمام بالفعل لا بالقوّة؛ لأنّه المبدأ الذي يخرج ما بالقوّة إلى الفعل لا يجوز أن يكون بالقوّة، بل يجب أن يكون بالفعل والشيء حال وجود نقيضه ممتنع بالنظر

---

(١) قال الشيخ المفيد في «اعتقادات الصدوق» فصل في الأعراف: وروي عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال في بعض كلامه: أنا صاحب العصا والميسم. يعني: علمه بمن يعلم حاله بالتوسّم. وفي لسان العرب ١٢: ٦٣٦ «وسم»: الجمع مُواسِم ومياسِم. قال الجوهري: أصل الياء واو، وإن شئت قلت في جمعه مياسِم على اللفظ، وإن شئت مواسم على الأصل. قال ابن بري: المِيسَم اسم للآلة التي يُوسم بها، واسم لأثر الوشم أيضاً قال الشاعر:

ولو غَيّر أخْوالي أرادوا نقيصتي ... جعلتُ لهم فوق العرانين مِيسَما

فليس يريد جعلت لهم حديدة وإنّما يريد جعلت أثر وَسم.

(٢) في الأمالي: «البلايا».

(٣) الأمالي للشيخ الطوسي: ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ح٣٥٢ المجلس الثامن، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣١٣ ح٥.

(٤) طه (٢٠): ٥٤.

إلى تحقّق نقيضه، وهذا وجوب العصمة.

وأُيّد بما ذكره عليّ بن إبراهيم في تفسيره قال: روي عن العالم عليه السلام أنّه قال: نحن أُولو النُّهى، أخبر الله نبيّه بما يكون من بعده من ادّعاء القوم الخلافة، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله أميرالمؤمنين عليه السلام بذلك وانتهى إلينا ذلك من أميرالمؤمنين؛ فنحن أُولو النُّهى، علم ذلك كلّه إلينا[1].

ويؤيّده ما رواه في تأويل الآيات الظاهرة: عن محمّد بن العبّاس رحمه الله بإسناده إلى عمّار بن مروان قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «إنّ في ذلك لآياتٍ لأُولي النُّهى»، قال: ما أخبر الله جلّ اسمه رسوله صلى الله عليه وآله ممّا يكون بعده من ادّعاء القوم الخلافة والقيام بها بعد صلى الله عليه وآله ومن بعدهما بنو أُميّة قال: فأخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله فكان ذلك كما أخبر الله رسوله به وكما أخبر رسوله عليّاً صلوات الله عليهما، وكما انتهى إلينا من عليّ فيما يكون من بعده من الملك في بني أُميّة وغيرهم، وهذه الآيات التي ذكرها في الكتاب العزيز «إنّ في ذلك لآيات لأُولي النُّهى» فنحن أُولي النُّهى الذين انتهى إلينا علم هذا كلّه فصبرنا لأمر الله، فنحن قوّام الله على خلقه وخزّانه على دينه نخزنه ونستره، ونكتتم به عدوّنا كما اكتتم رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى أُذن له في الهجرة وجهاد[2] المشركين.

فنحن على منهاج رسول الله حتّى يأذن الله لنا بإظهار دينه بالسيف، وندعو الناس إليه فنضربهم عليه عوداً كما ضربهم رسول الله صلى الله عليه وآله بدواً[3].

---

(١) تفسير القمّي ٢: ٦١ بإسناده عن علي بن رئاب عن مروان عن أبي عبدالله عليه السلام مع اختلاف قليل بالألفاظ، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣١٤ ح٦.

(٢) في البحار وتفسير القمّي وتفسير البرهان: «وجاهد».

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣١٤ ـ ٣١٥ ح٧، وراجع: تفسير القمّي ٢: ٦١، بحار الأنوار ٢٤: ١١٨ ح١، تفسير البرهان ٣: ٧٦٥ ـ ٧٦٦ ح٧٠١٥.

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ خياركم أولو النُّهى. قيل: يا رسول الله، ومن أُولو النُّهى؟ قال: هم أُولو الأخلاق الحسنة والأحلام الرزينة وصلة الأرحام، والبررة بالأُمّهات والآباء، والمتعاهدون للفقراء والجيران واليتامى، ويطعمون الطعام ويفشون السلام في العالم ويصلّون والناس نيام غافلون[١].

٨٦٤ ـ ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾[٢].

معلول الإمامة إمّا ترجيح هذه المستلزمة لرفع الخطأ وجوبها المستلزم لامتناع الخطأ وإمّا ضدّها أو نقيضها، بطلان الأخيرين ظاهر، أمّا على التقدير الأوّل فهو يلزم المطلوب؛ لأنّ أحد طرفي الممكن مع التساوي يستحيل وقوعه فمع مرجوحيّته أولى، وإذا استحال وجود الخطأ رجع إلى الامتناع، وإن كان الثاني فالمطلوب أظهر؛ لأنّ العلّة متى تحقّقت وجب تحقّق المعلول فإذا تحقّقت الإمامة تحقّقت العصمة، وهو المطلوب[٣].

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة فقال: تأويله: قال أبو عليّ الطبرسي رحمه الله: قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: ثمّ اهتدى إلى ولايتنا [أهل البيت عليهم السلام][٤]، ولو أنّ رجلاً عبدالله عمره ما بين الركن والمقام ثمّ مات ولم يجئ بولايتنا لأكبّه الله في النار على وجهه؛ رواه الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده، وأورده العيّاشي في تفسيره

---

(١) الكافي ٢: ٢٤٠ ح٣٢ باب المؤمن وعلاماته وصفاته، الوسائل ١٥: ١٩١ ح٢٣ الباب ٤ من أبواب جهاد النفس وما يناسبه.

(٢) طه (٢٠): ٨٢.

(٣) انظر: الألفين: ٢٢٠ الثاني والتسعون من أدلّة المائة الرابعة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام (مع اختلاف في بعض الألفاظ).

(٤) زيادة أضفناها من: تفسير مجمع البيان.

في عدّة طرق[1].

وعن محمّد بن سليمان بالإسناد عن داود بن كثير الرقّي قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك، قوله تبارك وتعالى: «وإنّي لغفّار» الآية، فما هذا الاهتداء بعد التوبة والإيمان والعمل الصالح؟ فقال: معرفة الأئمّة والله إمام بعد إمام[2].

وروى عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أُذينة، عن الفضيل، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «ثمّ اهتدى» قال: اهتدى إلينا[3].

وقال محمّد بن العبّاس بالإسناد عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: اهتدى إلى ولايتنا[4].

وفي آخر: إلى ولاية أميرالمؤمنين[5].

وفي تفسير الصافي عن القمّيّ عن الباقر في هذه الآية، قال: ألا ترى كيف

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣١٥، وراجع: تفسير مجمع البيان ٧: ٤٥، شواهد التنزيل ١: ٣٧٥ ح٥١٨ رواه مختصراً، تفسير البرهان ٣: ٧٧١ ح٧٠٣٤، بحار الأنوار ٢٤: ١٤٩ ح٢٩، ولم نجده في تفسير العيّاشي المطبوع.

(٢) فضائل الشيعة للصدوق: ٦٥ ح٢٢، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣١٥ ح٩، بحار الأنوار ٢٧: ١٩٨ ح٦٤، تفسير البرهان ٣: ٧٧٢ ح٧٠٣٥.

(٣) عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣١٦ ح١٠، كنز جامع الفوائد ١: ٣١٣ ح٣٠٩، تفسير البرهان ٣: ٧٧٢ ح٧٠٣٦، بحار الأنوار ٢٤: ١٤٨ ح٢٨، ولم نعثر عليه في: تفسير القمّي.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣١٦ ح١١، تفسير البرهان ٣: ٧٧١ ح٧٠٢٩، شواهد التنزيل ١: ٣٧٥ـ ٣٧٦ ح٥١٩، كنز جامع الفوائد ١: ٣١٣ ح٣١٠.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣١٦ ح١٢، تفسير البرهان ٣: ٧٧١ ح٧٠٣٠، بحار الأنوار ٢٤: ١٤٨ ح٢٧، كنز جامع الفوائد ١: ٣١٣ ح٣١١.

اشترط ولم تنفعه التوبة والإيمان والعمل الصالح حتّى اهتدى، والله لو جهد أن يعمل[١] ما قبل منه حتّى يهتدي. قيل: إلى من جعلني الله فداك؟ قال: إلينا[٢].

وفي المجالس عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لعليّ عليه السلام في حديث: ولقد ضلّ من ضلّ عنك، ولن يهتدي إلى الله من لم يهتد إليك وإلى ولايتك، وهو قول الله عزّ وجلّ: «وإنّي لغفّار» الآية، يعني إلى ولايتك[٣].

وفي المناقب عن السجّاد عليه السلام: إلينا أهل البيت[٤].

٨٦٥ ـ ﴿نَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾ إلى قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[٥].

الاستدلال على طريق الشكل الثاني، وغيره ظاهر ممّا مرّ.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن محمّد بن العبّاس بالإسناد عن أبي الحسن موسى بن جعفر قال: سألت أبي عن قول الله عزّ وجلّ: «يومئذٍ يتّبعون الداعي لا عوج له»، قال: الداعي أميرالمؤمنين عليه السلام[٦].

وقيل[٧]: هذا يدلّ على الرجعة، وفيه تأمّل.

---

(١) في تفسير القمّي: «لو جهد أن يعمل بعمل».

(٢) تفسير الصافي ٣: ٣١٤، وراجع: تفسير القمّي ٢: ٦١، وعنه في: بحار الأنوار ٢٧: ١٦٨ ـ ١٦٩ ح٧، تفسير نور الثقلين ٣: ٣٨٧ ح٩٣.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق: ٥٨٣ ضمن حديث ١٦/٨٠٣ المجلس الرابع والسبعون، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٣١٤، بحار الأنوار ٢٤: ٦٥ ح٤٩، تفسير نور الثقلين ٣: ٣٨٧ ح ٩٤.

(٤) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٢: ٢٨١، وعنه في: تفسير الصافي ٣: ٣١٤، بحار الأنوار ٢٤: ١٤٧ ح ٢٠، تفسير نور الثقلين ٣: ٣٨٨ ح٩٧، تفسير البرهان ٣: ٧٨٦ ح ٧٠٧١.

(٥) طه (٢٠): ١٠٢ ـ ١٠٨.

(٦) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣١٦ ح١٣، وراجع: تفسير البرهان ٣: ٧٧٧ ح٧٠٤٧.

(٧) القائل هو شرف الدين الحسيني في: تأويل الآيات ١: ٣١٦ في ذيل الحديث ١٣.

وعن عليّ بن إبراهيم بالإسناد عن أبي جعفر عليه‌السلام قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيدٍ واحد من الأوّلين والآخرين وهم عراة حفاة، فيوقفون في المحشر حتّى يعرقوا عرقاً شديداً، وتشتدّ أنفاسهم، فيمكثون في ذلك مقدار خمسين عاماً، وهو قول الله عزّ وجلّ: «وخشعت الأصوات للرّحمٰن فلا تسمع إلّا همساً»، ثمّ ينادي منادٍ من تلقاء العرش: أين النبيّ الأُمّي؟ قال: فتقول الناس: أسمعت فسمّه باسمه، قال: فينادي: أين نبيّ الرحمة محمّد بن عبدالله؟ قال: فيتقدّم رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله أمام الناس كلّهم حتّى ينتهي إلى حوض طوله ما بين أيلة[1] إلى صنعاء[2] [فيقف عليه][3]، ثمّ ينادي صاحبكم ـ يعني أميرالمؤمنين ـ أمام الناس، قال: فيقف معه ثمّ يؤذن للناس فيمرّون بين وارد للحوض وبين مصروف عنه، فإذا رأى رسول الله من يصرف عنه من محبّينا بكى وقال: يا ربّ، شيعة عليّ عليه‌السلام، فيبعث الله إليه ملكاً فيقول له: ما يبكيك يا محمّد؟ فيقول: أبكي لأُناس من شيعة عليّ أراهم قد صرفوا تلقاء أصحاب النار ومنعوا ورود الحوض. قال: فيقول له الملك: إنّ الله يقول: قد وهبتهم لك يا محمّد وصفحت لك عن ذنوبهم وألحقتهم بك وبمن كانوا يتوالونه[4] وجعلتهم في زمرتك وأوردتهم حوضك.

قال أبو جعفر: فكم من باكية يومئذٍ وباك، فلم يبق أحد كان يتولّانا ويحبّنا

---

(١) أيلة ـ بالفتح ثمّ السكون ـ: بلد ما بين ينبع ومصر، ومنه حديث رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله: حوضي ما بين صنعاء إلى أيلة. مجمع البحرين ١: ١٤٠ «أيل».

(٢) في تفسير القمّي: «ما بين أيلة وصنعاء».

(٣) ما بين المعقوفتين أثبتناه من المصادر، كتأويل الآيات وتفسير القمّي والبحار.

(٤) في المصدر: «يتولونه» وفي هامشه عن بعض النسخ كما في المتن.

ويتبرّأ من عدوّنا إلّا كان في حزبنا ومعنا وورد حوضنا[1].

٨٦٦ـ ﴿ **لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **وَلَا هَضْمًا** ﴾[2].

علّه الإذن والرضا ليس إلّا امتثال الأوامر والنواهي ومصدرهما بالأمر والنهي هو النبيّ والإمام على ما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾[3] وقد عرفت أنّ غير الإمام بعده ﷺ لا يفي بالكلّ فلو كان مخطئاً لزم إمّا رضاه وإذنه بالخطأ أو التخلّف، والترجيح بدون مرجّح، وبطلانهما واضح مسلّم.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن محمّد بن العبّاس بالإسناد عن أبي الحسن موسى بن جعفر عن أبيه صلوات الله عليهما قال: سمعت أبي يقول ورجل يسأله: قول الله عزّ وجلّ: «يومئذٍ لا تنفع» الآية، قال: لا ينال شفاعة محمّد يوم القيامة إلّا من أذن له بطاعة آل محمّد ورضي له قولاً وعملاً فيهم، فحيي على مودّتهم ومات عليها، فرضي الله له قوله وعمله فيهم.

ثمّ قال: ﴿ **وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا** ﴾ لآل محمّد كذا نزلت.

ثمّ قال: ﴿ **وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا** ﴾،

---

(١) تفسير القمّي ٢: ٦٤ـ٦٥، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣١٧ح ١٤، تفسير البرهان ٣: ٧٧٧ح ٧٠٤٨، بحار الأنوار ٧: ١٠١ح ٩، أمالي المفيد: ٢٩٠ح ٨ المجلس الرابع والثلاثون، تفسير نور الثقلين ٣: ٣٩٣ح ١١٦.

(٢) طه (٢٠): ١٠٩ـ١١٢.

(٣) النساء (٤): ٥٩.

قال: مؤمن بمحبّة آل محمّد ومبغض لعدوّهم[١].

٨٦٧ ـ ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾[٢].

قد عرفت وجه الاستدلال به فيما مضى، فتذكّر.

وأُيّد بما في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال: عهد إليه في محمّد والأئمّة من بعده فترك ولم يكن له عزم إنّهم هكذا، وسمّي أُولو العزم أُولي العزم؛ لأنّهم عهد إليهم في محمّد والأوصياء من بعده في المهدي وسيرته فأجمع عزمهم على أنّ ذلك كذلك والإقرار به[٣].

وعن أبي عبدالله عليه السلام: فيه كلمات في محمّد وعليّ والحسن والحسين والأئمّة من ذريّتهم فنسي ولم نجد له عزماً، هكذا والله نزلت على محمّد صلى الله عليه وآله[٤].

ويؤيّده ما رواه الشيخ المفيد رحمه الله بإسناده عن رجاله إلى حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام قال: أخذ الله الميثاق على النبيّين فقال: ألست بربّكم؟ قالوا: بلى، وأنّ هذا محمّد رسولي وأنّ عليّاً أميرالمؤمنين عليه السلام؟ قالوا: بلى، فثبتت لهم النبوّة، ثمّ أخذ الميثاق على أُولي العزم: أنّي ربّكم ومحمّد رسولي وعليّ أميرالمؤمنين والأوصياء من بعده ولاة أمري وخزّان علمي، وأنّ المهدي أنتصر به لديني وأُظهر به دولتي، وأنتقم به من أعدائي، وأُعبد به طوعاً وكرهاً؟ قالوا: أقررنا ـ يا ربّنا ـ،

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣١٨ ح١٥، تفسير البرهان ٣: ٧٧٤ ح٧٠٥٢، بحار الأنوار ٢٤: ٢٥٧ ح٤.

(٢) طه (٢٠): ١١٥.

(٣) الكافي ١: ٤١٦ ح٢٢ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، عنه في: تفسير البرهان ٣: ٧٨٠ ح٧٠٥٦، بحار الأنوار ٢٤: ٣٥١ ح٦٥.

(٤) الكافي ١: ٤١٦ ح٢٣ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣١٩ ح١٧، تفسير البرهان ٣: ٧٨١ ح٧٠٥٨، بحار الأنوار ٢٤: ٣٥١ ح٦٦

وشهدنا. ولم يجحد آدم ولم يُقِرّ فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي عليه السلام ولم يكن لآدم عزيمة على الإقرار، وهو قول الله تعالى: «ولقد عهدنا» الآية[1].

٨٦٨ ـ ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا** ﴾[2].

الاستدلال بالشكل الثاني ظاهر، وبأنّ هذا ترغيب وحثّ في فعل أسباب نفي الضلالة والشقاوة، وهو عامّ في كلّ عصر بإجماع الكلّ، والمرغوب فيه أمر ممكن وهو ظاهر، والمراد بالنفي العموم؛ لأنّ الفعل المنفي نكرة فيعمّ كلّ الأوقات، وإنّه لا يحصل ذلك إلّا بيقين في امتثال كلّ الأوامر والنواهي وإنّما يعلم بمعرفة مراده تعالى ومراد رسوله من خطابه، وإنّ ذلك لا يحصل من الكتاب والسنّة كما عرفت، والإجماع قليل لو ثبت أو صحّ.

فإذا عرفت المقدّمات فظهر لك أنّه لا يمكن ذلك إلّا بقول المعصوم، فيكون المعصوم ثابتاً في كلّ دهر فيستحيل إمامة غيره مع وجوده وإمكانه؛ تأمّل.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن محمّد بن العبّاس رحمه الله بإسناده عن رجاله عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: إنّه سأل أباه عن قول الله تعالى: «فمن اتّبع» الآية، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أيّها الناس، اتّبعوا هدى الله تهتدوا وترشدوا، وهو هداي وهدى عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ فمن اتّبع هداه في حياتي وبعد موتي فقد اتّبع هداي، ومن اتّبع هداي فقد اتّبع هدى الله، ومن اتّبع هدى الله فلا يضلّ ولا يشقى.

---

(١) عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣١٨ ـ ٣١٩ ح١٨، تفسير البرهان ٣: ٧٨١ ح٧٠٥٩، بحار الأنوار ٢٦: ٢٧٩ ح٢٢.

(٢) طه (٢٠): ١٢٣ ـ ١٣٠.

قال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ * وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ ﴾ في عداوة آل محمّد ﴿ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴾[١].

ثمّ قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى * فَاصْبِرْ ﴾ يا محمّد نفسك وذرّيّتك ﴿ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾[٢].

ومعنى قوله «وما كان مثلها في القرآن»، أي مثل إنّ في ذلك لآيات لأُولي النُّهى، وكلّما يجيء في القرآن من ذكر «أُولي النُّهى» فهم الأئمّة عليهم السلام[٣]، وقد تقدّم تأويل ذلك في هذه السورة[٤].

ومعنى هذا التأويل ما في الكافي عن عليّ بن عبدالله قال: سُئل أبو عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «فمن اتّبع هداي فلا يضلّ ولا يشقى»، قال: من قال بالأئمّة واتّبع أمرهم ولم يَجُزْ طاعتهم[٥] «فلا يضلّ ولا يشقى»[٦].

وعن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشةً ضنكاً» قال: يعني ولاية أميرالمؤمنين. قال: قلت: «ونحشره

---

(١) طه (٢٠): ١٢٤ ـ ١٢٧.

(٢) طه (٢٠): ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣١٩ ـ ٣٢٠ ح١٨، وفي البحار ٢٤: ١٤٩ ح٣٠ إلى قوله عليه السلام: «مثلها».

(٤) راجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣١٤ في تأويل حديثي (٦، ٧) الآية ٥٤ من سورة طه.

(٥) الكافي ١: ٤١٤ ح١٠، كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١٤٧ ح٢٤، تفسير البرهان ٣: ٧٨٤ ح٧٠٦٤، تفسير نور الثقلين ٣: ٤٠٥ ح١٦٦.

(٦) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٢١ ح٢٠.

يوم القيامة أعمى»، قال: أعمى البصر في الآخرة وأعمى القلب في الدنيا عن ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام وهو متحيّر في الآخرة يقول: ربّ ولم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً؟ «قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى» يعني تركتها، وكذلك اليوم تُترك في النار كما تركت الأئمّة ولم تطع أمرهم ولم تسمع قولهم.

قال: قلت: «وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربّه»، قال: من أسرف في عداوة أميرالمؤمنين عليه السلام واتّبع غيره وترك ولايته وولاية الأئمّة معاندةً ولم يتّبع آثارهم ولم يتولّهم[1].

ومعنى «أتتك آياتنا» و: «لم يؤمن بآيات ربّه» الآيات هم الأئمّة الولاة عليهم أفضل الصلوات وأكمل التحيّات[2].

٨٦٩ـ ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ إلى قوله: **﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾**[3].

بيانه على اليقين يتوقّف على المعصوم، كما مرّ مراراً، فيجب.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة وتفسير الصافي عن زرارة بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام، عن أبيه عليّ بن الحسين عليهما السلام في قوله: «وأمر» الآية، قال: نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام؛ كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي باب فاطمة كلّ سحرة فيقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة يرحمكم الله، **﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾**[4].[5]

---

(١) الكافي ١: ٤٣٥ ح ٩٢ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ٢٩٣، عنه في: البحار ٣٦: ١٠١.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٢١ ـ ٣٢٢ ح ٢١.

(٣) طه (٢٠): ١٣٢.

(٤) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٢٢ ح ٢٢.

وفي المجمع عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: أمر الله نبيّه أن يخصّ أهل بيته ونفسه دون الناس؛ ليعلم الناس أنّ لأهله عند الله منزلة ليست لغيرهم، فأمرهم مع الناس عامّة ثمّ أمرهم خاصّة(١).

وفي العيون عن الرضا عليه السلام في هذه الآية قال: خصّنا الله بهذه الخصوصيّة إذ أمرنا مع الأُمّة بإقامة الصلاة ثمّ خصّنا من دون الأمّة، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يجيء إلى باب عليّ وفاطمة عليهما السلام بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر كلّ يوم عند حضور كلّ صلاة خمس مرّات فيقول: الصلاة رحمكم الله، وما أكرم الله أحداً من ذراري الأنبياء بمثل هذه الكرامة التي أكرمنا بها وخصّنا من دون جمع بيتهم(٢).

٨٧٠ ـ ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾(٣).

الاهتداء والصراط السوي هو المكلّف به بالضرورة التي لا يختلف فيه، فنقول: كلّ إمام لإتمام التكليف بالضرورة، ولا شيء من الإمام غير المعصوم لإتمام التكليف بالإمكان، فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة، والمصاحبة تفيد الدوام، بل الضرورة، وهو يستلزم العصمة؛ فتأمّل.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن عليّ بن إبراهيم عن رجاله عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «قل كلّ متربّص» إلى قوله «من اهتدى» قال: إلى ولايتنا(٤).

---

(١) مجمع البيان ٧: ٦٨، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٣٢٧، تفسير نور الثقلين ٣: ٤٠٨ ح ١٨٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٤٠ ح ١ (الثانية عشر) باب ٢٣ ذكر مجلس الإمام الرضا عليه السلام مع المأمون، وعنه في: تفسير الصافي ٣: ٣٢٧، تفسير نور الثقلين ٣: ٤٠٨ ح ١٨٦.

(٣) طه (٢٠): ١٣٥.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٢٣ ح ٢٤، عنه في: تفسير البرهان ٣: ٧٩١ ح ٧٠٨٩.

وعن محمّد بن العبّاس رحمه الله عن رجاله عن جابر قال: سُئل محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «فستعلمون من أصحاب الصراط السويّ ومن اهتدى»، قال: اهتدى إلى ولايتنا[١].

وفي حديث آخر قال: عليٌّ صاحب الصراط السوي «ومن اهتدى» إلى ولايتنا أهل البيت[٢].

وفي الآخر قال: الصراط السوي هو القائم، والهدى من اهتدى إلى طاعته، ومثلها في كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿ **وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ** ﴾[٣] قال: إلى ولايتنا[٤].

سورة الأنبياء وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٨٧١ ـ ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ ﴾ الآية[٥].

الاستدلال به على طريق الشكل الثاني ظاهر، وأُيّد بما مرّ في تأويل الآيات الظاهرة عن محمّد بن العبّاس بإسناده إلى جابر عن أبي عبدالله عليه السلام في هذه الآية، قال: الذين ظلموا آل محمّد حقّهم[٦].

٨٧٢ إلى ـ ٨٧٤ ﴿ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٧].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٢٣ ح ٢٤، وراجع: تفسير البرهان ٣: ٧٩١ ح ٧٠٩٠، بحار الأنوار ٢٤: ١٥٠ ح ٣٣.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٢٣ ح ٢٥، وراجع: تفسير البرهان ٣: ٧٩٢ ح ٧٠٩١.

(٣) طه (٢٠): ٨٢.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٢٣ ح ٢٦، تفسير البرهان ٣: ٧٩٢ ح ٧٠٩٢.

(٥) الأنبياء (٢١): ٣.

(٦) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٢٤ ح ١، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٢٦ ح ١٩.

(٧) الأنبياء (٢١): ٧.

لابدّ لهم من مزيّة، وليس إلّا العصمة.

والذكر إمّا الرسول لقوله تعالى: ﴿ذِكْرًا * رَسُولًا﴾[(١)] أو القرآن لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾[(٢)] أو المعنى اللغوي، والكلّ يستلزم العصمة.

وإنّه تعالى أمر بالسؤال عن أهل الذكر على نحو العموم، فلو جاز عليهم الخطأ لزم أمره جلّ وعزّ بالخطأ، وهو تعالى عنه.

وإنّه يستلزم علمهم بكلّ ما جهل غيرهم، ومن المتشابهات والعلم بها يستلزم عصمة العالم بها على ما مرّ.

وإنّه ملازم للامتثال والإطاعه لهم على نحو الوجوب، فلو لم يبيّنوا بأسمائهم أو برسومهم لزم التكليف بما فيه جهل المكلّف، فتمّ الاستدلال من خمسة أوجه؛ فتأمّل.

وهي المؤكّدة بما في الطرائف: عن محمّد الحافظ بن مؤمن الشيرازي فيما أورده في كتابه واستخرجه من التفاسير الاثني عشر ـ وهو من علماء الأربعة المذاهب وثقاتهم ـ في تفسير قوله تعالى: «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» بإسناده إلى ابن عبّاس، قال: فاسألوا أهل الذكر يعني: أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وهم أهل العلم والعقل والبيان، وهم أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، والله ما سمّى الله المؤمن مؤمناً إلّا كرامةً لأميرالمؤمنين[(٣)].

ورواه الحافظ لهذا الحديث من طرق أُخر عن سفيان الثوري، عن السندي،

---

(١) الطلاق (٦٥): ١٠ ـ ١١.

(٢) الحجر (١٥): ٩.

(٣) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٩٣ ـ ٩٤ ح ١٣١.

عن الحارث بأتمّ من هذه الألفاظ[١].

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن عليّ عليه السلام في هذه الآية قال: نحن أهل الذكر[٢].

وعن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر، قال: قلت له: إنّ من عندنا يزعمون أنّ قول الله عزّ وجلّ «فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» أنّهم اليهود والنصارى! قال: إذاً يدعونكم إلى دينهم. قال: ثمّ أومى بيده إلى صدره وقال: نحن أهل الذكر ونحن المسؤولون[٣].

وهو المؤيَّد أيضاً بما روى في تفسير قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[٤] عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قال: الطاعة للإمام بعد النبيّ صلى الله عليه وآله[٥].

معنى ذلك على ما قيل: إنّ الذي فيه ذِكْرُكُمْ وَشَرَفُكُم وعِزُّكم هو طاعة الإمام الحقّ بعد النبيّ صلى الله عليه وآله[٦].

٨٧٥ ـ ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ الآية[٧].

---

(١) راجع: الطرائف ١: ٩٤ ذيل الحديث ١٣١.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٢٤ ح ٢، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ١٨٦ ح ٥٦، تفسير البرهان ٣: ٨٠٢ ح ٧١٠٤، تفسير فرات الكوفي: ٨٣.

(٣) الكافي ١: ٢١١ ح ٧ كتاب الحجّة ـ باب أنّ أهل الذكر الذي أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمّة عليهم السلام، وراجع: تفسير الصافي ٣: ١٣٧، تفسير نور الثقلين ٣: ٥٦ ح ٩٤، بصائر الدرجات: ٦١ ح ١٧ باب في أنّ الأئمّة عليهم السلام أهل الذكر الذين أمر الله بسؤالهم والأمر إليهم إن شاؤوا أجابوا وإن شاؤوا لم يجيبوا، الوسائل ٢٧: ٦٣ ح ٣ الباب ٧ من أبواب صفات القاضي وما يجوز أن يقضى به.

(٤) الأنبياء (٢١): ١٠.

(٥) بحار الأنوار ٢٣: ١٨٦ ح ٥٧، تفسير البرهان ٣: ٨٠٣ ح ٧١٠٦.

(٦) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٢٥ ح ٥. وأُنظر: تفسير البرهان ٣: ٨٠٣ ذيل الحديث ٧١٠٦.

(٧) الأنبياء (٢١): ١٢.

الاستدلال به على طريق الشكل الثاني ظاهر. وهو المعضد بما في تأويل الآيات الظاهرة بإسناده عن جابر قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: «فلمّا أحسّوا» الآية، قال: ذلك عند قيام القائم عجّل الله فرجه[1].

وعن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «فلمّا أحسّوا بأسنا»، قال: خروج القائم، «إذا هم يركضون» قال: الكنوز التي كانوا يكنزون، ﴿**قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا**﴾ بالسيف ﴿**خَامِدِينَ**﴾ لا تبقى منهم عين تطرف[2].

وفي الكافي عن أبي جعفر عليه السلام، عن هذا قال: إذا قام القائم وبعث إلى بني أُميّة بالشام فهربوا إلى الروم، فيقول لهم الروم: لا ندخلنّكم حتّى تتنصّروا، فيعلّقوا في أعناقهم الصليب[3] ويدخلونهم، فإذا نزل بحضرتهم أصحاب القائم عليه السلام طلبوا الأمان والصلح، فيقول أصحاب القائم: لا نفعل حتّى تدفعوا إلينا من قبلكم منّا. فيدفعونهم إليهم، فذلك قوله: ﴿**لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ**﴾[4]. قال يسألهم عن الكنوز وهو أعلم بها، قال: فيقولون: ﴿**يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ**﴾[5] بالسيف[6].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٢٦ ح٦، وراجع: تفسير البرهان ٣: ٨٠٤ ح٧١٠٦، إثبات الهداة ٧: ١٢٤ ح٦٣٧.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٢٦ ح٧، وعنه في: تفسير البرهان ٣: ٨٠٤ ح٧١٠٩، إثبات الهداة ٧: ١٢٤ ح٦٣٨.

(٣) في الكافي: «الصلبان».

(٤) الأنبياء (٢١): ١٣.

(٥) الأنبياء (٢١): ١٤ ـ ١٥.

(٦) الكافي ٨: ٥١ ح١٥، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٢٦ ح٨، بحار الأنوار ٥٢: ٣٧٧ ح١٨٠، تفسير نور الثقلين ٣: ٤١٤ ح١٤، تفسير البرهان ٣: ٨٠٤ ح٧١٠٧، تفسير الصافي ٣: ٣٢٢.

٨٧٦ ـ ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُعْرِضُونَ﴾[١].

الاستدلال بالشكل الثاني ظاهر.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن مولانا أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام في هذا قال: «ذِكْرُ من معي» عليّ بن أبي طالب عليه السلام، «وذِكْرُ مَن قبلي» ذكر الأنبياء والأوصياء عليهم السلام[٢].

معناه: أنّ هذا القرآن فيه ذكر جميع الأنبياء وعلم ما كان وما يكون فتمسّكوا به تَهتدوا[٣].

٨٧٧ـ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[٤].

عموم هذا وعموم قوله تعالى: **﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾**[٥].

تدلّ على عصمة الملائكة، وعليّ عليه السلام أفضل من الملائكة؛ للتسوية بينه وبين النبيّ صلى الله عليه وآله لما مرّ، والأفضل من المعصوم معصوم إذ لا قائل بالفرق؛ فكلّ إمام معصوم، وهو المطلوب.

واستدلّ العلّامة رحمه الله في الألفين فقال: الله تعالى خلق الملائكة عقلاً[٦] بلا

---

(١) الأنبياء (٢١): ٢٤.

(٢) بحار الأنوار ٢٣: ١٩٧ ح٢٨، تفسير البرهان ٣: ٨١١ ح٧١٢٦.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٢٧ ح٩.

(٤) الأنبياء (٢١): ٢٦ و٢٧.

(٥) الأنبياء (٢١): ١٩ ـ ٢٠.

(٦) في المصدر: «عقولاً».

شهوة، وخلق البهائم شهوات بلا عقل، وخلق الإنسان وجمع فيه بين الأمرين، فصار الآدميّ بسبب العقل فوق البهيمة بدرجات لا حدّ لها، وصار بسبب الشهوة دون الملائكة. ثمّ وجدنا الآدميّ إذا غلب هواه عقله حتّى صار يعمل بهواه دون عقله، فإنّه يصير دون البهيمة، كما قال الله تعالى: ﴿**أُولَـٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ**﴾[١] فلذلك صار مصيرهم إلى النار دون البهائم. فيجب أنّه إذا غلب عقله هواه حتّى صار لا يعمل بهواء نفسه شيئاً، يعمل بهواء عقله، أن يكون فوق الملائكة أو مساوياً لهم، اعتباراً لأحد الطرفين بالآخر.

إذا تقرّر ذلك فنقول: إنّما أراد الله تعالى بأوامره ونواهيه وخلقِ العقول؛ ليخرج الإنسان من[٢] حضيض مرتبة البهائم والدوابّ إلى أوج مرتبة الملائكة، ونصب الأنبياء والأئمّة لإرشادهم ودعائهم إلى ذلك بتبليغ الأنبياء وحمل الناس على الامتثال، فلابدّ أن يكون الأنبياء في مرتبة ما يدعون الناس إليه، وكذا الأئمّة؛ لأنّهم قائمون مقام الأنبياء في جميع ما يأمر، فلابدّ أن يكون الأنبياء والأئمّة معصومين، وإلّا لناقض الغرض، ولم يتحقّق ذلك المطلوب، وهو ظاهر لا محالة[٣].

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة بإسناد عن جابر الجعفي، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «وقالوا اتّخذ الرّحمٰن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون» وأومأ بيده إلى صدره وقال: ﴿**لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا**

---

(١) الأعراف (٧): ١٧٩.

(٢) في المخطوط والمصدر: زيادة: «مرتبة» بعد: «من»، وما أثبتناه موافق للسياق.

(٣) الألفين: ٣٤٥ الثامن والثلاثون من أدلّة المائة الثامنة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾[١].[٢]

وفي تفسير الصافي: في الخرائج عن أميرالمؤمنين عليه السلام إنّه اختصم رجل وامرأة إليه فعلا صوت الرجل على المرأة، فقال له عليّ عليه السلام: اخسأ ـ وكان خارجيّاً ـ فإذا رأسه رأس الكلب، فقال له رجل: يا أميرالمؤمنين، صحت بهذا الخارجي فصار رأسه رأس الكلب فما يمنعك عن معاوية؟! فقال: ويحك! لو أشاء أن آتي بمعاوية إلى هاهنا بسريره لدعوت الله حتّى فعل، ولكن لله خزّانٌ لا على ذهب ولا على فضّة على أسرار[٣] هذا تأويل ما تقرأ: «بل عباد مكرمون» الآية[٤].

٨٧٨ ـ ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ﴾ الآية[٥].

فيه تحذير عن سوء العمل وحثّ على حسن العمل، والجزم بهما يقيناً لا يحصل إلّا بمعصوم بعده صلّى الله عليه وآله، لما عرفت من عدم إيفاء غيره، وإلّا لما تمّت الحجّة ولا تمّ العدل والغرض.

وأُيّد بما في الكافي والمعاني عن الصادق عليه السلام أنّه سُئل عن هذه الآية، فقال: هم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام[٦].

---

(١) الأنبياء (٢١): ٢٨.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ح ١٠، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٩١ ح ١٠، تفسير البرهان ٣: ٨١٢ ح ٧١٢٨.

(٣) في الخرائج: ولا إنكار على أسرار تعبير الله أما تقرأ... إلخ، ومثله في: البحار وتفسير نور الثقلين.

(٤) تفسير الصافي ٣: ٣٣٥، وراجع: الخرائج والجرائح ١: ١٧٣ ح ٣، بحار الأنوار ٤١: ١٩١ ح ١، تفسير نور الثقلين ٣: ٤٢١ ـ ٤٢٢ ح ٤٣. وأخرجه الحنفي الترمذي في المناقب المرتضويّة: ٣١٥ عن كتاب مفتاح الغيوب مرسلاً.

(٥) الأنبياء (٢١): ٤٧.

(٦) الكافي ١: ٤١٩ ح ٣٦ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، معاني الأخبار: ٣١ ـ ٣٢ ح ١ باب معنى الموازين التي توزن بها أعمال العباد، وعنه في: بحار الأنوار ٧: ٢٤٩ ح ٦.

وفي رواية أُخرى: نحن الموازين القسط[١].

٨٧٩ ـ ﴿ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ الآية[٢].

بعد هذا الجعل يمتنع عليهم الخطأ بالامتناع الذاتي، وإلّا لزم إمكان الكذب أو الجهل فيما يمتنع ذلك عليه بالامتناع الذاتي، فلابدّ أن يكون الأنبياء صلوات الله عليهم معصومين من أوّل العمر، فيكون الإمام معصوماً؛ لما عرفت من عدم الفرق على أنّ عموم اللطف واستحقاق المواد في جميع الأحوال والأزمان، واستحالة ترجيح المساوي يقتضي جعل خليفة كذلك في كلّ دهر على ما سبق إليه قوله: **﴿ لَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾**[٣] والحديث المشهور كلّ ما في السابق في اللّاحق حذو النعل بالنعل، وقد جعل الله تعالى الإمام على قسمين: إمام يهدي إلى النار وإمام يهدي إلى الجنّة، فلابدّ من افتراق، وهو ليس إلّا بالعصمة، ولو جاز نسبة أمر الإمامة إلى الاختيار؛ لكان الله نسبه إلى غيره، وإنّ الإمام هادٍ بالضرورة ولا شيء من الهادي بغاوٍ بالضرورة، فلا شيء من الإمام بغاوٍ بالضرورة والدوام على خلافٍ. أمّا الصغرى فبهذه الآية، والكبرى فظاهرة، وإذا ثبت أنّه ليس بغاوٍ ثبت عصمته لقوله: **﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾**[٤] وقوله: **﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾**[٥]، فتأمّل، فتمّ الاستدلال.

---

(١) تفسير الصافي ٢: ١٨٢ وذكر الفيض الكاشاني أنّه حقّق معنى الميزان وكيفيّة وزن الأعمال في كتابه «ميزان القيامة». وراجع: تفسير الصافي أيضاً ٣: ٣٤١.

(٢) الأنبياء (٢١): ٧٢ ـ ٧٣.

(٣) الأحزاب (٣٣): ٦٢.

(٤) الحجر (١٥): ٤٢.

(٥) الحجر (١٥): ٣٩ ـ ٤٠، صَ (٣٨): ٨٢ ـ ٨٣.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: في الكافي عن الصادق عليه السلام: إنّ الأئمّة في كتاب الله عزّ وجلّ إمامان، قال الله تبارك وتعالى: «وجعلناهم أئمّةً يهدون بأمرنا» لا بأمر الناس يقدّمون ما أمر الله قبل أمرهم، وحكم الله قبل حكمهم، قال: ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ** ﴾[1] يقدّمون أمرهم قبل أمر الله، وحكمهم قبل حكم الله، ويأخذون بأهوائهم خلاف ما في كتاب الله[2].

وأُيّد أيضاً بما في تأويل الآيات الظاهرة بإسناده عن أبي حمزة قال أبو جعفر عليه السلام: يعني الأئمّة عليهم السلام من ولد فاطمة عليها السلام يوحي إليهم بالروح في صدورهم. ثمّ ذكر ما أكرمهم الله به فقال: ﴿ **فِعْلَ الْخَيْرَاتِ** ﴾[3] فعليهم منه أفضل التحيّات وأوفر الصلوات[4].

وأيضاً بما روي في تفسير قوله تعالى: ﴿ **رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ** ﴾[5] أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا بارز عليّ عليه السلام عَمْراً رفع يديه، ثمّ قال: اللهمّ إنّك أخذت منّي عُبيدة بن الحارث يوم بدر، وأخذت منّي حمزة يوم أُحد، وهذا عليّ فلا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين»[6].

---

(١) القصص (٢٨): ٤١.

(٢) تفسير الصافي ٣: ٣٤٧ و٤: ٩١، وراجع: الكافي ١: ٢١٦ ح٢ كتاب الحجّة ـ باب أنّ الأئمّة في كتاب الله إمامان: إمام يدعو إلى الله وإمام يدعو إلى النار، تفسير نور الثقلين ٣: ٤٤١ ح١٠٨، بحار الأنوار ٢٤: ١٥٦ ح١٤.

(٣) الأنبياء (٢١): ٧٣.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٢٨ ـ ٣٢٩ ح١٢ وفيه: فعليهم منه أفضل الصلوات وأوفر التحيّات. وراجع: بحار الأنوار ٢٤: ١٥٨ ح٢١، تفسير البرهان ٣: ٨٢٩ ح٧١٧١.

(٥) الأنبياء (٢١): ٨٩.

(٦) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٢٩ ح١٣، وراجع: تفسير البرهان ٣: ٨٣٩ ح٧١٩٦.

٨٨٠ ـ ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ** ﴾[(١)].

رجحان السبق ليس إلّا بما امتازوا عن غيرهم بجعل وصف العصمة فيهم أو بالأعمال المستلزمة لعصمة المعلّم؛ لأنّ شرط ذلك العمل وهو ليس إلّا بالعلم؛ لأنّ الظنّ لا يغني عن الحقّ شيئاً.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن النعمان بن بشير، قال: كنّا ذات ليلة عند عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام سمّاراً[(٢)] إذ قرأ هذه الآية فقال: أنا منهم، وأُقيمت الصلاة فوثب ودخل المسجد وهو يقول: ﴿ **لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ** ﴾[(٣)] ثمّ كبّر للصلاة[(٤)].

وعن ربيع بن بزيع[(٥)] قال: كنّا عند عبدالله بن عمر فقال له رجل من بني تيم[(٦)] يقال له حسّان بن رابضة[(٧)]: يا أبا عبد الرّحمٰن، لقد رأيت رجلين ذكرا عليّاً وعثمان فنالا منهما، فقال ابن عمر: إن كانا لعنّاهما فلعنهما الله تعالى، ثمّ قال: ويلكم يا أهل العراق كيف تسبّون رجلاً هذا منزله من منزل رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله؟ وأشار بيده إلى بيت عليّ عليه‌السلام في المسجد، وقال: فوربّ هذه الحرمة إنّه من الذين

---

(١) الأنبياء (٢١): ١٠١.

(٢) سمّاراً: أي متحدّثين ليلاً من المسامرة، وهي الحديث بالليل. تفسير غريب القرآن للطريحي: ٢٤٩ «سمر». ط. منشورات زاهدي.

(٣) الأنبياء (٢١): ١٠٢.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٢٩ ح١٤، عنه في: بحار الأنوار ٣٦: ١٢٧ ح٦٩، وراجع: تفسير البرهان ٣: ٨٤١ ح٧٢٠٥.

(٥) في تأويل الآيات الظاهرة: «ربيع بن قريع».

(٦) في تأويل الآيات الظاهرة: «بني تيم الله»، وفي البحار: «بني تميم».

(٧) في البحار: «حسّان بن وابضة» وفي تفسير البرهان: «حسّان بن راضية».

سبقت لهم منّا الحسنى ما لها مردود[١]، يعني بذلك عليّاً عليه السلام[٢].

وعن أبان بن تغلب، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: يبعث الله شيعتنا يوم القيامة على ما فيهم من ذنوب وعيوب مبيضّة وجوههم، مستورة عوراتهم، آمنة روعاتهم، قد سهلت لهم الموارد وذهب عنهم الشدائد، يركبون نوقاً من ياقوت فلا يزالون يدورون خلال الجنّة عليهم شراك من نور يتلألأ، تضع لهم الموائد، فلا يزالون يطعمون والناس في الحساب وهو قول الله تعالى: «إنّ الذين سبقت لهم منّا الحسنى أُولئك عنها مبعدون * لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون». ثمّ قال الله تعالى: ﴿**لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**﴾[٣].[٤]

عموم هذا يستلزم الإمام المعصوم بعد النبيّ صلى الله عليه وآله في كلّ دهر، فالمراد بهؤلاء «المعصومون وشيعتهم» الذين امتثلوا بهم.

وأُيّد بما في المجالس ـ كما في تفسير الصافي ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال لعليّ عليه السلام: يا علي، أنت وشيعتك على الحوض تسقون من أحببتم وتمنعون من كرهتم، وأنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر في ظلّ العرش، يفزع الناس ولا تفزعون، ويحزن الناس ولا تحزنون، وفيكم نزلت: «إنّ الذين سبقت لهم منّا الحسنى»،

---

(١) في البحار: «مرد».

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٢٩ ـ ٣٣٠ ح ١٥، وراجع: بحار الأنوار ٣٦: ١٢٧ ح ٦٩، تفسير البرهان ٣: ٨٤٢ ح ٧٢٠٦.

(٣) الأنبياء (٢١): ١٠٣.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٠ ح ١٦، وراجع: بحار الأنوار ٧: ١٨٤ ح ٣٥، تفسير البرهان ٣: ٨٤٢ ح ٧٢٠٧.

وفيكم نزلت: «لا يحزنهم الفزع الأكبر» الآية[١].

وفي المحاسن عن الصادق عليه السلام، قال: إنّ الله يبعث شيعتنا يوم القيامة على ما فيهم من الذنوب أو غيره مُبيضّة وجوههم، مستورة عوراتهم، آمنة روعتهم، قد سَهُلَت الموارد، وذهبت عنهم الشدائد، يركبون نوقاً من ياقوت، فلا يزالون يدورون خلال الجنّة، عليهم شرك من نور يتلألأ، توضع لهم الموائد فلا يزالون يطعمون والناس في الحساب، وهو قول الله تبارك وتعالى: «إنّ الذين سبقت» الآية[٢].

وفي تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال في حديث: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ علياً وشيعته يوم القيامة على كثبان المِسْك الأَذْفَر يفزع الناس ولا يفزعون، ويحزن الناس ولا يحزنون، وهو قول الله عزّ وجلّ: «لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقّاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون»[٣].

وعن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام عن آبائه عن أميرالمؤمنين عليه السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، بشّر إخوانك بأنّ الله قد رضي عنهم ورضيك لهم قائداً ورضوا بك وليّاً.

---

(١) تفسير الصافي ٣: ٣٥٦، وراجع: الأمالي للشيخ الصدوق: ٦٥٧ ضمن حديث ٢/٨٩١ المجلس الثالث والثمانون، فضائل الشيعة للشيخ الصدوق أيضاً: ٥٦، وعنه في: بحار الأنوار ٧: ١٧٩ ح١٦.

(٢) المحاسن ١: ١٧٨ ـ ١٧٩ ح١٦٦ باب ٤١ في البعث، عنه في: بحار الأنوار ٧: ١٨٤ ح٣٥، ورواه أيضاً القاضي النعمان في: شرح الأخبار ٣: ٤٣٦ ح١٢٩٣، وشرف الدين الحسيني في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٠ ح١٦.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٠ ـ ٣٣١ ح١٧، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٧٠ ح٤٢، وراجع: تفسير البرهان ٣: ٨٤٦ ح٧٢١١.

يا علي، أنت أميرالمؤمنين وقائد الغرّ المحجّلين.

يا علي، شيعتك المنتجبون[١]، ولولا أنت وشيعتك ما قام لله دين، ولولا مَن في الأرض منكم لما أنزلت السماء قطرها.

يا علي، بيوتاً كثيرة لك في الجنّة[٢] وأنت ذو قرنيها[٣]، وشيعتك تُعرَف بحزب الله.

يا علي، أنت وشيعتك القائمون بالقسط، وخيرة الله من خلقه.

يا علي، أنا أوّل من ينفض التراب عن رأسه وأنت معي، ثمّ سائر الخلق.

---

(١) في تأويل الآيات الظاهرة: «المبتهجون» بدل «المنتجبون».

(٢) في الأمالي وتأويل الآيات الظاهرة والبحار: «لك كنز في الجنّة» بدل «بيوتاً كثيرة لك في الجنّة».

(٣) قال الصدوق في: معاني الأخبار: ٢٠٦ في توضيح قوله صلى الله عليه وآله «وأنت ذو قرنيها»: أيّ إنّك (يا علي عليه السلام) صاحب قرني الدنيا وإنّك الحجّة على شرق الدنيا وغربها وصاحب الأمر فيها والنهي فيها، وكلّ ذي قرن في الشاهد إذا أُخذ بقرنه فقد أُخذ به، ثمّ قال وفي وجه آخر معناه أنّه عليه السلام: ذو قرني هذه الأُمّة كما ذو القرنين لأهل وقته، وذلك أنّ ذا القرنين ضرب على قرنه الأيمن فغاب ثمّ حضر فضرب على قرنه الآخر. وتصديق ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ ذا القرنين لم يكن نبيّاً ولا ملكاً وإنّما كان عبداً أحبّ الله فأحبّه الله ونصح الله فنصحه الله وفيكم مثله» يعني بذلك أميرالمؤمنين عليه السلام. وهذه المعاني كلّها صحيحة يتناولها ظاهر قوله صلى الله عليه وآله: «لك كنز في الجنّة وأنت ذو قرنها». وفي المجازات النبويّة للشريف الرضي: ٨٦ في توضيح هذا القول للنبيّ صلى الله عليه وآله حيث قال: وهذه استعارة لأنّ المراد إنّك ذو قَرْني الأُمّة، فكأنّه عليه السلام قال وإنّك رأس هذه الأُمّة؛ لأنّ الرأس هو ذو القرنين، لأنّ القرنين إنّما يكونان فيه، ويظهران عليه. وهذا الخبر ـ على هذا التأويل ـ من الأخبار الدالّة على أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إذ كان رأس أُمته، ورئيس أُسرته، ثمّ ذكر بعض الأقوال الأُخر منها: إنّه عليه الصلاة والسلام لمّا ذكر في أوّل الكلام الجنّة قال: «وإنّك لذو قرنيها» يريد قرني الجنّة، أي طرفيها فكأنّه وصفه ببلوغ غايات المثابين فيها. وقال ابن الأثير في: النهاية ٤: ٥١ «قرن»: إنّ الرسول صلى الله عليه وآله قال لعليّ: «إنّ لك بيتاً في الجنّة، وإنّك ذو قرنيها»، أي طرفي الجنّة وجانبيها. وقال أبو عبيدة: وأنا أحسب أنّه أراد ذو قرني الأُمّة فأضمر وقيل: أراد الحسن والحسين عليهما السلام.

يا علي، أنت وشيعتك على الحوض تسقون من أحببتم وتمنعون من كرهتم، وأنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر في ظلّ العرش؛ يفزع الناس ولا تفزعون، ويحزن الناس ولا تحزنون، وفيكم نزلت هذه الآيات: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾[1].

٨٨١ ـ ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾[2].

الإمام منهم؛ لأنّه وارث ووالي كما ثبت وأُجمع عليه، وحكمه تعالى بصلاحهم مع ترجيحهم في الوراثة دون غيرهم يستلزم عصمتهم.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي جعفر عليه السلام قال: قوله عزّ وجلّ: «أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون» هم آل محمّد صلى الله عليه وآله[3].

وعن أبي جعفر الصادق قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «ولقد كتبنا في الزبور» الآية، قال: نحن هم. قال: قلت: ﴿**إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ**﴾[4] قال: هم شيعتنا[5].

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ٦٥٦ ح ٢/٨٩١ المجلس الثالث والثمانون، بحار الأنوار ٣٩: ٣٠٧ ح ١٢٢، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣١ ح ١٨.

(٢) الأنبياء (٢١): ١٠٥.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٢ ح ١٩، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣٥٨ ح ٧٨، تفسير البرهان ٣: ٨٤٧ ح ٧٢١٧.

(٤) الأنبياء (٢١): ١٠٦.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٢ ح ٢٠، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣٥٨ ح ٧٩، تفسير البرهان ٣: ٨٤٧ ح ٧٢١٨.

وعن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «ولقد كتبنا» الآية، قال: آل محمّد صلى الله عليه وآله ومن تابعهم على منهاجهم، والأرض أرض الجنّة[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قوله عزّ وجلّ: «أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون» هم أصحاب المهدي آخر الزمان[٢].

ويدلّ على ذلك ما رواه الطبرسي رحمه الله مرويّاً عن الخاصّ والعام عن النبيّ صلى الله عليه وآله: أنّه لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يبعث رجلاً من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين[٣].

٨٨٢ ـ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾[٤].

الاستدلال فيه بوجوه:

الأوّل: في الألفين: هذه العبارة تدلّ لغةً على الحصر، ونصب إمام قائم مقام النبيّ صلى الله عليه وآله بعده لطف ورحمة، بل هو أعظم من بيان التكاليف الجزئيّة والمندوبات والمكروهات الأقلّيّة؛ لأنّه أمر كلّيّ، فإخلاله به ينافي الرحمة، فيجب عليه نصب الإمام ودعوة المكلّفين إلى طاعته وتحذيرهم من معصيته، ولأنّ أمره قائم مقام النبيّ صلى الله عليه وآله وهو أفضل من كلّ الأُمّة، فيجب أن يكون معصوماً؛ لأنّ تسليم كلّ الأُمّة

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٢ ح ٢١، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣٥٨ ح ٧٩، تفسير البرهان ٣: ٨٤٨ ح ٧٢١٩.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢٤: ٣٥٩ ح ٢٢، وراجع: تفسير البرهان ٣: ٨٤٨ ح ٧٢٢٠.

(٣) تفسير مجمع البيان ٧: ٢٦٧، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٣٥٨، تفسير نور الثقلين ٣: ٤٦٤ ح ١٩٣ ورواه الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة: ١١٢، وعنه المجلسي في: البحار ٥١: ٧٤، ونحوه في: ينابيع المودّة ٣: ٣٨٤ الباب الرابع والتسعون.

(٤) الأنبياء (٢١): ١٠٧.

أمرهم ونهيهم وفعلهم وتركهم إلى شخص واحد غير معصوم ينافي الرحمة؛ فهو معصوم، فالإمام معصوم[١].

الثاني: في الألفين: هذه الآية تدلّ على شدّة اهتمامه صلى الله عليه وآله برحمة الأُمّة، وعدم نصب إمام معصوم يناقض هذا الغرض، فيكون محالاً من الحكيم[٢].

الثالث: في الألفين: أنّ هذه الآية تدلّ على عصمة النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لأنّ عدم عصمة مَنْ إرساله ينحصر في الرحمة ينافي هذا الغرض، فيكون محالاً[٣].

الرابع: ما فيه الإمام قائم مقام النبيّ صلى الله عليه وآله فيما أُرسل فيه، فيكون معصوماً وإلّا لناقض الغرض فما في هذه الآية يدلّ على أنّه أفضل من العالمين، والملائكة من العالمين، فيكون محمّد صلى الله عليه وآله أفضل منهم، وعليّ عليه السلام نفس النبيّ صلى الله عليه وآله لقوله تعالى: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾[٤] والاتفاق على أنّ المراد به عليّ عليه السلام، فهو أفضل من الملائكة، والملائكة معصومون فالأفضل من المعصوم معصوم؛ فعليّ عليه السلام معصوم، وكلّما كان عليّ عليه السلام معصوماً كان الإمام أيضاً معصوماً؛ لأنّه لا قائل بالفرق، فكلّ إمام معصوم، وهو المطلوب[٥].

الخامس: أنّ المراد بالعالمين إمّا الموجودون في زمانه صلى الله عليه وآله أو الأعمّ على ما يقتضيه عمومه؛ فعلى الأوّل لو لم يكن مثل هذه الرحمة بعده صلى الله عليه وآله لاستلزم الترجيح بدون مرجّح، وعلى الثاني يلزم رحمة مثله بعده صلى الله عليه وآله والرحمة من حيث

(١) الألفين: ٣٤٤ الثالث والثلاثون من أدلّة المائة الثامنة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.
(٢) الألفين: ٣٤٥ الرابع والثلاثون من أدلّة المائة الثامنة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.
(٣) الألفين: ٣٤٥ الخامس والثلاثون من أدلّة المائة الثامنة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.
(٤) آل عمران (٣): ٦١.
(٥) الألفين: ٣٤٥ السادس والثلاثون من أدلّة المائة الثامنة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

كونه رحمة يجب أن يكون بريئاً غير مشوب بشوب من الخطأ؛ لاستحالة اجتماع الضدّين أو النقيضين.

السادس: أنّ حكمه جلّ وعزّ بكونه صلى الله عليه وآله رحمة على نهج القصر يستلزم عصمته صلى الله عليه وآله من أوّل عمره إلى انتهائه، لما مرّ غير مرّة، وهو يستلزم عصمة الإمام عليه السلام، فتذكّر.

وأُيّد بما في المجمع عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال لجبرئيل لمّا نزلت هذه الآية: هل أصابك من هذه الرحمة شيء؟ قال: نعم إنّي كنت أخشى عاقبة الأمر فآمنت بك لمّا أثنى عليّ بقوله: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾[1].[2]

وفي العلل عن الباقر عليه السلام: أما لو قام قائمنا ردّت إليه الحميراء حتّى يجلدها الحدّ وحتّى ينتقم منها لابنة محمّد صلى الله عليه وآله فاطمة. قيل: ولِمَ يجلدها؟ قال: بفريتها على أُمّ إبراهيم. قيل: فكيف أخّره الله للقائم؟ قال: لأنّ الله تبارك وتعالى بعث محمّداً صلى الله عليه وآله رحمة وبعث القائم عليه السلام نقمة[3].

وفي الاحتجاج عن أميرالمؤمنين في حديث مجيباً لبعض الزنادقة: وأمّا قوله لنبيّه صلى الله عليه وآله: «وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين» وإنّك ترى أهل الملل المخالفة للإيمان ومن يجرى مجراهم من الكفّار مقيمين على كفرهم إلى هذه الغاية، وإنّه لو كان رحمة عليهم لاهتدوا جميعاً ونجوا من عذاب السعير، فإنّ الله تبارك اسمه

---

(١) التكوير (٨١): ٢٠.

(٢) تفسير مجمع البيان ٧: ١٢١، وعنه في: تفسير الصافي ٣: ٣٥٩ و٥: ٢٩٣، تفسير نور الثقلين ٣: ٤٦٦ ح١٩٧.

(٣) علل الشرائع: ٥٨٠ نوادر العلل، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٣٥٩، تفسير نور الثقلين ٣: ٤٦٦ ـ ٤٦٧ ح١٩٩.

إنّما عنى بذلك إنّه جعله سبيلاً لأنظار أهل هـذه الدار؛ لأنّ الأنـبياء قـبله بـعثوا بالتصريح لا بالتعريض، وكان النبيّ ﷺ منهم إذا صدع بأمر الله وأجابه قومه سلموا وسلم أهل دارهم من سائر الخليقة، وإن خالفوه هلكوا وهلك أهل دارهم بالآفة التي كان نبيّهم يتوعّدهم بها ويخوّفهم حلولها ونزولها بساحتهم، من حتف أو قذف أو رجف أو ريح أو زلزلة وغير ذلك من أصناف العذاب الذي هلكت به الأُمم الخالية، وإنّ الله علم من نبيّنا ومن الحجج في الأرض الصبر على ما لم يطق من تقدّمهم من الأنبياء الصبر على مثله، فبعثه الله بالتعريض لا بالتصريح، وأثبت حجّة الله تعريضاً لا تصريحاً بقوله في وصيّه: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»، وليس من خليقة النبيّ ولا من شيمته أن يقول قولاً لا معنى له، فلزم الأُمّة أن تعلم أنّه لمّا كانت النبوّة والأُخوّة موجودتين في خلقة هارون، ومعدومتين في من جعله النبيّ ﷺ بمنزلته إنّه قد استخلفه على اُمّته، كما استخلف موسى هارون حيث قال: اخلفني في قـومي، ولو قال لهم: لا تقلّدوا الإمامة إلّا فلاناً بعينه وإلّا فنزل بكم العذاب لأتاهم العذاب، وزال باب الإنظار والإمهال[1].

سورة الحجّ وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٨٨٣ ـ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ إلى قوله: **﴿عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾**[2].

---

(١) الاحتجاج ١: ٣٧٩، عنه في: تفسير نور الثقلين ٣: ٤٦٥ ـ ٤٦٦ ح١٩٦.

(٢) الحجّ: (٢٢): ٨ ـ ٩.

الاستدلال بالشكل الثاني ظاهر.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة فقال: تأويله جاء في باطن تفسير أهل البيت صلوات الله عليهم عن حمّاد بن عيسى قال: حدّثني بعض أصحابنا حديثاً يرفعه إلى أمير المؤمنين عليه‌السلام أنّه قال: «ومن الناس من يجادل في الله» الآية، قال: هو الأوّل، «ثاني عطفه» إلى[1] الثاني؛ وذلك لمّا أقام رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله الإمام أميرالمؤمنين عليه‌السلام علماً للناس وقال[2]: والله لا نفي له بهذا أبداً[3].

٨٨٤ ـ ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾[4].

المراد أنّ الله ناصر رسوله على ما قاله البيضاوي[5]، وقد مرّ أنّ ناصر النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله هو عليّ عليه‌السلام في آية ﴿أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ﴾[6] وغيرها، ونصره سبحانه سيّما بالنسبة إليه صلى‌الله‌عليه‌وآله ليس إلّا ما كان بريئاً عن الخطيئات، وإلّا لم يكن ناصراً.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن عيسى بن داود النجّار قال: قال الإمام موسى بن جعفر: حدّثني أبي، عن أبيه أبي جعفر عليه‌السلام أنّ النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله قال ذات يوم: إنّ ربّي وعدني نصرته وأن يمدّني بملائكته وإنّه ناصرني بهم وبعليّ خاصّة من

---

(١) في المصدر: «أي الثاني». وفي البحار وتفسير البرهان كما في المتن.

(٢) في المصدر وتفسير البرهان: «قالا» وفي هامش المصدر عن بعض النسخ والبحار كما في المتن.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٣ ح ١، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٤ ح ٥٢، تفسير البرهان ٣: ٨٥٧ ح٧٢٣٦.

(٤) الحجّ (٢٢): ١٥.

(٥) أنوار التنزيل (تفسير البيضاوي) ٤: ١١٨.

(٦) الأنفال (٨): ٦٢.

بين [أهلي]، فاشتدّ ذلك على القوم أن خصّ عليّاً عليه السلام بالنصرة وأغاظهم ذلك، فأنزل الله عزّ وجلّ: «من كان يظنّ أن لن ينصره الله» محمّداً بعليّ «في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثمّ ليقطع فلينظر هل يذهبنّ كيده ما يغيظ» قال: ليضع حبلاً في عنقه إلى سماء بيته حتّى يختنق فيموت فينظر هل يذهبنّ كيده غيظه[١].

٨٨٥ـ ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي** ﴾ إلى قوله: ﴿ **وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ** ﴾[٢].

لا ريب أنّ الهداية إلى صراط الله الحميد بعصمة عن خلاف الحقّ، والعصمة في ذلك ليس إلّا لإمام معصوم، وإلّا لزم كون الحقّ وغيره صواباً؛ لأنّ الكلّ تمسّكوا بقول مصدره الكتاب والرسول؛ فتأمّل.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة، قال: نزلت في عليّ وحمزة وعبيدة يوم بدر، وهو ما رواه محمّد بن العبّاس رحمه الله عن إبراهيم بن عبدالله بن مسلم، عن الحجّاج بن المنهال، [بإسناده عن قيس بن عبادة][٣] عن عليّ بن أبي طالب قال: أنا أوّل من يجثو للخصومة بين يدي الرّحمٰن. ,قال قيس: وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿ **هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ** ﴾[٤] وهم الذين تبارزوا يوم بدر: عليّ عليه السلام وحمزة وعبيدة وشيبة وعتبة والوليد[٥].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٣ـ ٣٣٤ ح ٢، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣٥٩ ح ٨١، تفسير البرهان ٣: ٨٥٩ ح ٧٢٤٢.

(٢) الحجّ (٢٢): ٢٣ ـ ٢٤.

(٣) ما بين المعقوفتين لم يرد في المخطوط، بل أثبتناه من المصدر.

(٤) الحج (٢٢): ١٩.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٤ ح ٣، وعنه في: بحار الأنوار ٣٦: ١٢٨ ح ٧٠، تفسير البرهان ٣:

وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿**هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ بولاية عليّ والأئمّة ﴿**قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ**﴾[١].

وعن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ**﴾[٢] قال: ذلك حمزة وجعفر وعبيدة وسلمان وأبو ذرّ والمقداد وعمّار هدوا إلى ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام[٣].

٨٨٦ ـ ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٤].

الاستدلال بالشكل الثاني ظاهر.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: نزلت فيهم حيث دخلوا مكّة فتعاهدوا وتعاقدوا على كفرهم بما نزل في أميرالمؤمنين عليه السلام فألحدوا في البيت بظلمهم الرسول ووليّه فبعداً للقوم للظالمين[٥].

وأُيّد أيضاً بما في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾[٦] وعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: قوله تعالى: «وطهّر بيتي للطائفين

⇐ ٨٦٢ ح٧٢٤٨، ونقله ابن طاووس أيضاً في: سعد السعود: ٢٠٦ فيما ذكره من كتاب محمّد بن العبّاس بن مروان.

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٤ ـ ٣٣٥ ح٤، وراجع: الكافي ١: ٤٢٠ ح٥١ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، بحار الأنوار ٢٣: ٣٧٩ ح٦٤، تفسير البرهان ٣: ٨٦١ ح٧٢٤٦.

(٢) الحج (٢٢): ٢٤.

(٣) الكافي ١: ٤٢٦ ح٧١ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٥ ح٥، بحار الأنوار ٢٢: ١٢٥ ح٩٦، تفسير البرهان ٣: ٨٦٦ ح٧٢٥٨.

(٤) الحج (٢٢): ٢٥.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٥ ح٦، وراجع: الكافي ١: ٤٢١ ح٤٤ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، بحار الأنوار ٢٣: ٣٧٢ ح٥٩، تفسير نور الثقلين ٣: ٤٨٢ ـ ٤٨٣ ح٥٤.

(٦) الحجّ (٢٢): ٢٦.

والعاكفين والركّع السجود» يعني بهم آل محمّد صلى الله عليه وآله[١].

وإنّ الله تعالى قد أمر إبراهيم عليه السلام بأن طهّر بيتي وأذّن في الناس بالحجّ وما تعلّق به، فلابدّ أن يكون مثله في كلّ دهر حذراً من الترجيح بدون مرجّح واستحباباً لإقامة السنّة.

٨٨٧ ـ ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾[٢].

العلم بها حقّه ليس إلّا بالمعصوم، فيجب.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن ذريح المحاربي، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: قوله تعالى: «ثمّ ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم»، قال: هو لقاء الإمام عليه السلام[٣].

وما روي عنه صلوات الله عليه وقد نظر إلى الناس يطوفون بالبيت فقال: طواف كطواف الجاهليّة، أما والله ما بهذا أُمروا ولكنّهم أُمروا أن يطوفوا بهذه الأحجار، ثمّ ينصرفوا إلينا فيعرّفونا، ويَعرُضوا علينا نُصرتهم، وتلا: «ثمّ ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم»، وقال: التفث الشَعَث. والنذر: لقاء الإمام[٤].

وقوله تعالى: **﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾**[٥].

وأُيّد عن الإمام موسى عن أبيه جعفر عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ: «ومن يعظّم

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٥ ـ ٣٣٦ ح٧، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣٥٩ ح٨٢، تفسير البرهان ٣: ٨٧٠ ح٧٢٧٧.

(٢) الحجّ (٢٢): ٢٩.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٦ ح٨، وعنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣٦٠ ح٨٤، تفسير البرهان ٣: ٨٨٠ ح٧٣١٧.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٦ ح٩، وراجع: تفسير البرهان ٣: ٨٨٠ ح٧٣١٨.

(٥) الحجّ (٢٢): ٣٠.

حرمات الله فهو خيرٌ له عند ربّه» قال: هي ثلاث حرمات واجبة، فمن قطع منها حرمة فقد أشرك بالله: الأُولى: انتهاك حرمة الله في بيته الحرام، والثانية: تعطيل الكتاب والعمل بغيره، والثالثة: قطيعة ما أوجب الله من فرض مودّتنا وطاعتنا[١].

٨٨٨ـ ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ * الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[٢].

كلّ إمام مرشد ويدعو إلى ذلك بالضرورة، ولا شيء من غير المعصوم يرشد ويدعو إلى ذلك بالضرورة، فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن عيسى بن داود، قال: قال موسى بن جعفر عليه السلام: سألت أبي عن قول الله عزّ وجلّ: «وبشّر المخبتين» الآية، قال: نزلت فينا خاصّة[٣].

قال أبو عليّ الطبرسي رحمه الله: قوله: «وبشّر المخبتين» أي إذا المتواضعين المطمئنّين إلى الله والذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لا ينصرون كأنّهم اطمأنّوا إلى يوم الجزاء، ثمّ وصفهم فقال: «الذين إذا ذُكِرَ الله وجلت قلوبهم» أي إذا خوّفوا بالله خافوا «والصابرين على ما أصابهم» من البلايا والمصائب في طاعته «والمقيمي الصلاة» في أوقاتها بحدودها «وممّا رزقناهم ينفقون» من الواجب وغيره[٤]. هذه

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٦ ح ١٠، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١٨٦ ح ٥، تفسير البرهان ٣: ٨٨٠ ـ ٨٨١ ح ٧٣١٩.

(٢) الحجّ (٢٢): ٣٤ ـ ٣٥.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٧ ح ١١، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٤٠١ ح ١٣١، تفسير البرهان ٣: ٨٨٤ ح ٧٣٣٥.

(٤) تفسير مجمع البيان ٧: ١٥١.

بعض صفاتهم صلوات الله عليهم[١].

٨٨٩ ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾[٢].

الإمام يجب أن يكون دافعاً محبوباً رادعاً عن الثاني، ولا شيء من غير المعصوم كذلك، فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة؛ فيلزم كلّ إمام معصوم بالضرورة؛ لوجود الموضوع، والمقدّمتان ضروريّتان.

ويُعضد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن إسحاق بن عمّار قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «إنّ الله يدافع عن الذين آمنوا»، قال: نحن الذين آمنوا والله يدافع عنّا ما أذاعت شيعتنا[٣].

يعني: أنّ بعض شيعتهم يذيع عنهم بعض أسرارهم إلى أعدائهم ويقصد بذلك أذاهم أو لا يقصد فإنّ الله سبحانه يدافع عنهم «إنّ الله لا يحبّ كلّ خوّان» لمودّتهم «كفور» بولايتهم[٤].

٨٩٠ ـ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[٥].

تعليق جواز المقاتلة على المظلوميّة عُدّ من المجمع عليه، وإطاعة الإمام من الحتميّات أيضاً، فلو أمر بالمقاتلة فلابدّ أن يعلم صحّته للنهي عن الظنّ وعن إلقاء النفس إلى التهلكة مع وجوب دفع الضرر المظنون، والعلم بذلك لا يحصل إلّا من المعصوم.

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٧ ح ١١.

(٢) الحجّ (٢٢): ٣٨.

(٣) بحار الأنوار ٢٤: ٣٨٢ ح ٧٥، تفسير البرهان ٣: ٨٨٧ ح ٧٣٥٠.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٧ ح ١٢.

(٥) الحجّ (٢٢): ٣٩.

وأُيّد بما في تفسير الصافي عن الصادق عليه السلام أنّ العامّة يقولون: نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أخرجته قريش من مكّة وإنّما هو القائم إذا خرج يطلب دم الحسين عليه السلام وهو يقول: نحن أولياء الدم وطلّاب الترة[١].[٢]

وبما في تأويل الآيات الظاهرة: قال أبو عليّ الطبرسي رحمه الله: إنّ هذه الآية أوّل آية نزلت في القتال، وفي الآية محذوف تقديره: أُذن للمؤمنين أن يقاتلوا من أجل أنّهم ظلموا بأن أُخرجوا من ديارهم وقصدوا بالإيذاء والإهانة وإنّ الله على نصرهم لقدير، وهذا وعدٌ لهم بالنصر إنّه سينصرهم[٣].

وقال أبو جعفر عليه السلام: نزلت في المهاجرين وجرت في آل محمّد صلى الله عليه وآله الذين أُخرجوا من ديارهم وأُخيفوا[٤].

وقال محمّد بن العبّاس رحمه الله: حدّثنا محمّد بن همام، عن محمّد بن إسماعيل العلوي، عن عيسى بن داود قال: حدّثنا موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: نزلت هذه الآية في آل محمّد خاصّة: **﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا**

---

(١) في بعض المصادر ـ كتفسير القمّي ـ فيه: «الدية» بدل «الترة». الوَتِيرةَ: طلب الثأر، والموتور الذي له قتيل فلم يُدرك بدمه، ومنه الحديث: «أنا الموتور» أي صاحب الوتر الطالب بالثأر. ويقال وَتَرَهُ يَتِرُهُ وِتْراً وِترَةً، ومنه حديث الأئمّة عليهم السلام: «بِكُم يُدرِك الله تِرَةَ كلّ مؤمن يطلب بها» مجمع البحرين ٣: ٥٠٨ «وتر». وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً أو أخذت له مالاً. النهاية لابن الأثير ٤: ٥١. فالظاهر: أنّ الترة في الحديث ـ بكسر التاء وفتحها ـ بمعنىٰ الموتور من ظلم حقّه، والتاء في آخر الكلمة عوض عن الواو المحذوفة من أوّلها كما في «عدة»، وهذا المعنىٰ هو الذي يناسب الحديث. انظر: مجمع البيان ٦: ٣٤٤.

(٢) تفسير الصافي ٣: ٣٨١، وراجع: تفسير القمّي ٢: ٨٤ ـ ٨٥، تفسير نور الثقلين ٣: ٥٠١ ح١٥٢.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٨ ح١٣، وراجع: تفسير مجمع البيان ٧: ١٥٦.

(٤) تفسير مجمع البيان ٧: ١٥٦، عنه في: تفسير الصافي ٣: ٣٨١، بحار الأنوار ٢٤: ٢٢٧ ح٢٣، تفسير نور الثقلين ٣: ٥٠١ ـ ٥٠٢ ح١٥٨، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٨ ذيل الحديث ١٣.

اللَّهُ﴾ ثمّ تلا إلى قوله: **﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾**[1].[2]

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «أُذن للذين يقاتلون بأنّهم ظُلِموا وإنّ الله على نصرهم لقدير» قال: الحسن والحسين عليهما السلام[3].

وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «أُذين للذين يقاتلون بأنّهم ظُلِموا وإنّ الله على نصرهم لقدير» قال: هي في القائم عليه السلام وأصحابه[4].

بيان ذلك: أنّ قوله «أُذن» هو ماض لكن يراد به الاستقبال وهذا يدلّ على الجزم بوقوعه في المستقبل، فكأنّه قد مضى، ومثله: **﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾**[5]، ويمكن أن يقال: إنّه أذن لهم في القرآن لأنّه فيه علم ما يكون وما كان، والله تعالى قد وعدهم النصر لقوله: «وإنّ الله على نصرهم لقدير». وقال تعالى: **﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[6] والقائم وأصحابه هم المنصورون لأنّهم جند الله، وقال سبحانه وتعالى: **﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾**[7]، ثمّ بيّن سبحانه حال المأذون لهم في القتال فقال: **﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾**[8].[9]

---

(١) الحجّ (٢٢): ٣٩ ـ ٤١.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٨ ح ١٤، وراجع: بحار الأنوار ٢٤: ٢٢٦ ح ٢٠، تفسير البرهان ٣: ٨٨٨ ح ٧٣٥٢.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٨ ح ١٥، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٢٧ ح ٢٢، وراجع: تفسير البرهان ٣: ٨٨٨ ح ٧٣٥٣.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٨ ـ ٣٣٩ ح ١٦، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٢٧ ح ٢٣، تفسير البرهان ٣: ٨٨٨ ح ٧٣٥٤.

(٥) الأعراف (٧): ٤٤.

(٦) الروم (٣٠): ٤٧.

(٧) الصافّات (٣٧): ١٧٣.

(٨) الحجّ (٢٢): ٤٠.

(٩) راجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٩ ذيل الحديث ١٦.

٨٩١ ـ ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا الله﴾[١].

لا شيء من الإمام يدعو إلى هذه الطريقة أو يفعل هذا؛ لأنّها موصوفة بالقبح بالضرورة، وكلّ غير معصوم داعٍ إلى هذا وفاعل هذا بالإمكان، فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة.

وأُيّده بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن محمّد بن زيد مولى أبي جعفر عن أبيه قال: سألت مولاي أبا جعفر عليه السلام قلت: قوله عزّ وجلّ: «الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حقّ إلّا أن يقولوا ربّنا الله»، قال: نزلت في عليّ وحمزة وجعفر عليهم السلام ثمّ جرت في الحسين عليه السلام[٢].

وعن موسى بن جعفر عليهما السلام: «الذين أُخرجوا من ديارهم بغير حقّ»، قال: نزلت فينا خاصّة في أميرالمؤمنين وذريّته وما ارتُكِب من أمر فاطمة عليها السلام[٣].

اعلم أنّه لمّا تبيّن أنّ الذين أُخرجوا من ديارهم أنّهم الأئمّة عليهم السلام، قال تعالى وهم المعنيّون بما قال:

٨٩٢ ـ ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[٤].

كلّ إمام يجب أن يكون كذلك بالضرورة، ولا شيء من غير المعصوم كذلك بالإمكان، فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة، وثاني الوجهين ما في

---

(١) الحجّ (٢٢): ٤٠.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٩ ح١٧، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٢٧ ح ٢٤ و ٢٥، تفسير البرهان ٣: ٨٨٨ ح٧٣٥٥. ورواه الكليني في: الكافي ٨: ٣٣٧ ـ ٣٣٨ ح ٥٣٤ بسند آخر.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٣٩ ـ ٣٤٠ ح١٨، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ح ٢١، تفسير البرهان ٣: ٨٨٨ ح٧٣٥٦.

(٤) الحجّ (٢٢): ٤٠.

الألفين أنّه يدلّ على نصب الله الرئيس بعد النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لأنّه الحافظ للمساجد والصلوات، ومقرّب إلى الطاعات ومبعّد عن المعاصي بعد تقريرها، وذلك هو الإمام المعصوم[1].

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض» الآية، فقال: كان قوم صالحون هم مهاجرون قوم سوء خوفاً أن يفسدوهم فيدفع الله أيّدهم عن الصالحين، ولم يأجر أُولئك بما يقع بهم وفينا مثلهم[2].

وعن أبي الحسن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السلام في قوله عزّ وجلّ: «ولولا دفع الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً» قال: هم الأئمّة وهم الأعلام، ولولا صبرهم وانتظارهم الأمر أن يأتيهم من الله لقتلوا جميعاً، قال الله عزّ وجلّ: «ولينصرنّ الله من ينصره إنّ الله لقويّ عزيز»[3].

بيان: معنى هذا التأويل الأوّل قوله: كان قوم صالحون وهم مهاجرون قوم سوء خوفاً أن يفسدوهم أي يفسدوا عليهم دينهم فهاجروهم لأجل ذلك، فالله تعالى يدفع أيدي القوم السوء عن الصالحين.

وقوله: «وفينا مثلهم» قوم صالحون وهم الأئمّة الراشدون وقوم سوء وهم

---

(١) الألفين: ١٠٣ الرابع والسبعون من أدلّة المائة الأُولىٰ الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٤٠ ح١٩، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣٦١ ح٨٥، تفسير البرهان ٣: ٨٩٠ ح٧٣٦٢.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٤٠ ح٢٠، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣٥٩ ح٨٣، تفسير البرهان ٣: ٨٩٠ ح٧٣٦٣.

المخالفون، والله تعالى يدفع أيدي المخالفين عن الأئمّة الراشدين[١]، والحمد لله ربّ العالمين[٢].

أمّا معنى تأويل الثاني قوله: «هم الأئمّة» بيانه أنّ الله سبحانه يدفع بعض الناس عن بعض، فالمدفوع عنهم هم الأئمّة عليهم السلام، والمدفوعون هم الظالمون.

وقوله: «لولا صبرهم على الأذى والتكذيب وانتظارهم أمر الله أن يأتيهم بفرج آل محمّد وقيام القائم عليه السلام لقاموا كما قام غيرهم بالسيف ولو قاموا لقتلوا جميعاً لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد؛ فالصوامع عبارة عن مواضع عبادة النصارى في الجبال، والبيع في القرى، والصلوات أي مواضعها، ويشترك فيه المسلمون واليهود؛ فاليهود لهم الكنائس، والمسلمون لهم المساجد بغير مشارك، فيكون قتلهم جميعاً سبباً لهدم هذه المواضع، وهدمها سبباً لتعطيل الشرائع الثلاث: شريعة موسى، وعيسى، ومحمّد صلوات الله عليهم؛ لأنّ الشريعة لا تقوم إلّا بالكتاب، والكتاب يحتاج إلى التأويل، والتأويل لا يعلمه إلّا الله والراسخون في العلم، وهم الأئمّة صلوات الله عليهم؛ لأنّهم يعلمون تأويل كتاب موسى وعيسى ومحمّد صلّى الله عليه وآله، لقول أمير المؤمنين عليه السلام: لو ثُنِيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتّى تنطق الكتب وتقول: صدق عليّ[٣].

وقوله: «وهم الأعلام» الأدلّه الهادية إلى دار السلام فعليهم من الله السلام أفضل

---

(١) في تفسير البرهان ٣: ٨٩٠ذيل الحديث ٧٣٦٣: «فالله تعالى يدفع أيدي القوم السوء عن الصالحين».

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٤١ذيل الحديث ١٩.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٤١ـ٣٤٢ذيل الحديث ٢٠ والحديث ٢١.

التحيّة والسلام، ولمّا علم الله سبحانه منهم الصبر وعدهم النصر فقال: «ولينصرنّ الله من ينصره» أي ينصر دينه «إنّ الله لقويّ» في سلطانه «عزيز» في جبروت شأنه، ثمّ أبان شأن من ينصره[١]:

٨٩٣ ـ ﴿الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِى الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[٢].

في الألفين: الإمام هو الآمر لغير المعصومين كلّهم والناهي لهم عن المنكر، فلو كان غير معصوم لكان إمّا آمراً لنفسه، أو لا يوجد له أمر مع مساواته إيّاهم في علّة الحاجة إليه، هذا خلف[٣].

وإنّ هؤلاء المذكورين إمّا أن يكونوا الآمر لهم فلاناً هي لهم فلابدّ أن يكونوا آمرين للكلّ لا يصدر منهم القبيح ولا يخلّوا بواجب وإلّا فإمّا أن لا يجب أمرهم ونهيهم وهو محال؛ لأنّ علّة الوجوب الصدور والترك، أو يجب من غير مَنْ يجب عليه، وهو محال؛ لأنّا فرضنا أنّه لا أمر لهم، فهم المعصومون، وإمّا أن يكونوا مأمورين بآمر لهم وناهي؛ فالإمام إمّا أن يكون من الأوّل وهو يفيد المطلوب، أو من الثاني وهو إمّا من رعيّته وهو يوجب سقوطه ووقوعه في عدم القبول منه. وأيضاً فإنّ ذلك محال، فإنّ السلطان لا يتمكّن رعيّته من أمره ونهيه، فيكون الوجوب خالياً عن الفائدة بالكليّة[٤].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٤١ـ٣٤٢ ح ٢١.

(٢) الحجّ (٢٢): ٤١.

(٣) الألفين: ٢٨٤ الثامن من أدلّة المائة السابعة الدالّة على وجوب عضمة الإمام عليه السلام.

(٤) انظر: الألفين: ٢٨٤ التاسع من أدلّة المائة السابعة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام مع اختلاف في بعض الألفاظ.

وأيضاً يلزم كونه مطيعاً ومطاعاً لأنّ الله تعالى أمر في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[1] بإطاعة أُولي الأمر فلو عكس لزم إمّا أن يكون الواجب غير واجب أو التكليف فوق الطاقة، وإمّا أن يكون له إمام آخر وهو يوجب التسلسل، فلزم كونه من الأوّل.

وأيضاً لابدّ أن يكون الآمر والناهي شخصاً معيّناً والمأمور هو غير المعصوم، فالآمر الأعلى هو المعصوم، وإلّا اتّحد المضاف والمضاف إليه باعتبار واحد ومحال أن يكون كلّ واحد آمراً أصليّاً للآخر، وإلّا لزم وقوع الفتن والهرج.

ورابع الأوجه: أنّ كلّ إمام متّصف بهذه الصفات بالضرورة، ولا شيء من غير المعصوم لمتّصف بهذه الصفات بالإمكان، فلا شيء من الإمام غير معصوم. الصغرى فطريّة القياس، والكبرى ظاهرة.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن محمّد بن العبّاس رحمه الله بإسناده عن الإمام موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: قوله عزّ وجلّ: «الذين إن مكّنّاهم» الآية، قال: نحن هم[2].

وعن عبدالله بن الحسن بن الحسين[3] عن أُمّه عن أبيها عن أبيه عليه السلام في قوله عزّوجلّ: «الذين إن مكّنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر» قال: هذه نزلت فينا أهل البيت[4].

---

(١) النساء (٤): ٥٩.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٤٢ ح٢٢، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١٦٤ ح٧، تفسير البرهان ٣: ٨٩١ ح٧٣٦٤.

(٣) في تأويل الآيات الظاهرة: «عن أبي عبدالله بن الحسن» وما في المتن كما في تفسير البرهان.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٤٢ ح٢٣، وراجع: تفسير البرهان ٣: ٨٩١ ـ ٨٩٢ ح٧٣٦٥.

وعن الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: كنت عند أبي يوماً في المسجد إذ أتاه رجل فوقف أمامه وقال: يابن رسول الله، أعْيَتْ عليَّ آية في كتاب الله عزّ وجلّ سألت عنها جابر بن يزيد فأرشدني إليك. فقال: ما هي؟ قال: قوله عزّ وجلّ: «الذين إن مكّنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأُمور»، فقال أبي: نعم، فينا نزلت، وذلك لأنّ فلاناً، وفلاناً، وطائفة معهم ـ وسمّاهم ـ اجتمعوا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله، إلى من يصير هذا الأمر بعدك؟ فوالله لئن صار إلى رجلٍ من أهل بيتك إنّا لنخافهم على أنفسنا، ولو صار إلى غيرهم لعلّ غيرهم أقرب وأرحم بنا منهم!

فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك غضباً شديداً ثمّ قال: أما والله لو آمنتم بالله وبرسوله ما أبغضتموهم [لأنّ بُغضهم] بُغضي وبُغضي هو الكفر بالله. ثمّ نَعَيْتُم إليّ نفسي، فوالله لئن مكّنهم الله في الأرض ليقيمون الصلاة لوقتها، وليؤتون الزكاة لمحلّها، وليأمرنّ بالمعروف، ولينهنّ عن المنكر، إنّما يرغم الله أُنوف رجال يبغضوني ويبغضون أهل بيتي وذريّتي، فأنزل الله: «الذين إن مكّنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأُمور» فلم يقبل القوم ذلك، فأنزل الله سبحانه: ﴿**وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ * وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ**﴾[1].[2]

وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: «الذين إن مكّنّاهم في الأرض أقاموا

---

(١) الحجّ (٢٢): ٤٢ ـ ٤٤.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٤٢ ـ ٣٤٣ ح ٢٤ وراجع: تفسير البرهان ٣: ٨٩٢ ح ٧٣٦٦.

الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأُمور» قال: هذه لآل محمّد صلى الله عليه وآله المهدي وأصحابه يملّكهم الله مشارق الأرض ومغاربها، ويظهر الدين، ويُميت الله عزّ وجلّ به وبأصحابه البدع والباطل، كما أمات السفهة الحقّ، حتّى لا يُرى أثرٌ من الظلم، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ولله عاقبة الأُمور[١].

٨٩٤ ـ ﴿فَكَأَيِّن مِن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾[٢].

الاستدلال به على طريق الشكل الثاني ظاهر.

وأُيّد بما في تفسير الصافي عن المعاني والإكمال عن الصادق عليه السلام، وفي الكافي عن الكاظم عليه السلام: البئر المعطّلة الإمام الصامت، والقصر المَشيدة الإمام الناطق[٣].

وفي تأويل الآيات الظاهرة: عن الصادق عليه السلام: أميرالمؤمنين القصر المَشيد، والبئر المعطّلة فاطمة وولديها[٤] معطّلون من الملك[٥].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٤٣ ـ ٣٤٤ ح٢٥، وراجع: بحار الأنوار ٢٤: ١٦٥ ح١، تفسير البرهان ٣: ٨٩٢ ح٧٣٦٧، تفسير نور الثقلين ٣: ٥٠٦ ح١٦١.

(٢) الحجّ (٢٢): ٤٥.

(٣) تفسير الصافي ٣: ٣٨٢، وراجع: معاني الأخبار ١١١ ح١ و٢ باب معنى البئر المعطّلة والقصر المشيد، كمال الدين وتمام النعمة: ٤١٧ ح١١، الكافي ١: ٤٢٧ ح٧٥ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية. وراجع أيضاً: مسائل عليّ بن جعفر: ٣١٧ ح٧٩٦، بحار الأنوار ٢٤: ١٠١ ـ ١٠٢ ح٦، كنز جامع الفوائد ودافع المعاند ١: ٣٣١ ح٣٤٠، تفسير نور الثقلين ٣: ٥٠٦ ح١٦٥ عن كمال الدين ومعاني الأخبار، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٤٤ ح٢٧، تفسير البرهان ٣: ٨٩٤ ح٧٣٧١.

(٤) في المصدر: «وولدها».

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٤٤ ح٢٦، وراجع: معاني الأخبار: ١١١ ح٣، بحار الأنوار ٢٤: ١٠٢ ⇐

وعن أبي عبدالله الحسين بن جبير رحمه الله ـ في كتابه نخب المناقب ـ أنّه روى حديثاً يرفعه إلى الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: «وبئر معطّلة وقصر مشيد» أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: القصر المشيد والبئر المعطّلة عليّ عليه السلام[١].

وعن عليّ بن إبراهيم: هذا مَثَلٌ لآل محمّد للإمام القائم دلّ على غيبته، فالبئر المعطّلة الإمام وهو معطّل لا يقتبس منه العلم[٢].

وأحسن ما قيل[٣] في هذا التأويل:

بئرٌ معطّلة وقصرٌ مُشرف ... مثلٌ لآل محمّدٍ مُستطرفُ

فالناطق القصرُ المشيدُ منهم ... والصامتُ البئرُ التي لا تنزف[٤]

٨٩٥ ـ ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ إلى: ﴿أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[٥].

عموم الصالحات يقتضي معلّماً معصوماً بينهما كما مرّ غير مرّة، وكلّ إمام داع

⇐ ح ٩، تفسير البرهان ٣: ٨٩٤ ح ٧٣٧٤، تفسير نور الثقلين ٣: ٥٠٧ ح ١٦٨، كنز جامع الفوائد ودافع المعاند ١: ٣٣١ ح ٣٣٩.

(١) نهج الإيمان: ٦٢٥ الفصل الخامس والأربعون، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٤٤ ح ٢٨، بحار الأنوار ٢٤: ١٠٣ ح ١٠.

(٢) تفسير القمّي ٢: ٨٥، وعنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٤٥ ذيل الحديث ٢٨، كنز جامع الفوائد ودافع المعاند ١: ٣٣٢.

(٣) القائل هو محمّد بن الحسن بن أبي خالد الأشعري، الملقّب بشُنْبُولة. راجع: تفسير البرهان ٣: ٨٩٤ ذيل الحديث ٧٣٧٤.

(٤) ورد البيت الثاني في بعض المصادر المذكورة آنفاً هكذا:

فالقصر مجدهم الذي لا يرتقى ... والبئر علمهم الذي لا ينزف

وورد أيضاً في بعضها الآخر:

فعليّ القصر المشيد منهم ... والبئر علمهم الذي لا ينزف

(٥) الحجّ (٢٢): ٥٠ ـ ٥١.

إلى الأوّل وناهي عن الثاني بالضرورة، ولا شيء من غير المعصوم كذلك بالإمكان، فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: أُولئك آل محمّد صلى الله عليه وآله «والذين سعوا» في قطع مودّة آل محمّد «معاجزين أُولئك أصحاب الجحيم» قال: هم الأربعة نفر: التّيمي، والعَدَوي، والأمويان[1].

٨٩٦ ـ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2].

الاستدلال به على طريق الشكل الثاني ظاهر.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن محمّد بن العبّاس رحمه الله بإسناده عن الحكم بن عيينة قال: قال لي عليّ بن الحسين عليه السلام: يا حكيم، هل تدري ما كانت الآية التي يعرف بها عليّ عليه السلام صاحب قتله، ويعرف بها الأُمور العظام التي كان يحدّث بها الناس؟ قال: قلت: لا والله فأخبرني بها يابن رسول الله. قال: هي قول الله عزّ وجلّ: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ» ولا محدّث. قلت: فكان عليّ عليه السلام محدَّثاً؟ قال: نعم، وكلّ إمام منّا أهل البيت محدّث[3].

وعن الحارث بن المغيرة البصري قال: قال لي الحكم بن عيينة: إنّ مولاي عليّ ابن الحسين عليه السلام قال لي: إنّما علم عليّ عليه السلام كلّه في آية واحدة. قال: فخرج

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٤٥ ح ٢٩، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٨١ ح ٧٣، تفسير البرهان ٣: ٨٩٦ ـ ٨٩٧ ح ٧٣٨٢.

(٢) الحجّ (٢٢): ٥٢.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٤٦ ح ٣٠، عنه في: بحار الأنوار ٢٦: ٨١ ح ٤٣، تفسير البرهان ٣: ٨٩٨ ح ٧٣٨٥.

عمران[1] بن أعين ليسأله فوجد علياً عليه السلام قد قبض، فقال لأبي جعفر عليه السلام: إنّ الحكم حدّثنا عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال: إنّ علم عليّ عليه السلام كلّه في آية واحدة. فقال أبو جعفر عليه السلام: وما تدري ما هي؟ قلت: لا. قال: هي قوله تعالى: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ» ولا محدّث. ثمّ أبان شأن الرسول والنبيّ والمحدَّث، صلوات الله عليهم[2].

وعن بريد العجلي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرسول والنبيّ والمحدّث، فقال: الرسول: الذي تأتيه الملائكة ويعاينهم، وتُبلّغه الرسالة من الله، والنبيّ يرى في المنام فما رأى فهو كما رأى، والمحدّث: الذي يسمع كلام الملائكة وحديثهم ولا يرى شيئاً، بل يُنقر في أُذنه ويُنكت في قلبه[3].

وأمّا تأويل قوله تعالى: «إلّا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أُمنيّته».

وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ إلّا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أُمنيّته فينسخ الله ما يلقي الشيطان» الآية، قال أبو جعفر عليه السلام: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أصابه جوع شديد فأتى رجلاً من الأنصار فذبح له عناقاً[4] وقطع له عذق بُسر[5] ورطب فتمنّى رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام وقال: يدخل عليكم رجل من أهل الجنّة، قال: فجاء أبوبكر، ثمّ جاء عمر، ثمّ جاء

---

(١) في تأويل الآيات الظاهرة: «حمران».

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٤٦ ح ٣١، عنه في: بحار الأنوار ٢٦: ٨١ ح ٤٤، تفسير البرهان ٣: ٨٩٨ ح ٧٣٨٦.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٤٦ ـ ٣٤٧ ح ٣٢، عنه في: بحار الأنوار ٢٦: ٨٢ ح ٤٥، تفسير البرهان ٣: ٩٠٣ ح ٧٤٠٤.

(٤) العَناق: بالفتح، الأنثىٰ من ولد المعز قبل استكمالها الحول. مجمع البحرين ٥: ٢١٩ «عنق».

(٥) البُسر: من التمر قبل أن يُرْطِب، والواحدة بسْرة وأبْسَر النخلُ صار بُسْراً بعدما كان بَلْحاً. العين ٧: ٢٥٠ «بسر».

عثمان، ثمّ جاء عليّ عليه السلام فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾[(١)].[(٢)]

وعن أبي عبدالله عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أصابه خَصَاصة[(٣)]، فجاء إلى رجل من الأنصار فقال له: هل عندك طعام؟ فقال: نعم يا رسول الله، فذبح له عناقاً وشواها فلمّا دنا منها تمنّى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكون معه عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فجاء أبوبكر وعمر ثمّ جاء عليّ عليه السلام بعدهما، فأنزل الله عليه: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ ولا محدَّث» ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام: هكذا نزلت[(٤)] «إلّا إذا تمنّى ألقى الشيطان في أُمنيّته فينسخ الله ما يلقي الشيطان» ـ بعليّ

---

(١) الحجّ (٢٢): ٥٢ ـ ٥٥.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٤٧ ح ٣٣، وراجع: تفسير البرهان ٣: ٨٩٧ ـ ٨٩٨ ح ٧٣٨٤. وانظر: تفسير نور الثقلين ٣: ٥١٧ ضمن الحديث ٢٠٦.

(٣) الخصاصة: ـ بالفتح ـ الحاجة والفقر. مجمع البحرين ٤: ١٦٧.

(٤) المعروف بين المسلمين عدم وقوع التحريف في القرآن الكريم، وأنّ الموجود بين أيدينا هو جميع القرآن المنزل على الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ولقد صرّح بذلك أعلام الطائفة الإماميّة، منهم الشيخ الصدوق والشيخ المفيد والسيّد المرتضى والشيخ الطوسي وغيرهم، راجع حول تصريحاتهم في عدم القول بالتحريف كتاب: صيانة القرآن من التحريف: ٤١ وما بعدها للشيخ محمّد هادي معرفة، بل المتسالم عليه بينهم هو القول بعدم التحريف؛ لأنّ القول بالتحريف يقتضي سقوط الكتاب عن الحجّيّة، وبالتالي فلا يمكن التمسّك بظواهره؛ لاحتمال افتراق ظواهره بما يكون قرينة على خلافها، وتفصيل الكلام في علم الأُصول. وأمّا الروايات الواردة في الباب والتي يُتوهّم منها شبهة التحريف يمكن تقسيمها إلى قسمين: الأوّل: الروايات التي لا اعتبار لها لكونها ضعيفة أو مرسلة أو مقطوعة، وأمثال هذه الروايات فهي ساقطة عن درجة الاعتبار. الثاني: الروايات الواردة عن رجال ثقات ورويت في مجاميع روائيّة معتبرة ـ فهي وإن

⇐

⇐ كانت قليلة ـ فقد ذكر علماؤنا: أنّ بعضها محمول على التأويل أو التفسير أو بيان سبب النزول أو القراءة أو التحريف في المعنى لا التحريف في اللفظ أو الوحي الذي هو ليس بقرآن ونحو ذلك من الوجوه التي ذكروها. قال السيّد الخوئي في: البيان في تفسير القرآن: ٢٣٠ «إنّ بعض التنزيل كان من قبيل التفسير للقرآن وليس من القرآن نفسه فلابدّ من حمل هذه الروايات على أنّ ذكر أسماء الأئمّة في التنزيل من هذا القبيل، وإذا لم يتمّ هذا الحمل فلابدّ من طرح هذه الروايات لمخالفتها للكتاب والسنّة والأدلّة المتقدّمة على نفي التحريف». وقال الشيخ البهائي: «ما اشتهر بين الناس من إسقاط اسم أميرالمؤمنين عليه‌السلام من القرآن في بعض المواضع ... غير معتبرٍ عند العلماء». آلاء الرّحمٰن ١: ٦٥. لو سلّمنا عدم الحمل على التفسير أو التأويل، فإنّ هذه الروايات تكون معارضة بصحيحة أبي بصير المرويّة في الكافي ١: ٤٣٣ قال: سألت أبا عبدالله عليه‌السلام عن قول الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ـ النساء: ٥٩ ـ قال: فقال: «نزلت في عليّ بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم‌السلام» فقلت له: إنّ الناس يقولون: فما له لم يسمّ عليّاً وأهل بيته في كتاب الله ؟ قال عليه‌السلام: «فقولوا لهم: إنّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله نزلت عليه الصلاة ولم يسمّ لهم ثلاثاً ولا أربعاً، حتّى كان رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله هو الذي فسّر لهم ذلك». راجع: الكافي ١: ٢٨٦ ح ١ كتاب التوحيد ـ ما نصّ الله عزّ وجلّ ورسوله على الأئمّة عليهم‌السلام واحداً فواحداً. فتكون هذه الرواية حاكمة على جميع تلك الروايات وموضحة للمراد منها. انظر: البيان في تفسير القرآن ١: ٢٣٢.
قال الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ) في كتابه «أصل الشيعة وأُصولها»: «والأخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم الظاهرة في نقصه أو تحريفه، ضعيفة شاذّة، وأخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً، فأمّا أن تؤوّل بنحوٍ من الاعتبار أو يُضرب بها الجدار» أصل الشيعة وأُصولها: ٢٢٠. إذن ما نحن فيه من الروايات ـ على فرض صحّتها ـ يمكن حمل قوله عليه‌السلام: «هكذا نزلت» ونحوها من الروايات على أنّه بهذا المعنى نزلت، وليس المراد أنّ الزيادة كانت في أصل القرآن ثمّ حُذفت. وممّا يؤيّد ذلك ما رواه الكليني عن الإمام الكاظم عليه‌السلام عندما سأله بعض أصحابه في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ﴾، قال: الهدى الولاية، آمنا بمولانا؛ فمن آمن بولاية مولاه ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ قلت: هذا تنزيل ؟ قال: لا تأويل. راجع: الكافي ١: ص ٤٣٣ ضمن ح ٩١ والآية في سورة الجن: ١٣.
ولقد روى العيّاشي في تفسيره ١: ١٣ ح ٤ عن الإمام الصادق عليه‌السلام قال: «لو قرئ القرآن كما أُنزل لألفينا فيه مُسمّين» لقد صرّح العلماء في عدم اعتبار الحديث من حيث السند لإرساله، وعلى فرض صحّته فإنّ المراد بالتسمية ـ هنا ـ هو كون أسمائهم عليهم‌السلام مثبتة فيه على وجه ⇐

حين جاء بعدهما ـ «ثمّ يحكم الله آياته والله عليم حكيم»[١].

بيان هذا التأويل: أنّ قوله «إذا تمنّى ألقى الشيطان في أُمنيّته» أي ما يتمنّاه شيئاً لا يحبّه ولا يهواه، وبيان ما ألقاه[٢] في أُمنيّة النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه ألقى إلى أوليائه وساوسه وأوحى إليهم أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله أضافه فلان فاذهبوا إليه لتناولوا من الطعام تحرزوا[٣] فضل ذلك المقام، فأتوا قبل عليّ عليه السلام ليكون ذلك فتنة للذين في قلوبهم مرض. ثمّ قال سبحانه: «فينسخ الله ما يلقي الشيطان» وهو ما أظمره أولياؤه في أنفسهم من أنّ ما فعلوه يكون لهم فضيلة فينسخه الله بأن جعله لهم رذيلة حيث إنّهم جاؤوا بغير ما تمنّاه النبيّ صلى الله عليه وآله بخلاف ما أراده، ثمّ قال سبحانه: «ثمّ يحكم الله آياته» أي أمر آياته، وآياته النبيّ وعليّ صلوات الله عليهما «والله عليم» بالأشياء «حكيم» يضعها مواضعها وضع الدنيا للشيطان وأوليائه وحزبهم الظالمين، ووضع الآخرة لمحمّد وآله الطيّبين وحزبهم المفلحين، والحمد لله ربّ العالمين[٤].

٨٩٧ ـ ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا ﴾ إلى قوله: ﴿ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾[٥].

⇐ التفسير، لا أنّها نزلت في أصل القرآن، أي لولا حذف بعض ما جاء من التأويل لآياته، وحُذف ما أنزله الله تعالى تفسيراً له وحُذف موارد النزول وغيرها، لألفينا فيه مُسمّين، أو لو أُوّل كما أنزل الله تعالى وبدون كَدَر الأوهام لما كان هناك إشكال في فهم القرآن الكريم.

فالنقص أو التحريف الوارد في بعض الأحاديث المراد به نقصه أو تحريفه من حيث عدم المعرفة بتأويله وعدم الاطّلاع على باطنه لا نقص آياته وكلماته وسوره. وهذا التوضيح ـ المختصر ـ يكون جواباً نافعاً على السؤالات التي قد تطرح حول مثل هذه الروايات. وسيأتي أيضاً التعرّض لتكملة البحث حول تحريف القرآن في أحد الهوامش اللاحقة في هذا المجلّد.

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٤٧ـ٣٤٨ ح ٣٤، وراجع: بحار الأنوار ١٧: ٨٥ ح ١٤.

(٢) في تأويل الآيات الظاهرة: «ألقى».

(٣) كذا في تأويل الآيات الظاهرة وفي هامشه عن بعض النسخ: «تحوزوا».

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٤٨ ذيل الحديث ٣٤.

(٥) الحجّ (٢٢): ٥٨.

الجهاد والقتل في سبيل الله على ما هو الواقع لا يتمّ إلّا بالمعصوم إذ لا يتقن الدعاء إلى الله إلّا إذا كان معصوماً.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن محمّد بن العبّاس ﷺ بإسناده عن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السلام في هذه الآية إلى قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ**﴾[١] قال: نزلت في أمير المؤمنين صلوات الله عليه خاصّة[٢].

وأُيّد أيضاً بما في تفسير قوله تعالى بعد هذا وهي: ﴿**ذٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**﴾[٣]، عن موسى بن جعفر [عن أبيه عليهما السلام] قال: سمعت أبي محمّد بن عليّ عليه السلام كثيراً ما يردّد هذه الآية: «ومن عاقب» الآية، فقلت: يا أبتِ، جعلت فداك، أحسب هذه الآية نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام خاصّة؟ [قال: نعم][٤].

وأيضاً لما في تفسير الصافي عن القمّي: وهو رسول الله ﷺ لمّا أخرجته قريش من مكّة وهرب منهم إلى الغار وطلبوه ليقتلوه فعاقبهم الله يوم بدر فقُتِل عتبة، وشيبة، والوليد، وأبو جهل، وحنظلة بن أبي سفيان وغيرهم، فلمّا قبض رسول الله طُلب بدمائهم، فقُتل الحسين، وآل محمّد، بغياً وعدواناً، وهو قول يزيد حين تمثّل بهذا الشعر:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل[٥]

---

(١) الحجّ (٢٢): ٥٩.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٤٨ ـ ٣٤٩ ح٣٥، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣٦١ ـ ٣٦٢ ح٨٦، تفسير البرهان ٣: ٩٠٥ ح٧٤١٣.

(٣) الحجّ (٢٢): ٦٠.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة: ١ ٣٤٩ ح٣٦، راجع: بحار الأنوار ٢٤: ٣٦٢ ذيل الحديث ٨٦، تفسير البرهان ٣: ٩٠٦ ح٧٤١٥.

(٥) الأسل: في الأصل الرماح الطوال. راجع: النهاية لابن الأثير ١: ٤٩ «أسل».

لأهــلّوا واســتهلّوا فــرحــاً　　　ثــمّ قــالوا: يــا يــزيد لا تُشـل
لستُ مِن خِـندِف[١] إن لم أنـتقمْ　　　مــن بــني أحــمد مـا كـان فـعل
قد قـتلنا القـوم[٢] مـن ساداتـهم　　　وعــدلناه بــبدرٍ فــاعتدل
وكــذاك الشـيخُ أوصـاني بــه　　　فـاتبعت الشـيخ فـيما قـد سأل

وقال يزيد أيضاً حين كان يقلّب الرأس الشريف شعراً:

نــقول والرأس مــطروحٌ نــقلّبه　　　يا ليت أشياخنا الماضين بالحَضَر
حتّى يقيسوا قـياساً لو يُـقاس بـه　　　أيّـام بـدرٍ لكـان الوزن بـالقَدَرِ[٣]

فقال الله تبارك وتعالى: «ذلك ومن عاقب» يعني رسول الله «بمثل ما عوقب به» يعني حين أرادوا أن يقتلوه «ثمّ بغي عليه لينصرنّه الله» بالقائم عليه السلام[٤].

وأُيّد أيضاً بأنّ الإمام أثر من آثار الله وهو علّة لبقاء العالم وبه يحفظ ويحرس على ما روي في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَالْفُلْكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّماءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[٥]، في الإكمال عن النبيّ صلى الله عليه وآله بعد ذكر الأئمّة الاثني عشر بأسمائهم قال: ومن أنكرهم أو أنكر واحداً منهم فقد أنكرني، بهم يمسك الله عزّ وجلّ السماء أن تقع على الأرض إلّا

---

(١) خِندِف: لقب ليلى بنت عمران بن قضاعة زوجة إلياس بن مضر بن نزار، ويفتخرون بها لأنّ نسب قريش ينتهي إليها. محيط المحيط: ٢٥٧ وانظر: النهاية لابن الأثير ٤: ٨٢ «خندف».

(٢) في بعض المصادر: «القَرم»، أي السيّد العظيم.

(٣) راجع: تفسير القمّي ٢: ٨٦، تفسير الصافي ٣: ٣٨٨، تفسير البرهان ٣: ٩٠٥ ذيل الحديث ٧٤١٤، وانظر حول هذه الأشعار: الاحتجاج ٢: ١٢٢، اللهوف: ٢١٤.

(٤) تفسير الصافي ٣: ٣٨٨، وراجع: تفسير القمّي ٢: ٨٦ ـ ٨٧، وعنه في: تفسير نور الثقلين ٣: ٥١٨ ح ٢٠٩، تفسير البرهان ٣: ٩٠٥ ح ٧٤١٤.

(٥) الحجّ (٢٢): ٦٥.

بإذنه، وبهم يحفظ الأرض أن تميد بأهلها(١).

٨٩٨ـ ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِى الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢).

كلّ إمام داع إلى هذا بالضرورة؛ لأنّه وضع لذلك كالنبيّ ﷺ، ولا شيء من غير المعصوم كذلك بالإمكان، فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة.

وكلّ غير معصوم ينازعه بالإمكان، ولا شيء من الإمام كذلك بالضرورة، فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة، وعليه مطلقاً والموضوع موجود.

وأيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال: لمّا نزلت هذه الآية جمعهم ﷺ ثمّ قال: يا معشر الأنصار والمهاجرين، إنّ الله تعالى يقول: «لكلّ أمّة» إلى «ناسكوه» والمنسك هو الإمام، لكلّ أمّة بعد نبيّها حتّى يدركه نبيّ، ألا وإنّ لزوم الإمام وطاعته هو الدين وهو المنسك وهو عليّ بن أبي طالب إمامكم بعدي، فإنّي أدعوكم إلى هداه فإنّه على هدى صراط مستقيم.

فقام القوم يتعجّبون من ذلك ويقولون: والله إذاً للننازعنّ الأمر ولا نرضى طاعته أبداً، وإن كان رسول الله ﷺ المفتون به، فأنزل الله عزّ وجلّ: **﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ * وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾**(٣)(٤).

---

(١) كمال الدين وإتمام النعمة: ٢٥٩ ذيل الحديث ٢، وراجع: بحار الأنوار ٢٧: ١٢٠ ذيل الحديث ٩٩، تفسير الصافي ٣: ٣٨٩، تفسير نور الثقلين ٣: ٥١٩ ح ٢١٠ إعلام الورى ٢: ١٨٤.

(٢) الحجّ (٢٢): ٦٧.

(٣) الحجّ (٢٢): ٦٧ ـ ٧٠.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٤٩ ـ ٣٥٠ ح ٣٧، وراجع: بحار الأنوار ٢٤: ٣٦٢ ح ٨٧، تفسير البرهان ٣: ٩٠٦ ـ ٩٠٧ ح ٧٤١٦.

٨٩٩ ـ ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[١].

الاستدلال به على طريق الشكل الثاني ظاهر.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السلام في قول الله عزّ جلّ: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾ الآية، قال: كان القوم إذا نزلت في أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام آية في كتاب الله فيها فرض طاعة[٢] أو فضيلة فيه أو في أهله سخطوا ذلك وكرهوا حتّى همّوا به وأرادوا به العظيم وأرادوا برسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً ليلة العقبة غيظاً وغضباً وحسداً حتّى نزلت الآية[٣].

٩٠٠ ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾[٤].

الاستدلال به ظاهر ممّا مرّ.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن بريد العجلي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قول الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾ قال: إيّانا عنى ونحن المجتبون، ولم يجعل الله تبارك وتعالى علينا[٥] في الدين من حرج، وهذا أشدّ من الضيق[٦] ﴿ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ إيّانا عنى خاصّة ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ

---

(١) الحجّ (٢٢): ٧٢.

(٢) في المصدر: «طاعته» وفي هامش المصدر عن بعض النسخ كما في المتن.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٥٠ ح٣٨، وعنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣٦٧ ح٨٨، تفسير البرهان ٣: ٩٠٧ ح٧٤١٨.

(٤) الحجّ (٢٢): ٧٧ ـ ٧٨.

(٥) كلمة «علينا» ليس في الكافي.

(٦) في شرح المازندراني للكافي ٥: ١٩٧: الضيق بفتح الضاد وشدّ الياء وقد تخفف.

مِن قَبْلُ﴾ الله تعالى سمّانا المسلمين في الكتب التي مضت، **﴿وَفِى هَٰذَا﴾** يعني القرآن **﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾** فرسول الله صلى الله عليه وآله الشهيد علينا بما بلغنا عن الله تبارك وتعالىٰ، ونحن الشهداء على الناس؛ فمن صدق يوم القيامة صدقناه، ومن كذب كذبناه[1].

وعن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ: «يا أيّها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا» الآية، أمرهم بالركوع والسجود وعبادة الله وقد افترضها الله عليهم[2]، وأمّا فعل الخير فهو طاعة أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، «وجاهدوا في الله حقّ جهاده هو اجتباكم» يا شيعة آل محمّد «وما جعل عليكم في الدين من حرج»، قال: من ضيق، «ملّة أبيكم إبراهيم هو سمّاكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم» يا آل محمّد يا من قد استودعكم المسلمين وقد افترض طاعتكم عليهم وتكونوا أنتم شهداء على الناس بما قطعوا من رحمكم، وضيّعوا من حقّكم، ومزّقوا من كتاب الله، وعدلوا حُكم غيركم بكم، فالزموا الأرض «فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله» يا آل محمّد وأهل بيته «هو مولاكم» أنتم وشيعتكم «فنعم المولى ونعم النصير»[3].

تمّت المائة التاسعة ونشرع في المائة العاشرة

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٥١ ح ٤٠، وراجع: الكافي ١: ١٩١ ح ٤ كتاب الحجّة ـ باب في أنّ الأئمّة شهداء الله عزّ وجلّ على خلقه، بحار الأنوار ٢٣: ٣٣٧ ح ٨، تفسير البرهان ٣: ٩١٠ ح ٧٤٢٦. وراجع: تفسير فرات الكوفي: ٢٧٥ ح ٣٧٤.

(٢) في تأويل الآيات الظاهرة: «عليكم».

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٥١ ـ ٣٥٢ ح ٤١، وراجع: تفسير البرهان ٣: ٩١١ ح ٧٤٢٩.

[المائة العاشرة من أدلّة عصمة الإمام عليه السلام]

سورة المؤمنون وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٩٠١ ـ ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ﴾ الآية[١].

كلّ إمام داعٍ إلى ذلك بالضرورة، ولا شيء من غير المعصوم بداعٍ إلى ذلك بالإمكان، فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة، وهو المطلوب.

وأُيّد بما في تفسير الصافي عن العيون عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: هذه الآية نزلت فيّ[٢].

وفي تأويل الآيات الظاهرة: عن موسى بن جعفر عليه السلام في قوله: **﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾** إلى قوله: **﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**[٣] قال: نزلت في رسول الله وفي أميرالمؤمنين وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين[٤].

٩٠٢ ـ ﴿وَإِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[٥].

التقوى موقوفة على معرفة أوامر الله تعالى ونواهيه والمراد بخطابه، ولا يتمّ

---

(١) المؤمنون (٢٣): ١ ـ ٢.

(٢) تفسير الصافي ٣: ٣٩٥، وراجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٦٥ ح٢٨٨ باب ٣١ فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة.

(٣) المؤمنون (٢٣): ١ ـ ١١.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٥٢ ح١، وعنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٨٢ صدر الحديث ٧٤، تفسير البرهان ٤: ١١ ح٧٤٣٨.

(٥) المؤمنون (٢٣): ٥٢.

ذلك إلّا بقول المعصوم في كلّ عصر بما مرّ، وغير المعصوم قد يأمر بما يوهم أنّه تقوى وليس هو في الواقع، فلا يجب امتثال قوله، فتنتفي فائدته.

ويعضده ما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «وإنّ هذه أُمّتكم أُمّة واحدة» قال: آل محمّد صلى الله عليه وآله فعلى هذا يكون الخطاب بقوله «أُمّتكم» لآل محمّد صلى الله عليه وآله، وقوله: «أُمّة واحدة» أي غير متفرّقة[1] لا في الأفعال ولا في الأقوال، بل على طريقة واحدة لا تفترق ولا تختلف أبداً، ولو كان المعني بها أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله جميعها[2]، لما قال تعالى «واحدة» لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: ستفترق أُمّتي من بعدي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية والباقي في النار، والفرقة الناجية هي الأُمّة الواحدة، وهم آل محمّد وشيعتهم[3].

وأيضاً: لابدّ أن يكون المراد له بالخطاب جماعة أقلّها ثلاثة، ويجب أن يكون المخاطبون غير الأُمّة على ما ترى، وقد ترى أنّ هذا صدر منه تعالى على نحو المدح في الأُمّة والمخاطبين، ومن هذا يعلم نوع ترجيح للمخاطبين، وهو ليس إلّا بالعصمة.

٩٠٣ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُشْفِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾[4].

إخباره سبحانه بالحصر عن هؤلاء بإثبات هذه الأوصاف من الخشية والإيمان بآيات ربّهم ونفي الشرك والاستباق إلى الخيرات على نحو العموم؛ لأنّ الجمع

---

(١) في المصدر: «مفترقة» وفي هامش المصدر عن بعض النسخ كما في المتن.

(٢) في المصدر: «جميعاً» وفي هامش المصدر عن بعض النسخ كما في المتن.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٥٢ ـ ٣٥٣ ح ٢، رواه الصدوق في: الخصال ٢: ٥٨٥ ح ١١، وعنه في: بحار الأنوار ٢٨: ٤ ح ٣.

(٤) المؤمنون (٢٣): ٥٧ ـ ٦١.

المضاف والجملة الواقعة في حيّز النفي والجمع المحلّى باللّام من العموم على ما تقرّر في موضعه[١]، يستلزم عصمة هؤلاء لما مرّ غير مرّة، وكيف وإنّ العلم بها يقيناً ليس إلّا بالمعصوم.

وأُيّد بما في تفسير الصافي في قوله: «وهم لها سابقون»: القمّي عن الباقر عليه السلام: هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام لا يسبقه أحد[٢].

وفي تأويل الآيات الظاهرة: عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: هذه الآيات نزلت في أميرالمؤمنين وولده[٣].

وروى الشيخ محمّد بن يعقوب بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزّوجلّ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قال: هي شفقتهم[٤]، ورجاؤهم، يخافون أن تُردّ عليهم، إن لم يطيعوا الله عزّوجلّ، ويُرجون أن يقبل منهم[٥].

٩٠٤ ـ ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾.

قد مرّ في مثله أنّه دلّ على نفي الاختيار المستلزم لعصمته عليه السلام.

٩٠٥ ـ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾[٦].

الاستدلال به على طريق الشكل الثاني ظاهر.

---

(١) مبادئ الوصول إلى علم الأُصول: ١٢٢، العدّة في أُصول الفقه ١: ٢٧٦.

(٢) تفسير الصافي ٣: ٤٠٣، وراجع: تفسير القمّي: ٢: ٩٢، وعنه في: تفسير البرهان ٤: ٢٤ ح ٧٤٨٤.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٦٣ ح ٤، وراجع: بحار الأنوار ٢٣: ٣٨٢ ذيل الحديث ٧٤، تفسير البرهان ٤: ٢٤ ح ٧٤٨٥.

(٤) في المصدر: «شفاعتهم» ولعلّه تصحيف. وما في المتن موافق لما في أمالي المفيد والبحار وتفسير البرهان.

(٥) الكافي ٨: ٢٢٩ ح ٢٩٤، وعنه في: تفسير البرهان ٤: ٢٥ ح ٧٤٨٨، الأمالي للمفيد: ١٩٦ ح ٢٨ المجلس الثالث والعشرون، عنه في: بحار الأنوار ٦٧: ٣٩٢ ح ٦٢.

(٦) المؤمنون (٢٣): ٧٤.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عنهم عليهم السلام: عن ولايتنا أهل البيت[١].

وعن عليّ عليه السلام: عن ولايتنا[٢].

٩٠٦ ـ ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ * رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٣].

الاستدلال به بما مرّ ظاهر.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: روى عن ابن عبّاس وجابر بن عبدالله، قال جابر: إنّي كنت لأدناهم من رسول الله صلى الله عليه وآله، قالا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وهو في حجّه الوداع بمنى ـ يقول: لأعرفنّكم بعدي ترجعون كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ولأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنّي في كتيبة يضاربونكم. قال: ثمّ التفت خلفه ثمّ أقبل بوجهه فقال: أو عليّ أو عليّ. قال: حدّثنا أنّ جبرئيل غمزه وقال مرّة أُخرى: فرأينا أنّ جبرئيل قال له، فنزلت هذه الآيات: **﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ * رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾**[٤][٥]. هذا يدلّ على أنّ عليّاً عليه السلام إذا كان من الكتيبة التي تضاربهم فكأنّه النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لأنّ فعله فعله وقوله قوله.

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٥٤ـ٣٥٥ ح٦ عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٢ ح٤٣، تفسير البرهان ٤: ٣٠ـ٣١ ح٧٥٠٥.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٥٥ ح٧، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٢ ح٤٤، تفسير البرهان ٤: ٣١ ح٧٥٠٦.

(٣) المؤمنون (٢٣): ٩٣ و٩٤.

(٤) المؤمنون (٢٣): ٩٣ـ٩٥.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٥٥ ح٨، راجع: تفسير البرهان ٤: ٣٣ ح٧٥١٨، تفسير نور الثقلين ٣: ٥٥١ ح١١٠، وانظر: شواهد التنزيل ١: ٤٠٣ ح٥٥٩، تفسير فرات الكوفي: ٢٨٠ ح٣٨٠، تفسير مجمع البيان ٧: ٢٠٧.

٩٠٧ ـ ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ إلى قوله: **﴿فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾**[١].

في الألفين: كلّ غير معصوم يمكن له هذه الصفة بالضرورة، ولا شيء من الإمام له هذه الصفة بالضرورة، ينتج: لا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة، وهو المطلوب[٢].

ويعضده ما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي جعفر في الآية الأُولى قال: نزلت فينا[٣].

وعن موسى بن جعفر عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال في قول الله عزّ وجلّ: «ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تُكذّبون» معناه أن يقال لمن خفّت موازينه: ألم تكن تتلى عليكم ـ في عليّ ـ فكنتم بها تكذّبون، فإذا قيل لهم ذلك قالوا: **﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾** إلى قوله: **﴿هُمُ الْفَائِزُونَ﴾**[٤] وهم شيعة آل محمّد صلى الله عليه وآله[٥].

سورة النور وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٩٠٨ ـ ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ إلى قوله: **﴿فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾**[٦].

---

(١) المؤمنون (٢٣): ١٠٢ ـ ١٠٥.

(٢) الألفين: ٣٨٦ السابع والعشرون من أدلّة المائة التاسعة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٥٦ ح ٩، وراجع: بحار الأنوار ٢٤: ٢٥٨ ح ٥، تفسير البرهان ٤: ٣٨ ح ٧٥٣٥.

(٤) المؤمنون (٢٣): ١٠٦ ـ ١١١.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٥٦ ح ١٠.

(٦) النور (٢٤): ٢١.

في الألفين: كيف يجوز أن يخلق الله في المكلّف شهوات داعية ومن يأمره بالسوء والفحشاء والقول على الله بما لا يعلم، ثمّ يوجب عليه الاحتراز من ذلك ولا ينصّب إماماً ينهى عن ذلك؟! فيكون أمر هذا الإمام قد كلّف الله تعالى بطاعته، ويعلم المكلّف أنّ هذا الإمام لا يخطئ بحيث يكون أمره بمثل ذلك، هذا ينافي رحمة الله ورأفته بالمكلّفين، وقد نطق القرآن بالرأفة والرحمة بعد هذه الآية وقبلها، وإنّما يحصل العلم من المعصوم، فتعيّن نصبه، وهو المطلوب[1].

٩٠٩ ـ ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * اللَّهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

الاستدلال بالتقوى وتشابه آية النور ظاهر ممّا مرّ، ويمكن أن يقال: صرّح الله سبحانه بأنّه عليم بكلّ شيء على نحو العموم، فلابدّ أن يعلم أيضاً أنّ الإمام المعصوم نصبه أولى للأُمّة من اختيارهم غير المعصوم، فلو جاز لزم نفي علمه تعالى به أو رجحان ما هو غير راجح.

وبيان آية النور على الوجه المستوفى قد ذكرناه في موضع آخر. وأُيّد بما قال في تأويل الآيات الظاهرة من أنّ المعنى: أنّ نور الله سبحانه هو[3] الذي هدى به المؤمنين إلى الإيمان «كمشكاة» وهي الكُوّة في الحائط والمصباح الفتيلة و«الزجاجة» القنديل والكوكب الدرّي منسوب إلى الدرّ في صفائه أي إنّ نور هذه الأشياء يضيء في الهدى والدين كالكوكب الدرّي، وقوله: ﴿**يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ**﴾ أي من دهن شجرة ﴿**مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ**﴾ قيل: لأنّه بارك فيها سبعون نبيّاً منهم

---

(١) الألفين: ٤٠٥ الثالث والثمانون من أدلّة المائة التاسعة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٢) النور (٢٤): ٣٤ ـ ٣٥.

(٣) في المصدر: «هداه».

إبراهيم عليه السلام ولذلك سمّيت مباركة، ﴿**لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ**﴾ لا يقع عليها ظلّ شرق ولا غرب، بل هي ضاحية في الشمس، ﴿**يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ**﴾ من صفائه ﴿**وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ**﴾، هذا معناه الظاهر.

وأمّا الباطن فهو مَثَلٌ ضربه الله سبحانه لنبيّه صلى الله عليه وآله؛ فنور الله ذاته، والمشكاة صدره، والزجاجة قلبه، والمصباح نبوّته التي تضيء في الدنيا والدين ويهتدي بها سائر المكلّفين، «يوقد من شجرة مباركة» يعني شجرة النبوّة، وهي إبراهيم عليه السلام؛ لأنّه أصل الأنبياء الذين جاؤوا بعده وهم ولده، «يكاد زيتها يُضيء» أي يكاد نور محمّد صلى الله عليه وآله يتبيّن للناس وإن لم يتكلّم به[1].

وقال أبو عليّ الطبرسي رحمه الله: روي عن الرضا عليه السلام أنّه قال: نحن المشكاة فيها المصباح وهو محمّد صلى الله عليه وآله ﴿**يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ**﴾ يهدي الله لولايتنا من أحبّ[2].

قال: وفي كتاب التوحيد لأبي جعفر بن بابويه رحمه الله بالإسناد عن عيسى بن راشد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله: ﴿**كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ**﴾ قال: هو نور العلم في صدر النبيّ صلى الله عليه وآله، ﴿**الْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ**﴾ والزجاجة صدر عليّ عليه السلام صار علم النبيّ صلى الله عليه وآله إلى صدر عليّ، علّم النبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً صلوات الله عليهما، ﴿**يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ**﴾ نور العلم ﴿**لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ**﴾ لا يهوديّة ولا نصرانيّة، ﴿**يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ**﴾ قال: يكاد العالم من آل محمّد يتكلّم بالعلم قبل أن يُسأل، ﴿**نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ**﴾ أي إمام مؤيَّد بنور العلم والحكمة في أثر إمام من آل

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٥٧.

(٢) تفسير مجمع البيان ٧: ٢٥١، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٥٧ـ٣٥٨ح ١، تفسير البرهان ٤: ٧٢ح ٧٦٤١.

محمّد، وذلك من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة؛ فهؤلاء الأوصياء الذين جعلهم الله خلفاءه في أرضه وحجّته على خلقه لا تخلو الأرض في كلّ عصر من واحد منهم[١]. وقال محمّد بن العبّاس ﷺ: حدّثنا محمّد بن جعفر الحسيني، عن إدريس ابن زياد الحنّاط[٢]، عن أبي عبدالله أحمد بن عبدالله الخراساني، عن يزيد بن إبراهيم بن أبي حبيب النساجي[٣]، عن أبي عبدالله، عن أبيه، عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال: مثلنا في كتاب الله كمثل مشكاة؛ فنحن المشكاة، والمشكاة: الكُوّة، فيها مصباح، والمصباح في زجاجة، والزجاجة محمّد ﷺ، ﴿**كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ**﴾ قال: عليّ، ﴿**زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ**﴾ القرآن ﴿**يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ**﴾ يهدي لولايتنا من أحبّ[٤].

ويؤيّده ما قال أيضاً: حدّثنا الحسين بن أحمد، عن محمّد بن عيسى، عن يونس ابن عبد الرّحمٰن قال: حدّث[٥] أصحابنا أنّ أبا الحسن عليه السلام كتب إلى عبدالله بن جندب: قال لي عليّ بن الحسين عليه السلام: إنّ مثلنا في كتاب الله كمثل المشكاة، والمشكاة في القنديل؛ فنحن المشكاة فيها مصباح، المصباح محمّد ﷺ،

---

(١) التوحيد: ١٥٨ ح ٤، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٥٨ ح ٤، تفسير مجمع البيان ٧: ٢٥١ ـ ٢٥٢، تفسير البرهان ٤: ٦٨ ح ٧٦٣١، وانظر: تفسير فرات الكوفي: ٢٨١ ح ٣٨١.

(٢) في البحار: «الخياط».

(٣) في تأويل الآيات الظاهرة وتفسير البرهان: «النباجي»، وفي البحار: «الناجي». وفي مجمع رجال الحديث ٢٢: ١١٢ رقم ١٤٠٧: «النباحي».

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٥٩ ـ ٣٦٠ ح ٥، بحار الأنوار ٢٣: ٣١١ ح ١٦، تفسير البرهان ٤: ٧١ ح ٧٦٣٧.

(٥) في تأويل الآيات الظاهرة: «حدّثنا» وفي هامش المصدر عن بعض النسخ كما في المتن.

المصباح في زجاجة، نحن الزجاجة، ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ عليّ ﴿زَيْتُونَةٍ﴾ معروفة ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ ولا مُنكرة ولا دعيّة ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ﴾ القرآن ﴿عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يهدي من أحبّ إلى ولايتنا[١].

وعن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ قال: الحسن والحسين، ﴿الْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ فاطمة كوكب درّيّ بين نساء أهل الجنّة[٢] ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ إبراهيم ﴿زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا يهوديّة ولا نصرانيّة ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ يكاد العلم يتفجّر منها ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ إمام منها بعد إمام ﴿يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ يهدي الله الأئمّة من يشاء ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٣].

وبمثل ذلك روى الشافعيّ ـ من العامّة ـ على ما في الطرائف، ورواه الحسن البصري على ما نقل عنه في الحديقة[٤].

وتحقيق هذا التأويل يقتضي أنّ الشجرة المباركة هي دوحة التقى والرضوان والهدى والإيمان، شجرة أصلها النبوّة وفرعها الإمامة وأغصانها التنزيل وأوراقها التأويل، خدّامها جبرئيل وميكائيل والملائكة قبيل بعد قبيل، فما عسى أن

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٦٠ح٦، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣٢٤ح ٤٠، وأورده البحراني في: تفسير البرهان ٤: ٧١ ح٧٦٣٧.

(٢) في تفسير القمّي: «بين نساء أهل الأرض».

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٦٠ ـ ٣٦١ح٧، وراجع: تفسير البرهان ٤: ٧١ ح٧٦٣٩، وانظر: تفسير القمّي ٢: ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٤) انظر: حديقة الشيعة ١: ١٣٤ الفصل الرابع في دلائل تعيين الإمام عليه السلام، الطرائف ١٣٥ ح ٢١٤، المناقب لابن المغازلي ٣١٧ ح ٣٦١.

يقال في فضلها وما قيل، وإن تدرك ثناءها الأحاديث والأقاويل، وإن يحيط بالجملة منها والتفصيل.

ثمّ لمّا عرفنا المشكاة والمصباح والزجاجة، وأنّها أجسام ولابدّ لها من محلّ تحلّ فيه.

٩١٠ ـ ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا﴾ إلى قوله: **﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**(١).

رفعة البيوت بالتعظيم ثمّ العموم بالجمع المحلّى باللّام ثمّ بالنكرتين المنفيّتين وحسن أعمالهم وازدياد الأجر والجزاء لهم يستلزم عصمتهم، كيف وإنّ الجزاء على حسن العمل فرع العلم، وهو ليس إلّا بالمعصوم.

ويعضده ما قال في تأويل الآيات الظاهرة مِن أنّ معناه: أنّ نور الله سبحانه الذي «كمشكاة فيها مصباح» في هذه البيوت التي أذن الله أن ترفع أقدارها، وأن تعظَّم وتبجَّل لأنّ الله قد طهّر أهلها وهم الأنبياء والأوصياء من الأرجاس والأدناس لقوله تعالى: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**(٢) وقوله تعالى: **﴿يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾** أي يُتلى فيها كتابه، **﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾** رجال وصفهم بهذه الأوصاف التي لا توجد إلّا فيهم وهم الأنبياء والأوصياء على ما يأتي بيانه في تأويله(٣).

فعن بريدة قال: قرأ رسول الله ﷺ: **﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾** فقام إليه رجل فقال: أيّ بيوت هذه يا

---

(١) النور (٢٤): ٣٦ ـ ٣٨.

(٢) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٦١ ذيل الحديث ٧.

رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: بيوت الأنبياء. فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله، هذا البيت منها ـ وأشار إلى بيت عليّ وفاطمة صلوات الله عليهما ـ؟ قال: نعم من أفضلها[1].

وعن محمّد بن الفضيل قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه»؟ قال: بيوت محمّد صلى الله عليه وآله ثمّ بيوت عليّ عليه السلام منها[2].

وعن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ** ﴾ قال: بيوت آل محمّد عليهم السلام؛ بيت عليّ عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين وحمزة وجعفر عليهم السلام. قلت: «بالغدوّ والآصال»؟ قال: الصلاة في أوقاتها.

قال: ثمّ وصفهم الله عزّ وجلّ فقال: ﴿ **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ** ﴾ قال: هم الرجال لم يخلط الله معهم غيرهم. ثمّ قال: ﴿ **لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ** ﴾ قال: ما اختصّهم به من المودّة والطاعة المفروضة وصيّر مأواهم الجنّة ﴿ **وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾[3].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٦٢ ح٨، وراجع: بحار الأنوار ٢٣: ٣٢٥ ح١، تفسير البرهان ٤: ٧٦ ح٧٦٥١، وانظر: شواهد التنزيل ١: ٤١٠ ح٥٦٧ و٥٦٨، تفسير الدرّ المنثور ٦: ٢٠٣، تفسير روح المعاني ١٨: ١٧٤.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٦٢ ح٩، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٢٥ ح٢، تفسير البرهان ٤: ٧٦ ح٧٦٥٢.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٦٢ ـ ٣٦٣ ح١٠، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٢٦ ح٤، تفسير البرهان ٤: ٧٦ ح٧٦٥٣.

وذكر عليّ بن إبراهيم رحمه الله في تفسيره ما رواه عن أبيه، عن عبدالله بن جندب قال: كتبت إلى الرضا عليه السلام أسأله عن هذه الآية: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ إلى آخرها[1]، فأجابني: نزلت هذه الآية فينا، والله ضرب لنا المثل وعندنا علم المنايا والبلايا وأنساب العرب ومولد الإسلام، وما من فئة تضلّ مائة وتهدي مائة إلّا وعندنا علم قائدها وسائقها وتابعها إلى يوم القيامة. وقوله: ﴿**كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ**﴾ الكوّة التي فيها السراج يضيء بها البيت، فكذلك مثل آل محمّد في الناس يهتدي بهم إلى الطريق كمثل السراج إذا وضعته في المشكاة أضاء البيت، وكذلك مثل آل محمّد في الناس أضاء الله بهم الدنيا والدين.

والدليل على أنّ هؤلاء هم آل محمّد صلى الله عليه وآله وأنّ هذا المثل لهم قوله: «في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه» إلى قوله: «بغير حساب»[2].

٩١١ ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[3].

الاستدلال به على نهج الشكل الثاني ظاهر.

ويُعضد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي جعفر عليه السلام، فقال: «والذين كفروا» بنو أُميّة «أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء» والظمآن نعثل، فينطلق بهم فيقول أُورِدكُم الماء، «حتّى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفّاه

---

(١) النور (٢٤): ٣٥.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٦٣ ح ١١، وراجع: تفسير القمّي ٢: ١٠٤ مع اختلاف، وأورد ذيل الحديث البحراني في: تفسير البرهان ٤: ٧٣ ح ٧٦٤٤.

(٣) النور (٢٤): ٣٩.

حسابه والله سريع الحساب»[١].

٩١٢ ـ ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَراهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُورٍ﴾[٢].

الاستدلال به مثل ما مرّ.

وأيّد بما في [كتاب] الكليني عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قوله تعالى: «أو كظلمات» الأوّل وصاحبه «يغشاه موج» الثالث «من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض» قال: معاوية وفتن بني اُميّة «إذا أخرج يده» أي المؤمن «لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور» إماماً من ولد فاطمة عليها السلام فما له من نور وإمام يوم القيامة يسعى بين يديه[٣].

وعن أبي عبدالله حين سُئل عن قوله عزّ وجلّ: «أو كظلمات في بحر لجّيّ يغشاه» قال: فلان وفلان «يغشاه موج من فوقه موج» قال: أصحاب الجمل وصفّين والنهروان «من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض» قال: بنو اُميّة «إذا أخرج يده» يعني أميرالمؤمنين عليه السلام في ظلماتها «لم يكد يراها» أي إذا نطق بالحكمة بينهم لم يقبلها منه أحد إلّا من أقرّ بولايته ثمّ بإمامته «ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور» أي لم يجعل الله له إماماً في الدنيا فما له في الآخرة من نور إمام

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٦٣ ح١٢، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٢٤ ح١، تفسير البرهان ٤: ٧٨ ح٧٦٦٠.

(٢) النور (٢٤): ٤٠.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٦٤ ح١٤، وراجع: الكافي ١: ١٩٥ ح٥ كتاب الحجّة ـ باب أنّ الأئمّة عليهم السلام نور الله عزّوجلّ، وعنه في: تفسير البرهان ٤: ٧٩ ح٧٦٦٣، تفسير نور الثقلين ٣: ٦١١ ح١٩٦.

يرشده ويتبعه إلى الجنّة[١].

وأُيّد أيضاً بما رواه الشيخ أبو جعفر بن بابويه رحمه الله في تفسير الآية التي بعد هذه الآية وهي قوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِى السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ**﴾ الآية[٢]، عن الأصبغ بن نباتة قال: سأل ابن الكوّا أميرالمؤمنين عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ: «والطير صافّات كلّ قد علم صلاته وتسبيحه» فما هذا الصفّ؟ وما هذه الصلاة؟ وما هذا التسبيح؟ فقال عليه السلام: إنّ الله سبحانه خلق الملائكة على صور شتّى وإنّ لله ملكاً على صورة الديك أملح أشهب، بَرَاثِنه[٣] في الأرضين السفلى وعرفه مَثْنِيٌّ تحت عرش الرّحمٰن، له جناح بالمشرق من نار وجناح بالمغرب من ثلج، فإذا حضر وقت الصلاة قام على براثنه ثمّ رفع عنقه من تحت العرش ثمّ صفق بجناحيه كما تصفق الديكة في منازلكم، فلا الذي من نار يذيب الذي من الثلج ولا الذي من الثلج يُطفي الذي من النار، ثمّ ينادي: «أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله سيّد النبيّين، وأنّ وصيّه خير الوصيّين، سُبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح فتصفق الديكة في منازلكم، فلا يبقى على وجه الأرض ديك إلّا أجابه بنحو قوله، وهذا معنى قوله: «كلّ قد علم» الآية أي كلّ من ديكة منازلكم قد علم صلاة ذلك الديك وتسبيحه في قوله وفعله[٤].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٦٥ ح ١٥، وراجع: بحار الأنوار ٢٣: ٣٢٤ ح ٤٢، تفسير البرهان ٤: ٧٩ ح ٧٦٦٥.

(٢) النور (٢٤): ٤١.

(٣) البراثن: جمع بُرْثُن: مخلب الطائر، انظر: المعجم الوسيط ١: ٤٦.

(٤) التوحيد: ٢٨٢ ح ١٠، وعنه في: تفسير البرهان ٤: ٨٢ ح ٧٦٧١، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٦٥ ح ١٦، بحار الأنوار ٥٩: ١٨٣ ح ٢٤، وانظر: تفسير القمّي ٢: ١٠٦.

٩١٣ ـ ﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[١].

الاستدلال على بعض وجوه الشكل الثاني ظاهر.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي صالح، عن ابن عبّاس قال: لمّا قدم النبيّ صلى الله عليه وآله المدينة أعطى عليّاً وعثمان أرضاً أعلاها لعثمان وأسفلها لعليّ، فقال عليّ عليه السلام لعثمان: إنّ أرضي لا تصلح إلّا بأرضك، فاشتر منّي أو بعني. فقال له: أنا أُبايعك، فاشترى منه عليّ عليه السلام، فقال له أصحابه: أيّ شيء صنعت؟ بعت أرضك من عليّ وأنت لو أمسكت عنه الماء لما أنبتت أرضه شيئاً حتّى يبيعك بحكمك.

قال: فجاء عثمان إلى عليّ عليه السلام فقال له: لا أُجيز البيع. فقال له: بعت ورضيت وليس ذلك. قال: فاجعل بيني وبينك رجلاً. قال عليّ عليه السلام: النبيّ صلى الله عليه وآله، فقال عثمان: هو ابن عمّك ولكن اجعل بيني وبينك غيره. فقال عليّ عليه السلام: لا أُحاكمك إلى غير النبيّ صلى الله عليه وآله، والنبيّ شاهد علينا، فأبى ذلك، فأنزل الله هذه الآيات إلى قوله: «هم المفلحون»[٢].

ويؤيّده ما عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: **﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾** إلى قوله: **﴿ مِنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾**[٣]، قال: إنّها نزلت في رجل اشترى من عليّ بن أبي طالب عليه السلام أرضاً ثمّ ندم وندّمه أصحابه، فقال لعليّ عليه السلام: لا حاجة لي فيها، فقال له: قد اشتريت فانطلق أُخاصمك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له أصحابه:

---

(١) النور (٢٤): ٤٧ ـ ٥١.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٦٧ ح١٨، وعنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣٦٣ ح٨٩، تفسير البرهان ٤: ٨٧ ح٧٦٨٧.

(٣) النور (٢٤): ٤٧ ـ ٤٨.

لا تخاصمه إلى رسول الله. فقال: انطلق أُخاصمك إلى أبي بكر وعمر أيّهما شئت كان بيني وبينك. قال عليّ عليه السلام: لا والله لكن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بيني وبينك فلا أرضى بغيره، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآيات إلى: «هم المفلحون»(١).

وفي تفسير الصافي: القمّي عن الصادق عليه السلام: نزلت هذه الآيات في أميرالمؤمنين عليه السلام وعثمان وذلك أنّه كان بينهما منازعة في حديقةٍ، فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: ترضى برسول الله؟ فقال عبد الرّحمٰن بن عوف لعثمان: لا تحاكمه إلى رسول الله فإنّه يحكم له عليك ولكن حاكمه إلى ابن شيبة اليهودي. فقال عثمان لعليّ عليه السلام: لا أرضى إلّا بابن شيبة اليهودي. فقال ابن شيبة لعثمان: تأتمنون رسول الله وحي السماء، وتتّهمونه في الأحكام؟! فأنزل الله عزّ وجلّ على رسوله: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآيات(٢).(٣)

وفي المجمع: حكى البلخي أنّه كانت بين عليّ وعثمان مُنازعة في أرض اشتراها من عليّ عليه السلام فخرجت فيها أحجار، فأراد ردّها بالعيب، فلم يأخذها، فقال: بيني وبينك رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال الحكم بن أبي العاص: إن حاكمته إلى ابن عمّه حكم له فلا تحاكمه إليه، فنزلت الآيات. قال: وهو المروي عن أبي جعفر أو قريب منه(٤).

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٦٧ـ٣٦٨ ح١٩، وراجع: بحار الأنوار ٢٤: ٣٦٤ح ٩٠، تفسير البرهان ٤: ٨٧ ح٧٦٨٨.

(٢) النور (٢٤): ٤٨.

(٣) تفسير الصافي ٣: ٤٤٢، وراجع: تفسير القمّي ٢: ١٠٧، تفسير البرهان ٤: ٨٦ ح٧٦٨٦، تفسير نور الثقلين ٣: ٦١٥ ح ٢١٠، بحار الأنوار ٩: ٢٢٧ ح ١١٤.

(٤) تفسير مجمع البيان ٧: ٢٦٢، وعنه في: تفسير البرهان ٤: ٨٧ ح٧٦٨٩، تفسير الصافي ٣: ٤٤٢، تفسير نور الثقلين ٣: ٦١٥ ح ٢١١.

٩١٤ ـ ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَا حُمِّلْتُمْ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** ﴾[١].

لا يتمّ إلّا بإمام معصوم بعده، على أنّ المراد بالطاعة في جميع الأوامر والنواهي، وإنّما يتمّ ذلك علماً وعملاً بالمعصوم فيجب، وهو تامّ، فتأمّل.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر عن أبيه عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ: «قل أطيعوا الله» إلى قوله: «ما حمّل» من السمع والطاعة والأمانة والصبر عليكم ما حمّلتم من العهود التي أخذها الله عليكم في عليّ وما بيّن لكم في القرآن ومن فرض طاعته، فقوله: «وإن تطيعوه تهتدوا» أي وإن تطيعوا عليّاً تهتدوا «وما على الرسول إلّا البلاغ المبين» هكذا نزلت[٢].

٩١٥ ـ ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا** ﴾[٣].

«منكم» يقتضي أنّهم غير المخاطبين فاختياره تعالى لهم بالخلافة دون غيرهم ليس إلّا برجحان ليس في غيرهم على ما يعطيه قوله «الصالحات»؛ لأنّه جمع محلّى باللّام وهو يفيد العموم كما في الأُصول[٤]، وكذا عموم نفي الكفر وهو ليس إلّا بعلمهم في الواقع والتشبيه واقتدارهم بإقداره تعالى لهم من الذي ارتضى لهم

---

(١) النور (٢٤): ٥٤.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٦٨ ح ٢٠، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٠٣ ح ٦٤، وراجع: تفسير البرهان ٤: ٨٨ ح ٧٦٩٣.

(٣) النور (٢٤): ٥٥.

(٤) العدّة في أُصول الفقه ١: ٢٧٦، مبادئ الوصول إلى علم الأُصول: ١٢٢.

ممّا يفيد ذلك أيضاً. وكيف كان المراد المعصومين، أو الذين من بعدهم.

لا يقال: إنّ الوعد لا يستلزم حصول الموعود.

لأنّا نقول: إنّ البرهان قائم مضافاً إلى أنّ وعده سبحانه حقّ، على أنّه منه تعالى يستلزمه لعدم النسخ سيّما على قول خصومنا.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب والأئمّة من ولده عليهم السلام، ﴿**وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَىٰ**﴾ إلى قوله: ﴿**أَمْنًا**﴾ قال: عنى به ظهور القائم عليه السلام[(١)].

وعن أبي عليّ الطبرسي رحمه الله: أنّ المرويّ عن أهل البيت عليهم السلام أنّ هذه الآية نزلت في المهدي من آل محمّد صلى الله عليه وآله[(٢)].

وعن عليّ بن الحسين عليهما السلام أنّه قرأ هذه الآية، قال: هم والله شيعتنا أهل البيت يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منّا وهو مهديّ هذه الأُمّة، وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله فيه: لو لم يبقَ من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يأتي رجل من عترتي اسمه اسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما مُلئت جوراً وظلماً[(٣)].

وقال[(٤)]: روي مثل ذلك عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام[(٥)].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٦٨ـ٣٦٩ ح ٢١، وراجع: تفسير البرهان ٤: ٩٠ ح ٧٦٩٩.

(٢) تفسير مجمع البيان ٧: ٢٦٧ وعنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٦٩ ح ٢٢، تفسير البرهان ٤: ٩٦ ح ٧٧٠٣، تفسير نور الثقلين ٣: ٦٢٠ ح ٢٢٥، تفسير الصافي ٣: ٤٤٤.

(٣) تفسير مجمع البيان ٧: ٢٦٧، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٦٩ ح ٢٣، تفسير البرهان ٤: ٩٦ ح ٧٧٠٤.

(٤) أي الطبرسي.

(٥) راجع: تفسير مجمع البيان ٧: ٢٦٧، تفسير البرهان ٤: ٩٦ ذيل الحديث ٧٧٠٤، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٦٩ ذيل الحديث ٢٣.

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: هم الأئمّة[١].

وعن الباقر: ولقد قال الله في كتابه لولاة الأمر من بعد محمّد صلى الله عليه وآله خاصّة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى قوله: ﴿فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، يقول: استخلفكم لعلمي وديني وعبادتي بعد نبيّكم كما استخلف وصاة آدم من بعده حتّى يبعث النبيّ الذي يليه ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ يقول: يعبدونني بإيمان لا نبيّ بعد محمّد فمن قال غير ذلك ﴿فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. فقد مكّن ولاة الأمر بعد محمّد بالعلم ونحن هم فاسألونا فإن صدّقناكم فأقرّوا، وما أنتم بفاعلين[٢].

وفي تفسير الصافي: القمّي: نزلت في القائم من آل محمّد صلى الله عليه وآله[٣].

وفي الإكمال: عن الصادق عليه السلام في قصّة نوح وذكر انتظار المؤمنين من قومه الفرج حتّى أراهم الله الاستخلاف والتمكين، قال: وكذلك القائم فإنّه تمتدّ أيّام غيبته ليصرح الحقّ عن محضه ويصفوا الإيمان من الكدر بارتداد كلّ من كانت طينته خبيثة من الشيعة الذين يخشى عليهم النفاق إذا أحسّوا بالاستخلاف والتمكين والأمر المنتشر في عهد القائم.

قال الراوي: فقلت: يابن رسول الله، فإنّ هذه النواصب تزعم أنّ هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ.

فقال: لا، لا يهدي الله قلوب الناصبة متى كان الدين الذي ارتضاه الله ورسوله

---

(١) الكافي ١: ١٩٤ ح٣ كتاب الحجّة ـ باب أنّ الأئمّة عليهم السلام خلفاء الله عزّوجلّ في أرضه وأبوابه التي منها يؤتى، وراجع: تفسير نور الثقلين ٣: ٦١٦ ح٢١٧، تفسير البرهان ٤: ٨٩ ح٧٦٩٥.

(٢) الكافي ١: ٢٥٠ ـ ٢٥١ ح٧ كتاب الحجّة ـ باب في شأن إنّا أنزلناه في ليلة القدر وتفسيرها، وراجع: تفسير الصافي ٣: ٤٤٣، تفسير البرهان ٥: ٧٠٧ ح١١٧٦٩.

(٣) تفسير الصافي ٣: ٤٤٤، وراجع: تفسير القمّي ١: ١٤.

متمكّناً بانتشار الأمر[1] في الأُمّة وذهاب الخوف من قلوبها وارتفاع الشكّ من صدورها في عهد واحد من هؤلاء وفي عهد عليّ عليه السلام مع ارتداد المسلمين والفتن التي كانت تثور في أيّامهم الحروب التي كانت تنشب بين الكفّار وبينهم[2].

وفي الاحتجاج عن أميرالمؤمنين عليه السلام في حديث ذكر فيه مثالب الثلاثة وإمهال الله إيّاهم قال: كلّ ذلك لتتمّ النظرة التي أوجبها الله تعالى لعدوّه إبليس، إلى أن يبلغ الكتاب أجله، ويحقّ القول على الكافرين، ويقترب الوعد الحقّ الذي بيّنه الله في كتابه بقوله: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم» وذلك إذا لم يبق من الإسلام إلّا اسمه ومن القرآن إلّا رسمه، وغاب صاحب الأمر بإيضاح العذر له في ذلك، لاشتمال الفتنة على القلوب حتّى يكون أقرب الناس إليه أشدّ عداوة له، وعند ذلك يؤيّده الله بجنود لم تروها، ويظهر دين نبيّه صلى الله عليه وآله على يديه ويظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون[3].

وفي الجوامع عن النبيّ صلى الله عليه وآله: زويت[4] لي الأرض فأُريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أُمّتي ما زوي لي منها[5].

---

(١) في المصدر: الأمن. وفي بعض المصادر الأُخرى كما في المتن.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٣٥٦، وراجع: تفسير الصافي ٣: ٤٤٤، تفسير نور الثقلين ٣: ٦١٨، بحار الأنوار ٥١: ٢٢٢.

(٣) الاحتجاج ١: ٣٨٢، وراجع: تفسير الصافي ٣: ٤٤٥، بحار الأنوار ٩٠: ١٢٥، تفسير نور الثقلين ٣: ٦١٩ ح ٢٢١.

(٤) زويت لي الأرض: جُمعت. لسان العرب ١٤: ٣٦٣ «زوي».

(٥) تفسير جوامع الجامع ٢: ٦٣٠، وراجع أيضاً: تفسير مجمع البيان ٧: ١١٩، تفسير البحر المحيط للأندلسي ٥: ٣٤ ط. دار الكتب العلميّة ـ بيروت، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧: ٦، وانظر: سنن ابن ماجة ٢: ١٣٠٤ صدر الحديث ٣٩٥٢.

قال: وروى المقداد عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: لا يبقى على الأرض بيت مدرٍ ولا وبرٍ إلّا وأدخله الله كلمة الإسلام: إمّا بعزّ عزيز وذلّ ذليل إلّا أن يعزّهم الله فيجعلهم من أهلها، وإمّا أن يذلّهم فيدينون بها(١).

٩١٦ ـ ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾(٢).

وهذه مزيّة يختصّ بها النبيّ صلى الله عليه وآله فتجري في مساويه أيضاً وهو عليّ عليه السلام يقتضيه التسوية واتحاد النفس على ما ذكرنا في آية المباهلة وغيرها، فتثبت تلك المزيّة له أيضاً، وليس تلك إلّا بالعصمة؛ لاشتراك غيرها في سواها.

ويُعضد بما في تفسير الصافي عن الصادق عليه السلام قال: قالت فاطمة عليها السلام لمّا نزلت هذه الآية: هبتُ رسول الله صلى الله عليه وآله أن أقول له «يا أبه» فكنت أقول: يا رسول الله، فأعرض مرّة أو اثنتين أو ثلاثاً ثمّ أقبل عليّ فقال: يا فاطمة، إنّها لم تنزل فيك ولا في أهلك ولا في نسلك، أنت منّي وأنا منك، إنّما نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش أصحاب البذخ والكبر، قولي «يا أبه» فإنّها أحيى للقلب وأرضى للربّ(٣).

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٤).

فيه تحذير عن مخالفة أمره فلو لم يبيّن لزم التكليف بما لا يطاق أو خروج الواجب عن كونه واجباً، فيجب البيان، وهو ليس إلّا بمعصوم في كلّ عصر؛ لعمومه بالاتفاق.

---

(١) تفسير الصافي ٣: ٤٤٥، تفسير جوامع الجامع ٢: ٦٣٠، تفسير نور الثقلين ٣: ٦٢٠ ح ٢٢٧.

(٢) النور (٢٤): ٦٣.

(٣) تفسير الصافي ٣: ٤٥٠، وراجع: المناقب لابن شهر آشوب ٣: ١٠٢، بحار الأنوار ٤٣: ٣٤، تفسير نور الثقلين ٣: ٦٢٨ ـ ٦٢٩ ح ٢٦٥.

(٤) النور (٢٤): ٦٣.

سورة الفرقان وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٩١٧ ـ ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾(١).

كلّ غير معصوم يمكن أن يسند إليه هذا الإسناد، ولا شيء من الإمام كذلك، فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة، والمقدّمتان ضروريّتان.

ويُعضد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن القمّي عن الباقر عليه السلام: نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله بهذه الآية هكذا: «الظالمون ـ لآل محمّد حقّهم ـ إن تتّبعون إلّا رجلاً مسحوراً»(٢).

وفي تأويل الآيات الظاهرة عنه عليه السلام أنّه قرأ هكذا ثمّ قال: يعنون محمّداً صلى الله عليه وآله فقال الله عزّ وجلّ لرسوله: ﴿ **انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ** ﴾ إلى ولاية عليّ ﴿ **سَبِيلًا** ﴾(٣) وعليّ هو السبيل(٤).

٩١٨ ـ ﴿ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾(٥).

الاستدلال بالشكل الثاني ظاهر.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن كثير بن طارق قال: سألت زيد بن عليّ ابن الحسين عن قول الله عزّ وجلّ: «لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً» فقال زيد: يا كثير، إنّك رجل صالح ولست بمتّهم، وإنّي خائف عليك أن تهلك،

---

(١) الفرقان (٢٥): ٨.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٧١ ح ١.

(٣) الفرقان (٢٥): ٩.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٧١ ذيل الحديث ١، عنه في: بحار الأنوار ٢٤ ح ٥٣، تفسير البرهان ٤: ١١٥ ح ٧٧٤٩، ورواه أيضاً السياري راجع كتاب: القراءات أو التنزيل والتحريف: ٩٧.

(٥) الفرقان (٢٥): ١٤.

إنّه إذا كان يوم القيامة أمر الله عزّ وجلّ الناس باتّباع كلّ إمام جائر إلى النار فيدعون بالويل والثبور ويقولون لإمامهم: يا من أهلكنا، هلمّ الآن فخلّصنا ممّا نحن فيه، فعندها يقال لهم: «لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً».

ثمّ قال زيد: حدّثني أبي عن أبيه الحسين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: أنت يا عليّ وأصحابك في الجنّة[1].

٩١٩ ـ ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ﴾ إلى قوله: ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾[2].

الاستدلال بما مرّ من الشكل الثاني ظاهر.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: القمّي عن الباقر عليه السلام: أما والله إنّهم كانوا يصومون ويصلّون ولكن كانوا إذا عرض لهم من الحرام أخذوه، وإذا ذكر عندهم شيء من فضل أمير المؤمنين عليه السلام أنكروه، الحديث[3].

وفي البصائر: عن الصادق عليه السلام أنّه سُئل عن أعمال مَنْ هذه؟ فقال: أعمال مبغضينا ومبغضي شيعتنا[4].

وفي تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي جعفر قال: جمع رسول الله صلى الله عليه وآله أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأغلق عليه وعليهم الباب وقال: يا أهلي وأهل الله، إنّ الله عزّ وجلّ يقرأ عليكم السلام وهذا

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٧١ ج٢، وروي مع اختلاف قليل في: أمالي الشيخ الطوسي ١: ٥٦ ح٥١/٨٢، وعنه في: بحار الأنوار ٧: ١٧٨، تفسير البرهان ٤: ١١٦ ح٧٧٥٦، تفسير نور الثقلين ٤: ٨ ح٢٩.

(٢) الفرقان (٢٥): ٢٠ ـ ٢٢.

(٣) تفسير الصافي ٤: ١٠، وراجع: بحار الأنوار ٧: ١٧٦، تفسير نور الثقلين ٤: ٩.

(٤) بصائر الدرجات: ٤٤٦ ح١٥ باب ٤ الأعمال تعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام.

جبرئيل معكم في البيت ويقول: إنّ الله عزّ وجلّ يقول: إنّي قد جعلت عدوّكم لكم فتنة، فما تقولون؟ قالوا: نصبر يا رسول الله لأمر الله وما نزل من قضائه حتّى نقدم على الله عزّ وجلّ ونستكمل جزيل ثوابه، فقد سمعناه يعد الصابرين الخير كلّه. فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى سمع نحيبه من خارج البيت، فنزلت هذه الآية: ﴿ **وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا** ﴾ إنّهم سيصبرون، أي سيصبرون كما قالوا صلوات الله عليهم[١].

٩٢٠ ـ ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾[٢].

الاستدلال بالشكل الثاني ظاهر.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن عليّ بن أسباط قال: روى أصحابنا في قول الله عزّ وجلّ: «الملك يومئذٍ الحقّ للرحمٰن» قال: إنّ الملك للرحمٰن اليوم وقبل اليوم وبعد اليوم، ولكن إذا قام القائم عليه السلام لم يُعبد إلّا الله عزّ وجلّ[٣].

٩٢١ ـ ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾[٤].

فيه تحذير عن اتّباع قول غير الرسول واختيار سبيل غير سبيله، والتحذير عن المجهول غير معقول فلابدّ من بيان مراده صلى الله عليه وآله، وهو ليس إلّا بالمعصوم.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة قال: معنى عضّ الظالم على يديه ندامته يوم

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٧٢ ح٣، وعنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢١٩ ح١٦، تفسير البرهان ٤: ١١٧ ح٧٧٦٠.

(٢) الفرقان (٢٥): ٢٦.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٧٢ ـ ٣٧٣ ح٤، ورواه أيضاً البحراني في: تفسير البرهان ٤: ١٢٣ ـ ١٢٤ ح٧٧٧٤.

(٤) الفرقان (٢٥): ٢٧.

القيامة. قال في مجمع البيان: إنّه يأكل يديه حتّى تذهبا إلى المرفقين، ثمّ تنبتان، فلا يزال هكذا كلّما نبتت يده أكلها ندامة على ما فعل[١].

وعن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال عزّ وجلّ: «يا ليتني اتّخذت مع الرسول سبيلاً» يعني عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٢]. معنى ذلك أنّه هو السبيل إلى الهدى المتّخذ مع الرسول صلوات الله عليهما وذريّتهما[٣].

وجاء في تفسير الإمام عليه السلام بيان لذلك، قال العالم عليه السلام عن أبيه عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما من عبدٍ ولا أمة أعطى بيعة أميرالمؤمنين عليه السلام في الظاهر ونكثها في الباطن وأقام على نفاقه إلّا وإذا جاءه ملك الموت لقبض روحه تمثّل له إبليس وأعوانه، وتمثّلت النيران وأصناف عقاربها لعينيه وقلبه ومقاعده من مضايقها، وتمثّلت له أيضاً الجنان ومنازله فيها، فلو كان بقي على إيمانه وفي بيعته يقول له ملك الموت: انظر إلى تلك الجنان التي لا يقدّر[٤] قدر سرّائها وبهجتها وسرورها إلّا الله ربّ العالمين، كانت معدّة لك لو كنت بقيت على ولايتك لآل محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله كان يكون إليها مصيرك يوم فصل القضاء ولكن نكثت وخالفت، فتلك النيران وأصناف عذابها، وزبانيتها، وأفاعيها الفاغرة أفواهها، وعقاربها الناصبة أذنابها، وسباعها الشائلة مخالبها، وسائر أصناف عذابها هو لك، وإليها مصيرك. فعند ذلك يقول: «يا ليتني اتّخذت مع الرسول سبيلاً» وقبلت ما

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٧٣ ذيل الحديث ٤، وراجع: تفسير مجمع البيان ٧: ٢٩٢، وعنه في: تفسير البرهان ٤: ١٢٤ ح ٧٧٧٥.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٧٣ ح ٥، تفسير البرهان ٤: ١٢٤ ح ٧٧٧٦.

(٣) راجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٧٣ ذيل الحديث ٤.

(٤) في تأويل الآيات والمخطوط «لا يقادر».

أمرني به والتزمت من موالاة عليّ ما ألزمني[١].

٩٢٢ ـ ﴿يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾[٢].

الاستدلال بالشكل الثاني ظاهر، وفيه نفي الاختيار.

ويُعضد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: والله ما كنّى الله في كتابه حتّى قال: يا ويلتى ليتني لم أتّخذ ـ الثاني ـ خليلاً وسيظهر يوماً. ففي هذا التأويل أنّ الظالم العاضّ على يديه الأوّل والحال بيّن لا يحتاج إلى بيان[٣].

وعن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: **﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾** قال: يقول الأوّل للثاني[٤].

وعن جابر بن يزيد قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت له: يابن رسول الله، أمرضني اختلاف الشيعة في مذاهبها، فأجابه إلى أن بلغ قوله: إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام خطب الناس فقال في خطبته: ولئن تقمّصها دوني الأشقيان ونازعاني فيما ليس لهما بحقّ وركباها ضلالة واعتقداها جهالة فلبئس ما عليه وردا، ولبئس ما لأنفسهما مهّدا، يتلاعنان في دورهما، ويتبرّأ كلّ من صاحبه يقول لقرينه إذا التقيا: يا ليتني بيني وبينك بُعد المشرقين فبئس القرين، فيجيبه الأشقى على وثوبه: يا ليتني لم أتّخذ فلاناً خليلاً، لقد أضلّني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان

---

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ١٣١، وعنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١٨ ح ٣٠، تفسير البرهان ٤: ١٣١ ح٧٧٨٣، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٧٣ ح٧.

(٢) الفرقان (٢٥): ٢٨.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٧٤ ح٨، وانظر: تفسير البرهان ٤: ١٢٤ ح٧٧٧٨.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٧٤ ـ ٣٧٥ ح٩، وراجع: بحار الأنوار ٢٤: ١٩ ح ٣٢، تفسير البرهان ٤: ١٢٤ ح٧٧٧٩.

الشيطان للإنسان خذولاً، فأنا الذكر الذي عنه ضلّ والسبيل الذي عنه مال والإيمان الذي به كفر والقرآن الذي إيّاه هجر والدين الذي به كذّب والصراط الذي عنه نكث، ولئن رتعا في الحطام المنصرم، والغرور المنقطع، وكانا منه على شفا حفرة من النار لهما على شرّ ورود وفي أخبث وقود، وألعن مورود ويتصارخان باللعنة، ويتناعقان بالحسرة، ما لهما من راحة، ولا عن عذابهما مندوحة[١].

٩٢٣ ـ ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾[٢].

الاستدلال بما مرّ ظاهر.

وهو المؤيّد بما في تفسير الصافي وتأويل الآيات الظاهرة عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزل جبرئيل على محمّد صلى الله عليه وآله بهذه الآية هكذا: فأبى أكثر الناس من اُمّتك ـ بولاية عليّ ـ إلّا كفوراً[٣].

٩٢٤ ـ ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾[٤].

يُعرف وجه الاستدلال به ممّا مرّ في القدرة.

وهو المؤكّد بما في طرق العامّة[٥] والمؤيّد بما في طرق الخاصّة، منها ما في

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٧٥ ح ١٠، وراجع: الكافي ٨: ٢٧ ح ٤٩، وانظر: تفسير البرهان ٤: ١٣١ ح ٧٧٨٢.

(٢) الفرقان (٢٥): ٥٠.

(٣) لم نعثر عليه في: تفسير الصافي، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٧٥ ـ ٣٧٦ ح ١١، وعنه في: تفسير البرهان ٤: ١٣٩ ح ٧٧٩٩.

(٤) الفرقان (٢٥): ٥٤.

(٥) قال الثعلبي في تفسيره: (الكشف والبيان) ٧: ١٤٢: أخبرني أبو عبدالله القسايني، قال: أخبرنا أبو

⇐

تأويل الآيات الظاهرة فقال: تأويله إنّ الله سبحانه خلق من الماء النطفة بشراً وهو الإنسان، وقوله: «فجعله نسباً وصهراً» فالنسب يرجع إليه من ولادة قريبة، والصهر خلط يشبه القرابة، وقيل: النسب الذي لا يحلّ نكاحه، والصهر الذي يحلّ نكاحه كبنات العمّ والعمّة والخال والخالة، والمعنيّ بذلك أميرالمؤمنين عليه السلام، وهذه فضيلة عظيمة ومنقبة جسيمة تفرّد بها دون غيره حيث أبان الله سبحانه فضله فيها بقوله: «وهو الذي خلق» تفرّد بخلقه وأفرده عن خلقه وجعله نسباً لرسول الله صلى الله عليه وآله أخاً وابن عمّ وصهراً زوج ابنته[١].

كما ورد من طريق العامّة عن ابن سيرين أنّه قال: نزلت هذه الآية في النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ بن أبي طالب عليه السلام وزوجته فاطمة ابنته، وهو ابن عمّه وزوج ابنته فكان نسباً وصهراً[٢].

وعن ابن عبّاس قال: قوله عزّ وجلّ: «هو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً» نزلت في النبيّ وعليّ صلّى الله عليهما، زوّج النبيّ صلى الله عليه وآله عليّاً ابنته وهو ابن عمّه، فكان له نسباً وصهراً[٣].

وأيضاً عن ابن عبّاس في قوله عزّ وجلّ: «وهو الذي خلق من الماء بشراً

⇐ الحسن النصيبي القاضي، قال: أخبرنا أبو بكر السبيعي الحلبي، قال: حدّثنا عليّ بن العبّاس المقانعي، قال: حدّثنا جعفر بن محمّد بن الحسين، حدّثنا أبو قتيبة التيمي، قال: سمعت ابن سيرين يقول في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ قال: نزلت في النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ بن أبي طالب، زوج فاطمة. انتهى كلامه، وسيأتي الإشارة إلى ذلك من قبل المصنّف.

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٧٦ ح ١١.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٧٦ ح ١٢، وراجع: تفسير البرهان ٤: ١٤٣ ح ٧٨١١، وانظر: تفسير الثعلبي ٧: ١٤٢، شواهد التنزيل ١: ٤١٤ ح ٥٧٣.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٧٧ ح ١٣، وعنه في: بحار الأنوار ٣٥: ٣٦١ ح ٣، تفسير البرهان ٤: ١٤٠ ح ٧٨٠٣.

فجعله نسباً وصهراً»، قال: الله خلق آدم وخلق نطفة من الماء فمزجها بنوره، ثمّ أودعها ابنه شيث، ثمّ أنوش، ثمّ فتيان[١]، ثمّ أباً فأباً، حتّى أودعها إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، ثمّ أُمّاً فأُمّاً، وأباً فأباً، من طاهر الأصلاب إلى مطهّرات الأرحام حتّى صارت إلى عبد المطّلب، فانفرق[٢] ذلك النور فرقتين: فرقة إلى عبدالله فولد محمّداً صلى الله عليه وآله، وفرقة إلى أبي طالب فولد عليّاً عليه السلام، ثمّ ألّف النكاح بينهما فزوّج الله عليّاً عليه السلام بفاطمة عليها السلام فذلك قوله عزّ وجلّ: «وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربّك قديراً»[٣].

وعن أنس بن مالك قال: ركب رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم بغلته فانطلق إلى جبل فلان فنزل وقال: يا أنس، خذ البغلة فانطلق إلى موضع كذا وكذا تجد عليّاً جالساً يُسبِّح بالحصى فاقرأه منّي السلام فاحمله على البغلة وآتِ به إليّ. قال أنس: فذهبت فوجدت عليّاً كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله فحملته على البغلة وأتيت به إليه، فلمّا بصر برسول الله صلى الله عليه وآله قال: السلام عليك يا رسول الله، قال: وعليك السلام يا أبا الحسن، اجلس فإنّ هذا مكان جلس فيه سبعون مرسلاً ما جلس فيه أحد من الأنبياء إلّا وأنا خير منه، وقد جلس في موضع كلّ نبيّ أخ له، ما جلس من الإخوة أحد إلّا وأنت خير منه.

قال أنس: فنظرت إلى سحابةٍ أظلّتهما ودنت من رؤوسهما، فمدّ النبيّ صلى الله عليه وآله يده

---

(١) في المصدر وتفسير البرهان: «قينان»، وفي هامش المصدر عن بعض النسخ موافق لما في المتن.

(٢) في بعض المصادر: «فانفلق».

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٧٧ ح ١٤، وراجع: بحار الأنوار ٣٥: ٣٦١ ح ٤، تفسير البرهان ٤: ١٤٠ ـ ١٤١ ح ٧٨٠٤.

إلى السحابة فتناول منهما عُنقود عنبٍ، فجعله بينه وبين عليّ عليه السلام وقال: كُل يا أخي، هذه هديّة من الله تعالى إليّ ثمّ إليك.

قال أنس: يا رسول الله، عليٌّ أخوك؟ قال: نعم عليّ أخي. فقلت: يا رسول الله، صف لي كيف عليّ أخوك؟ قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق ماء من تحت العرش قبل أن يخلق آدم بثلاثة آلاف عام فأسكنه لؤلؤة خضراء في غامض علمه إلى أن خلق آدم، فلمّا خلق آدم نقل الماء من اللؤلؤة فأجراه في صُلب آدم إلى أن قبضه الله ثمّ نقله إلى صُلب شيث، فلم يزل ينقل ذلك الماء من ظهر [إلى ظهر] حتّى صار إلى عبد المطّلب فشقّه الله نصفين: فصار نصفه في عبدالله ونصفه في أبي طالب؛ فأنا من نصف الماء وعليّ من النصف الآخر؛ فعليّ أخي في الدنيا والآخرة، ثمّ قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: «وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربّك قديراً»(١).

وفي هذا المعنى: ما رواه الشيخ أبو جعفر محمّد بن جعفر في كتابه «كتاب ما اتفق فيه من الأخبار في فضل الأئمّة الأطهار» عليهم السلام حديثاً مسنداً يرفعه إلى مولانا عليّ بن الحسين عليه السلام قال: كنت أمشي خلف عمّي الحسن وأبي الحسين عليهما السلام في بعض طرقات المدينة وأنا يومئذٍ غلام قد باهرتُ(٢) الحُلُم أو كدتُ، فلقيهما جابر ابن عبدالله الأنصاري وأنس بن مالك وجماعة من قريش، فسلّم جابر حتّى انكبّ على أيديهما وأرجلهما يقبّلهما، فقال له رجل من قريش كان نسيباً لمروان: أتصنع هذا ـ يا أبا عبدالله ـ وأنت في سنّك هذا وموضعك من صُحبة رسول

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٧٧ ـ ٣٧٩ ح١٥، وراجع: أمالي الشيخ الطوسي: ٣١٣ ح٦٣٧/٨٤، تفسير البرهان ٤: ١٤١ ح٧٨٠٦.

(٢) في المصدر: «ناهزت» وفي هامش المصدر عن بعض النسخ كما في المتن.

الله صلى الله عليه وآله ـ وكان جابر قد شهد بدراً ـ؟

فقال له: إليك عنّي، فلو علمت ـ يا أخا قُريش ـ من فضلهما ومكانهما ما أعلم لقبّلت تحت أقدامهما من التراب، ثمّ أقبل جابر على أنس فقال: يا أبا حمزة، أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله فيهما بأمر ما ظننت أنّه يكون في بشر. فقال له أنس: وما الذي أخبرك يا أبا عبدالله؟

قال عليّ بن الحسين عليه السلام: فانطلق الحسن والحسين عليهما السلام ووقفت أسمع محاورة القوم، فأنشأ جابر يحدّث قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم في المسجد وقد خَفَّ[1] من حوله إذ قال: يا جابر، ادع لي حسناً وحسيناً، وكان شديد الكلف[2] بهما، فانطلقت فدعوت بهما وأقبلت أحمل هذا مرّة وهذا مرّة حتّى جئت بهما، فقال لي ـ وأنا أعرف السرور في وجهه ـ لمّا رأى من حنوّي عليهما: أتحبّهما يا جابر؟ قلت: وما يمنعني فداك أبي وأُمّي ومكانهما منك مكانهما؟ فقال: ألا أُخبرك من فضلهما؟ قلت: بلى فداك أبي وأُمّي.

قال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا أحبّ أن يخلقني خلقني نطفة بيضاء طيّبةً، فأودعها صُلب آدم فلم يزل ينقلها من صُلب طاهر إلى رحم طاهر إلى نوح وإبراهيم، ثمّ كذلك إلى عبد المطّلب، لم يُصبني من دنس الجاهليّة شيء، ثمّ افترقتْ تلك النطفة شطرين: إلى أبي عبدالله وإلى أبي طالب، فولدني أبي عبدالله فختم الله بي النبوّة، وولد عمّي أبو طالب عليّاً عليه السلام فختمت به الوصيّة. ثمّ اجتمعت النطفتان منّي ومن عليّ وفاطمة فولدنا الجهر والجهيرة، فختم الله بهما أسباط

---

(١) خفَّ القوم: أي قلّوا، وقد خفّت زحمتهم. الصحاح ٤: ١٣٥٣ «خفف».

(٢) عن هامش المصدر في بعض النسخ: «اللطف» كَلِفتَ بهذا الأمر: إذا وَلِعْتَ به وأحببته. النهاية لابن الأثير ٤: ١٩٦ «كلف».

النبوّه، وجعل ذريّتي منهما، وأمرني بفتح مدينة ـ أو قال: مدائن ـ الكفر وأقسم ربّي لَيُظهِرَنّ منهما ذريّة طيّبة تملأ الأرض عدلاً بعدما مُلئت جوراً، فهما طُهران مُطهّران، وهما سيّدا شباب أهل الجنّة، طوبى لمن أحبّهما وأباهما وأُمّهما، وويل لمن عاداهم وأبغضهم[1].

فهذه لذوي البصائر تبصرة، ولذوي الألباب تذكرة، إذا فكّر فيها ذو اللبّ وحدها منقبة لأميرالمؤمنين عليه السلام في المناقب فاضلة، ومنزلة في المنازل سامية عالية، ومن هاهنا صارت نفس النبيّ صلى الله عليه وآله المقدّسة نفسه، ولحمه لحمه، ودمه دمه، وهو شريكه في أمره، ونظيره في بحره، وطاهر كطهارته، ومعصوم كعصمته، وللنبيّ صلى الله عليه وآله النبوّة والزعامة، وله الأُخوّة والوصيّة والإمامة، صلّى الله عليهما وعلى ذريّتهما صلاة دائمة إلى يوم القيامة.

٩٢٥ ـ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[2].

الإمام قائم مقام النبيّ ولهذا سمّي خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، والنبيّ بشير ونذير لما في هذه الآية، فالإمام أيضاً يكون بشيراً ونذيراً، وإنّما يتمّ فائدته مع العلم بصواب قوله وفعله ولا يتمّ ذلك إلّا مع العصمة.

٩٢٦ ـ ﴿ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾[3].

الإمام قوله حجّة، لا شيء من المذنب قوله حجّة.

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٧٩، وراجع: أمالي الشيخ الطوسي: ٥٠٠ ح١٠٩٥/١ المجلس الثامن عشر، تفسير البرهان ٤: ١٤٢ ح٧٨٠٧ أخرجه عن كتاب ما اتّفق فيه من الأخبار وعن أمالي الشيخ، نهج الإيمان لابن جبر: ٢١٨.

(٢) الفرقان (٢٥): ٥٦.

(٣) الفرقان (٢٥): ٥٨.

أمّا الصغرى؛ فلأنّ الإمامة مبنيّة على ذلك وإلّا لم ينتظم أمر الجهاد وإلّا لانتفت فائدته.

أمّا الكبرى؛ فلأنّه إمّا من تجويزه تعالى ذلك وهو يلزم الخطأ في حكمه، ولأنّه مناقض لقوله من أنّ قوله ليس بحجّة في قوله: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾[1]، وإمّا من جهله وبطلانه من هذه الآية، فهو ظاهر.

٩٢٧ ـ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[2].

الاستدلال به على طريق الشكل الثاني ظاهر.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «وعباد الرّحمٰن الذين يمشون على الأرض هَوْناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً»، قال: هذه الآية للأوصياء إلى أن يبلغوا ﴿حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[3].

وعن سلام قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «وعباد الرّحمٰن الذين يمشون على الأرض هوناً»، قال: هم الأوصياء من مخافة عدوّهم[4].

ومعنى قوله: «وعباد الرّحمٰن» هذه إضافة تخصيص وتشريف، والمراد أفاضل عباده الذين يمشون على الأرض هوناً، أي بالسكينة والوقار والطاعة غير أشرين

---

(١) الحجرات (٤٦): ٦.

(٢) الفرقان (٢٥): ٦٣.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨١ ح١٧، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١٣٦ ح١٠، تفسير البرهان ٤: ١٤٦ ـ ١٤٧ ح٧٨٢٢.

(٤) الكافي ١: ٤٢٧ ح٧٨ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨١ ح١٨، بحار الأنوار ٢٤: ٣٥٧ ح٧٤، تفسير البرهان ٤: ١٤٦ ح٧٨١٩.

ولا مرحين ولا متكبّرين ولا مفسدين[١].

وقال أبو عبدالله عليه السلام: الرجل يمشي بسجيّته التي جبل عليها، لا يتكلّف ولا يتبختر، وهذه الصفة وما بعدها من الصفات في هذه الآيات لا توجد إلّا في الأئمّة الهداة عليهم أفضل الصلاة وأكمل التحيّات[٢].

٩٢٨ ـ ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[٣].

الاستدلال به قد مرّ غير مرّة.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: في الأمالي عن محمّد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام عن هذه الآية، فقال عليه السلام: يؤتى بالمؤمن المذنب يوم القيامة حتّى يُقام بموقف الحساب، فيكون الله تعالى هو الذي يتولّى حسابه ولا يطّلع على حسابه أحد من الناس، فيعرّفه ذنوبه حتّى إذا أقرّ بسيّئاته قال الله عزّ وجلّ للكتبة: بدّلوها حسنات وأظهروها للناس، فيقول الناس حينئذٍ: أما كان لهذا العبد من سيّئة واحدة، ثمّ يأمر الله به إلى الجنّة، فهذا تأويل الآية في المذنبين من شيعتنا خاصّة[٤]. فالعمل الصالح هو ولاية أهل البيت عليهم السلام.

وأُكّد بما عن مسلم في الصحيح عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يؤتى

---

(١) راجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨١ ذيل الحديث ١٧.

(٢) راجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨٢ ذيل الحديث ١٨.

(٣) الفرقان (٢٥): ٧٠.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨٢ ح ٢٠، وراجع: الأمالي للشيخ الطوسي: ٧٣ ح ١٤/١٠٥، وعنه في: بحار الأنوار ٧: ٢٦١ ح ١٢، تفسير البرهان ٤: ١٥٠ ح ٧٨٣٥، وروىٰ هذا الحديث أيضاً الشيخ المفيد في: أماليه: ٢٩٨ ح ٨ (ضمن سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد) قال: أخبرني أبو غالب أحمد ابن محمّد الزُراري، وساق الحديث بالسند والمتن.

بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وتُخبّأ كبارها، فيقال له: عملت يوم كذا كذا وكذا وهو مُقرّ لا ينكر، وهو مشفق من الكبائر، فيقال: أعطوه مكان كلّ سيّئة عملها حسنة، فيقول الرجل حينئذٍ: إنّ لي ذنوباً ما أراها هاهنا!! [قال:] ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله ضحك حتّى بدت نواجذه[1].[2]

وأُيّد بما في الكافي أيضاً عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله: إنّ الله سبحانه مثّل لي أُمّتي في الطين وعلّمني أسماءهم كما علّم آدم الأسماء كلّها، فمرّ بي أصحاب الرايات فاستغفرت لعليّ وشيعته، وإنّ ربّي وعدني في شيعة عليّ خصلة. قيل: يا رسول الله، وما هي؟ قال: المغفرة لمن آمن منهم، ولم[3] يغادر لهم صغيرة ولا كبيرة إلّا غفرها لهم، ويبدّل السيّئات الحسنات[4].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: أهون ما يكسب زائر الحسين في كلّ حسنة ألف ألف حسنة، والسيّئة واحدة، وأين الواحدة من ألف ألف؟! ثمّ قال: يا صفوان، أبشر إنّ لله ملائكة معها قُضبان من نور، فإذا أراد الحفظة أن تكتب على زائر الحسين عليه السلام سيّئة، قالت الملائكة للحفظة: كفّي، فتكفّ، فإذا عمل حسنة قالت لها: اكتبي، «أُولئك الذين يبدّل الله سيّئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً»[5].

---

(١) النّواجذ: أقصى الأضراس. لسان العرب ٣: ٥١٣ «نجذ».

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨٢ ح١٩، وعنه في: تفسير البرهان ٤: ١٥٣ ح٧٨٤٥، وأخرجه المجلسي في: بحار الأنوار ٧: ٢٨٦ عن صحيح مسلم، وانظر: صحيح مسلم ١: ١٢١ باب أدنى أهل الجنّة منزلة فيها (طبعة دار الفكر ـ بيروت).

(٣) في المصدر: «وأن لا يغادر منهم».

(٤) الكافي ١: ٤٤٣ ح١٥ كتاب الحجّة ـ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ووفاته، وعنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨٣ ح٢١، تفسير البرهان ٤: ١٥١ ح٧٨٣٨.

(٥) كامل الزيارات: ٥٤٥ ح٦/٨٣٤ باب نوادر الزيارات، وراجع: بحار الأنوار ١٠١: ٧٤ ح٢٢، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨٣ ح٢٢، تفسير البرهان ٤: ١٥٢ ح٧٨٣٩.

وفي أمالي الطوسي ﵀ عن الرضا ﵇ قال: قال رسول الله ﷺ: حبّنا أهل البيت يُكفّر الذنوب، ويُضاعف الحسنات، وإنّ الله تعالى ليتحمّل عن محبّنا أهل البيت ما عليه من مظالم العباد، إلّا ما كان منهم على إصرارٍ وظُلمٍ للمؤمنين، فيقول للسيّئات كوني حسنات[1].

٩٢٩ ـ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[2].

دلّ على أنّهم غير الموصوفين بوصف التقوى، بل فيهم وصف زائد على المتّقين وليس إلّا العصمة فصدر الآية وذيلها دلّ على ذلك، وعلى استجابة دعائهم، فبذلك الوصف المجعول فيهم في الفطرة صاروا مستحقّين لذلك. ودلّ على أنّ الإمام لابدّ أن يكون ليس بالاختيار، بل يجب كون الإمامة بأمره تعالى.

ويُعضد بما في تفسير الصافي: في الجوامع عن الصادق ﵇: إيّانا عنى[3].

وفي رواية: هي فينا[4].

وفي المناقب عن سعيد بن جبير، قال: هذه الآية قال: والله خاصّة في أمير المؤمنين ﵇ كان أكثر دعائه يقول: ربّنا هب لنا من أزواجنا ـ يعني فاطمة ـ وذريّاتنا ـ الحسن والحسين ـ قرّة أعين. قال أميرالمؤمنين ﵇: والله ما سألت ربّي ولداً نضير الوجه ولا سألت ولداً حسن القامة ولكن سألت ربّي ولداً مطيعين لله

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ١٦٤ ح ٢٦/٢٤٧، وعنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨٤ ح ٢٣، بحار الأنوار ٦٨: ١٠٠ ح ٥، تفسير البرهان ٤: ١٥٢ ح ٧٨٤٠.

(٢) الفرقان (٢٥): ٧٤.

(٣) تفسير الصافي ٤: ٢٧.

(٤) تفسير الصافي ٤: ٢٧.

خائفين وجلين منه؛ حتّى إذا نظرتُ إليه وهو مطيع لله قرّت به عيني.

قال: واجعلنا للمتّقين إماماً نقتدي بمن قبلنا من المتّقين فتقتدي المتّقون بنا من بعدنا[1].

وفي تأويل الآيات الظاهرة يؤكّده ويؤيّده عن السدّي عن أبي مالك عن ابن عبّاس قال: قوله: «والذين يقولون ربّنا هب لنا من أزواجنا» نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام[2].

وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: «يقولون ربّنا هب لنا من أزواجنا وذرّيّاتنا قرّة أعين واجعلنا للمتّقين إماماً» أي هُداةً يُهتدى بنا وهذه لآل محمّد خاصّة[3].

وعن أبي بصير، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: «واجعلنا للمتّقين إماماً»، قال: لقد سألت ربّك عظيماً إنّما هي: واجعل لنا من المتّقين إماماً، وإيّانا عنى بذلك[4].

فعلى هذا التأويل تكون القراءة الأُولى «واجعلنا للمتّقين» ـ يعني الشيعة ـ إماماً أنّ القائلين هم الأئمّة عليهم السلام. والقراءة الثانية وهي قوله: «واجعل لنا من المتّقين» وهم الأئمّة «إماماً» نأتمّ به، فيكون القائل والداعي هم الشيعة الإماميّة، واستجاب الله سبحانه من الأئمّة ومنهم بأن جعلهم أئمّة لهم في الباطن وفي الظاهر وفي

---

(١) تفسير الصافي ٤: ٢٧، وراجع: المناقب لابن شهر آشوب ٣: ١٥٢.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨٤ ح٢٤، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١٣٤ ح٦، تفسير البرهان ٤: ١٥٥ ح٧٨٥٦.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨٤ ح٢٥، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١٣٥ ح٧، تفسير البرهان ٤: ١٥٦ ح٧٨٥٧.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨٤ ـ ٣٨٥ ح٢٦، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١٣٥ ح٨، تفسير البرهان ٤: ١٥٦ ح٧٨٥٨.

الدنيا وفي اليوم الآخر(١).

وعن أبي سعيد الخدري في قول الله عزّ وجلّ: «ربّنا هب لنا من ذريّاتنا قرّة أعين واجعلنا للمتّقين إماماً» قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجبرئيل عليه السلام: مَن أزواجنا؟ قال: خديجة. قال: وذرّيّاتنا؟ قال: فاطمة. قال: قرّة أعين؟ قال: الحسن والحسين. قال: واجعلنا للمتّقين إماماً؟ قال: عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم أجمعين صلاة باقية إلى يوم الدين(٢).

سورة الشعراء وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٩٣٠ ـ ﴿طسَمَ﴾(٣).

قد مرّ حين الاستدلال بمثله فإنّه من المتشابهات.

وأُيّد بما روي عنه: أنا طاء الطواسيم(٤).

٩٣١ ـ ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * إِن نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِنَ السَّماءِ آيَةً﴾(٥).

---

(١) راجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨٥ ذيل الحديث ٢٦.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨٥ ح ٢٧، وراجع: بحار الأنوار ٢٤: ١٣٥ ح ٩، تفسير البرهان ٤: ١٥٦ ح ٧٨٥٩، وانظر: تفسير القمّي ٢: ١١٧.

(٣) الشعراء (٢٦): ١.

(٤) الطواسيم (الطواسين): هي السور الثلاث: الشعراء، والنمل، والقصص. قال الجوهري في الصحاح ٥: ٦٩٧٤ «طسم»: الطواسيم والطواسين سور في القرآن جمعت على غير القياس. والصواب أن تجمع بذواتِ وتضاف إلى واحد، فيقال ذوات طسم وذوات حم. والرواية وردت في مجلي مرآة المنجي ٤: ١٣٤٠ ضمن خطبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه: «أنا طاء الطواسين... إلخ».

(٥) الشعراء (٢٦): ٢ ـ ٤.

وصف الكتاب بالبيان يستلزم عصمة الإمام.

وقد أُيّد بما في تفسير الصافي عن الكافي عن الصادق عليه السلام أنّ القائم عجّل الله فرجه لا يقوم حتّى ينادي مناد من السماء تسمعه الفتاة في خدرها ويسمعه أهل المشرق والمغرب، وفيه نزلت هذه الآية: «إن نشأ ننزّل» الآية[1].

والقمّي عنه عليه السلام في هذه الآية قال: تخضع رقابهم ـ يعني بني أُميّة ـ وهي الصيحة من السماء باسم صاحب الأمر صلوات الله عليه[2].

وفي الإكمال عن الرضا عليه السلام في حديث يصف فيه القائم قال: وهو الذي ينادي منادٍ من السماء يسمعه جميع أهل الأرض بالدعاء إليه يقول: ألا إنّ حجّة الله قد ظهر عند بيت الله فاتّبعوه فإنّ الحقّ معه، وفيه قول الله عزّ وجلّ: «إن نشأ» الآية[3].

وفي تأويل الآيات الظاهرة عن ابن عبّاس قال: هذه نزلت فينا وفي بني أُميّة، تكون لنا دولة تذلّ أعناقهم لنا بعد صعوبةٍ وهوانٍ بعد عزّ[4].

وعن أبي جعفر عليه السلام حين سُئل عن هذه الآية، قال: يخضع لها رقاب بني أُميّة، قال: ذلك بارز [عند زوال] الشمس، وذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام يبرز عند زوال الشمس على رؤوس الناس ساعة حتّى يبرز وجهه ويعرف الناس حسبه ونسبه.

---

(١) تفسير الصافي ٤: ٢٩، وروى ذلك النعماني في كتاب الغيبة: ٢٥٧ ح ١٤ باب ١٤ ما جاء في العلامات التي تكون قبل قيام القائم عليه السلام. ولم نعثر عليه في الكافي.

(٢) تفسير الصافي ٤: ٢٩، وراجع: تفسير القمّي ٢: ١١٨، وعنه في: تفسير البرهان ٤: ١٦٦ ح٧٨٧٣.

(٣) إكمال الدين وإتمام النعمة: ٣٧٢ ح٥، وعنه في: تفسير الصافي ٤: ٣٠، تفسير نور الثقلين ٤: ٤٧ ضمن حديث ١٣.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨٦ ح١، عنه في: بحار الأنوار ٥٢: ٢٨٤ ح١٢، تفسير البرهان ٤: ١٦٨ ح٧٨٧٨.

ثمّ قال: إنّ بني اُميّة ليجيء الرجل منهم إلى جنب[1] شجرة فتقول: خلفي رجل من بني اُميّة فاقتلوه[2].

وعن أبي عبدالله عليه السلام، قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: انتظروا الفرج في ثلاث. قيل: وما هي؟ قال: اختلاف أهل الشام بينهم، والرايات السود من خراسان، والفزعة في شهر رمضان. فقيل له: وما الفزعة في شهر رمضان؟ قال: أما سمعتم قول الله عزّ وجلّ في القرآن: «إن نشأ ننزّل عليهم من السماء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين» إنّه[3] تخرج الفتاة من خدرها ويستيقظ النائم ويفزع اليقظان[4].

٩٣٢ ـ ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[5].

الاستدلال على طريق الشكل الثاني ظاهر.

واُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن الشيخ المفيد رحمه الله في كتابه الغيبة بإسناده عن رجاله، عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: إذا قام القائم عليه السلام تلا هذه الآية مخاطباً للناس: «ففررت منكم لمّا خفتكم فوهب لي ربّي حكماً وجعلني من المرسلين» فذلك حقيقة؛ لأنّ الله وهب له حكماً تماماً في الدنيا لم

---

(١) في المصدر: «ليختبأ الرجل منهم إلى جنب شجرة» وفي البحار: «ليخبينّ الرجل منهم إلى جنب شجرة» وفي تفسير البرهان: «ليختبئنّ الرجل منهم إلى جنب شجرة».

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨٦ ـ ٣٨٧ ح٣، وراجع: بحار الأنوار ٥٣: ١٠٩ ح٢، تفسير البرهان ٤: ١٦٩ ح٧٨٨٣.

(٣) في تفسير البرهان: «هي آية» بدل «إنّه».

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨٧ ح٤، عنه في: بحار الأنوار ٥٢: ٢٨٥ ح١٤، تفسير البرهان ٤: ١٦٨ ح٧٨٨١.

(٥) الشعراء (٢٦): ٢١.

يهبه لأحد قبله، ولا لأحد بعده، وعليه تقوم الساعة. وقوله: «وجعلني من المرسلين» على سبيل المجاز أي جعلني من أوصياء سيّد المرسلين وخاتم النبيّين صلوات الله عليهم أجمعين صلاة دائمة في كلّ عصر وكلّ حين متواترة إلى يوم الدين [١].

٩٣٣ ـ ﴿وَاجْعَل لِى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الْآخِرِينَ﴾ [٢].

كلّ غير معصوم يمكن أن يكون داعياً إلى نقيض ما في هذه الآيات بالضرورة، ولا شيء من الإمام كذلك بالضرورة، فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة.

وهو المؤكَّد بما رواه ابن مردويه: إنّه عليّ عليه السلام [٣].

فإذا طلب إبراهيم عليه السلام ذلك فلابدّ عصمته، ولا معصوم بعد النبيّ صلى الله عليه وآله إلّا عليّ وولده عليهم السلام.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة فقال: معناه إنّ إبراهيم عليه السلام سأل ربّه أن يجعل له لسان صدق، أي ولداً ذا لسان صدق يلفظ بلسانه الصدق أبداً. والمراد أن يكون معصوماً «في الآخرين»، أي في آخر الأُمم وهي أُمّة النبيّ صلى الله عليه وآله [٤].

وروي عن أبي عبدالله عليه السلام: أنّه أراد به النبيّ صلى الله عليه وآله [٥].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨٨ ح ٥، ولم نعثر عليه في غيبة المفيد، بل روىٰ ذلك النعماني في: غيبته: ١٧٤ ح ١١، وعنه في: بحار الأنوار ٥٢: ٢٩٣ ح ٣٩، وأخرجه في البحار أيضاً ٥٢: ٢٨١ ح ١ عن كمال الدين ١: ٣٢٨ ح ١٠.

(٢) الشعراء (٢٦): ٨٤.

(٣) انظر: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨٨ ح ٦، وراجع: تفسير القمّي ٢: ١٢٣، بحار الأنوار ٣٦: ٥٧ ح ٤ عن كشف الغمّة.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨٨ ذيل الحديث ٥.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨٨ ح ٧.

وروي عنه عليه السلام: أنّه أراد به عليّاً عليه السلام، قال: إنّه عرضت على إبراهيم ولاية عليّ ابن أبي طالب قال: اللهمّ اجعله من ذريّتي، ففعل الله ذلك[١].

وقد تقدّم هذا المعنى في سورة مريم في قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا** ﴾[٢] وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وعلى هاتين الروايتين فالفضل فيهما لعليّ عليه السلام من غير شكّ ولا مين[٣] لأنّه إن كان المراد به النبيّ صلى الله عليه وآله فقد قال: والفضل بعدي لك يا عليّ، وإن كان هو المراد فالفضل له على كلّ التقادير لأنّه البشير النذير، نظير ونفس وأخ مُواس له ووزير وعون وناصر ومؤيّد وظهير، فصلوات الله عليه السميع البصير عليهما وعلى المعصومين من ذريّتهما الأوّل منهم والأخير[٤].

٩٣٤ ـ ﴿ هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾[٥].

كلّ غير معصوم غاوياً بالإمكان، ولا شيء من الإمام بغاوٍ بالضرورة، فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة.

٩٣٥ ـ ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾[٦].

الاستدلال به مثل ما مرّ.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: نزلت هذه الآية فينا وفي شيعتنا وذلك أنّ الله سبحانه يُفضّلنا ويُفضّل شيعتنا، حتّى أنّا نشفع

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨٨ ـ ٣٨٩ ح ٨.

(٢) مريم (١٩): ٥٠.

(٣) المين: الكذب. المحيط في اللغة ١٠: ٤١٤ «مين».

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٢٨٩ ذيل الحديث ٨.

(٥) الشعراء (٢٦): ٩٤.

(٦) الشعراء (٢٦): ١٠٠ و ١٠١.

ويشفعون، فإذا رأى ذلك من ليس منهم قالوا: «فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم»[١].

وعن سليمان بن خالد، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم»، فقال: لمّا يرانا هؤلاء وشيعتنا نشفع يوم القيامة، يقولون: «فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم»، يعني بالصديق المعرفة، وبالحميم القرابة[٢].

وأيضاً عن سليمان بن خالد، قال: كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام فقرأ: «ما لنا من شافعين * ولا صديق حميم» وقال: والله لنشفعنّ ـ ثلاثاً ـ ولنشفعنّ لشيعتنا ـ ثلاثاً ـ حتّى يقول عدوّنا: «فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم»[٣].

وعن أبي عبدالله عليه السلام، قال: والله لنشفعنّ لشيعتنا حتّى يقول الناس: «فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم * فلو أنَّ لنا كَرَّةً فنكون من المؤمنين».

وفي رواية أُخرى: حتّى يقول عدوّنا[٤].

وعن أبان بن تغلب، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ المؤمن ليشفع يوم القيامة لأهل بيته فيشفّع فيهم حتّى خادمه فيقول ويرفع سبّابتيه: يا ربّ خُوَيدمي

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨٩ ح٩، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٥٨ ح٦، تفسير البرهان ٤: ١٧١ ح٧٩٠٨.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٨٩ ح١٠، وراجع: بحار الأنوار ٢٤: ٢٥٨ ح٧، تفسير البرهان ٤: ١٧٩ ح٧٩٠٩.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٩٠ ح١١، عنه في: تفسير البرهان ٤: ١٧٩ ح٧٩١٠.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٩٠ ح١٢، وراجع: بحار الأنوار ٧: ١٥٣، تفسير نور الثقلين ٤: ٦١ ح٦٦ و٦٧، تفسير البرهان ٤: ١٧٩ ح٧٩١٣، وانظر: تفسير مجمع البيان ٧: ٣٣٩.

كان يقيني الحرّ والبرد، فيشفع فيه[١].

وفي خبر عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنّ المؤمن ليشفع لجاره وماله حسنة فيقول: يا ربّ، جاري كان يكفّ عنّي الأذى، فيشفَّع فيه، وإنّ أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً[٢].

وأيضاً عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: إنّ لنا جاراً ينتهك المحارم كلّها، حتّى أنّه ليترك الصلاة فضلاً عن غيرها! فقال: سبحان الله! أوَ عظم[٣] ذلك عليك؟ ألا أُخبرك بمن هو شرّ منه؟ [فقلت: بلى، فقال: الناصب لنا شرّ منه]، أما إنّه ليس من عبد يذكر عنده أهل البيت فرقّ لذكرنا إلّا مسحت الملائكة ظهره وغفر الله له ذنوبه كلّها، إلّا أن يجيء بذنب يخرجه من الإيمان، وإنّ الشفاعة لمقبولة وما تقبل في ناصب، وإنّ المؤمن ليشفع لجاره وما له حسنة، فيقول: يا ربّ، جاري كان يكفّ عنّي الأذى، فيُشفّع فيه، فيقول الله تبارك وتعالى: أنا ربّك وأنا أحقّ من كافى عنك فيدخله الجنّة وما له من حسنة، وإنّ أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً، فعند ذلك يقول أهل النار: «فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم»[٤].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٩٠ ح١٣، وراجع: تفسير مجمع البيان ٧: ٣٣٩، تفسير نور الثقلين ٤: ٦١ ح٦٨، وانظر: تفسير البرهان ٤: ١٧٩ ـ ١٨٠ ح٧٩١٤.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٩٠ ـ ٣٩١ ح١٤، وراجع: تفسير مجمع البيان ٧: ٣٣٩، تفسير نور الثقلين ٤: ٦١ ح٦٩.

(٣) في هامش تأويل الآيات الظاهرة عن بعض النسخ كما في المتن. وفي الكافي وتأويل الآيات وتفسير البرهان والبحار «وأعظم ذلك».

(٤) الكافي ٨: ١٠١ ح٧٢، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٩١ ح١٥، بحار الأنوار ٨: ٥٦ ح٧٠، تفسير البرهان ٤: ١٧٧ ح٧٩٠٤.

٩٣٦ ـ ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ ﴾[١].

عموم الإنذار إجماعيّ، فلو كان الإمام غير معصوم لما تمّت الحجّة على المنذرين، وانتفت فائدة الإنذار والغرض منه.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال: ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٢].

فمعنى التأويل ـ على ما قيل ـ: يا محمّد، لتكون من المنذرين ـ أي المخوِّفين لقومك ـ وإنّه لفي زبر الأوّلين أو الكتب المنزلة على النبيّين.

يعني: أنّ بناء الأمر الذي نزل به إليك في ولاية عليّ عليه السلام فنزل في كتب الأنبياء عليهم السلام، كما هو منزل في القرآن[٣].

وكيف وإنّه لو لم ينزل فيه تعيّن الولي لزم ذكر ما هو أدنى منه وترك الأهمّ، والحكم من بدء بالأهم.

ويؤيّده ما في الكافي: عن أبي الحسن عليه السلام قال: ولاية عليّ مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولم يبعث الله رسولاً إلّا بنبوّة محمّد وولاية وصيّه عليّ[٤]. صلّى الله عليهما وعلى ذريّتهما الأبرار.

---

(١) الشعراء (٢٦): ١٩٣ ـ ١٩٦.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٩١ ـ ٣٩٢ ح١٦، وراجع: بحار الأنوار ٢٤: ٢٥٨ ح٧، تفسير البرهان ٤: ١٨٣ ح٧٩٣٤.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٩٢ ذيل الحديث ١٦.

(٤) الكافي ١: ٤٣٧ ح٦ كتاب الحجّة ـ باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٩٢ ح١٧، تفسير البرهان ٤: ١٨٣ ـ ١٨٤ ح٧٩٣٥، وأخرجه في: البحار ٢٦: ٢٨٠ ح٢٤ عن بصائر الدرجات.

٩٣٧ ـ ﴿ أَفَرَأَيْتَ إِن مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُم مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾[١].

الاستدلال به على طريق الشكل الثاني ظاهر.

وأيّد بما في الكافي عن الصادق عليه السلام قال: أُري رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه بني أُميّة يصعدون على منبره من بعده ويضلّون الناس عن الصراط القهقرى[٢]، فأصبح كئيباً حزيناً، فهبط عليه جبرئيل فقال: يا رسول الله، ما لي أراك كئيباً حزيناً؟ فقال: يا جبرئيل، إنّي رأيت بني أُميّة في ليلتي هذه يصعدون منبري من بعدي يضلّون الناس عن الصراط القهقرى، فقال: والذي بعثك بالحقّ نبيّاً إنّ هذا شيء ما اطّلعت عليه، فعرج إلى السماء فلم يلبث أن نزل عليه بآي من القرآن يؤنسه بها، قال: «أفريت» الآية، وأنزل عليه «إنّا أنزلنا»، قال: جعل الله عزّ وجلّ ليلة القدر لنبيّه خير من ألف شهر ملك بني أُميّة[٣].

وفي تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي عبدالله عليه السلام في هذه الآية قال: خروج القائم «ما أغنى عنهم ما كانوا يمتّعون» قال: هم بنو أُميّة الذي مُتّعوا في دنياهم[٤].

٩٣٨ ـ ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾[٥].

الإنذار يتوقّف على العلم ما به الإنذار، وهو ليس إلّا بالمعصوم.

وهو المؤكَّد بما رواه العام والخاص منها: ما في تأويل الآيات الظاهرة عن

---

(١) الشعراء (٢٦): ٢٠٥ ـ ٢٠٧.

(٢) القهقرى: الرجوع إلى خلف. الصحاح ٢: ٨٠١ «قهر».

(٣) الكافي ٤: ١٥٩ ح ١٠، وعنه في: تفسير البرهان ٤: ١٨٤ ح ٧٩٣٨.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٩٢ ـ ٣٩٣ ح ١٨ وراجع: بحار الأنوار ٢٤: ٣٧٢ ح ٩٦، تفسير البرهان ٤: ١٨٥ ح ٧٩٤٠.

(٥) الشعراء (٢٦): ٢١٤.

محمّد بن عبدالله بن عليّ بن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله عن أبيه عن جدّه أبي رافع قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جمع بني عبد المطّلب وهم يومئذٍ ولد عبد المطّلب لصلبه وأولادهم أربعون رجلاً، فصنع لهم رجل شاة، ثمّ ثرد لهم ثردةً وصبّ عليها ذلك المرق واللحم، ثمّ قدّمها إليهم فأكلوا منها حتّى تضلّعوا[1]، ثمّ سقاهم عسّاً واحداً من لبن، فشربوا كلّهم من ذلك العسّ حتّى رووا منه.

فقال أبو لهب: والله إنّ منّا لنفراً يأكل أحدهم الجفنة[2] وما يصلحها ولا تكاد تشبعه! ويشرب الظرف[3] من النبيذ فما يرويه! وإنّ ابن أبي كبشة دعانا فجمعنا على رجل شاة وعسّ من شراب فشبعنا وروينا منها، إنّ هذا لهو السحر المبين!

قال: ثمّ دعاهم فقال لهم: إنّ الله عزّ وجلّ قد أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، ورهطي المخلصين، وأنتم عشيرتي الأقربون، ورهطي المخلصون، وإنّ الله لم يبعث نبيّاً إلّا جعل له من أهله أخاً ووارثاً ووزيراً ووصيّاً، فأيّكم يقوم يبايعني على أنّه أخي ووزيري ووارثي دون أهلي، ووصيّي وخليفتي في أهلي، ويكون منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنّه لا نبيّ بعدي؟

فسكت القوم، فقال: والله ليقومنّ قائمكم أو ليكوننّ في غيركم ثمّ لتندمنّ.

قال: فقام عليّ وهم ينظرون إليه كلّهم فبايعه وأجابه إلى ما دعاه إليه، فقال له: ادْنُ منّي، فدنا منه فقال له: افتح فاك، ففتحه، فنفث فيه من ريقه، وتفل بين كتفيه وبين ثدييه.

---

(١) تضلّع الرجل: امتلأ ما بين أضلاعه شبعاً وريّاً. لسان العرب ٨: ٢٢٥ «ضلع».

(٢) الجفنة: أعظم ما يكون من القِصاع. لسان العرب ١٣: ٨٩ «جفن».

(٣) في المصدر: «الفَرْق». والفرق: مكيال، وقيل أربعة أرباع، وقيل هو ستّة عشر رطلاً. لسان العرب ١٠: ٣٠٥ «فرق».

فقال أبو لهب: بئس ما حبوت به[1] ابن عمّك، أجابك لمّا دعوت إليه فملأت فاه ووجهه بُزاقاً.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بل ملأته علماً وحكماً وفقهاً[2].

وقال أبو عليّ الطبرسي في تفسيره: واشتهرت هذه القصّة بذلك عند الخاصّ والعام، وفي الخبر المأثور عن البراء بن عازب، أنّه قال: لمّا نزلت هذه الآية، جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بني عبد المطّلب، وهم يومئذٍ أربعون رجلاً، الرجل منهم يأكل المُسِنّة[3]، ويشرب العُسّ[4]، فأمر عليّاً عليه السلام برجل شاة فأدمَها[5] ثمّ قال لهم: ادنوا بسم الله، فدنا القوم عشرة عشرة، فأكلوا حتّى صدروا، ثمّ دعا بَقْعبٍ[6] من لبن، فجرع منه جُرعة، ثم قال لهم: اشربوا بسم الله، فشربوا حتّى رووا، فبدرهم أبو لهب فقال: هذا ما سحركم به الرجل، فسكت صلى الله عليه وآله يومئذٍ ولم يتكلّم.

ثمّ دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب، ثمّ أنذرهم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا بني عبد المطّلب، إنّي أنا النذير إليكم من الله عزّ وجلّ، والبشير، فأسلِموا وأطيعوني تهتدوا. ثمّ قال: من يؤاخيني ويؤازرني على هذا الأمر،

---

(١) في البحار: «لبئس ما جزيت».

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٩٣ ح١٩، عنه في: بحار الأنوار ٣٨: ٢٤٩ ح٤٣، تفسير البرهان ٤: ١٨٧ ح٧٩٤٥. وراجع: تفسير مجمع البيان ٧: ٤٥٦، تفسير نور الثقلين ٤: ٦٧ ـ ٦٨ ح ٩٠.

(٣) المسنّ من الدواب: ما دخل في السنة الثامنة. أقرب الموارد ١: ٥٥٠ «سنن».

(٤) العس: القدح العظيم، وجمعه عِساس. الصحاح ٣: ٩٤٩ «عسس».

(٥) أدم الخبز يأدمه أدماً: خلطه بالأدم. تاج العروس ١٦: ٨ «أدم». وقال ابن الأثير: الإدام (بالكسر)، والأُدْم (بالضم): ما يؤكل مع الخبز، أيّ شيء كان، وأدَمتُه خلطتُه وجعلت فيه إداماً يُؤكل. النهاية لابن الأثير ١: ٣١ «أدم».

(٦) قَعْب: بالفتح فالسكون: قدح من خشب مقعر، والجمع قِعاب وأقعُب، مثل سهم وسهام وأسهم. مجمع البحرين ٢: ١٤٦ «قعب».

ويكون وليّي ووصيّي بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني؟ فسكت القوم، فأعادها ثلاثاً كلّ ذلك يسكت القوم ويقول عليّ عليه السلام: أنا، فقال له في المرّة الثالثة: أنت هو، فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب: أطعْ ابنك، فقد أُمّر عليك.

أورده الثعلبي في تفسيره وقال رحمه الله: وفي قراءة عبدالله بن مسعود: «وأنذر عشيرتك الأقربين ورهطك منهم المخلصين»[١].

وروي ذلك عن أبي عبدالله عليه السلام، هذا بلفظه[٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: «ورهطك منهم المخلصين» قال: عليّ وحمزة وجعفر والحسن والحسين وآل محمّد صلى الله عليه وآله خاصّة[٣].

ثمّ قال سبحانه: ﴿ **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾[٤]، ومعصية الرسول وهو ميّت كمعصيته وهو حيّ.

٩٣٩ ـ ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ * وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِى يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِى السَّاجِدِينَ ﴾[٥].

الإمام حجّة الله فلو عصى لزم كونه غير حجّة؛ للزوم التبرّي عنه لما في هذا اللزوم الأُسوة به صلى الله عليه وآله بآية الأُسوة، وإنّه تعالى لمّا أمرنا باتباعه في آية أُولي الأمر فلو

---

(١) تفسير مجمع البيان ٧: ٣٥٦، وعنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٩٤، تفسير البرهان ٤: ١٨٩ ح٧٩٤٨، تفسير نور الثقلين ٤: ٦٧ ح٩٠، وراجع: تفسير الثعلبي (الكشف والبيان) ٧: ١٨٢، وعنه ابن بطريق في العمدة: ٨٨، وابن طاووس في الطرائف: ٢٠ ح١٣.

(٢) راجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٩٥ ذيل الحديث ٢٠.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٩٥ ح٢١، وعنه في: بحار الأنوار ٢٥: ٢١٣ ح١، تفسير البرهان ٤: ١٨٨ ح٧٩٤٧.

(٤) الشعراء (٢٦): ٢١٥ و٢١٦.

(٥) الشعراء (٢٦): ٢١٦ ـ ٢١٩.

أخطأ لزم إمّا عدم التبرّي عنه أو الواجب غير واجب، وكلّ منهما خلاف ما عليه بالإجماع والنصّ.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: القمّي: «فإن عصوك» يعني من بعدك في ولاية عليّ والأئمّة عليهم السلام[١].

وفي تأويل الآيات الظاهرة: قال أبو عليّ الطبرسي رحمه الله: «قوله: «وتوكّل على العزيز الرّحيم» أي فوّض أمرك إلى العزيز المنتقم من أعدائه، الرّحيم بأوليائه، «الذي يراك حين تقوم» في صلاتك؛ عن ابن عبّاس.

وقيل: حين تقوم بالليل؛ لأنّه لا يطّلع عليه أحد غيره، وقيل: حين تقوم للإنذار وأداء الرسالة.

«وتقلّبك في الساجدين» أي ويرى تصرّفك في المصلّين بالركوع والسجود والقيام والقعود.

عن ابن عبّاس: والمعنى: يراك حين تقوم إلى الصلاة منفرداً «وتقلّبك في الساجدين» إذا صلّيت في جماعة[٢].

وعلى هذا المعنى ذكر محمّد بن العبّاس رحمه الله تأويل «وتقلّبك في الساجدين» قال: حدّثنا محمّد بن الحسن الخثعمي، عن عبّاد بن يعقوب، عن الحسن بن حمّاد، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: «تقلّبك في الساجدين» قال: عليّ وفاطمة والحسن والحسين وأهل بيته عليهم السلام[٣].

وقال أبو عليّ الطبرسي رحمه الله: وقيل: معناه: وتقلّبك في أصلاب الموحّدين من

---

(١) تفسير الصافي ٤: ٥٤، وراجع: تفسير القمّي ٢: ١٢٦، تفسير نور الثقلين ٤: ٦٩ ح٩٦.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٩٥ ح٢٢، وراجع: تفسير مجمع البيان ٧: ٣٥٧.

(٣) راجع تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٩٦ ح ٢٣.

نبيّ إلى نبيّ حتّى أخرجك نبيّاً؛ عن ابن عبّاس، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام وأبي عبد الله عليه السلام.

قال[١]: يرى تقلّبه في أصلاب النبيّين نبيّ بعد نبيّ حتّى أخرجه من صلب أبيه، من نكاح غير سفاح من لدن آدم[٢].

وعن أبي الجارود قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «وتقلّبك في الساجدين»، قال: يرى تقلّبه في أصلاب النبيّين من نبيّ إلى نبيّ حتّى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم عليه السلام[٣].

وممّا يؤيّده أنّ عبدالله وأبا طالب كانا من الموحّدين على ما رواه الشيخ في أماليه بإسناده عن المفضّل بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام عن آبائه عن أميرالمؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين قال: كان ذات يوم جالساً في الرحبة والناس حوله مجتمعون، فقام إليه رجل فقال: يا أميرالمؤمنين، إنّك بالمكان الذي أنزلك الله وأبوك يُعذَّب في النار! فقال له: مه[٤] فضّ الله فاك، والذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً لو شفّع أبي في كلّ مذنب على وجه الأرض لشفّعه الله فيهم، أبي يُعذَّب بالنار وابنه قسيم الجنّة والنار؟!

ثمّ قال: والذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً إنّ نور أبي طالب يوم القيامة ليطفئ نور الخلق إلّا خمسة أنوار: نور محمّد ونوري ونور فاطمة والحسن والحسين ومن

---

(١) في مجمع البيان: قالا: في أصلاب النبيّين... إلخ.

(٢) تفسير مجمع البيان ٧: ٣٥٧ ـ ٣٥٨، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٩٦ ح٢٣ ـ ٢٥، عنه في: بحار الأنوار ١٦: ٢٠٤، تفسير البرهان ٤: ١٩٣ ح٧٩٦٢، وانظر: تفسير الصافي ٤: ٥٤.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٩٦، عنه في: بحار الأنوار ١٥: ٣ ح٢، تفسير البرهان ٤: ١٩٢ ح٧٩٥٨.

(٤) مَهْ: لقد تكرّر في الأحاديث ذكر «مه» وهو اسم مبنيّ على السكون، بمعنى اسكت. النهاية لابن الأثير ٤: ٣٧٧ «مهه».

ولده من الأئمّة؛ لأنّ نوره من نورنا الذي خلقه الله عزّ وجلّ من قبل خلق آدم بألفي عام[١].

وجاء في ابتداء خلق نوره الكريم نبأ عظيم لا يحتمله إلّا ذو القلب السليم والدين القويم والطريق المستقيم، ينبئ عن فضله وعن فضل أهل بيته عليهم أفضل الصلاة والتسليم، وهو ما نقله الشيخ أبو جعفر الطوسي قدّس الله روحه: عن الشيخ أبي محمّد الفضل بن شاذان، بإسناده عن رجاله، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن الإمام العالم موسى بن جعفر الكاظم صلوات الله عليهما قال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق نور محمّد صلى الله عليه وآله من نور اخترعه من نور عظمته وجلاله وهو نور لاهوتيّته الذي تبدّى من لاه أي من إلهيّته، من إنّيته الذي بدأ منه[٢]، وتجلّى لموسى بن عمران عليه السلام في طور سيناء، فما استقرّ له ولا طاق موسى لرؤيته ولا ثبت له، حتّى خرّ صعقاً مغشيّاً عليه، وكان ذلك النور، نور محمّد صلى الله عليه وآله.

فلمّا أراد أن يخلق محمّداً منه قسّم ذلك النور شطرين، فخلق من الشطر الأوّل محمّداً، ومن الشطر الآخر عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ولم يخلق من ذلك النور غيرهما، خلقهما الله بيده ونفخ فيهما بنفسه من نفسه، وصوّرهما على صورتهما وجعلهما أمناء له وشهداء على خلقه، وخلفاء على خليقته، وعيناً له عليهم، ولساناً له إليهم، قد استودع فيها علمه، وعلّمهما البيان، واستطلعهما على غيبه،

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٩٦ ح٢٦، عنه في: تفسير البرهان ٤: ١٩٢ ح٧٩٥٩، وراجع: أمالي الشيخ الطوسي: ٣٠٥ ح٥٩/٦١٢، الاحتجاج ١: ٣٤٠، عنه المجلسي في: البحار ٣٥: ٦٩ ح٣، ورواه أيضاً المجلسي في: البحار ٣٥: ١١٠ ح٣٩ عن الكراجكي، وأيضاً راجع: كنز الفوائد للكراجكي ١: ١٨٣، كشف الغمّة ٢: ٤٢، تفسير الصافي ٤: ٩٧(في تفسير سورة القصص).

(٢) كذا في المخطوط ونحوه في تأويل الآيات وفي تفسير البرهان: «وهو نور لاهوتيته الذي بدأ منه» وفي هامشه عن بعض النسخ: «من لاه، أي من الاهيّته، من إنّيته الذي تبدى منه».

وجعل أحدهما نفسه والآخر روحه، لا يقوم واحد بغير صاحبه، ظاهرهما بشريّة وباطنهما لاهوتيّة، ظهروا للخلق على هياكل الناسوتيّة حتّى يطيقون رؤيتهما، وهو قوله: ﴿ **وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ** ﴾[١]؛ فهما مقاما ربّ العالمين وحجابا خالق الخلائق أجمعين، بهما فتح بدو الخلق، وبهما يختم الملك والمقادير.

ثمّ اقتبس من نور محمّد فاطمة عليها السلام ابنته كما اقتبس نور عليّ من نوره، واقتبس من نور فاطمة وعليّ الحسن والحسين كاقتباس المصابيح، هم خلقوا من الأنوار وانتقلوا من ظهر إلى ظهر، وصلب إلى صلب، ومن رحم إلى رحم في الطبقة العليا من غير نجاسة، بل نقلاً بعد نقل، لا من ماء مهين، ولا نطفة جشرة[٢] كسائر خلقه، بل أنوار تنقّلوا[٣] من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهّرات؛ لأنّهم صفوة الصفوة، اصطفاهم لنفسه وجعلهم خُزّان علمه ومبلّغين[٤] عنه إلى خلقه، أقامهم مقام نفسه؛ لأنّه لا يرى ولا يدرك ولا تُعرف كيفيّته، ولا إنّيته، فهؤلاء الناطقون المبلّغون عنه، المتصرّفون في أمره ونهيه، فبهم يُظهر قدرته، ومنهم تُرىٰ آياته ومعجزاته، وبهم ومنهم عرّف عباده نفسه، وبهم يُطاع أمره، ولولاهم ما عرف الله ولا يدرى كيف يعبد الرّحمٰن، فالله يجري أمره كيف يشاء، لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون[٥].

---

(١) الأنعام (٦): ٩.

(٢) في تأويل الآيات الظاهرة والبحار «خشرة» ـ بالخاء المعجمة ـ وما في المتن موافق لما في تفسير البرهان. الجَشَر: وسخ الوَطْب ـ ظرف ـ من اللبن، يقال: وَطْبٌ جَشِرٌ، أي وَسِخ. الصحاح ٢: ٦١٤ «جشر». والخُشارة: الرديء من كلّ شيء. الصحاح ٢: ٦٤٥ «خشر».

(٣) في تأويل الآيات الظاهرة: «انتقلوا».

(٤) في تأويل الآيات الظاهرة وتفسير البرهان: «بُلغاء» وما أثبتناه هو المناسب لسياق الكلام.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٩٧ ـ ٣٩٩ ح ٢٧، وراجع: بحار الأنوار ٣٥: ٢٨ ح ٢٤، تفسير البرهان ٤: ١٩٢ ح ٧٩٦٠.

٩٤٠ ـ ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾[١].

لا شيء من الإمام بغاوٍ بالضرورة، وكلّ غير معصوم غاوٍ بالإمكان، فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن محمّد بن جمهور بإسنادٍ يرفعه إلى أبي عبدالله عليه‌السلام في قوله عزّ وجلّ: «والشعراء يتّبعهم الغاوون»، فقال: من رأيتم من الشعراء يُتَّبَع، إنّما عنى هؤلاء الفقهاء الذين يشعرون قلوب الناس بالباطل، فهم الشعراء الذين يُتَّبَعون[٢].

ويؤيّده ما ذكره في تأويل الآيات الظاهرة: أبو عليّ الطبرسي رحمه‌الله في تفسيره قال: وقيل: إنهم القصّاص [وفي تفسير عليّ بن إبراهيم: إنّهم][٣] الذين يغيّرون دين الله تعالى ويخالفون أمره ولكن هل رأيتم شاعراً اتّبعه أحد؟ إنّما عنى بذلك الذين وضعوا ديناً بآرائهم فتبعهم الناس على ذلك[٤].

وروى العيّاشي بإسناده عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: هم تعلّموا وتفقّهوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا كثيراً، ألم تر أنّهم في كلّ واد يهيمون، أي في كلّ فنّ من الكذب يتكلّمون، وفي لغو يخوضون كالهائم على وجهه في كلّ واد يعنّ له، فالوادي مثل لفنون الكلام، «وإنّهم يقولون ما لا يفعلون» أي يحثّون على أشياء لا يفعلونها

(١) الشعراء (٢٦): ٢٢٤ ـ ٢٢٦.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٩٩ ح ٢٨، وعنه في: تفسير البرهان ٤: ١٩٤ ح ٧٩٦٨.

(٣) ما بين المعقوفتين لم يرد في المخطوط، بل أثبتناه من المصدر.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٩٩ ح ٢٩، وراجع: تفسير مجمع البيان ٧: ٣٥٩.

وينهون عن أشياء يرتكبونها[١].

ويعضده ما ذكره عليّ بن إبراهيم رحمه الله قال: وأمّا قوله: «والشعراء يتّبعهم الغاوون * ألم تر أنّهم في كلّ واد يهيمون * وأنّهم يقولون ما لا يفعلون»، قال أبو عبدالله عليه السلام: نزلت في الذين غيّروا دين الله وتركوا ما أمر الله لكن هل رأيتم شاعراً قطّ تبعه أحد؟ إنّما عنى بهم الذين وضعوا ديناً بآرائهم فتبعهم الناس على ذلك يقولون بأفواههم ما لا يفعلون، ويعظون ولا يتّعظون، وينهون عن المنكر ولا ينتهون، ويأمرون بالمعروف ولا يعملون، وهم الذين حكى الله عنهم في قوله: «ألم تر أنّهم في كلّ واد يهيمون» أي في كلّ مذهبٍ يذهبون، «وأنّهم يقولون ما لا يفعلون».

ثمّ ذكر الذين ظلموهم[٢] هؤلاء الشعراء، فقال: ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا**﴾ وهم أميرالمؤمنين وولده صلوات الله عليهم أجمعين. ثمّ قال: ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ آل محمّد حقّهم ﴿**أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾[٣] كذا نزلت من عند الله في الذين غيّروا دين الله وبدّلوا حكمه، وعطّلوا حدوده، وظلموا آل محمّد حقّهم[٤].

٩٤١ ـ ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[٥].

الاستدلال به على طريق الشكل الثاني، كما مرّ.

---

(١) عن العيّاشي في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٩٩ ـ ٤٠٠ ح ٣٠، تفسير مجمع البيان ٧: ٣٥٩ ـ ٣٦٠.

(٢) في تأويل الآيات: «ظلمهم» وفي هامشه عن بعض النسخ موافق لما في المتن.

(٣) الشعراء (٢٦): ٢٢٧.

(٤) تفسير القمّي ٢: ١٢٥ إلى قوله: كذا نزلت، وعنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٠٠ ح ٣١، تفسير البرهان ٤: ١٩٥ ح ٧٩٧٠، تفسير نور الثقلين ٤: ٧٢ ح ١١٦.

(٥) الشعراء (٢٦): ٢٢٧.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: القمّي: ثمّ ذكر أعداءهم ومن ظلمهم فقال جلّ ذكره: «وسيعلم الذين ظلموا» آل محمّد حقّهم «أيّ منقلب ينقلبون» هكذا والله نزلت[1].

وأُكّد بما ذكرنا ما وجد في سنة ثلاث ومائة بعد الألف في وادٍ بشوشتر حين التنقيب فوجدوا حجراً يشبه اليشم[2] إذا وجّه إلى الشمس ظهر في جوهره أسطر رسم فيها هذه الكلمات، وكان هذا الحجر ادّخر في خزينة السلطان، والقضيّة قد بلغت حدّ التواتر، وهي هذه: «لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، علّيٌ وليّ الله، هذا دم الإمام المظلوم ابن الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام الشهيد بكربلاء، وكتب بدمه على الأرضين والحصى: «وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون».

سورة النمل وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٩٤٢ ـ ﴿طسٓ﴾[3].

إنّه من المتشابهات التي لا يعلمها إلّا الراسخون الباقرون في العلوم الربّانيّة بتخلية الأنوار العقلانيّة عن الأرجاس الهيولانيّة.

وأُكّد بما مرّ.

٩٤٣ ـ ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ءَاللَّهُ﴾[4].

---

(١) تفسير الصافي ٤: ٥٧، وراجع: تفسير القمّي ٢: ١٢٥، تفسير نور الثقلين ٤: ٧٣ ح ١٢٢.

(٢) اليشم: ويقال أيضاً: اليشبُ: وهو حجر معدني، أجوده الزّيتي فالأبيض فالأصفر، وله خواص. تاج العروس ١٧: ٧٧٦ «يشم».

(٣) النمل (٢٧): ١.

(٤) النمل (٢٧): ٥٩.

الإمام من جملة عباده الذين اصطفى لكافّة خلقه؛ لأنّه قال تعالى بإيجاب إطاعته في آية أُولي الأمر فاصطفاه لخلقه، واصطفاء الله سبحانه فليس إلّا الذين طهّرهم من الأدناس والأرجاس، ولأنّ الاصطفاء يقتضي عصمة المصطفين من أوّل عمرهم إلى آخره، فلابدّ أن يكون الإمام معصوماً بإيجاد وصف العصمة في أصل سجيّته لما عرفت من عدم الفرق، وقد مرّ بيان ذلك في قوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ**﴾(١)، ولابدّ أن يكون مورد السلام هم الذين قال الله تعالى: ﴿**أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِمْ**﴾(٢) وهم الأئمّة لما ورد من الطريقين ذلك، ولذلك قال عليّ بن إبراهيم: فهم آل محمّد صلى الله عليه وآله(٣).

٩٤٤ ـ ﴿أَءِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٤).

الاستدلال به على طريق الشكل الثاني ظاهر.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي الجارود، عن أبي جعفر في هذه الآية قال: أي إمام هدى مع إمام ضلال في قرن واحد(٥).

يعني: كما أنّه لا يجوز أن يكون إله مع الله سبحانه، كذلك لا يجوز أن يكون إمام هدى مع إمام ضلال في قرن واحد؛ لأنّ الهدى والضلال لا يجتمعان في زمن من الأزمان، والزمان لا يخلو من إمام هدى من الله يهدي الخلق عرفنا من إمام

---

(١) آل عمران (٣): ٣٣.

(٢) البقرة (٢): ١٥٧.

(٣) تفسير القمّي ٢: ١٢٩، عنه في: تفسير نور الثقلين ٤: ٩٤ ح ٨٩، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٠١ ح ١، بحار الأنوار ٢٣: ٢٢٢ ح ٢٧.

(٤) النمل (٢٧): ٦١.

(٥) تفسير البرهان ٤: ٢٢٣ ح ٨٠٣١ عن تأويل الآيات الظاهرة.

الهدى حتّى نتّبعه[١].

٩٤٥ ـ ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ﴾[٢].

المخاطبون أُمّة محمّد ﷺ بلا خلاف، وجعله سبحانه لهم خلفاء دلّ على عصمتهم؛ لأنّ تعلّقه بغير المعصوم محال؛ لاستلزام عدم الرجحان والرضا بالخطأ، ولو كان المراد خلفاء الجور لدلّ على نفي الاختيار.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن بريدة، قال: قال رسول الله ﷺ وعليّ عليه السلام إلى جنبه: «أمّن يُجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض»، قال: فانتفض عليّ عليه السلام انتفاض العصفور، فقال له النبيّ ﷺ: لِمَ تجزع[٣] يا عليّ؟ فقال: ألا أجزع وأنت تقول: «ويجعلكم خلفاء الأرض»؟ قال: لا تجزع فوالله لا يبغضك مؤمن ولا يحبّك كافر[٤].

وعن عمران بن حصين قال: كنت جالساً عند النبيّ ﷺ وعليّ عليه السلام إلى جنبه إذ قرأ النبيّ ﷺ: «أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض»، قال: فارتعد عليّ عليه السلام، فضرب النبيّ ﷺ بيده على كتفه وقال: ما لك يا

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٠١ ح٢.

(٢) النمل (٢٧): ٦٢.

(٣) في بعض المصادر: «ما شأنك تجزع» كما في أمالي المفيد. ولاحظ: هامش المصدر المذكور في الاحتمال المتصوّر في انتفاض الإمام عليه السلام عند استماعه لذكر الخلافة.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٠١ ـ ٤٠٢ ح٣، ورواه أيضاً الشيخ المفيد في: أماليه: ٢٠٧ ح٥ المجلس السادس والثلاثون، والشيخ الطوسي في: أماليه: ٧٧ ـ ٧٨ ح١١٢/٢١ المجلس الثالث، والمجلسي في: البحار ٣٩: ٢٦٦ ح٣٩ عن أمالي المفيد، وفي البحار أيضاً ٤١: ١٣ ح٢ عن أمالي الشيخ الطوسي، وكذلك رواه البحراني في: تفسير البرهان ٤: ٢٢٤ ح٨٠٣٣.

عليّ؟ فقال: يا رسول الله، قرأت هذه الآية فخشيت أن نبتلي بها فأصابني ما رأيت. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، لا يحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق إلى يوم القيامة(١).

وجاء في تأويل آخر أنّ المضطرّ هو القائم عليه السلام(٢).

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ القائم إذا خرج دخل المسجد الحرام فيستقبل الكعبة(٣) ويجعل ظهره المقام ثمّ يصلّي ركعتين، ثمّ يقوم فيقول: أيّها الناس أنا أولى الناس بآدم، أيّها الناس أنا أولى الناس بإبراهيم، أيّها الناس أنا أولى الناس بإسماعيل، أيّها الناس أنا أولى الناس بمحمّد صلى الله عليه وآله، ثمّ يرفع يديه إلى السماء فيدعوا ويتضرّع حتّى يقع على وجهه، وهو قوله عزّ وجلّ: «أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ءإله مع الله قليلاً ما تذكّرون»(٤).

وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «أمّن يجيب المضطرّ إذا دعاه»، قال: هذه نزلت في القائم عليه السلام إذا خرج تعمّم، وصلّى عند المقام، وتضرّع إلى ربّه، فلا تُردّ له راية أبداً(٥).

٩٤٦ - ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ [إلى قوله:] ﴿إِلَّا فِي

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٠٢ ح٤، عنه في: بحار الأنوار ٣٩: ٢٨٦ ح٧٩، تفسير البرهان ٤: ٢٢٤ ح٨٠٣٤.

(٢) راجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٠٢ ذيل الحديث ٤.

(٣) في تفسير البرهان: «القبلة» بدل «الكعبة».

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٠٢ - ٤٠٣ ح٥، عنه في: بحار الأنوار ٥١: ٥٩ ح٥٦، تفسير البرهان ٤: ٢٢٤ - ٢٢٥ ح٨٠٣٥.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٠٣ ح٦، وراجع: بحار الأنوار ٥١: ٥٩ ح٥٥، تفسير البرهان ٤: ٢٢٥ ح٨٠٣٦.

كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[١].

والرحمة العظمى هو الإمام، فلو لم يكن معصوماً لكان غير رحمة، هذا خلف، ولو كان بالاختيار لما كان فضلاً منه تعالى ومع أنّه من فضله تقدّم جواز التصدير منه إلى غير الأهم، واستخراج ذلك في الكتاب من الكتاب لا يمكن إلّا من كان عنده علم الكتاب، وهو ليس إلّا المعصوم.

وأُيّد بما في الكافي عن الكاظم عليه السلام في حديث: وإنّ في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر[٢] إلّا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله ممّا كتبه الماضون، جعله الله لنا في أُمّ الكتاب، إنّ الله يقول: **﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ ﴾** الآية، ثمّ قال: **﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾**[٣] فنحن الذين اصطفانا الله وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كلّ شيء[٤].

٩٤٧ ـ ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾[٥].

فيه تحذير عن عدم الإيقان بالآيات التي لابدّ من العلم بها، واليقين لا يتحقّق بعده صلى الله عليه وآله إلّا بقول المعصوم، فلو لم يكن لزم الحجّة للمكلّفين وعليه تعالى، وقد قال تعالى: **﴿ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾**[٦].

---

(١) النمل (٢٧): ٧٣ ـ ٧٥.

(٢) في المخطوط: «الأمر» وما أثبتناه من المصادر.

(٣) فاطر (٣٥): ٣٢.

(٤) الكافي ١: ٢٢٦ ذيل الحديث ٧ كتاب الحجّة ـ باب أنّ الأئمّة ورثوا علم النبي صلى الله عليه وآله وجميع الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٧٣.

(٥) النمل (٢٧): ٨٢.

(٦) الأنعام (٦): ١٤٩.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي عبدالله الجدلي، قال: دخلت على عليّ عليه السلام يوماً فقال: أنا دابّة الأرض[١].

وعن جابر بن يزيد عن أبي عبدالله الجدلي، قال: دخلت على عليّ بن أبي طالب فقال: ألا أُحدّثك ـ ثلاثاً ـ قبل أن يدخل علَيّ وعليك داخل؟ قلت: بلى. قال: أنا عبد الله وأنا دابّة الأرض صدقها وعدلها، وأخو نبيّها، ألا أُخبرك بأنف المهدي وعينيه؟ قال: قلت: بلى. قال: فضرب بيده إلى صدره وقال: أنا[٢].

وعن سعد بن ظريف عن الأصبغ بن نباتة، قال: دخلت على أميرالمؤمنين عليه السلام وهو يأكل خبزاً وزيتاً، فقلت: يا أميرالمؤمنين، قال الله عزّ وجلّ: «وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابّة من الأرض تكلّمهم أنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون»، فما هذه الدابّة؟ قال: هي دابّة تأكل خبزاً وخلّاً وزيتاً[٣].

وأيضاً عن الأصبغ بن نباتة، قال: قال لي معاوية: يا معشر الشيعة، تزعمون أنّ عليّاً دابّة الأرض. فقلت: نحن نقول واليهود يقولون. قال: فأرسل إلى رأس الجالوت فقال له: ويحك! تجدون دابّة الأرض عندكم مكتوبة؟ فقال: نعم. قال: فما هي أتدري ما اسمها؟ قال: إيليا. فالتفت إليّ فقال: ويحك يا أصبغ، ما أقرب إيليا من عليّاً[٤].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٠٣ ـ ٤٠٤ ح٧، عنه في: بحار الأنوار ٣٩: ٢٤٣ صدر الحديث ٢٢، تفسير البرهان ٤: ٢٢٩ ح٨٠٤٦.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٠٤ ح٨، عنه في: بحار الأنوار ٣٩: ٢٤٣ ضمن حديث ٣٢ وأخرجه المجلسي في ٥٣: ١١٠ ح ٤، تفسير البرهان ٤: ٢٢٩ ح٨٠٤٧.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٠٤ ح٩، عنه في: بحار الأنوار ٥٣: ١١٢ ح ١١، تفسير البرهان ٤: ٢٣٠ ح٨٠٥٢.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٠٤ـ٤٠٥ ح ١٠، وراجع: بحار الأنوار ٥٣: ١١٢ ح ١٢، تفسير البرهان ٤: ٢٣٠ ح٨٠٥٣، تفسير الصافي ٤: ٧٤.

وقال عليّ بن إبراهيم رحمه الله: وأمّا قوله: «وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابّة من الأرض تكلّمهم أنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون» فإنّه روي في الخبر أنّها نزلت في أميرالمؤمنين عليه السلام، فروي أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله انتهى إلى أميرالمؤمنين عليه السلام وهو راقد في المسجد قد جمع رملاً ووضع رأسه عليه، فحرّكه رسول الله صلى الله عليه وآله برجله، وقال: قم يا دابّة الله[1]. فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله، أيسمّي بعضنا بعضاً بهذا الاسم؟ فقال: لا والله ما هي إلّا له خاصّة، وهو الدابّة التي ذكرها الله في كتابه وهو قوله عزّ و جلّ: «وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابّة من الأرض تكلّمهم أنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون». ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، إذا كان آخر الزمان أخرجك الله في أحسن صورة ومعك مِيْسَم[2] فتَسِم به أعداءك؛ فليس هذا الاسم إلّا لعليّ.

قال: وروي في الخبر أنّ رجلاً قال لأبي عبدالله: بلغني أنّ العامّة يقرؤون هذه الآية هكذا: «تَكْلِمُهُم» أي تجرحهم[3]، فقال: كلمهم الله في نار جهنّم، ما نزلت إلّا تكلّمهم[4] من الكلام[5].

وقال الطبرسي رحمه الله: تكلّمهم بما يسوؤهم وهو أنّهم يصيرون إلى النار بلسان يفهمونه، وقيل: تحدّثهم بأنّ هذا مؤمن وهذا كافر، وقيل: تكلّمهم بأن تقول لهم:

---

(١) في تأويل الآيات الظاهرة وتفسير البرهان: «يا دابّة الأرض».

(٢) الميسم: الحديدة أو الآلة التي يوسم بها. انظر: لسان العرب ١٣: ٦٣٦ «وسم».

(٣) الكَلْم: الجُرح. لسان العرب ١٢: ٥٢٥ «كلم».

(٤) في تفسير القمّي والبرهان: «يكلّمهم».

(٥) تفسير القمّي ٢: ١٣٠ مع اختلاف قليل، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٠٦ ـ ٤٠٧ ح ١١ و١٢، بحار الأنوار ٣٩: ٢٤٣ ح ٣١، تفسير البرهان ٤: ٢٢٨ ح ٨٠٤٣، تفسير الصافي ٤: ٧٤، تفسير نور الثقلين ٤: ٩٨ ح ٤.

إنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، والآيات هو كلام الدابّة وخروجها[١].

وهذا التأويل يدلّ على أنّ أميرالمؤمنين عليه‌السلام يرجع إلى الدنيا، إمّا عند ظهور القائم عليه‌السلام أو قبله أو بعده، وقد ورد بذلك أخبار ودلّت عليه آثار، وعلى الرجعة وصحّتها[٢].

قوله سبحانه: ﴿ **وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ** ﴾[٣].

قال أبو علي الطبرسي قدّس الله روحه: قوله: «يوزعون» أي يدفعون، وقيل: يحبس أوّلهم على آخرهم، واستدلّ بهذه الآية على صحّة الرجعة من ذهب إلى ذلك من الإماميّة بأن قال: إنّ دخول «من» في الكلام يوجب التبعيض فدلّ ذلك على أنّ اليوم المشار إليه في الآية يحشر فيه قوم دون قوم ليس ذلك صفة يوم القيامة الذي يقوله فيه سبحانه: ﴿ **وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا** ﴾[٤].

وقد تظاهرت الأخبار[٥] عن أئمّة الهدى من آل محمّد عليهم‌السلام أنّ الله تعالى سيعيد عند قيام المهدي ـ عجّل الله فرجه ـ قوماً ممّن تقدّم موتهم من أوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ويبتهجوا بظهور دولته، ويعيد قوماً من أعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقّونه من العقاب في القتل على أيدي شيعته أو

---

(١) تفسير مجمع البيان ٧: ٤٠٥، وعنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٠٨ ح١٢.

(٢) راجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٠٨ ذيل الحديث ١١.

(٣) النمل (٢٧): ٨٣.

(٤) الكهف (١٨): ٤٧.

(٥) راجع ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ كتاب الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة للمحدّث الحرّ العاملي، لقد تعرّض بالتفصيل إلى الاستدلال على صحّة الرجعة وإمكانها، وذكر الآيات الدالّة على ذلك، وأيضاً تعرّض إلى ذكر الروايات الواردة في المقام.

الذلّ والخزي لما يشاهدون من علوّ كلمته، ولا يشكّ عاقل أنّ هـذا مـقدور لله تعالى، غير مستحيل في نفسه وقد فعل الله ذلك في الأُمم الخالية[١]، ونطق القرآن في عدّة مواضع بذلك مثل قصّة عزير وغيره على ما فسّرناه[٢].

وصحّ عن النبيّ ﷺ قوله: سيكون في أُمّتي كلّ ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذّه بالقذّة[٣] حتّى لو أنّ أحدهم لدخل جحر ضبّ لدخلتموه[٤]؛ هذا لفظه[٥].

قال عليّ بن إبراهيم رحمه الله: وأمّا قوله: «ويوم نحشر من كلّ أُمّة فوجاً» فإنّها نزلت في الرجعة، فقال رجل لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ العامّة يزعمون أنّ هذا يوم القـيامة، فقال أبو عبدالله عليه السلام: كذبوا إنّما ذلك في الرجعة، وأمّا آية القـيامة قـوله تـعالى: ﴿ **وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا** ﴾[٦] فأين هذا من قوله: «ويوم نحشر من كلّ أُمّة فوجاً» لأنّ الله لا يردّ إلى الدنيا إلّا من مَحَض[٧] بالإيمان مَحْضاً، أو مَـحَض

---

(١) راجع: الإيقاظ من الهجعة: ١١٢ وما بعدها، الباب الخامس في إثبات الرجعة التي قد وقعت في الأُمم السابقة.

(٢) راجع: تفسير مجمع البيان في تفسير سورة البقرة.

(٣) القُذّة بالضم والتشديد: ريش السهم، والجمع قُذَذ و «حذو القُذّة بالقُذّة» أي كما يقدر كلّ منها على قدر صاحبتها وتقطع، ضرب مثلاً للشيئين يستويان ولا يتفاوتان. مجمع البحرين ٣: ١٨٦ «قذذ».

(٤) تفسير مجمع البيان ٧: ٤٠٥، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٠٨ ـ ٤٠٩ ح ١٢، تـفسير نـور الثقلين ٤: ١٠٠ ح ١١٤، تفسير الصافي ٤: ٧٦، بحار الأنوار ٥٣: ١٢٦ ـ ١٢٧ وانظر: الإيقاظ من الهجرة: ١٠٧، ١٠٨ الأحاديث: السابع عشر، الثامن عشر، التاسع عشر.

(٥) راجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٠٩.

(٦) الكهف (١٨): ٤٧.

(٧) المحض من كلّ شيء: الخالص. قال الأزهري: كلّ شيء خَلَصَ لا يشُوبه شـيء يُـخالطه فـهو محض. لسان العرب ٧: ٢٢٧ «محض».

بالكفر مَحْضاً، وكذلك كلّ قرية أهلكها الله تعالى بعذاب لا ترجع إلى الدنيا؛ لأنّ الله قال: ﴿ **وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاها أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** ﴾[١].[٢]

وعن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «ويوم نحشر من كُلّ اُمّة فوجاً»، قال: ليس أحد منهم من المؤمنين قُتل إلّا سيرجع حتّى يموت، ولا أحد من المؤمنين مات إلّا ويرجع حتّى يُقتل[٣].

وهذه واضحة، وأقاويل راجحة على صحّة الرجعة.

وفي تفسير الصافي: أقول: وقد صنّف الحسن بن سليمان الحلّي طاب ثراه كتاباً في فضائل أهل البيت عليهم السلام أورد فيه أخباراً كثيرة في إثبات الرجعة وتفاصيل أحوالها، وذكر فيه أنّ الدابّة أميرالمؤمنين عليه السلام في أخبار كثيرة متوافقة المعاني ونقل أكثرها من كتاب سعد بن عبدالله المسمّى بمختصر البصائر، ولنورد هنا من كتابه حديثاً واحداً ومن أراد سائرها فليرجع إليه:

وهو ما رواه عن الأصبغ بن نباتة أنّ عبدالله الكوّا اليشكري قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أميرالمؤمنين، إنّ ناساً من أصحابك يزعمون أنّهم يردّون بعد الموت. فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: نعم، تكلّم بما سمعت ولا تزد في الكلام ممّا قلت لهم، قال: قلت: لا اُومن بشيء ممّا قلتم.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: ويلك، إنّ الله عزّ وجلّ ابتلى قوماً بما كان من ذنوبهم

---

(١) الأنبياء (٢١): ٩٥.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٠٩ ح١٤، وانظر: تفسير القمّي ٢: ١٣١ و١: ٢٤ مع اختلاف، تفسير البرهان ٤: ٢٢٨ ح٨٠٤٥.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٠٩ ح١٥، وانظر: تفسير القمّي ٢: ٣٦ و١٣١، وعنه في: تفسير البرهان ٤: ٢٣١ ح٨٠٥٧.

فأماتهم قبل آجالهم التي سمّيت لهم ثمّ ردّهم إلى الدنيا ليستوفوا أرزاقهم ثمّ أماتهم بعد ذلك.

قال: فكبر على ابن الكوّا ولم يهتد له، فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: ويلك! تعلم أنّ الله قال في كتابه: ﴿ **وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا** ﴾[1]، فانطلق بهم معه ليشهدوا له إذا رجعوا عند الملأ من بني إسرائيل أنّ ربّي قد كلّمني، فلو أنّهم أسلموا ذلك وصدقوا به لكان خيراً لهم ولكنّهم قالوا لموسى: لن نؤمن لك حتّى نرى الله جهرة، قال الله تعالى: ﴿ **فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾[2]، أفترى يابن الكوّا أنّ هؤلاء قد رجعوا إلى منازلهم بعدما ماتوا؟

فقال ابن الكوّا: وما ذاك؟ ثمّ أماتهم مكانهم.

فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: ويلك! أوليس قد أخبرك الله في كتابه حيث يقول: ﴿ **وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ** ﴾[3] فهذا بعد الموت إذ بعثهم. وأيضاً مثلهم يابن الكوّا الملأ من بني إسرائيل حيث يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ** ﴾[4]، وقوله عزّ وجلّ في عزير حيث أخبر الله عزّ وجلّ فقال: ﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا**

---

(١) الأعراف (٧): ١٥٥.

(٢) البقرة (٢): ٥٥ و٥٦.

(٣) البقرة (٢): ٥٧.

(٤) البقرة (٢): ٢٤٣.

فَأَمَاتَهُ اللَّهُ ﴾ وأخذه بذلك الذنب ﴿ **مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ** ﴾ وردّه إلى الدنيا فـ﴿ **قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ** ﴾[١] فلا تشكّ يابن الكوّا في قدرة الله عزّ وجلّ[٢].

٩٤٨ ـ ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُم مِن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ * وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٣].

فيه حثّ وتحذير، وهو لا يجوز إلّا بتعليم الأوامر والنواهي بحيث يحصل العلم للمكلّف، وهو عامّ في كلّ عصر بالإجماع، وهذا لا يحصل إلّا من المعصوم، ولأنّ دفع الضرر المظنون واجب وهو ليس بمثله مع أنّه لا يتيسّر في الجميع بدون المعصوم، ولو تيسّر فهو منهيّ عنه، فإنّ النهي عن الظنّ في الآيات كثير، فيجب وجود معصوم، وليس هو بعده إلّا الإمام، فيجب عصمته.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي عبدالله الجدلي، قال: قال لي أميرالمؤمنين عليه السلام: يا أباعبدالله، هل تدري ما الحسنة التي من جاء بها هُم من فزع يومئذٍ آمنون، ومن جاء بالسيّئة فكُبّت وجوههم في النار؟ قلت: لا. قال: الحسنة مودّتنا أهل البيت، والسيّئة عداوتنا أهل البيت[٤].

وعن أبي عبدالله الجدلي، قال: قال لي أميرالمؤمنين عليه السلام: ألا أُخبرك بالحسنة التي من جاء بها أمن من فزع يوم القيامة، والسيّئة [التي] من جاء بها كُبّ على

---

(١) البقرة (٢): ٢٥٩.
(٢) تفسير الصافي ٤: ٧٦ ـ ٧٧، وراجع: بحار الأنوار ٥٣: ٧٢ ـ ٧٣ ح ٧٢.
(٣) النمل (٢٧): ٨٩ و ٩٠.
(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤١٠ ح ١٦، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٤١ ح ٢، تفسير البرهان ٤: ٢٣٣ ـ ٢٣٤ ح ٨٠٦٧.

وجهه في نار جهنّم؟ قلت: بلى قال: الحسنة حُبّنا أهل البيت، والسيّئة بُغضنا أهل البيت[١].

وعن عمّار الساباطي، قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام وسأله عبدالله بن أبي يعفور عن قول الله عزّ وجلّ: «من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذٍ آمنون»، فقال: وهل تدري ما الحسنة؟ إنّما الحسنة معرفة الإمام وطاعته، وطاعته من طاعة الله[٢].

وعن جابر الجعفي أنّه سأل أبا جعفر عن قول الله عزّ وجلّ: «من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذٍ آمنون * ومن جاء بالسيّئة فكبّت وجوههم في النار»، قال: الحسنة ولاية عليّ، والسيّئة عداوته وبغضه[٣].

وعن عمّار الساباطي، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّ أبا أُميّة يوسف بن ثابت حدّث عنك أنّك قلت: لا يضرّ مع الإيمان عمل، ولا ينفع مع الكفر عمل! فقال: إنّه لم يسألني أبو أُميّة عن تفسيره إنّما عَنيتُ بهذا أنّه من عرف الإمام من آل محمّد وتولّاه ثمّ عمل لنفسه ما شاء من عمل الخير قبل منه ذلك، وضوعف له أضعافاً كثيرة، وانتفع بأعمال الخير مع المعرفة، فهذا ما عَنَيتُ بذلك، وكذلك لا يقبل الله من العباد الأعمال الصالحة التي يعملونها إذا تولّوا الإمام الجائر الذي ليس من الله تعالى.

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤١٠ ح١٦، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٤١ ح٢، تفسير البرهان ٤: ٢٣٤ ح٨٠٦٨، ورواه أيضاً الحاكم الحسكاني في: شواهد التنزيل ١: ٤٢٦ ح٥٨٢.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤١١ ح١٨، راجع: بحار الأنوار ٢٤: ٤٢ ح٤، تفسير البرهان ٤: ٢٣٤ ح٨٠٦٩.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤١١ ح٢٠، وعنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٤٢ ح٦، تفسير البرهان ٤: ٣٤، ح٨٠٧١.

فقال له عبدالله بن أبي يعفور: أليس الله تعالى قال: «من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذٍ آمنون»، فكيف لا ينفع العمل الصالح لمن يوالي أئمّة الجور؟ فقال له أبو عبدالله عليه السلام: أتدري ما الحسنة التي عناها الله تعالى في هذه الآية؟ هي معرفة الإمام وطاعته، وقد قال تعالى: «ومن جاء بالسيّئة فكُبّت وجوههم في النار هل تُجزَون إلّا ما كنتم تعملون»، وإنّما أراد بالسيّئة إنكار الإمام الذي هو من الله تعالى.

ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام: من جاء يوم القيامة بولاية إمام جائر ليس من الله تعالى وجاءه منكراً لحقّنا وجاحداً لولايتنا، أكبّه الله تعالى يوم القيامة في النار[١].

وعن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ، لو أنّ أُمّتي صاموا حتّى صاروا كالأوتاد[٢]، وصلّوا حتّى صاروا كالحنايا، ثمّ أبغضوك لأكبّهم الله على مناخرهم في النار[٣].

فاعتبروا يا أُولي الأبصار بما تضمّنته هذه السورة من الأخبار في الأخيار صلّى الله عليهم صلاة تتعاقب عليهم تعاقب الأعصار، وتتكرّر عليهم تكرار الليل والنهار، إنّه الملك الجبّار، العزيز الغفّار[٤].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤١١ ح ٢١، وراجع: الأمالي للشيخ الطوسي: ٤١٨ ح ٨٧/٩٣٩، عنه في: بحار الأنوار ٢٧: ١٧٠ ح ١١، تفسير البرهان ٤: ٢٣٣ ح ٨٠٦٦، تفسير نور الثقلين ٤: ١٠٤ ح ١٣٠.

(٢) في المخطوط وتأويل الآيات: «كالأوتار»، وما أثبتناه من بقيّة المصادر.

(٣) شواهد التنزيل ١: ٤٢٦ ـ ٤٢٧ ح ٥٨٣، وراجع أيضاً: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤١٢ ح ٢٢، تفسير مجمع البيان ٧: ٤١٠، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٤٢: ٦٤ ط. دار الفكر ـ بيروت.

(٤) راجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤١٣.

سورة القصص وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٩٤٩ـ ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾[(١)].

هذا الكلام تعلّق ببني إسرائيل، ولا ريب في تحقّق هذا الجعل منه تعالى، وإنّهم صاروا بجعله سبحانه أئمّة ووارثين في الأرض مسمّاً على القول بالذي جعل إرادته تعالى علّة لحصول المراد على ما هو قول المعصوم، فتمّ ذلك الإلزام والعيان، ولو عمّ واختصّ بشأن أئمّتنا فأظهر، وقد ركز في العقلْ المؤكّد بالنقل بطلان ترجيح أحد المتساويين في فعله جلّ وعزّ مع استواء المقتضي ورفع المانع في الجميع، كيف وأنّه لو لم يكن لما كان أمر الإمامة واجباً، وهو خلاف إجماع الكلّ، فيجب بذلك جعل الأئمّة أئمّة، بجعله وأمره سبحانه على سنن ما سلف؛ ليكون الخلف على طريق السبق على ما دلّ عليه قوله: ﴿ **لَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا** ﴾[(٢)]، وقوله صلى الله عليه وآله على نحو ما تواتر منهم ومنّا: «إنّ كلّ ما في السابق هو في اللّاحق حذو النعل بالنعل»[(٣)]، وبه بطل القول بالاختيار في الأئمّة.

ومن إسناد الجعل إلى نفسه جلّ وعزّ مع خصوصيّة تعلّق الجعل بالمواد المخصوصة يستلزم عصمة المجعول؛ لاستحالة ترجيح المرجوح، وحكمه تعالى بتحكيم المخطئ، وبهذا أيضاً لو لم يكن الإمام في اللّاحق معصوماً لزم المحال المذكور.

---

(١) القصص (٢٨): ٥.

(٢) الأحزاب (٣٣): ٦٢.

(٣) تقدّم قبل قليل الإشارة إليه من قِبَل المصنّف، فراجع.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة فقال: المعنى أنّ هذا الكلام يتعلّق ببني إسرائيل، والباطن وأنّ المعنيّ به آل محمّد صلى الله عليه وآله، يدلّ على ذلك قوله تعالى: «ونجعلهم أئمّة» أي قادة ورؤساء يقتدي بهم الناس في الخير، ويكون بعضهم حكّاماً يحكمون بين الناس بالعدل والإنصاف، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، والله تعالى لا يجعل أئمّة وحكّاماً يحكمون بالظلم والعدوان كما فعل بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام، والإمام الذي يكون من قِبَل الله سبحانه تجب طاعته، ولا تجب طاعة غير المعصوم، وبنو إسرائيل لم يكن فيهم معصوم غير موسى وهارون وليسا من الذين استضعفوا لقوله تعالى: ﴿**فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ**﴾[١]، فلم يبق إلّا أن يكون المراد بهذا آل محمّد[٢]. وبذلك جاءت أخبار:

منها: ما رواه محمّد بن العبّاس رحمه الله بإسناده عن ربيعة بن ناجد، قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول في هذه الآية وقرأها قوله: «ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض»، وقال: لتعطفنّ هذه الدنيا على أهل البيت، كما تَعْطِف الضَّروس[٣] على ولدها[٤].

وعن أبي صالح عن عليّ عليه السلام كذا قال في قوله عزّ وجلّ: «ونريد» الآية، والذي

---

(١) القصص (٢٨): ٣٥.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤١٣.

(٣) الضَّروس: كصبور: الناقة السيّئة الخُلق، وقيل: ناقةٌ ضروس هي التي تعضّ حالبها، وقيل هي الناقة العُضُوضُ لِتَذُبَّ عن ولدها. تاج العروس ٨: ٣٣٤ «ضرس». وسيأتي في المتن الإشارة إلى أحد معانيه أيضاً.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤١٣ ـ ٤١٤ ح ١، وراجع: بحار الأنوار ٢٤: ١٧٠ ح ٥، تفسير البرهان ٤: ٢٥٣ ح ٨٠٩٧، ورواه أيضاً الحاكم الحسكاني في: شواهد التنزيل ١: ٤٣١ ح ٥٩٠.

فلق الحبّة وبرأ النسمة، لتعطفنّ علينا هذه الدنيا، كما تعطف الضَّروس على ولدها(١).

والضّروس الناقة يموت ولدها، أو يُذبح، فيُحشىٰ جلده فتدنو منه وتعطف عليه(٢).

وقال الطبرسي رحمه الله: روى العيّاشي بالإسناد عن أبي الصباح الكناني، قال: نظر أبو جعفر عليه السلام إلى أبي عبدالله صلوات الله عليه فقال: هذا والله من الذين قال الله: «ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض»(٣).

وقال سيّد العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام: والذي بعث محمّداً بالحقّ بشيراً ونذيراً إنّ الأبرار منّا أهل البيت وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته، وإنّ عدوّنا وشيعتهم بمنزلة فرعون وأشياعه(٤).

ويؤيّد ذلك ما ذكره عليّ بن إبراهيم رحمه الله وهو من محاسن التأويل، قال: روي في الخبر، انّ الله تبارك وتعالى أحبّ أن يخبر رسوله صلى الله عليه وآله بخبر فرعون، فقال: ﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِى نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾(٥)، ثمّ انقطع خبر موسى، وعطف على أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله، فقال: «ونريد أن نمنّ» الآية إلى قوله: ﴿ **وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى**

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤١٤ ح ٢، وراجع: تفسير البرهان ٤: ٢٥٣ ـ ٢٥٤ ح ٨٠٩٨، بحار الأنوار ٢٤: ١٧٠ ح ٦، ورواه أيضاً الحاكم الحسكاني في: شواهد التنزيل ١: ٤٣١ ح ٥٩١ مع اختلاف قليل.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤١٤.

(٣) تفسير مجمع البيان ٧: ٤١٤، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤١٤ ح ٣، تفسير البرهان ٤: ٢٥١ ح ٨٠٩٤.

(٤) تفسير مجمع البيان ٧: ٤١٤، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤١٤ ح ٤، بحار الأنوار ٢٤: ١٦٧، تفسير البرهان ٤: ٢٥٢ ح ٨٠٩٥.

(٥) القصص (٢٨): ٤.

﴿الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[1]، فلمّا قال «منهم» علمنا أنّه عنى آل محمّد صلى الله عليه وآله إذا أمكن الله لهم في الأرض، وأمّا قوله: «ونري فرعون وهامان وجنودهما» يعني الذين غصبوا آل محمّد حقّهم، وهو مثل قول أميرالمؤمنين في خطبته يوم بويع له: ألا وقد أهلك الله فرعون وهامان، وخسف بقارون.

وإنّما أخبر الله رسوله أنّ ذريّتك يصيبهم الفتن والشدّة في آخر الزمان من عدوّهم كما أصاب موسى وبني إسرائيل من فرعون، ثمّ يظهر أمرهم على أيدي رجل من أهل بيتك تكون قصّته كقصّة موسى، ويكون بين الناس ولا يعرف حتّى أذن الله له، وهو قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[2].[3]

وأيّد ما ذكرنا قوله تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾[4].

وفي تأويل الآيات الظاهرة في تأويله عن أنس بن مالك قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله [مصدّقاً إلى قوم فعدَوا على المُصدّق فقتلوه، فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله] فبعث إليهم عليّاً عليه السلام فقتل المُقاتلة وسبى الذريّة، فلمّا بلغ عليّ عليه السلام أدنى المدينة تلقّاه رسول الله صلى الله عليه وآله والتزمه وقبّل ما بين عينيه، وقال: بأبي أنت وأُمّي من شدّ الله به عضدي كما شدّ عضد موسى بهارون[5].

---

(١) القصص (٢٨): ٦.

(٢) الحجّ (٢٢): ٣٩.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤١٤ ـ ٤١٥ ح٥، وراجع: تفسير القمّي ٢: ١٣٤ مع اختلاف، بحار الأنوار ٢٤: ١٦٨ ح٣.

(٤) القصص (٢٨): ٣٥.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤١٥ ـ ٤١٦ ح٦، عنه في: تفسير البرهان ٤: ٢٦٥ ح ٨١٢٠ وما بين المعقوفتين من المصادر.

وأُيّد أيضاً بما روي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ﴾ إلى قوله: ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[١] عن الضحّاك عن ابن عبّاس في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ قال: بالخلافة ليوشع بن نون من بعده. ثمّ قال الله: لن أدع نبيّاً من غير وصيّ وأنا باعث نبيّاً عربيّاً وجاعل وصيّه عليّاً فذلك قوله: «وما كنت بجانب الغربيّ إذ قضينا إلى موسى الأمر» في الوصاية وحدّثه بما هو كائن بعده. قال ابن عبّاس: وحدّث الله نبيّه صلى الله عليه وآله بما هو كائن، وحدّثه باختلاف هذه الأُمّة من بعده؛ فمن زعم أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مات بغير وصيّة فقد كذب على الله عزّ وجلّ وعلى نبيّه صلى الله عليه وآله[٢].

وجاء في تفسير أهل البيت صلوات الله عليهم قال: روى بعض أصحابنا عن سعيد بن الخطّاب حديثاً إلى أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «وما كنت بجانب الغربيّ إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين».

قال أبو عبدالله عليه السلام: وإنّما هي: أو ما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين[٣].

قال أبو عبدالله عليه السلام في بعض رسائله: ليس موقف أوقف الله سبحانه نبيّه فيه ليشهده ويستشهده إلّا ومعه أخوه وقرينه وابن عمّه ووصيّه ويؤخذ ميثاقيهما معاً.

---

(١) القصص (٢٨): ٤٤.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤١٦ ح٧، عنه في: بحار الأنوار ٢٦: ٢٩٥ ح٥٨، تفسير البرهان ٤: ٢٦٧ ـ ٢٦٨ ح٨١٢٨.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤١٧ ح٨، عنه في: بحار الأنوار ٢٦: ٢٩٦ ح٥٩، تفسير البرهان ٤: ٢٦٨ ح٨١٢٩.

صلوات الله عليهما وعلى ذريّتهما الطيّبين دائمة في كلّ أوان وحين(١).

٩٥٠ ـ ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِن رَّبِّكَ﴾(٢).

وروى بإسناده عن أبي سعيد المدائني، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «وما كنت بجانب الطور إذ نادينا»، قال: كتاب كتبه الله عزّ وجلّ في ورقة أثبته فيها(٣) قبل أن يخلق الخلق بألفي عام فيها مكتوب: يا شيعة آل محمّد، أعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني، من أتى منكم بولاية محمّد وآل محمّد أسكنته جنّتي برحمتي(٤).

وعن الفضل بن شاذان يرفعه إلى سليمان الديلمي [عن] مولانا جعفر بن محمّد عليهما السلام، قال: قلت لسيّدي أبي عبدالله عليه السلام: ما معنى قول الله عزّ وجلّ: «وما كنت بجانب الطور إذ نادينا»، قال: كتاب كتبه الله عزّ وجلّ قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورقة آسٍ، فوضعها على العرش.

فقلت: يا سيّدي، وما في ذلك الكتاب؟

قال: في الكتاب مكتوب: يا شيعة آل محمّد، أعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن تعصوني، وعفوت عنكم قبل أن تذنبوا، من جاءني بالولاية

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤١٧ ح ٩، عنه في: بحار الأنوار ٢٦: ٢٩٦ ح ٦٠، تفسير البرهان ٤: ٢٦٨ ح ٨١٣٠.

(٢) القصص (٢٨): ٤٦.

(٣) في تأويل الآيات الظاهرة والبحار: «ورقة آس» بدل «أثبته فيها» وفي هامش المصدر عن بعض النسخ كما في المتن.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤١٧ ح ١٠، عنه في: تفسير البرهان ٤: ٢٦٨ ح ٨١٣١، بحار الأنوار ٢٦: ٢٩٦ ح ٦١ عن تأويل الآيات الظاهرة، وفي بحار الأنوار ٢٤: ٢٦٦ ح ٣٠ عن تفسير فرات الكوفي، وراجع: كنز جامع الفوائد ١: ٣٩٠ ح ٤٢٩.

أسكنته جنّتي برحمتي[1].

وجاء في تفسير مولانا أبي محمّد العسكري عليه السلام تأويل حسن، وهو: قال الإمام عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا بعث الله موسى بن عمران واصطفاه نجيّاً، وفلق له البحر فنجّى بني إسرائيل، وأعطاه التوراة والألواح، رأى مكانه من ربّه عزّ وجلّ، فقال: يا ربّ، قد أكرمتني بكرامة لم تكرم بها أحداً قبلي.

فقال الله تعالى: يا موسى، أما علمت أنّ محمّداً أفضل عندي من جميع ملائكتي وخلقي.

فقال موسى: يا ربّ، فإن كان محمّداً أكرم[2] عندك من جميع خلقك، فهل في آل الأنبياء أكرم من آلي؟

قال الله عزّ وجلّ: يا موسى، أما علمت أنّ فضل آل محمّد على جميع آل النبيّين كفضل محمّد على جميع المرسلين.

فقال: يا ربّ، فإن كان آل محمّد عندك كذلك، فهل في صحابة الأنبياء أكرم عندك من صحابتي؟

قال الله عزّ وجلّ: أما علمت يا موسى أنّ فضل صحابة محمّد على جميع صحابة المرسلين كفضل آل محمّد على جميع النبيّين وفضل محمّد على جميع المرسلين.

فقال موسى: يا ربّ، فإن كان محمّد وآله وأصحابه كما وصفت، فهل في أُمم

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤١٧ ـ ٤١٨ ح ١١، وعنه في: بحار الأنوار ٢٦: ٢٩٦ ح ٦٢، تفسير البرهان ٤: ٢٦٨ ـ ٢٦٩ ح ٨١٣٢، وراجع: كنز جامع الفوائد ١: ٣٩٠ ح ٤٣٠.

(٢) في هامش المصدر عن بعض النسخ: «أفضل».

الأنبياء أفضل عندك من أُمّتي؛ ظلّلت عليهم الغمام، وأنزلت عليهم المنّ والسلوى، وفلقت لهم البحر؟

فقال الله تعالى: يا موسى، أما علمت أنّ فضل أُمّة محمّد على جميع الأُمم كفضلي[(١)] على خلقي.

فقال موسى عند ذلك[(٢)]: يا ربّ، ليتني كنت أراهم، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى إنّك لن تراهم، فليس هذا أوان ظهورهم، ولكن سوف تراهم في الجنّة، جنّات عدن والفردوس، بحضرة محمّد، في نعيمها يتقلّبون، وفي خيراتها يتبحبحون[(٣)]، أفتحبّ أُسمعك كلامهم؟

قال: نعم يا إلهي. قال: قم بين يدي، واشدد مِئزرك، قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل.

ففعل ذلك موسى، فنادى ربّنا عزّ وجلّ: يا أُمّة محمّد، فأجابوا كلّهم وهم في أصلاب آبائهم وأرحام أُمّهاتهم: «لبّيك اللهمّ لبّيك، لبّيك إنّ الحمد والنعمة والملك [لك لبّيك]، لا شريك لك لبّيك». قال: فجعل الله تلك الإجابة منهم شعار الحجّ.

ثمّ نادى ربّنا عزّ وجلّ: يا أُمّة محمّد، إنّ قضائي عليكم أنّ رحمتي سبقت غضبي، وعفوي قبل عقابي، وقد استجبت لكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل

---

(١) في تفسير البرهان والبحار: «كفضله».

(٢) «عند ذلك» لم يرد في المصدر.

(٣) التبحبُح: التمكّن في الحلول والمُقام. الصحاح ١: ٣٥٤ «بحح».

أن تسألوني، من لقيني منكم يَشهد[١] أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله صادق الوعد في أقواله، محقّ[٢] في أفعاله، وأنّ عليّ بن أبي طالب أخوه ووصيّه من بعده ووليّه، يلتزم طاعته كما يلتزم طاعة محمّد ﷺ وأنّ ذريّته المصطفين المطهّرين المباينين[٣] [لغيرهم] بعجائب آيات الله ودلائل حجج الله من بعدهما أولياؤه، أدخلته جنّتي ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر.

قال الإمام عليه السلام: فلمّا بعث الله نبيّنا ﷺ قال: يا محمّد، «وما كنت بجانب الطور إذ نادينا» اُمّتك بهذه الكرامة، قال الله عزّ وجلّ: يا محمّد، قل: الحمد لله ربّ العالمين على ما اختصّني به من هذه الفضيلة، وقال لأُمّته: قولوا: الحمد لله ربّ العالمين على ما اختصّنا به من هذه الفضائل[٤].

٩٥١ ـ ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾[٥].

دلّ على أنّ عدم الامتثال بقول الرسول ﷺ والتمسّك في الديانات بغير هداية من الله يستلزم الأهواء والآراء والمذمّة، وهذا ظاهر من الآية، بل نصّ فيه، فبطل القول بالاختيار؛ فاحتيج إلى بيان النصّ، فيجب به العصمة.

---

(١) في المصدر: «بشهادة» وما في المتن موافق لما في بعض نسخ المصدر والبحار.

(٢) في المخطوط: «محقق» وما أثبتناه من تأويل الآيات الظاهرة وفي هامشه عن بعض النسخ كما في المخطوط.

(٣) في تفسير البرهان: «الميامين».

(٤) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣١ ـ ٣٣ (تفضيل أُمّة محمّد ﷺ على جميع الأُمم)، عنه في: تفسير البرهان ٤: ٢٦٩ ح ٨١٣٤، بحار الأنوار ٢٦: ٢٧٤ ـ ٢٧٧ ح ١٧، تفسير نور الثقلين ٤: ١٣٠ ح ٧٧ عن عيون أخبار الرضا عليه السلام، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤١٨ ح ١٢، كنز جامع الفوائد ١: ٣٩١.

(٥) القصص (٢٨): ٥٠.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي عبدالله في قوله: «ومن أضلّ» الآية، حال من يتّخذ دينه برأيه بغير هدى إمام من الله من أئمّة الهدى صلوات الله عليهم(١).

٩٥٢ ـ ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(٢).

القول إمّا أعمّ من الإمامة وتعيّنها أو يختصّ به باعتبار أنّه أصل تعرف به الفروعات، وإمّا كان أدنى منها أو أعلى منه، الأوّل والثاني يستلزم عصمة الإمام عليه السلام؛ لأنّ تعليق التذكّر عليه والاستيضاح به لا يحصل إلّا به مع ما ذكرنا من استحالة تحريضه سبحانه ورضاه بالخطأ من كلّ وجه، وعلى الثالث لا يجوز عدم التنصيص؛ لأنّا قد ذكرنا بطلان ترجيح الأدنى في فعل الحكيم فلابدّ من ذلك في القرآن، وعلى الرابع فلابدّ أيضاً من ذلك؛ لأنّه جلّ وعزّ نصّ على الأدنى أيضاً.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي عبدالله عليه السلام في هذه الآية قال: إمام بعد إمام(٣).

ومعنى قوله: «وصّلنا لهم القول» وهو القول في الإمامة أي جعله متّصلاً من إمام إلى إمام من لدن آدم عليه السلام إلى القائم صلوات الله عليهم(٤).

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢٠ ح١٣، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١٥٢ ح٤٢، تفسير البرهان ٤: ٢٧١ ح٨١٣٩.

(٢) القصص (٢٨): ٥١.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢٠ ح١٤ و٤٢١ ح١٥ و١٦، الأوّل عن الكافي والثاني عن تفسير القمّي، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣١ ح٤٩، تفسير البرهان ٤: ٢٧٢ ح٨١٤٥، ورواه القمّي في تفسيره ٢: ١٤١، والكليني في: الكافي ١: ٤١٥ ح١٨ كتاب الحجّة ـ كتاب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

(٤) راجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢١ ذيل الحديث ١٦.

والقول هو قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾[١] وما زال لله في الأرض خليفة[٢]؛ لأنّه لم يخلها قطّ من حجّة لئلّا يكون للناس على الله حجّة، ولقوله تعالى لإبراهيم: ﴿ **إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَتِى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ** ﴾[٣].[٤]

وأمّا معنى قوله: «لعلّهم يتذكّرون» من ذكري مثل قوله تعالى: ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[٥].[٦]

ومعنى آخر: يتذكّرون القول في الإمامة من الله بأنّه متّصل من إمام إلى إمام آخر إلى القائم عليه السلام[٧].

٩٥٣ ـ ﴿ **إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **لَا نَبْتَغِى الْجَاهِلِينَ** ﴾[٨].

بيان الصبر والحسنة والسيّئة والإنفاق واللغو ممّا يتوقّف على عصمة الإمام، واللّام في «الجاهلين» للعموم على ما تقرّر[٩]، فيفيد إعراضهم عن كلّ جاهل

---

(١) البقرة (٢): ٣٠.

(٢) في المصدر: أي إنّه لم يزل فيها، وفي هامشه عن بعض النسخ كما في المتن.

(٣) البقرة (٢): ١٢٤.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢١.

(٥) الذاريات (٥١): ٥٥.

(٦) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢١ ذيل الحديث ١٦.

(٧) تأويل الآيات الظاهرة ١ ـ ٤٢١ ـ ٤٢٢.

(٨) القصص (٢٨): ٥٣ ـ ٥٥.

(٩) راجع: معارج الأُصول: ١٢٥ ط. المحقّقة، مبادئ الوصول إلى علم الأُصول: ١٢٢، الوافية في أُصول الفقه: ١١٣.

بجهله؛ لأنّه من باب التعليق على المأخذ فيلزمه العلم بكلّ شيء ينبغي العلم به وهو ليس إلّا من خواصّ المعصوم، وإنّ الإمام عليه السلام داع إلى هذه الأوصاف بالضرورة، ولا شيء من المعصوم داع إلى هذا بالإمكان وإلى ضدّه بالإمكان، فلا شيء من الإمام بغير المعصوم بالضرورة.

وأيّد بما في تفسير الصافي: القمّي: هم صلوات الله عليهم، قال: وقال الصادق عليه السلام: نحن صُبَّر[1] وشيعتنا أصبر منّا؛ وذلك أنّا صبرنا على ما نعلم وصبروا على ما لا يعلمون.

وقال: قوله: «ويدرؤون بالحسنة السيّئة» أي يدفعون سيّئة من أساء إليهم بحسناتهم[2]. وقال: اللغو: الكذب واللهو والغناء، وهم الأئمّة يُعرِضون عن ذلك كلّه[3].

٩٥٤ـ ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ إلى قوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ﴾[4].

كلّ إمام داع إلى ما عند الله ووعد المكلّفين وحذّرهم ووعدهم؛ لأنّه هو المقرِّب والمبعِّد، ولا شيء من غير المعصوم يمكن أن يكون كذلك؛ فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة، لأنّ المقدّمتين ضروريّتان.

وأُكّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبان بن تغلب عن مجاهد، قال: قوله: «أفمن» الآية، نزلت في عليّ وحمزة عليهما السلام[5].

---

(١) في تفسير القمّي: «نحن صبرنا»، وفي تفسير نور الثقلين: «نحن صبراء».

(٢) تفسير الصافي ٤: ٩٥، وراجع: تفسير القمّي ٢: ١٤١، بحار الأنوار ٢٤: ٢١٦ ح٧، تفسير نور الثقلين ٤: ١٣٣ ح٨٥.

(٣) تفسير القمّي ٢: ١٤٢، عنه في: تفسير البرهان ٤: ٢٧٣ ح٨١٥٣ و٨١٥١.

(٤) القصص (٢٨): ٦٠ ـ ٦١.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢٢ ح١٧، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١٦٣ ح١، تفسير البرهان ٤: ٢٨٠ ح٨١٧٧.

ويؤيّده ما عن أبي عبدالله عليه السلام في هذه الآية قال: الموعود عليّ بن أبي‌طالب عليه السلام وعده الله أن ينتقم من أعدائه في الدنيا، ووعده الجنّة له ولأوليائه في الآخرة[1].

وذكر أبو عليّ الطبرسي رحمه الله ما يؤيّد الحديث الأوّل في سبب نزولها، قال وقيل: إنّها نزلت في حمزة وعليّ بن أبي طالب[2].

٩٥٥ ـ ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ * فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ * فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾[3].

الإمام هو المقرِّب إلى الثاني والمبعّد عن الأوّل؛ لأنّه وضع لذلك فلو جاز عليه الخطيئات لجاز عليه ضدّ ذلك، وعكسه فجاز نفي الغرض مع أنّه غير جائز على ما قرّرناه، فيجب عصمته.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن عليّ بن إبراهيم، قال: وأمّا قوله تعالى: «ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين» فإنّ العامّة يزعمون أنّه يوم القيامة، وأمّا الخاصّة فإنّهم رووا أنّه إذا وضع الإنسان في القبر فيدخل عليه منكر ونكير فيسألانه عن الله وعن النبيّ صلى الله عليه وآله وعن الإمام عليه السلام؛ فإن كان مؤمناً أجاب وإن كان كافراً قال: لا أدري، وهو قوله: «فعميت عليهم الأنباء يومئذٍ فهم لا يتساءلون»[4].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢٢ ح١٨، وراجع: بحار الأنوار ٢٤: ١٦٣ ـ ١٦٤ ح٢، تفسير البرهان ٤: ٢٨٠ ح٨١٧٨.

(٢) انظر: تفسير مجمع البيان ٧: ٤٥١، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢٢ ذيل الحديث ١٨، وراجع: شواهد التنزيل للحسكاني ١: ٤٣٦ ـ ٤٣٧ حديث ٥٩٩ و ٦٠٠.

(٣) القصص (٢٨): ٦٥ ـ ٦٧.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢٢ ح١٩، وورد الحديث بالمعنى في: تفسير القمّي ٢: ١٤٣، وعنه ⇐

٩٥٦ ـ ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾[١].

«ما» من ألفاظ العموم[٢] بلا خلاف، والجملة المنفية أيضاً تفيد العموم[٣] لأنّها من النكرة، فأفاد الله تعالى نفي الاختيار عن خلقه أي ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه وليس لأحد أن يختار شيئاً إلّا بمدخليّة تأثيره وقدرته وإرادته؛ فعلى الأوّل يلزم نفي الاختيار وكذا على الثاني؛ لأنّه لو جاز إمامة العاصي بإرادته ورضائه للزم رضاه به، وقد مرّ استحالته.

وأُكّد بما في الطرائف عن الحافظ مؤمن الشيرازي ـ وهو من أعيان مفسّريهم ـ فذكر في تفسير هذه الآية بإسناده إلى أنس بن مالك قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن معنى قوله: «وربّك يخلق ما يشاء ويختار»، قال: الله عزّ وجلّ خلق آدم من طين كيف شاء، ثمّ قال: «ويختار» إنّ الله اختارني وأهل بيتي على جميع الخلق فانتجبنا، فجعلني الرسول وجعل عليّ بن أبي طالب الوصي، ثمّ قال: «ما كان لهم الخيرة» وما جعلت للعباد أن يختاروا ولكني أختار من أشاء، فأنا وأهل بيتي صفوة الله وخيرته من خلقه. ثمّ قال: ﴿ **سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾[٤] يعني تنزيهاً لله[٥] عمّا يشركون به كفّار مكّة.

⇐ في: تفسير البرهان ٤: ٢٨١ ح ٨١٨٠، وبحار الأنوار ٦: ٢٢٤ ح ٢٥، تفسير نور الثقلين ٤: ١٣٦ ح٩٦.

(١) القصص (٢٨): ٦٨.

(٢) راجع: العُدّة في أُصول الفقه ١: ٢٧٥، مبادئ الوصول إلى علم الأُصول: ١٢٣.

(٣) العُدّة في أُصول الفقه ١: ٢٧٥، وراجع أيضاً: حول ألفاظ العموم الوافية للفاضل التوني: ١١٢ وما بعدها.

(٤) تتمّة الآية ٦٨.

(٥) في المصدر: «الله منزّه» بدل «تنزيهاً لله».

ثمّ قال: ﴿وَرَبُّكَ﴾ يعني يا محمّد ﴿يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ من بغض المنافقين لك ولأهل بيتك ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[1] من الحبّ لك ولأهل بيتك[2].

وأُيّد بما في تفسير الصافي: القمّي قال: يختار الله عزّ وجلّ الإمام وليس لهم أن يختاروا[3].

وفي الكافي وفي المجالس عن الرضا عليه السلام في حديث فضل الإمام ووصفه، قال: هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها من الأُمّة، فيجوز فيها اختيارهم؟ ـ إلى أن قال: ـ لقد راموا صعباً، وقالوا إفكاً، وضلّوا ضلالاً بعيداً، ووقعوا في الحَيرة، إذ تركوا الإمام عن بصيرة، وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين، رغبوا عن اختيار الله واختيار رسول الله[4] إلى اختيارهم والقرآن يناديهم: «وربّك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة من أمرهم»[5].

وفي الإكمال عن القائم عليه السلام إنّه سُئل عن العلّة التي تمنع القوم من اختيار إمام لأنفسهم، قال: مصلح أم[6] مفسد؟ قلت: مصلح. قال: فهل يجوز أن يقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد؟ قلت: بلى. قال: فهي العلّة، فهل أنقله وأروها لك ببرهان ينقاد لك عقلك.

---

(١) القصص (٢٨): ٦٩.

(٢) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٩٧ ح ١٣٦، وعنه في: بحار الأنوار ٣٦: ١٦٧ ح ١٥٢، إحقاق الحق ٣: ٥٦٤.

(٣) تفسير الصافي ٤: ٩٩، وراجع: تفسير القمّي ٢: ١٤٣.

(٤) في بعض المصادر زيادة: «وأهل بيته».

(٥) الكافي ١: ١٩٩، ٢٠١ ح ١ كتاب الحجّة ـ باب نادر في فضل الإمام وصفاته، الأمالي للشيخ الصدوق: ٧٤٤، ٧٦٦ ح ١٠٤٩ المجلس السابع والتسعون، وراجع: معاني الأخبار: ١٠٠ ح ٢، تفسير الصافي ٤: ٩٦.

(٦) في المصدر: «أو».

ثمّ قال عليه السلام: أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله عزّ وجلّ وأنزل عليهم الكتب وأيّدهم بالوحي والعصمة إذ هم أعلام الأمم أحرى[١] إلى الاختيار منهم مثل موسى وعيسى هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما إذ هما بالاختيار أن يقع خيرتهما على المنافق وهما يظنّان أنّه مؤمن؟

قلت: لا.

قال: فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربّه سبعين رجلاً ممّن لا يشكّ في إيمانهم وإخلاصهم فوقع خيرته على المنافقين، قال الله تعالى: ﴿ **وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا** ﴾[٢] إلى قوله: ﴿ **أَرِنَا اللَّـهَ جَـهْرَةً فَأَخَـذَتْهُمُ الصَّـاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ** ﴾[٣] فلمّا وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله عزّ وجلّ للنبوّة واقعاً على الأفسد دون الأصلح، وهو يظنّ أنّه الأصلح دون الأفسد علمنا أنّ الاختيار لا يجوز أن يقع إلّا ممّن يعلم ما تخفي الصدور وتكنّ الضمائر، وتنصرف إليه[٤] السرائر، وأن لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد لما أراده أهل الصلاح[٥].

أقول: هذه الأخبار تدلّ على التفسير الأوّل للآية، ويدلّ على التفسير الثاني ما

---

(١) في المصدر: «وأهدى».

(٢) الأعراف (٧): ١٥٥.

(٣) النساء (٤): ١٥٣.

(٤) في المصدر: «وتتصرّف عليه».

(٥) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٦١ـ٤٦٢ ضمن حديث ٢١ الباب الثالث والأربعون من شاهد القائم عجّل الله فرجه، عنه في: تفسير نور الثقلين ٤: ١٣٧ ح ٩٩، تفسير الصافي ٤: ١٠٠.

رواه في مصباح الشريعة: عن الصادق عليه السلام في كلام له قال: وتعلم أنّ نواصي الخلق بيده، فليس لهم نَفَس ولا لحظة إلّا بقدرته ومشيّته وهم عاجزون عن إتيان أقلّ شيء في مملكته إلّا بإذنه وإرادته، قال الله تعالى: «وربّك يخلق ما يشاء ويختار» الآية، ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾[1].[2]

القمّي قال: ما عزموا عليه من الاختيار[3].

أقول: على التفسير الأوّل يجوز أن يكون المعنى: وربّك هو الذي يعلم ما تكنّ الصدور وتخفيه الضمائر دون غيره فله أن يختار النبوّة والإمامة وغيرهما دونهم، ولعلّه إلى هذا المعنى أُشير في أواخر حديث الإكمال بقوله: علمنا أنّ الاختيار لا يجوز أن يقع إلّا ممّن يعلم ما تخفي الصدور وتكنّ وتنصرف إليه السرائر[4].

٩٥٧ ـ ﴿ إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِن رَبِّكَ ﴾[5].

كون الكتاب رحمة ليس إلّا بما ينتفع به المكلّفون، وهو ليس إلّا بالعلم به، ولا يحصل إلّا بالمعصوم.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن [صالح بن ميثم، عن] أبي جعفر عليه السلام

---

(١) القصص (٢٨): ٦٩.

(٢) القائل هو الفيض الكاشاني في: تفسير الصافي ٤: ١٠٠، وراجع: مصباح الشريعة: ٩٣ الباب الثاني والأربعون في التشهّد. وروىٰ المجلسي الرواية عنه في: بحار الأنوار ٨٢: ٢٨٤ ح ١٠، والحويزي في: تفسير نور الثقلين ٤: ١٣٧ ح ١٠٠، والنوري في: مستدرك الوسائل ٥: ١٧ ح ٦١ باب نوادر ما يتعلّق بأبواب التشهّد.

(٣) تفسير القمّي ٢: ١٤٣، عنه في: تفسير الصافي ٤: ١٠١.

(٤) راجع: تفسير الصافي ٤: ١٠١. وعبارة الشيخ الصدوق في: كمال الدين تقدّمت قبل قليل.

(٥) القصص (٢٨): ٨٥ـ٨٦.

قال: قلت لأبي جعفر: حدّثني، قال: أوليس قد سمعته من أبيك؟ قلت: هلك أبي وأنا صبي. قال: قلت: فأقول فإن أصبت قلت: نعم وإن أخطأت رددتني عن الخطأ؟ قال: [ما أشدّ شرطك. قلت: فأقول فإن أصبت سكتّ وإن أخطأت رددتني عن الخطأ، قال:] هذا أهون. قال: قلت: فإنّي أزعم أنّ عليّاً عليه السلام دابّة الأرض؛ وسكتُّ. فقال أبو جعفر: أراك والله تقول إنّ عليّاً راجع إلينا؛ وقرأ الآية: «الذي فرضك عليك القرآن لرادّك إلى معاد».

قال: فقلت: قد جعلتها فيما أُريد أن أسألك عنه فنسيتها. فقال أبو جعفر عليه السلام: أفلا أُخبرك بما هو أعظم من هذا قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾[1] وذلك أنّه لا تبقى أرض إلّا ويؤذّن[2] فيها بشهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، وأشار بيده إلى آفاق الأرض[3].

وعن أبي عبدالله عليه السلام في هذه الآية قال: والله لا تنقضي الدنيا ولا تذهب حتّى يجتمع رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ بالثوية، فيلتقيان ويبنيان بالثويّة مسجداً له اثنا عشر ألف باب. يعني موضعاً بالكوفة[4].

وقال عليّ بن إبراهيم في تفسيره: وأمّا قوله: «إنّ الذي فرض عليك القرآن

---

(١) سبأ (٣٤): ٢٨.

(٢) في البحار: «نودي».

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢٣ ح ٢٠، وراجع: بحار الأنوار ٥٣: ١١٣ ح ١٥، تفسير البرهان ٤: ٢٩٢ ح ٨١٩٩. ورواها أيضاً في: تفسير البرهان ٤: ٢٩١ ح ٨١٩٦ وفيها «نودي» بدل «ويؤذّن».

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢٤ ح ٢١، وراجع: تفسير البرهان ٤: ٢٩٢ ح ٨٢٠٠، بحار الأنوار ٥٣: ١١٥ ـ ١١٦ ح ١٧، الإيقاظ من الهجعة: ٣٨٦ الحديث الثاني والستّون بعد المائة (الباب العاشر في وقوع الرجعة للأنبياء والأئمّة عليهم السلام).

لرادّك إلى معاد» فإنّ العامّة رووا أنّه إلى معاد يوم القيامة، وإنّ الخاصّة رووا أنّه في الرجعة[١].

قال: وروي عن أبي جعفر عليه السلام أنّه سُئل عن جابر بن عبدالله، قال: رحم الله جابراً، إنّه كان من فقهائنا[٢]، إنّه يعرف تأويل هذه الآية أنّه في الرجعة[٣].

وعن عليّ بن الحسين عليهما السلام في هذه الآية قال: يرجع فيه إليكم نبيّكم[٤].

وفي هذا التأويل دليل على الرجعة لمن كان يؤمن بها من أهل هذا القبيل وعلى قصد السبيل[٥].

٩٥٨ ـ ﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ إلى قوله: ﴿الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٦].

والإمام داع إلى هذا بالضرورة، وغير المعصوم يمكن له الدعوة إلى ضدّه، وحصر الحكم فيه واختصاصه به يفيد نفي الاختيار. وقوله: ﴿**هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ دليل على افتقار كلّ شيء إليه إلّا ذاته، ويندرج فيه كلّ أنواع الافتقار؛ فبذلك ثبت

---

(١) عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢٤ ح ٢٢، تفسير البرهان ٤: ٢٩٢ ح ٨٢٠١.

(٢) في تفسير القمّي: «بلغ من فقهه» بدل «إنّه كان من فقهائنا».

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢٤ ـ ٤٢٥ ح ٢٣، وانظر: تفسير القمّي ٢: ١٤٧، وراجع: تفسير البرهان ٤: ٢٩٣ ح ٨٢٠٢، تفسير نور الثقلين ٤: ١٤٤ ح ١٢٥، الإيقاظ من الهجعة: ٣٤٩ الحديث التاسع والثمانون (باب في وقوع الرجعة للأنبياء والأئمّة عليهم السلام)، بحار الأنوار ٥٣: ١٢١ ح ١٥٩ عن الكشي.

(٤) تفسير القمّي ٢: ١٤٧، وعنه في: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢٥ ح ٢٤، تفسير البرهان ٤: ٢٩١ ح ٨١٩٤، بحار الأنوار ٥٣: ٥٦ ح ٣٣، تفسير نور الثقلين ٤: ١٤٤ ح ١٢٦. ولكن في تفسير القمّي وتفسير البرهان: يرجع إليكم نبيّكم صلّى الله عليه وآله وأميرالمؤمنين والأئمّة عليهم السلام.

(٥) راجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢٥ ذيل الحديث ٢٤.

(٦) القصص (٢٨): ٨٧ ـ ٨٨.

كلّ شيء يحتاج إليه في الكمال وكلّ ما سيحصل منه جلّ وعزّ الخير في المبدأ والمآل، فلو لم يفض عليه ما به يحصل التقرّب والزلفى والتبعّد عن المهالك لزم بخله أو عدم احتياج المحتاج، وهو القلب المحال والتخلّف عن العلّة، وكلّ ذلك ممّا بيّن استحالته في العلم الأعلى، وقد بيّنت بيان ذلك في الأوائل، فتذكّر. فالمقرّب والمبعّد لابدّ من عصمته، وإلّا لزم المفاسد المبيّنة، فيكون هو الإمام.

أو المراد أنّ كلّ شيء إمكانيّ فيه أسباب الهلاكة من مقتضيات الهيولانيّة الداعية إلىٰ الشهوات الشيطانيّة، إلّا ما جعل محفوظاً عن هذا الخلع الناسوتيّة في العوالم الفطريّة بفيوضات اللّاهوتيّة يوم جعل تلك المقتضيات أو انسلاخها عنها؛ بالاستعداد المجعول فصار بذلك مستحقّاً لبقاء الأبديّة، ولهذا قيل: الفناء باب البقاء[١].

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: سُئل أبو جعفر عليه السلام عن قوله: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾[٢]، قال: نحن والله وجهه الذي قال، ولن يهلك[٣] إلى يوم القيامة بما أمر الله به من طاعتنا وموالاتنا، فذلك والله الوجه الذي هو قال: «كلّ شيء هالك إلّا وجهه» وليس منّا ميّت يموت إلّا وخلفه[٤] عاقبة منه إلى يوم القيامة[٥].

---

(١) انظر: تفسير الآلوسي ٢٧: ١١٠ في تفسير سورة الرّحمٰن الآية ٢٨.

(٢) القصص (٢٨): ٨٨.

(٣) في المصدر والبحار «نهلك» وفي هامش المصدر عن بعض النسخ كما في المتن.

(٤) في تفسير البرهان: «وخلّف» وفي هامش المصدر عن بعض النسخ كما في المتن.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢٥ ـ ٤٢٦ ح ٢٥، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١٩٣ ح ١١، تفسير البرهان ٤: ٢٩٦ ح ٨٢١٩. ورواه أيضاً الصفّار في: بصائر الدرجات: ٨٥ ح ٢ باب في الأئمّة من آل محمّد صلى الله عليه وآله أنّهم وجه الله الذي ذكره في الكتاب، مع اختلاف قليل بالألفاظ.

وعن أبي عبدالله عليه السلام في هذه الآية قال: نحن وجه الله عزّ وجلّ [١].

وعنه عليه السلام فيها: كلّ شيء هالك إلّا ما اُريد منه به وجه الله، ووجه الله عليّ عليه السلام [٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام: يهلك كلّ شيء ويبقى الوجه، والله أعظم مِن أن يُوصف بوجه، ولكن معناه: كلّ شيء هالك إلّا دينه، ونحن الوجه الذي يُؤتىٰ الله منه، لم نزل في عباد الله ما دام لله فيهم رَوِيَّةٌ، يرفعنا إليه، فيفعل بنا ما أحبّ.

قال يونس: قلت: جعلت فداك، وما الرَّوِيَّةُ؟ قال: الحاجة [٣]. يعني الإرادة.

سورة العنكبوت وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٩٥٩ ـ ﴿الٓمٓ * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا﴾ إلى قوله: ﴿الْكَاذِبِينَ﴾ [٤].

الاستدلال به على طريق الشكل الثاني ظاهر.

واُيّد بما في تفسير الصافي: في نهج البلاغة: قام رجل فقال: يا أميرالمؤمنين، أخبرنا عن الفتنة وهل سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عنها.

فقال عليه السلام: لمّا أنزل الله سبحانه: «الٓمٓ * أحسب» الآية، علمت أنّ الفتنة لا تنزل بنا ورسول الله صلى الله عليه وآله بين أظهرنا، فقلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة التي أخبرك الله

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢٦ ح٢٦، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١٩٣ ح١٢، تفسير البرهان ٤: ٢٩٧ ح٨٢٢٠.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢٦ ح٢٧، عنه في: بحار الأنوار ٣٦: ١٥١ ح١٣٠، تفسير البرهان ٤: ٢٩٧ ح٨٢٢١.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢٦ ح٢٨، تفسير القمّي ٢: ١٤٧ مع اختلاف قليل، وعنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١٩٣ ح١٣، وتفسير البرهان ٤: ٢٩٦ ح٨٢١٨، وانظر: كمال الدين وتمام النعمة ١: ٢٣١ ح٣٣.

(٤) العنكبوت (٢٩): ١ ـ ٣.

بها؟ فقال: يا عليّ، إنّ أُمّتي سيُفتَنون من بعدي. فقلت: يا رسول الله، أوليس قد قلت لي يوم أُحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عنّي الشهادة فشقّ ذلك عَلَيّ فقلت لي أبشر فإنّ الشهادة من ورائك؟ فقال لي: إنّ ذلك كذلك فكيف صبرك إذن؟ فقلت: يا رسول الله، ليس هذا من مواطن الصبر ولكن من مواطن البشرى والشكر. فقال: يا علي، سيُفتَنون بأموالهم ويمنُّون بدينهم على ربّهم ويتمنّون رحمته ويأمنون سطوته ويستحلّون حرامه بالشبهات الكاذبة والأهواء الساهية؛ فيستحلّون الخمر بالنبيذ، والسحت بالهديّة، والربا بالبيع. قلت: يا رسول الله، فبأيّ المنازل أنزلهم: أبمنزلة ردّة أم بمنزلة فتنة؟ فقال بمنزلة فتنة[1].

والقمّي عن الكاظم عليه السلام قال: جاء العبّاس إلى أميرالمؤمنين فقال: انطلق نبايع لك الناس. فقال له أميرالمؤمنين: أوتراهم فاعلين؟ قال: نعم. قال: فأين قوله عزّوجلّ: «الٓمٓ * أحسب الناس» الآية[2].

وفي تأويل الآيات الظاهرة عن الحسين عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: لمّا نزلت هذه الآية قال: قلت: يا رسول الله، ما هذه الفتنة؟ قال: يا علي، إنّك مُبتلىٰ بك، وإنّك مُخاصَم، فأعِدّ للخصومة[3].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: فسّر لي قوله عزّوجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ**

---

(١) تفسير الصافي ٤: ١١٠، وراجع: نهج البلاغة ٢: ٤٩ (شرح محمّد عبدة) طبعة دار الذخائر خطبة رقم ١٥٦، عنه في: بحار الأنوار ٦٩: ١٣٨ ح٢٦، تفسير نور الثقلين ٤: ١٤٨ ح٦.

(٢) تفسير الصافي ٤: ١١١، وراجع: تفسير القمّي ٢: ١٤٨، عنه في: بحار الأنوار ٢٢: ٢٨٩ ح ٦٠، تفسير نور الثقلين ٤: ١٤٧ ح٣، ورواه أيضاً الطبرسي في: مجمع البيان ٨: ٨ عن العيّاشي.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢٧ ـ ٤٢٨ ح٢، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٢٨ ح٢٦، تفسير البرهان ٤: ٣٠٤ ح ٨٢٣٠.

الأَمْرِ شَيْءٌ﴾[١]، قال: إنّ رسول الله ﷺ كان حريصاً على أن يكون عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام من بعده على الناس وكان عند الله خلاف ذلك، فقال وعنى بذلك قوله عزّ وجلّ: **﴿الٓمٓ * أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾** قال: فرضي رسول الله ﷺ بأمر الله عزّ وجلّ[٢].

وقال أيضاً: حدّثنا أحمد بن هوذة، عن إبراهيم بن إسحاق، عن عبدالله بن حمّاد، عن سماعة بن مهران، قال: قال: رسول الله ﷺ: كان ذات ليلة في المسجد فلمّا كان قرب الصبح دخل أميرالمؤمنين عليّ عليه‌السلام فناداه رسول الله ﷺ فقال: يا عليّ، قال: لبّيك، قال: هلمّ إليّ فلمّا دنا منه قال: يا علي، بت الليلة حيث تراني فقد سألت ربّي ألف حاجة فقضاها لي، وسألت لك مثلها فقضاها، وسألت ربّي أن يجمع لك اُمّتي من بعدي فأبى عليَ ربّي فقال: «الٓمٓ * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون»[٣].

وقال أيضاً: حدّثنا محمّد بن الحسين القبيطي[٤]، عن عيسى بن مهران، عن الحسن بن الحسين العرني، عن عليّ بن أحمد بن حاتم، عن حسن بن عبدالواحد، عن حسن بن حسين بن يحيى، عن عليّ بن أسباط، عن السدّي في قوله عزّ وجلّ: «الٓمٓ * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون *

---

(١) آل عمران (٣): ١٢٨.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢٨ ح ٣، عنه في: بحار الأنوار ٢٨: ٨١ ح ٤٢، تفسير البرهان ٤: ٣٠٤ ح ٥.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢٨ ح ٤، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٢٨ ح ٢٧، تفسير البرهان ٤: ٣٠٤ ح ٨٢٣٢.

(٤) في المصدر: «الخثعمي» وفي البحار: «اليقطيني».

ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا» قال: عليّ وأصحابه، «وليعلمنّ الكاذبين» أعداؤه[١].

٩٦٠ ـ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۞ مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ إلى قوله: **﴿لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾**[٢].

فيه تحذير عن السيّئات، فلو لم يتبيّن بالقطع لزم أن يكون للناس على الله الحجّة أو يكونوا مأمورين بالظنّ مع أنّه ليس في الكلّ وإنّه منهيّ عنه، والقطع ليس إلّا بإمام معصوم بعده صلى الله عليه وآله، وهو المطلوب.

وأيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن ابن عبّاس في هذه الآية قال: نزلت في عُتبة وشيبة والوليد بن عُتبة، وهم الذين بارزوا عليّاً وحمزة وعُبيدة، ونزلت فيهم: **﴿مَن كَانَ يَرْجُوا﴾** إلى قوله: **﴿فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾** قال: في عليّ وصاحبيه[٣].

٩٦١ ـ ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾[٤].

كلّ غير معصوم يمكن أن يكون كذلك بالضرورة، ولا شيء من الإمام كذلك بالضرورة، فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة.

وأُيّد بما في الكافي عن الصادق عليه السلام: ليس قوم ائتمّوا بإمام في الدنيا إلّا جاء يوم القيامة يلعنهم ويلعنونه إلّا أنتم ومن كان على مثل حالكم[٥].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢٩ ح٥، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٢٨ ح٢٨، تفسير البرهان ٤: ٣٠٤ ـ ٣٠٥ ح٨٢٣٣.

(٢) العنكبوت (٢٩): ٤ ـ ٦.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٢٩ ح٦، وعنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣١٧ ح٢٢، الحسكاني في: شواهد التنزيل ١: ٤٤٠ ح٦٠٤.

(٤) العنكبوت (٢٩): ٢٥.

(٥) الكافي ٨: ١٤٦ ح١٢٢، عنه في: تفسير الصافي ٤: ١١٥.

وفي المحاسن[١] قريب من هذا.

٩٦٢ ـ ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ﴾[٢].

بذلك ظهر بطلان القول بالاختيار مضافاً إلى الاستدلال بطريق الشكل الثاني.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال: هي الحميراء[٣].

ومعنى هذا التأويل على ما قيل: إنّه إنّما كنّى عنها بالعنكبوت؛ لأنّ العنكبوت حيوان ضعيف اتّخذت بيتاً ضعيفاً أوهن البيوت وأضعفها لا يجدي نفعاً، ولا ينفي ضرراً، وكذلك الحميراء حيوان ضعيف لقلّة حظّها وعقلها ودينها، اتّخذت من رأيها الضعيف وعقلها السخيف ـ في مخالفتها وعداوتها لمولاها ـ بيتاً مثل بيت العنكبوت في الوهن والضعف لا يجدي لها نفعاً، بل كان عليها ضرراً في الدنيا والآخرة؛ لأنّها بنته «على شفا جرف هار فانهار» بها في نار جهنّم هي ومن أسّس لها بنيانه وشدّ[٤] لها أركانه وعصى في ذلك ربّه وأطاع شيطانه واستغوى لها جنوده وأعوانه، فأوردهم حميم السعير ونيرانه، وذلك جزاء الظالمين والحمد لله ربّ العالمين[٥].

ووجه التأييد أنّ القدح في فلانة يستلزم القدح في مذهبهم؛ فتأمّل.

---

(١) المحاسن: ١٤٣ ح ٤٢ باب يوم ندعوا كلّ أُناس بإمامهم، ط. دار الكتب الإسلاميّة ـ قم.

(٢) العنكبوت (٢٩): ٤١.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣٠ ح ٧، وعنه في: تفسير البرهان ٤: ٣٢١ ح ٨٢٧٣.

(٤) في هامش المصدر عن بعض النسخ: «شيّد».

(٥) راجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣٠ ذيل الحديث ٧.

٩٦٣ ـ ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[١].

أي ظاهرها وباطنها لا يعلمها كما هو إلّا الراسخون في العلم، وبه حصل المطلوب؛ فتأمّل.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال: نحن هم[٢]. صدق صلوات الله عليه.

٩٦٤ ـ ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[٣].

العلم بالصلاة أركانها وشرائطها ومقدّماتها لا يحصل إلّا بالمعصوم؛ لما ترى من وجوه الاختلاف، وقد أشار تعالى إلى أنّه يتوقّف على الاحتراز عن الفحشاء والمنكر فيها لا أقلّ، وهذا ليس إلّا به.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: في الكافي: عن سعد الخفّاف عن الصادق عليه السلام أنّه سأله: هل يتكلّم القرآن؟ فتبسّم ثمّ قال: رحم الله الضعفاء من شيعتنا إنّهم أهل تسليم، ثمّ قال: نعم يا سعد، والصلاة تتكلّم ولها صورة وخلق، وتأمر وتنهى. قال: فتغيّر لذلك لوني، وقلت: هذا شيء لا أستطيع أن أتكلّم به في الناس. فقال عليه السلام: وهل الناس إلّا شيعتنا، فمن لم يعرف الصلاة فقد أنكر حقّنا.

ثمّ قال: يا سعد، أُسمعك كلام القرآن؟ قال سعد: فقلت: بلى صلّى الله عليك. فقال: «إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر» فالنهي كلام،

---

(١) العنكبوت (٢٩): ٤٣.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ١: ٤٣٠ ـ ٤٣١ ح٨، وعنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١٢٢ ح٩، تفسير البرهان ٤: ٣٢١ ـ ٣٢٢ ح٨٢٧٤.

(٣) العنكبوت (٢٩): ٤٥.

والفحشاء والمنكر رجال، ونحن ذكر الله، ونحن أكبر[١].

وأقول: الفحشاء والمنكر الأوّلان إذ هما صورتهما[٢].

وقد ورد صريحاً تفسيرهما بهما في بعض الأخبار، وأظنّ أنّ البغي فسّر فيه بالثلاث، والصلاة من ينهى عنهما وهو معروف.

٩٦٥ ـ ﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هٰؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾[٣].

كلّ إمام مقرِّب إلى الأوّل ومُبعِّد عن الثاني محذِّر عنه؛ لأنّه وضع لذلك، ولا شيء من غير المعصوم كذلك بالإمكان، فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة؛ لأنّ الصغرى ضروريّة.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي جعفر عليه السلام: «فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون» قال: هم آل محمّد الذين يؤمنون به، يعني أهل الإيمان من أهل القبلة[٤]. وكذا في حديث آخر عنه عليه السلام[٥].

وفي تفسير الصافي: القمّي: يعني ما يجحد بأميرالمؤمنين والأئمّة عليهم السلام إلّا الكافرون[٦].

---

(١) الكافي ٢: ٥٩٨ ذيل الحديث ١ (كتاب فضل القرآن)، عنه في: تفسير الصافي ٤: ١١٨، تفسير البرهان ٤: ٣٢٢ ح ٨٢٧٧.

(٢) راجع: تفسير الصافي ٤: ١١٨ ذيل الحديث المذكور.

(٣) العنكبوت (٢٩): ٤٧.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣١ ح ٩ عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ١٨٨ ح ١، تفسير البرهان ٤: ٣٢٤ ح ٨٢٨١.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣١ ذيل الحديث ٩، وراجع تفسير البرهان ٤: ٣٢٥ ح ٨٢٨٣.

(٦) تفسير الصافي ٤: ١١٩، وراجع: تفسير القمّي ٢: ١٥١ وفيه: «إلّا الظالمون» بدل «إلّا الكافرون».

٩٦٦ ـ ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾[١].

الاستدلال بما مرّ ظاهر، على أنّ المراد بآيات العموم بالقرينة التي دلّت عليه وهي في عجز الآية وإنّ القرآن هو ما بين دفّتي المصحف فالحكم بظهورها لشخص ليس إلّا بعلمه بالمحكم والمتشابه كلّه، وهذا ليس إلّا بعلمه بالمحكم والمتشابه كلّه، وهذا ليس إلّا من خواصّ المعصوم الذي آتاه الله ذلك بالعلم الربّاني الموهبي لا بالكسبي على ما أشار إليه قوله: «أُوتوا العلم».

وأيّد بما في الكافي عن الباقر عليه السلام: أنّه عليه السلام تلا هذه الآية فأومأ بيده إلى صدره[٢].

وعنه صلوات الله عليه أنّه تلا هذه الآية فقال: ما قال بين دفّتي المصحف. قيل: من هم؟ قال: من عسى أن يكونوا غيرنا[٣].

وفي حديث آخر بعده: ونحن الراسخون في العلم، وفي آخره: إيّانا عنى[٤].

وعن أبي عبدالله عليه السلام: هم الأئمّة ونحن وإيّانا عنى[٥].

---

(١) العنكبوت (٢٩): ٤٩.

(٢) الكافي ١: ٢١٣ ح ١ كتاب الحجّة ـ باب أنّ الأئمّة عليهم السلام أُوتوا العلم وأثبت في صدورهم، عنه في: تفسير الصافي ٤: ١٢٠.

(٣) الكافي ١: ٢١٤ ح ٣ كتاب الحجّة ـ باب أنّ الأئمّة عليهم السلام أُوتوا العلم وأثبت في صدورهم، مستدرك الوسائل ١٧: ٣٢٨ ح ٢١٤٩٤ الباب ١٣ باب عدم جواز استنباط الأحكام النظريّة من غير الظواهر من القرآن إلّا بعد معرفة تفسيرها من الأئمّة عليهم السلام، بحار الأنوار ٢٣: ٢٠١ ح ٣٨ ولاحظ بيان العلّامة المجلسي لهذا الحديث في ذيل الحديث المذكور، وانظر: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣٢ ح ١١، تفسير الصافي ٤: ١٢٠.

(٤) بصائر الدرجات: ٢٢٤ ح ١ باب في الأئمّة عليهم السلام أُوتوا العلم وأثبت في صدورهم، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣٢ ح ١٢.

(٥) انظر: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣٢.

وفي أخبار كثيرة عنه عليه السلام: نحن هم، فقال الرجل: جعلت فداك، حتّى يقوم القائم؟ قال: كلّنا قائم بأمر الله عزّ وجلّ واحد بعد واحد حتّى يجيء صاحب السيف، فإذا جاء صاحب السيف جاء أمر غير هذا[١].

وعنه عليه السلام قال: هم الأئمّة من آل محمّد صلى الله عليه وآله[٢].

٩٦٧ ـ ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٣].

يشمل الجهاد مع الأعادي في الظاهر والباطن، فلابدّ أن يعلم أوّلاً كيفيّة ذلك، ثمّ يعرف ذلك من ترتيب جنود العقل وعساكر الهوى وجيوش الجهل؛ ليحصل بذلك التحفّظ من الإفراط والتفريط، والتقلّد بسيف الولاية العقلانيّة، والتخلّي عن مقتضيات البوار الهيولانيّة، ليستعدي بخدمات السلطان الصوريّة في سحسحة[٤] معركة جهاد الصفّين؛ ليفاض بفيوضات كائن الكونين بميامين خير الثقلين وبدر الخافقين وخير آداب الحسنين، والعلم بهذا ليس إلّا بالمعصوم؛ لأنّ غيره غلب عليه الهوى فيمكن أن يكون خلاف الغرض المطلوب، فاتّباعه يوجب الإلقاء بالتهلكة المنهية، فإنّه قد يظنّ لا أقلّ منه هذا، ودفع الضرر المظنون واجب، فلا يجوز الإطاعة، ولا أقلّ من كونه مرجوحاً؛ مع أنّ الواجب الراجح الإطاعة، فكيف؟!

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن محمّد بن الحنفيّة، عن أبيه عليّ عليه السلام،

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣٢ ح١٣، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ١٨٩ ح٤، تفسير البرهان ٤: ٣٢٨ح ٨٣٠١.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣٢ ح١٤.

(٣) العنكبوت (٢٩): ٦٩.

(٤) كذا الكلمة في المخطوط.

قال: يقول الله عزّ وجلّ: «وإنّ الله لمع المحسنين» فأنا ذلك المُحسن[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: «والذين جاهدوا» الآية، قال: نـزلت فينا[٢].

وعن زيد بن عليّ عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «إنّ الذين جاهدوا» الآية، قال: نحن هم. قلت: وإن لم تكونوا، وإلّا فَمَن[٣]!

وفي تفسير الصافي عن الباقر عليه السلام: هذه الآية لآل محمّد وأشياعهم[٤].

وفي المعاني عنه عليه السلام: عن أميرالمـؤمنين عليه السلام قـال: ألا وإنّـي مـخصوص فـي القرآن بأسماء احذروا أن تغلبوا عليها فتضلّوا في دينكم، أنا المُحسن، يقول الله تعالى: «إنّ الله لمع المُحسنين»[٥].

سورة الروم وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٩٦٨ ـ ﴿الٓمٓ * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِى أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ إلى قوله: **﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾**[٦].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣٣ ح١٥، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١٩٠ ح١١، تفسير البرهان ٤: ٣٣٠ ح٨٣٠٨، وانظر: معاني الأخبار: ٥٩ ضمن حديث طويل ح٩ وراجع: كنز جامع الفوائد ١: ٤٠٧ ح٤٥٦.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣٣ ح١٦، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١٥٠ ح٣٥، وفي تفسير البرهان ٤: ٣٣٠ ح٨٣٠٩ وفي موضع آخر ٤: ٣٣٠ ح٨٣١١ رواه عن الاختصاص للمفيد وفيه: «نزلت فينا أهل البيت»، ورواه مثله الحاكم الحسكاني في: شواهد التنزيل ١: ٤٤٢ ح٦٠٧.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣٣ ح١٧، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١٥١ ح٣٦، تفسير البرهان ٤: ٣٣٠ ح٨٣١٠.

(٤) تفسير الصافي ٤: ١٢٣، ورواه أيضاً ابن شهر آشوب في: المناقب ٣: ٤٠٣.

(٥) معاني الأخبار: ٥٩ ضمن حديث ٩ باب معاني أسماء محمّد وعليّ وفاطمة والأئمّة عليهم السلام، عنه في: تفسير الصافي ٤: ١٢٣، بحار الأنوار ٢٤: ١٦٣ ح١٤، تفسير نور الثقلين ٤: ٢٣ ح٧٦.

(٦) الروم (٣٠): ١ ـ ٥.

الاستدلال بما مرّ بـ«الٓمٓ» وبالنصرة والرحمة، مرّ غير مرّة.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن عليّ عليه السلام قال: قوله: «الٓمٓ * غلبت الروم» هي فينا وفي بني أُميّة[١].

وعن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن تفسير «الٓمٓ * غلبت الروم» قال: هم بنو أُميّة وإنّما أنزلها الله تعالى: «الٓمٓ * غلبت الروم بنو أُميّة» أي قوله: «يومئذٍ يفرح المؤمنون بنصر الله» عند قيام القائم عليه السلام[٢].

٩٦٩ ـ ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[٣].

كلّ إمام لابدّ أن يكون قائماً عليه داعياً إليه، ولا شيء من غير المعصوم كذلك بالإمكان، فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة؛ لأنّ الصغرى ضروريّة.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: وفي الكافي والقمّي عن الباقر عليه السلام قال: هي الولاية[٤].

وفي البصائر والتوحيد عن الصادق عليه السلام قال: على التوحيد ومحمّد رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ أميرالمؤمنين[٥].

٩٧٠ ـ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣٤، ورواه أيضاً في: تفسير البرهان ٤: ٣٣٥ ح ٨٣١٤.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣٤ ح ٢، وعنه في: بحار الأنوار ٣٠: ٥١٦ ح ١٤، تفسير البرهان ٤: ٣٣٥ ح ٨٣١٥.

(٣) الروم (٣٠): ٣٠.

(٤) تفسير الصافي ٤: ١٣١، وراجع: تفسير القمّي ٢: ١٥٤، الكافي ١: ٤١٨ ـ ٤١٩ ح ٣٥ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، وعنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٧٥ ح ٥٦، وراجع: كنز جامع الفوائد ١: ٤٠٩ ح ٤٥٩.

(٥) بصائر الدرجات: ٩٨ ح ٧ باب النوادر من الأبواب في الولاية، وعنه المجلسي في: البحار ٦٤: ١٣٢ ح ٤، التوحيد: ٣٢٩ ح ٧ باب ٥٣ فطرة الله عزّ وجلّ الخلق على التوحيد، وعنه المجلسي في: البحار ٢٦: ٢٧٧ ح ١٨، وعن البصائر والتوحيد الفيض الكاشاني في: تفسير الصافي ٤: ١٣٢.

فَهٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ الآية[١].

لا ريب أنّ الإمام من الذين أُوتوا العلم والإيمان، فلو كان المراد بهم من الذين أعمّ من الأئمّة وغيرهم من الأنبياء أو أشياعهم المؤمنين؛ لكان لابدّ أن يكون للأئمّة مزيّة بعد رتبة النبوّة على من سواهم بطلان ترجيح المساوي، وهي ليس إلّا باستواء المجعول فيهم، وهو العصمة؛ لاشتراك الموادّ في ما سواها.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: في الكافي والعيون عن الرضا عليه السلام في الحديث الذي يصف فيه الإمامة والإمام، قال: تقلّدها عليّاً عليه السلام بأمر الله عزّ وجلّ فصارت في ذريّته الأصفياء الذين آتاهم الله والإيمان بقوله: «وقال الذين أُوتوا العلم والإيمان» الآية[٢].

القمّي: هذه الآية مقدّمة ومؤخّرة وإنّما هو: «وقال الذين أُوتوا العلم والإيمان في كتاب الله لقد لبثتم إلى يوم البعث»[٣].

سورة لقمان وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٩٧١ - ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ أَنِ

---

(١) الروم (٣٠): ٥٦.

(٢) تفسير الصافي ٤: ١٣٧، وراجع: الكافي ١: ٢٠٠ ضمن حديث ١ كتاب الحجّة - باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢١٨ ضمن حديث ١ باب ٢٠ في ما جاء عن الرضا عليه السلام في وصف الإمامة والإمام، وروي أيضاً في: معاني الأخبار: ٩٧ باب في معنى الإمام المبين، كمال الدين ٢: ٢٧٦ ذيل الحديث ٣١، الأمالي للصدوق: ٧٧٥ ضمن حديث ١/١٠٤٩ المجلس السابع والتسعون، تفسير الصافي ٤: ١٣٧، بحار الأنوار ٢٥: ١٢٢ ضمن حديث ٤ رواه عن الكافي ومعاني الأخبار وأمالي الصدوق والعيون، تفسير نور الثقلين ٤: ١٩٢ ضمن حديث ٩٠ عن العيون.

(٣) تفسير القمّي ٢: ١٦٠، عنه في: تفسير الصافي ٤: ١٣٨، تفسير نور الثقلين ٤: ١٩٢ ح ٩١.

اشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[١].

استدلّ بها بالعلم من حال النبيّ صلى الله عليه وآله، أنّه كان للأُمّة في تدبيره كالوالد لولده، وإليه أشار عليه السلام فيما يروى عنه على ما اشتهر وتواتر بين أهل العلم أنّه قال: إنّما أنا لكم مثل الوالد لولده، وأنّه صلى الله عليه وآله أولى بتصرّفهم في الأمور على ما أشار إليه تعالى بأنّه أولى بهم من أنفسهم، وحديث الغدير صريح في ذلك، وإذا كان الوالد يجب عليه الوصيّة عند موته من يسوس أطفاله بعده، فكذلك النبيّ صلى الله عليه وآله يجب عليه أن يوصي لمن يقوم مأموراً عنه، وأنّه صلى الله عليه وآله إذا كان كذلك يجب ذلك لمن ساواه واتّحد بقضيّة التسوية وآية المباهلة، كما مرّ، فيجب كون الإمام بعده صلى الله عليه وآله عليّاً.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن عبدالله بن سليمان قال: شهدت جابر الجعفي عند أبي جعفر عليه السلام وهو يحدّث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّاً عليه السلام الوالدان.

قال عبدالله بن سليمان: وسمعت عليّاً عليه السلام يقول:[٢] منّا الذي جاء بالصدق ومنّا الذي صدّق به، ولنا المودّة في كتاب الله جلّ وعزّ، وعليّ ورسول الله الوالدان وأمر الله ذريّتهما بالشكر لهما[٣].

وأيضاً عن عبد الواحد بن مختار قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقال: أما علمت أنّ عليّاً عليه السلام أحد الوالدين، قال الله عزّ وجلّ: «اشكر لي ولوالديك».

قال زرارة: فكنت لا أدري[٤] أيّ آية هي: التي في بني إسرائيل أو التي في لقمان؟ فقال: التي في لقمان[٥].

---

(١) لقمان (٣١): ١٤.

(٢) في المصدر هنا زيادة: «منّا الذي أحلّ الخمس».

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣٦ ح ١ وراجع: بحار الأنوار ٣٦: ١٢ ح ١٤، تفسير البرهان ٤: ٣٧٠ ح ٨٤٠٣.

(٤) راجع: بحار الأنوار في ذيل الحديث المذكور حول بيان وجه ترديد زرارة.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣٦ ـ ٤٣٧ ح ٢ والمصنّف رواها مختصراً عن المصدر، عنه في: بحار الأنوار ٣٦: ١٢ ح ١٥، تفسير البرهان ٤: ٣٧١ ح ٨٤٠٤.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: «ووصّينا الإنسان بوالديه» رسول الله وعليّ صلوات الله عليهما[1].

وعن بشير الدهّان أنّه سمع أبا عبدالله عليه السلام يقول: رسول الله صلى الله عليه وآله أحد الوالدين. قال: قلت: والآخر؟ قال: هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام[2].

فعلى هذا التأويل: أنّ معنى قوله «ووصّينا الإنسان بوالديه» أي نوع الإنسان بطاعة والديه، وهما النبيّ والوصيّ صلوات الله عليهما، وإنّما كنّى عنهما بالوالدين؛ لأنّ الوالد هو السبب الأقوى في إنشاء الولد، ولولا الوالد لم يكن الولد، وكذلك محمّد وعليّ صلوات الله عليهما لولاهما لم يكن إنسان ولا حيوان ولا دنيا ولا آخرة؛ لما جاء في الدعاء: «سبحان من خلق الدنيا والآخرة وما سكن في الليل والنهار لمحمّد وآل محمّد»[3]، وجاء في الحديث القدسي: «لولاك لما خلقت الأفلاك»[4]، وجاء في حديث آخر: أنّه سبحانه قال لآدم عليه السلام: «لولا شخصان أُريد أن أخلقهما منك لما خلقتك». والشأن في هذا البيان واضح.

وله معنى آخر وهو: أنّهما الوالدان في العلم والهدى والدين الذي هو سبب حياة الإنسان ولولاه لكان ميتاً، وكان الوالد يغذّي الولد بالثدي والشراب والطعام فذلك[5] النبيّ صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام يغذّيان الإنسان بالعلم والبيان؛ فلهذا صارا

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣٧ ح٣، وراجع: بحار الأنوار ٣٦: ١٣ ح١٦، تفسير البرهان ٤: ٣٧١ ح٨٤٠٥.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣٧ ح٤، عنه في: بحار الأنوار ٣٦: ١٣ ذيل الحديث ١٦، تفسير البرهان ٤: ٣٧١ ح٨٤٠٦.

(٣) بحار الأنوار ٢٤: ٣٩٩ ذيل الحديث ١٢٤.

(٤) بحار الأنوار ٥٧: ١٩٩ ضمن الحديث ١٤٥ عن كتاب الأنوار لأبي الحسن البكري المتوفى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة بمصر.

(٥) في المصدر: «فكذلك» وفي هامش المصدر عن بعض النسخ موافق لما في المتن.

كالوالدين له البرّين به، فعليهما وعلى ذريّتهما أفضل الصلاة والسلام ما دار في الحنك اللسان وقلبت الأنامل والأقلام، وبه يرتفع الآلام والأقسام عن شيعة آل محمّد ﷺ خير الأنام عند من له بهم التمسّك التام[١].

٩٧٢ ـ ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾[٢].

وجود الإمام نعمة؛ لأنّ المعنيّ بالنعمة ما يتعيّش به، والإمام ما يتوقّف عليه إصلاح المعاش والمعاد وهو بعد النبوّة من أعظم النعم وأجلّها، وأنّى يجوز وصف أدناه بسمة النعمة وعدمه في هذا، وأنّ النبيّ ﷺ رحمة، فكذا مَن هو مساويه، وإذا كان غير معصوم فكيف يكون نعمة؟! فضلاً عن الإسباغ، وإسباغ النعمة لا يتمّ إلّا بوجود نصب إمام معصوم وبيانه؛ فبطل الاختيار.

وأُيّد بما في الإكمال والمناقب عن الكاظم عليه السلام: النعمة الظاهرة الإمام الظاهر، والباطنة الإمام الغائب[٣].

وفي الأمالي عن الباقر عليه السلام أنّ النبيّ ﷺ قال لعليّ عليه السلام: قل ما أوّل نعمة أبلاك الله عزّ وجلّ وأنعم عليك بها؟ قال: أن خلقني جلّ ثناؤه ولم أك شيئاً مذكوراً.

قال: صدقت، فما الثانية؟ قال: أن أحسن بي إذ خلقني فجعلني حيّاً لا مواتاً[٤].

قال: صدقت، فما الثالثة؟ قال: أن أنشأني وله الحمد في أحسن صورة وأعدل تركيب.

---

(١) راجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣٧ـ٤٣٨ ذيل الحديث ٤.

(٢) لقمان (٣١): ٢٠.

(٣) إكمال الدين وتمام النعمة: ٣٦٨ ضمن حديث ٦، المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٣١٤، وراجع: تفسير الصافي ٤: ١٤٨، تفسير نور الثقلين ٤: ٢١٢ ح ٨١، تفسير البرهان ٤: ٣٧٦ ح ٨٤٣٠.

(٤) في المصدر: «ميتا».

قال: صدقت، فما الرابعة؟ قال: أن جعلني متفكّراً داعياً[١] لا ساهياً.

قال: صدقت، فما الخامسة؟ قال: أن جعل لي شواعر أدرك ما ابتغيت بها، وجعل لي سراجاً منيراً.

قال: صدقت، فما السادسة؟ قال: أن هداني الله لدينه ولم يُضلّني عن سبيله.

قال: صدقت، فما السابعة؟ قال: أن جعل لي مردّاً في حياة لا انقطاع لها.

قال: صدقت، فما الثامنة؟ قال: أن جعلني ملكاً مالكاً لا مملوكاً.

قال: صدقت، فما التاسعة؟ قال: أن سخّر لي سماءه وأرضه وما فيهما وما بينهما من خلقه.

قال: صدقت، فما العاشرة؟ قال: أن جعلنا سبحانه ذكراناً قوّاماً على حلائلنا إناثاً.

قال: صدقت، فما بعدها؟ قال: كثرت نعم الله يا نبيّ الله فطابت، ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا** ﴾[٢].

فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: لتهنك الحكمة[٣] يا أبا الحسن فأنت وارث علمي والمبيِّن لأُمّتي ما اختلفت فيه من بعدي[٤].

وفي تأويل الآيات الظاهرة: عن جابر قال: قرأ رجل عند أبي جعفر عليه السلام: «وأسبغ عليكم نعمة[٥] ظاهرة وباطنة»، فقال أبو جعفر عليه السلام: هذه قراءة العامّة وأمّا

---

(١) في المصدر: «راغباً لا بُلهة» بدل «داعياً».

(٢) إبراهيم (١٤): ٣٤.

(٣) في المصدر ـ هنا ـ زيادة: «ليهنك العلم».

(٤) الأمالي للشيخ الطوسي: ٤٩١ ـ ٤٩٢ ح ٤٦/١٠٧٧ المجلس السابع عشر، عنه في: تفسير الصافي ٤: ١٤٨، تفسير نور الثقلين ٤: ٢١٣ ح ٨٥.

(٥) في كنز جامع الفوائد: «نعمه» بدل «نعمة».

نحن فنقرأ: «وأسبغ عليكم نعمه[١] ظاهرةً وباطنةً»[٢]، فأمّا النعمة الظاهرة فهو النبيّ صلى الله عليه وآله وما جاء به من معرفة الله وتوحيده، وأمّا النعمة الباطنة فموالاتنا أهل البيت وعقد مودّتنا[٣].

ويؤيّده قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**﴾[٤] فالنعمة التي تمّمها الله النعمة الظاهرة وهي النبيّ صلى الله عليه وآله، وما جاء به كانت هذه نعمة من الله ظاهرة للناس، ولكن كانت ناقصة، فلمّا فرض ولاية أميرالمؤمنين وذريّته الطيّبين قال سبحانه: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي» فكانت ولاية أهل البيت عليهم السلام النعمة الباطنة التي بها كمل الدين، وتمّت نعمة ربّ العالمين[٥].

٩٧٣ ـ ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[٦].

كلّ إمام له هذه الصفات بالضرورة، ولا شيء من غير المعصوم له هذه بالإمكان، فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة، والمقدّمتان ظاهرتان.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي الحسن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام في قوله: «فقد استمسك بالعروة الوثقى» قال: مودّتنا أهل البيت عليهم السلام[٧].

---

(١) في كنز جامع الفوائد: «نعمة» بدل «نعمه».

(٢) صدر الرواية ـ أي إلى هنا ـ لم يرد في تفسير البرهان والبحار.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣٨ ح ٨، كنز جامع الفوائد ١: ٤١٤ ح ٤٦٤، وانظر: بحار الأنوار ٢٤: ٥٢ ح ٧، تفسير البرهان ٤: ٣٧٦ ح ٨٤٢٩، ورواه القمّي أيضاً ٢: ١٦٥ ـ ١٦٦ مع اختلاف قليل.

(٤) المائدة (٥): ٣.

(٥) راجع: تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣٨ ـ ٤٣٩ ذيل الحديث ٨.

(٦) لقمان (٣١): ٢٢.

(٧) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣٩ ح ١٠، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٨٥ ح ٨، تفسير البرهان ٤: ٣٧٩.

وعن زيد بن عليّ عليه السلام قال: العروة الوثقى المودّه لآل محمّد صلوات الله عليهم(١).

٩٧٤ ـ ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٢).

الاستدلال به على العصمة عن طريق الحكمة ظاهر بما مرّ، وبأنّ كلمات الله في القرآن ظاهرة وباطنة؛ لأنّ ما من رطب ولا يابس إلّا فيه، والإمام هو الراسخ في العلم بعده صلى الله عليه وآله لما مرّ، فيكون عالماً بالكلمات فلا نهاية لعلمه لغيره وذلك إعجاز منه، ولو كان هو من الكلمات فالمدّعى ظاهر.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن صاحب الاحتجاج قال: إنّ يحيى بن أكثم سأل مولانا أبا الحسن العسكري عليه السلام عن مسائل منها تأويل هذه الآية، فقال يحيى: ما هذه السبعة أبحر؟ وما الكلمات التي لا تنفد؟ فقال له الإمام عليه السلام: أمّا البحر فهي عين الكبريت، وعين اليمن، وعين البرهوت(٣)، وعين طبريّة، وعين وحمة(٤) بأفريقية، وعين ناحر(٥). وأمّا الكلمات فنحن الكلمات التي لا تنفد علومنا ولا تدرك فضائلنا ولا تُستقصى(٦).

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣٩ ح ١١، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٨٥ ح٨، تفسير البرهان ٤: ٣٧٩.

(٢) لقمان (٣١): ٢٧.

(٣) برهوت: وادٍ باليمن، وقيل في أقصى حضرموت. معجم ما استعجم ١: ٢٤٦.

(٤) في تفسير البرهان «جمّة». والجمّة: المكان الذي يجتمع فيه ماؤه. الصحاح ٥: ١٨٩٠ «جمم» والحمّة: العين الحارّة التي يستشفى بها الأعلاء والمرضى. الصحاح ٥: ١٩٠٤ «حمم».

(٥) في المصدر «باجروان» وفي تفسير البرهان: «باهوران». وقال في: معجم البلدان ١: ٣١٣: باجروان: مدينة من نواحي باب الأبواب قرب شروان، عندها عين الحياة التي وجدها الخضر.

(٦) تأويل الآيات الظاهرة ١: ٤٣٩ ـ ٤٤٠ ح ١٢، وراجع: تفسير البرهان ٤: ٣٨١ ح ٨٤٤٧.

وهذا يدلّ على أنّهم الكلمات، وكذا قوله عزّ وجلّ: ﴿**فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ**﴾[(١)] وهو قوله تعالى: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ**﴾[(٢)] التامّات، عليهم من إله الأرض والسماوات أفضل الصلوات وأكمل التحيّات في كلّ الأوقات في ما غبر وآت.

سورة السجدة وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٩٧٥ ـ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُم مِن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[(٣)].

فيه حثّ على الأعمال، فيجب كونها مبيَّنة، ولا بيان جزماً إلّا بالمعصوم.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن الحارث بن محمّد الأحول، عن أبي عبدالله، وأبي جعفر عليهما السلام، قال: سمعته يقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أُسري به قال لعليّ عليه السلام: يا علي، إنّي رأيت في الجنّة نهراً أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأشدّ استقامة من السهم، فيه أباريق عدد نجوم السماء، على شاطئه قبّات الياقوت الأحمر والدرّ الأبيض، فضرب جبرئيل بجناحيه إلى جانبه فإذا هو مِسْك أَذْفَر.

ثمّ قال: والذي نفس محمّد بيده إنّ في الجنّة لشجراً يتصفّق بالتسبيح، لم يسمع الأوّلون والآخرون بمثله، يثمر ثمراً كالرمّان، وتلقى الثمرة إلى الرجل فيشقّها عن سبعين حلّة، والمؤمنون على كراسيّ من نور وهم الغرّ المحجّلون، أنت إمامهم يوم القيامة، على الرجل منهم نعلان شِراكُهما من نور يُضيء أمامه

---

(١) البقرة (٢): ٣٧.

(٢) البقرة (٢): ١٢٤.

(٣) السجدة (٣٢): ١٧.

حيث شاء من الجنّة، فبينما هو كذلك إذ أشرفت امرأة من فوقه فتقول: سبحان الله! يا عبد الله[١]، أما لنا منك[٢] دولة؟ فيقول لها: من أنت؟ فتقول: أنا من اللواتي قال الله عزّ وجلّ: «فلا تعلم نفسٌ ما أُخفي لهم من قرّة أعين جزاءً بما كانوا يعملون».

ثمّ قال: والذي نفس محمّد بيده وإنّه ليجيئه في كلّ يوم سبعون ألف ملك يُسمّونه باسمه وباسم أبيه[٣].

وسبب ذلك ما ذكره الطوسي رحمه الله في أماليه بإسناده عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، ألا أُبشّرك؟ ألا أمنحك؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: إنّي خُلِقت أنا وأنت من طينة واحدة ففضلت منها فضلة فخلق الله منها شيعتنا فإذا كان يوم القيامة يدعى الناس بأُمّهاتهم إلّا شيعتك فإنّهم يُدعَون بآبائهم لطيب مولدهم[٤].

٩٧٦ ـ إلى ٩٧٨ ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ * أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾[٥].

كلّ إمام يكون له ما في الآية الأُولى، ولا شيء من غير المعصوم له هذه

---

(١) في المصدر: «يا عبدالله» لم ترد.

(٢) في المصدر: «فيك» بدل «منك».

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٤١ ح ١، عنه في: تفسير البرهان ٤: ٣٩٥ ح ٨٤٨٤.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٤٢ ح ٢، وراجع: الأمالي للشيخ الطوسي: ٧٩ ح ١١٨/٢٧ المجلس الثالث، وعنه في: بحار الأنوار ٧: ٢٣٨ ح ٣.

(٥) السجدة (٣٢): ١٨ ـ ٢٠.

بالإمكان، وكلّ غير معصوم يمكن أن يكون فيه ما في الآية الثانية بالضرورة، ولا شيء من الإمام كذلك بالضرورة؛ فالنتيجة من كلّ من التقريرين كون الإمام معصوماً بالضرورة.

وأيضاً إنّ الإمام لابدّ أن يكون من الموصوفين بما في الآية الأُولى، فلو كان كلّهم معصومين، فثبت المطلوب، وإلّا فيلزم له المزيّة بها رُجّح كونه إماماً دون غيره، وليس هذا إلّا بوصف العصمة.

وثالث الأوجه: أنّ الإمام هو المقرِّب بما في الأُولى والمُبعِّد عن الذي يوجب لها في الثانية، فلابدّ أن يكون عالماً بالموجبتين بحيث يصحّ بقوله وفعله الاعتماد، فهو لا يتيسّر إلّا بعصمته، وكلّ غير معصوم فاسق بالإمكان، ولا شيء من الإمام بفاسق بالضرورة لما في هذه الآية، فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة.

وأُكّد بما في الطرائف عن الثعلبي في تفسير قوله تعالى: «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون»، قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام والوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط أخي عثمان لأُمّه، وذلك أنّه كان بينهما تنازع في كلام فيه شيء، فقال الوليد لعليّ عليه السلام: أُسكت فإنّك صبيّ وأنا والله أنشط منك لساناً وأحدّ منك سناناً وأشجع جناناً وأملأ منك حشواً[1] في الكتيبة. فقال له عليّ عليه السلام: أُسكت فإنّك فاسق، فأنزل الله تعالى: «أفمن كان» الآية[2].

---

(١) في تفسير القمّي: «جثواً».

(٢) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٠١ ح١٤٦، وراجع: تفسير الثعلبي ٧: ٣٣٣، عنه في: بحار الأنوار ٣٥: ٣٤٣ ذيل الحديث ١٦. وراجع: تفسير القمّي ٢: ١٧٠، عنه في: تفسير البرهان ٤: ٣٩٧ ح٨٤٩١.

والأخبار مستفيضة من الطريقين[١] بأنّ هذه الآيات نزلت في عليّ عليه السلام، وأُيّدت بما في تأويل الآيات الظاهرة عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: إنّ الوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط [قال] لعليّ عليه السلام: أنا أبسط منك لساناً وأحدّ منك سناناً وأملأ منك حشواً للكتيبة، فقال له عليّ عليه السلام: اُسكت يا فاسق، فأنزل الله عزّ وجلّ: «أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون» إلى قوله: «تُكذِّبون»[٢].

وأيضاً عن ابن عبّاس في قوله عزّ وجلّ: «أفمن كان مؤمناً» إلخ، قال: نزلت في رجلين أحدهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وهو المؤمن والآخر فاسق، فقال الفاسق للمؤمن: أنا والله أحدّ منك لساناً وأنشط لساناً وأملأ منك حشواً في الكتيبة، فقال المؤمن للفاسق: اُسكت يا فاسق، فأنزل الله عزّ وجلّ: «أفمن كان مؤمناً» إلخ. ثمّ بيّن حال المؤمن فقال: «الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنّات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون»، وبيّن حال الفاسق فقال: «وأمّا الذين فسقوا فمأواهم النّار كلّما أرادوا أن يخرجوا منها اُعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذّبون»[٣].

وذكر أبو مِخْنَف رحمه الله أنّه جرى عند معاوية بين الحسن بن عليّ صلوات الله عليهما وبين الفاسق الوليد بن عقبة كلام، فقال له الحسن عليه السلام: لا ألومك أن تسبّ عليّاً وقد جلدك في الخمر ثمانين سوطاً، وقتل أباك صبراً مع رسول

---

(١) شواهد التنزيل للحسكاني ١: ٤٤٧ ح ٦١١، تفسير الدرّ المنثور للسيوطي ٦: ٥٥٣، أسباب النزول للنيسابوري: ٢٣٦، فتح القدير للشوكاني ٤: ٢٥٥، العمدة لابن بطريق: ٣٥٢.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٤٢ ح ٣، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٨٢ ح ٧٧، تفسير البرهان ٤: ٣٩٨ ح ٨٤٩٣.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٤٣ ح ٤، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٨٣ ح ٧٨، تفسير البرهان ٤: ٣٩٨ ح ٨٤٩٤.

الله صلى الله عليه وآله يوم بدر، وقد سمّاه الله عزّ وجلّ في غير آية مؤمناً وسمّاك فاسقاً[١].

٩٧٩ ـ ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[٢].

بما مرّ ظاهر.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي عبدالله عليه السلام حين سُئل عن هذه [الآية] فقال: الأدنى غلاء السعر، والأكبر المهدي بالسيف[٣].

وعنه عليه السلام: الأدنى دابّة الأرض، وأنّها أميرالمؤمنين عليه السلام[٤].

٩٨٠ ـ ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[٥].

نسبة جعل الأئمّة إلى نفسه يقتضي نفي الاختيار، وانتساب الهداية إلى أمره مضافاً إلى الإيقان يقتضي عصمتهم أيضاً للعموم، والتبعيض المستفاد من «مِن» أيضاً يدلّ على ذلك، ولمّا كان الحكم في السلف والخلف غير مفترق، فيجب كون الخليفة بعد نبيّنا صلى الله عليه وآله كذلك.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي جعفر محمّد بن عليّ قال: نزلت هذه الآية في ولد فاطمة خاصّة: «وجعلنا منهم أئمّة يهدون بأمرنا لمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون» أي لمّا صبروا على البلاء في الدنيا وعلم الله منهم الصبر،

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٤٣ ح ٥، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٨٣ ح ٧٩، تفسير البرهان ٤: ٣٩٨ ح ٨٤٩٥.

(٢) السجدة (٣٢): ٢١.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٤٤ ح ٦، عنه في: بحار الأنوار ٥١: ٥٩ ح ٥٥، تفسير البرهان ٤: ٤٠٠ ـ ٤٠١ ح ٨٥٠١.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٤٤ ح ٧، عنه في: بحار الأنوار ٥٣: ١١٤ ذيل الحديث ١٨، تفسير البرهان ٤: ٤٠١ ح ٨٥٠٢، الإيقاظ من الهجعة: ٣٨٦ الحديث الرابع والستّون بعد المائة ـ الباب العاشر في وقوع الرجعة للأنبياء والأئمّة عليهم السلام.

(٥) السجدة (٣٢): ٢٤.

جعلهم أئمّة يهدون بأمره عباده إلى طاعته المؤدّية إلى جنّته، فعليهم من ربّهم صلاته وأكمل تحيّاته(١).

٩٨١ ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ﴾ إلى قوله: **﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾**(٢).

الاستدلال بما مرّ من الشكل الثاني ظاهر.

وأيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن ابن درّاج قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول في قول الله عزّ وجلّ: «قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هُم ينظرون» قال: يوم الفتح يوم تفتح الدنيا على القائم لا ينفع أحداً تقرّب بالإيمان ما لم يكن قبل ذلك مؤمناً، وبهذا الفتح موقناً، فذلك الذي ينفعه إيمانه ويعظم عند الله قدره وشأنه وتُزخرف له يوم القيامة جنانه، وتُحجب عنه نيرانه، وهذا أجر الموالين لأمير المؤمنين ولذريّته الطيّبين، صلوات الله عليهم أجمعين(٣).

سورة الأحزاب وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٩٨٢ ـ ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ إلى قوله: **﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾**(٤).

إنّما يجب إطاعة الإمام إذا علم أنّ مصدر قوله وفعله الوحي إلى النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله مأمور به والإمام ساواه بقضيّة التسوية ومأمور باتّباعه، ولا شيء من غير المعصوم يعلم منه ذلك، فلا يصلح إمامة غير المعصوم، والمقدّمات مثبتة فيما مضى.

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٤٥ ذيل الحديث ٨.

(٢) السجدة (٣٢): ٢٨ و ٢٩.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٤٥ ح ٩، عنه في: تفسير البرهان ٤: ٤٠٣ ح ٨٥١١.

(٤) الأحزاب (٣٣): ٣ ـ ٤.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي الجارود عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه»، قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ليس عبدٌ من عبيد الله ممّن امتحن قلبه للإيمان إلّا وهو يجد مودّتنا على قلبه فهو يودّنا، وما من عبد من عبيد الله ممّن سخط الله عليه إلّا وهو يجد بُغضنا على قلبه فهو يَبْغضنا، فأصبحنا نفرح بحبّ المؤمن ونغتفر له، ونبغض المُبغض، وأصبح مُحبّنا ينتظر رحمة الله عزّ وجلّ، فكأنّ أبواب الرحمة قد فتحت له، وأصبح مبغضنا على شفا جرف من النار، فكان ذلك الشفا قدْ انهار به في نار جهنّم، فهنيئاً لأهل الرحمة رحمتهم، وتعساً لأهل النار مثواهم، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[1]. وإنّه ليس عبد من عبيد الله يُقصّر في حُبّنا لخير جعله الله عنده إذ لا يستوي من يحبّنا ويبغضنا ولا يجتمعان في قلب رجل أبداً، إنّ الله لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه يحبّ بهذا ويبغض بهذا؛ أمّا محبّنا فيخلص الحبّ لنا كما يَخْلُص الذهب بالنار لا كدر فيه، ومبغضنا على تلك المنزلة، نحن النجباء وأفراطنا أفراط الأنبياء، وأنا وصيّ الأوصياء، والفئة الباغية من حزب الشيطان، والشيطان منهم؛ فمن أراد أن يعلم حبّنا فليمتحن قلبه فإن شارك في حبّنا عدوّنا فليس منّا ولسنا منه والله عدوّه وجبرئيل وميكائيل والله عدوّ للكافرين[2].

وقال عليّ عليه السلام: لا يجتمع حبّنا وحبّ عدوّنا في جوف إنسان، إنّ الله عزّ وجلّ

---

(١) النحل (١٦): ٢٩.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٤٦ ح ١، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣١٧ ح ٢٣، تفسير البرهان ٤: ٤٠٩ ح ٨٥١٧. ورواه الثقفي في: الغارات ٢: ٥٨٥ ـ ٥٨٦ مع اختلاف قليل، ورواه كذلك المجلسي في: البحار ٢٧: ٨٣ ح ٢٤ عن أمالي الشيخ الطوسي.

يقول: «ما جعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه»[١].

٩٨٣ ـ ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾[٢].

يعني أنّه صلى الله عليه وآله أولى بهم في الأمور كلّها، فإنّه لا يأمرهم ولا يرضى منهم إلّا بما فيه صلاح معاشهم ونجاة معادهم بخلاف النفس وعموم المؤمنين وغيره ما يقتضي، إذ معنى الولاية ليس إلّا هذا المعنى، فكذلك أُطلق، فيجب أن يكون أحبّ إليهم من أنفسهم، وأمره أنفذ عليهم من أمرها، وشفقته عليهم أتمّ من شفقتهم عليها، وذلك يقتضي كونه أحبّ وأولى من الآباء، فيجب كونه أولى بما يجب عليهم من الوصيّة إذا علم أو ظنّ تهلكة الأولاد، فبطل الاختيار.

وإنّه صلى الله عليه وآله إذا أوصى يجب أن يكون مصدره الوحي الإلهي؛ لأنّه لا ينطق عن الهوى إن هو إلّا وحيٌ يوحى، وذلك المصدر...[٣] بتبرئة الخطأ فيكون الإمام معصوماً وإلّا لنفى الغرض ولما تمّت الحجّة ولكان يساوي عدمه وجوده فلا ترجيح، وإنّه صلى الله عليه وآله إذا كان له ذلك فكذا ما سواه في الاتحاد النفسي وقضيّة التسوية بينه وبين خليقته، وقد مرّ ما دلّ عليه من الآيات، مثل المباهلة وآية أُولي الأمر والأخبار أيضاً.

وأُيّد بما في تفسير الصافي عن الباقر والصادق عليهما السلام أنّهما قرءا: وأزواجه أُمّهاتهم وهو أبٌ لهم[٤].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٤٧ ح٢، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣١٨ ح ٢٤، تفسير البرهان ٤: ٤١٠ ح٨٥١٨.

(٢) الأحزاب (٣٣): ٦.

(٣) توجد ـ هنا ـ كلمة غير واضحة في المخطوط.

(٤) تفسير الصافي ٤: ١٦٤.

القمّي قال: نزلت وهو أب لهم[١].

أقول: يعني في الدين والدنيا جمعاً، أمّا في الدين فإنّ كلّ بني أب لأُمّته من جهة إنّه أصل فيما به الحياة الأبديّة؛ ولذلك صار المؤمنون إخوة.

وورد أيضاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: أنا وعليّ أبوا هذه الأُمّة، كما مرّ في سورة البقرة، وذلك لأنّهما في هذا المعنى سواء إلّا أنّ عليّاً بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، أمّا في الدنيا فلإلزام الله إيّاه مؤونتهم وتربية أيتامهم، ومن يضيع منهم[٢].

القمّي: جعل الله عزّ وجلّ المؤمنين أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل رسول الله أباهم لمن لم يقدر أن يصون نفسه ولم يكن له مال وليس له على نفسه ولاية فجعل الله تعالى لنبيّه الولاية على المؤمنين وجعله أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله بغدير خمّ: أيّها الناس، ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، ثمّ أوجب لأميرالمؤمنين عليه السلام ما أوجبه لنفسه عليهم من الولاية فقال: ألا من كنت مولاه فعليّ مولاه.

فلمّا جعل الله عزّ وجلّ النبيّ أباً للمؤمنين ألزمه مؤونتهم وتربية أيتامهم فعند ذلك صعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر فقال: من ترك مالاً فلورثته، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فعلَيّ وإليّ، فألزم الله نبيّه صلى الله عليه وآله للمؤمنين ما يلزم الوالد، وألزم المؤمنين من الطاعة له ما يلزم الولد للوالد، فكذلك ألزم أميرالمؤمنين عليه السلام ما ألزم رسولالله صلى الله عليه وآله من بعد ذلك وبعده الأئمّة صلوات الله عليهم واحداً واحداً قال. والدليل على أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأميرالمؤمنين عليه السلام هما والدان قوله تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا**

---

(١) تفسير القمّي ٢: ١٧٥، عنه في: تفسير الصافي ٤: ١٦٥.

(٢) راجع: تفسير الصافي ٤: ١٦٥.

تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾[١] فالوالدان رسول الله صلى الله عليه وآله وأميرالمؤمنين عليه السلام.

وقال الصادق عليه السلام: فكان إسلام عامّة اليهود بهذا السبب؛ لأنّهم أمنوا على أنفسهم وعيالاتهم[٢].

وفي العلل عن الكاظم عليه السلام أنّه سُئل: لِمَ كُنّي النبيّ صلى الله عليه وآله بأبي القاسم؟ فقال: لأنّه كان له ابن يُقال له القاسم فكنّي به.

فقال السائل: يابن رسول الله، فهل تراني أهلاً للزيادة؟ فقال: نعم، أما علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أنا وعليّ أبوا هذه الأُمّة؟ قال: بلى. قال: أما علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أب لجميع أمته وعليّ منهم؟ قال: بلى. قال: أما علمت أنّ عليّاً قاسم الجنّة والنار؟ قال: بلى. قال: فقيل له أبو القاسم؛ لأنّه أبو قاسم الجنّة والنار.

قال: وما معنى ذلك؟ فقال: إنّ شفقته صلى الله عليه وآله على أُمّته كشفقة الآباء على الأولاد، وأفضل أُمّته عليّ عليه السلام ومن بعده شفقة عليّ عليه السلام عليهم كشفقته؛ لأنّه وصيّه وخليفته والإمام بعده، فلذلك قال صلى الله عليه وآله: أنا وعليّ أبوا هذه الأُمّة.

وصعد النبيّ صلى الله عليه وآله المنبر فقال: من ترك ديناً أو ضياعاً[٣] فعلَيّ وإليّ، ومن ترك مالاً فلورثته، فصار بذلك أولى من آبائهم وأُمّهاتهم، وصار أولى بهم من أنفسهم، وكذلك أميرالمؤمنين عليه السلام بعده جرى ذلك له مثل ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وآله[٤].

---

(١) النساء: ٣٦.

(٢) تفسير القمّي ٢: ١٧٥ ـ ١٧٦، عنه في: تفسير الصافي ٤: ١٦٥.

(٣) قال المجلسي في البحار في توضيح ذلك: قال الجزري: الضياع: العيال، وأصله مصدر ضاع يضيع، فسمّي العيال بالمصدر، كما تقول: من مات وترك فقراً، أي فقراء، وإن كسرت الضاد كان جمع ضائع كجائع وجياع.

(٤) علل الشرائع ١: ١٢٧ ح٢ (باب ١٠٦ العلّة التي من أجلها سمّي النبيّ صلى الله عليه وآله محمّد وأحمد وأبا ⇐

وفي الكافي عن سليم بن قيس قال: سمعت عبدالله بن جعفر الطيّار يقول: كنّا عند معاوية أنا والحسن والحسين وعبدالله بن عبّاس وعمر بن أُمّ سلمة وأُسامة بن زيد، فجرى بيني وبين معاوية كلام فقلت لمعاوية: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، [ثمّ أخي عليّ بن أبي طالب أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد عليّ فالحسن بن عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، ثمّ ابني الحسين من بعده أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابنه عليّ بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم] وستدركه[1] يا عليّ، ثمّ ابنه محمّد ابن عليّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا حسين، ثمّ تكملة اثني عشر إماماً تسعة من ولد الحسين.

قال عبدالله بن جعفر: واستشهدت الحسن والحسين وعبدالله بن عبّاس وعمر ابن أُمّ سلمة وأُسامة بن زيد فشهدوا لي عند معاوية.

قال سليم: وقد سمعت بذلك من سلمان وأبي ذرّ والمقداد وذكروا أنّهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله[2].

⇐ القاسم...)، عنه في: بحار الأنوار ١٦: ٩٥ ح٢٩، معاني الأخبار: ٥٢ ح٣ باب معاني النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، تفسير الصافي ٤: ١٦٥، تفسير نور الثقلين ٤: ٢٣٨ ح١٨ عن علل الشرائع، مستدرك الوسائل (الخاتمة) ٥: ١٤ الفائدة الخامسة في شرح مشيخة من لا يحضره الفقيه.

(١) كان لعليّ بن الحسين عليه السلام عند شهادة أمير المؤمنين عليه السلام سنتان، فإنّ ميلاده في سنة ٣٨هـ وشهادة جدّه عليه السلام سنة ٤٠هـ. راجع: هامش الكافي وغيبة النعماني.

(٢) الكافي ١: ٥٢٩ ح٤ كتاب الحجّة - باب ما جاء في الاثني عشر والنصّ عليهم عليهم السلام، ورواه النعماني في: كتاب الغيبة: ٩٥-٩٦ ح٢٧ الباب الرابع ما روي في أنّ الأئمّة اثنا عشر إماماً وأنّهم من الله وباختياره، وانظر: كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ١٣٧ - ١٣٨ ح١٠١ روايات الخاصّة في أنّ الأئمّة عليهم السلام اثنا عشر (ط. مؤسّسة المعارف الإسلاميّة).

وعن الصادق عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: أنا أولى بكلّ مؤمن من نفسه، وعليّ أولى به من بعدي.

فقيل له: ما معنى ذلك؟ فقال: قول النبيّ صلى الله عليه وآله: من ترك ديناً أو ضياعاً فعلَيّ، ومن ترك مالاً فلورثته؛ فالرجل ليست له على نفسه ولاية إذا لم يكن له مال، وليس له على عياله أمر ولا نهي إذا لم يجر عليهم النفقة، والنبيّ وأميرالمؤمنين ومن بعدهما سلام الله عليهم ألزمهم هذا من هناك صاروا أولى بهم من أنفسهم، وما كان سبب إسلام عامّة اليهود إلّا من بعد هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وآله وإنّهم أمنوا على أنفسهم وعيالاتهم[1].

وفي نهج البلاغة في حديث عليّ عليه السلام قال: فوالله إنّي لأولى الناس بالناس، ﴿ **وأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللَّهِ** ﴾[2] [3]. مرّ ويجيء أنّه يدلّ على بطلان القول بالاختيار.

وأيضاً إنّه مجمل من جهة خلق القرابة والإمرة أو الإرث أو الأعمّ من الثلاث أو الاثنين، فلابدّ أنّ الإمام يعلم ذلك أنّه من الراسخين؛ فثبت عصمته بذلك.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه سُئل عن قول الله عزّوجلّ ﴿ **وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ** ﴾[4]، قال: نزلت في ولد الحسين.

---

(١) تفسير الصافي ٤: ١٦٧، تفسير نور الثقلين ٤: ٢٤٠ ح٢٣.

(٢) الأحزاب (٣٣): ٦.

(٣) نهج البلاغة (شرح محمّد عبده) ١: ٢٣١ رقم ١١٨ ط. دار الذخائر، عنه في: تفسير الصافي ٤: ١٦٧.

(٤) الأحزاب (٣٣): ٦.

قال: قلت: جعلت فداك، نزلت في الفرائض؟ قال: لا. قلت: ففي المواريث؟ فقال: لا. قال: نزلت في الإمرة[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: سألت مولاي فقلت: قوله عزّ وجلّ: «وأُولوا الأرحام بعضهم أولى ببعضهم في كتاب الله»، قال: هو عليّ عليه السلام.

معناه: أنّه رحم النبيّ صلى الله عليه وآله فيكون أولى به من المؤمنين والمهاجرين[٢].

وعن زيد بن عليّ عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «وأُولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين»، قال: رحم رسول الله صلى الله عليه وآله أُولى بالإمارة والمُلك والإيمان[٣].

وعن عبد الرّحيم بن روح القصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: قوله عزّ وجلّ: «وأُولوا الأرحام بعضهم» إلخ، فيمن نزلت؟ قال: في الإمرة نزلت وجرت هذه الآية في ولد الحسين من بعده؛ فنحن أولى بالإمرة وبرسول الله صلى الله عليه وآله من المؤمنين والمهاجرين.

قلت: فلولد جعفر بن أبي طالب فيها نصيب؟ قال: لا. قلت: فولد العبّاس؟ قال: لا، فعددت عليه بطون عبد المطّلب كلّ ذلك يقول لا، ونسيتُ ولد الحسن عليه السلام فدخلت عليه بعد ذلك، فقلت: فهل لولد الحسن فيها نصيب؟ فقال

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٤٧ ح ٤، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٢٥٧ ح ٣، تفسير البرهان ٤: ٤١٦ ح ٨٥٣٧.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٤٨ ح ٥، تفسير البرهان ٤: ٤١٦ ح ٨٥٣٧، وانظر: بحار الأنوار ٢٣: ٢٥٨ ح ٤.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٤٨ ح ٦، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٢٥٨ ح ٥، تفسير البرهان ٤: ٤١٦ ح ٨٥٣٩.

[لا والله][1]: يا عبد الرّحيم، ما لمحمّديّ فيها نصيب غيرنا[2].

٩٨٤ ـ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[3].

بيان الأُسوة وما به الأُسوة الحسنة ليس إلّا ببيان المعصوم.

٩٨٥ ـ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[4].

الإمام لابدّ أن يكون موصوفاً بهذه الصفات داعياً لها بالضرورة، ولا شيء من غير المعصوم كذلك بالإمكان، فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة.

ويُعضد بما في تفسير الصافي عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: «رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه»، قال: لا يزال أبداً «فمنهم من قضى نحبه» أي أجله وهو حمزة وجعفر بن أبي طالب، «ومنهم من ينتظر» أجله يعني عليّاً عليه السلام[5].

وفي الخصال عنه عن أميرالمؤمنين في حديث له مع يهوديّ قال: ولقد كنت عاهدت الله ورسوله أنا وعمّي حمزة وأخي جعفر وابن عمّي عبيدة على أمر وفينا به لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله فتقدّمني أصحابي وتخلّفت بعدهم لما أراد الله تعالى، فأنزل الله تعالى فينا: «من المؤمنين رجال صدقوا» الآية[6].

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يرد في المخطوط، بل أثبتناه من المصدر.

(٢) الكافي ١: ٢٨٨ ح ٢ كتاب الحجّة ـ باب ما نصّ الله عزّ وجلّ ورسوله على الأئمّة واحداً فواحداً، وعنه في: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٤٨ ح ٧، تفسير البرهان ٤: ٤١٢ ح ٨٥٢٢، تفسير نور الثقلين ٤: ٢٣٩ ح ٢٠.

(٣) الأحزاب (٣٣): ٢١.

(٤) الأحزاب (٣٣): ٢٣.

(٥) تفسير الصافي ٤: ١٨٠.

(٦) الخصال: ٣٧٦ ضمن حديث طويل تحت رقم ٥٨، عنه في: بحار الأنوار ٣١: ٣٤٩، تفسير ⇐

وفي المجمع عن عليّ عليه السلام: فينا نزلت: «رجال صدقوا»، قال: فأنا والله المنتظر وما بدّلت تبديلاً[١].

وفي سعد السعود: عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ **وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾[٢]، قال: كونوا مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام وآل محمّد صلى الله عليه وآله، قال: «ومن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى» وهو حمزة بن عبد المطّلب «ومنهم من ينتظر» وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، يقول الله: «وما بدّلوا تبديلاً»[٣].

وفي المناقب: أنّ أصحاب الحسين عليه السلام بكربلاء كانوا كلّ من أراد الخروج ودّع الحسين عليه السلام وقال: السلام عليك يابن رسول الله، فيجيبه: وعليك السلام ونحن خلفك، ويقرأ: «فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر»[٤].

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: المؤمن مؤمنان: فمؤمن صدق بعهد الله ووفّى بشرطه وذلك قول الله: «رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه» فذلك الذي لا يصيبه أهوال الدنيا ولا أهوال الآخرة وذلك ممّن يَشفع ولا يُشفع له، ومؤمن كخامة الزرع[٥] تَعْوَجّ أحياناً، وتقوم أحياناً، فذلك ممّن تُصيبه أهوال الدنيا وأهوال

⇐ الصافي ٤: ١٨٠ ـ ١٨١، تفسير نور الثقلين ٤: ٢٥٨ ح ٥٠، وراجع: شرح الأخبار للقاضي النعمان ١: ٣٥٣.

(١) تفسير مجمع البيان ٨: ١٤٥، عنه في: تفسير الصافي ٤: ١٨١، تفسير نور الثقلين ٤: ٢٥٩ ح٥٣، ورواه الحاكم الحسكاني في: شواهد التنزيل ٢: ١ ح٦٢٧.

(٢) التوبة(٩): ١١٩.

(٣) سعد السعود: ١٢٢ ط. الشريف الرضي، عنه في: تفسير الصافي ٤: ١٨١، بحار الأنوار ٢٤: ٣٣، تفسير نور الثقلين ٤: ٢٥٩ ح ٥٤.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٢٥٠، عنه في: بحار الأنوار ٤٥: ١٥، تفسير الصافي ٤: ١٨١، تفسير نور الثقلين ٤: ٢٦٠ ح ٥٧.

(٥) الخامةُ: الغَضَّةُ الرَّطْبَةُ من النبات. قال ابن الأثير: وهي الطاقة اللينة، وألفها منقلبة عن واو. لسان العرب ١٢: ١٩٢ «خوم».

الآخرة، وذلك ممّن يُشفع له ولا يَشْفَع[١].

وعنه عليه السلام: فقد ذكركم في كتابه فقال: «من المؤمنين رجال صدقوا» الآية، إنّكم وفيتم بما أخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتنا وإنّكم لم تبدّلوا بنا غيرنا[٢].

وعنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، من أحبّك ثمّ مات فقد قضى نحبه، ومن أحبّك ولم يمت فهو ينتظر، وما طلعتْ شمس ولا غربت إلّا طلعتْ عليه برزقٍ وإيمان ـ وفي نسخة: نور ـ[٣].

٩٨٦ ـ ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾[٤].

كلّ غير معصوم كذلك بالفعل، ولا شيء من الإمام كذلك بالضرورة، فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة عند قوم، ودائماً على قول.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن عبدالله بن مسعود أنّه كان يقرأ: «وكفى الله المؤمنين القتال ـ بعليّ ـ وكان الله قويّاً عزيزاً»[٥].

---

(١) الكافي ٢: ٢٤٨ ح١ كتاب الإيمان والكفر ـ باب في أنّ المؤمن صنفان، عنه في: تفسير البرهان ٤: ٤٣٢ ح٨٥٥٩، تفسير نور الثقلين ٤: ٢٦٠ ح٥٨، بحار الأنوار ٦٤: ١٨٩ ح١، تفسير الصافي ٤: ١٨١.

(٢) الكافي ٨: ٣٥ ضمن حديث ٥ (الخطبة الطالوتيّة)، عنه في: تفسير الصافي ٤: ١٨١.

(٣) الكافي ٨: ٣٠٦ ح٤٧٥، وعنه في: تفسير الصافي ٤: ١٨١، تفسير نور الثقلين ٨: ٢٥٨ ح٤٩، تفسير البرهان ٤: ٤٣٢ ح٨٥٥٨.

(٤) الأحزاب (٣٣): ٢٥.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٥٠ ح١٠، عنه في: بحار الأنوار ٣٦: ٢٥ ح١٠، تفسير البرهان ٤: ٤٣٣ ح٨٥٦١.

وعن أبي زياد[1] بن مطرب[2] قال: كان عبدالله بن مسعود يقرأ: «وكفى الله المؤمنين القتال بعليّ». قال أبو زياد: وهي في مصحفه: كذا رأيتها، وسبب نزول هذه الآية وأنّ المؤمنين كُفُوا القتال بعليّ عليه‌السلام وأنّ المشركين تحزّبوا واجتمعوا في غزوة الخندق[3]، والقصّة مشهورة غير أنّا نحكي: طرفاً منها وهو: أنّ عمرو بن

---

(١) في تفسير البرهان: «عن زياد».

(٢) في تأويل الآيات الظاهرة وتفسير البرهان: «مَطَر» وفي هامشه عن بعض النسخ كما في المتن.

(٣) سُمّيت واقعة الخندق بالأحزاب؛ لتحزّب جيش العدو؛ لأنّه كان مؤلفاً من قريش وسائر القبائل على ما بينها من التنافر والتناحر، ومن اليهود وغيرهم، وكان عددهم عشرة آلاف بقيادة أبي سفيان، وكان عدد جيش المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل، وقد ضاق المسلمون ذرعاً وساد فيهم الرعب والخوف، وذلك لقوة المشركين وانضمام اليهود إليهم، وقد حكى القرآن الكريم مدى الفزع الذي أصاب المسلمين من أعدائهم، قال تعالى: ﴿**إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ**﴾ الأحزاب: ١٠. وفي تاريخ اليعقوبي ٢: ٥٠: كانت واقعة الخندق في السنة السادسة من الهجرة، فاجتمع أعداء المسلمين في موضع بقرب المدينة يقال له: «سلع».

وقد شاور النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله أصحابه حول كيفية مواجهة هذا العدو، فاقترح سلمان حفر خندق في مدخل المدينة لتعويق العدو، فحفروا الخندق، واشترك الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله مع أصحابه في ذلك، وبهذا العمل بقي جيش العدو خلف المدينة الذي كان ينوي دخولها ومهاجمة المسلمين. وظل العدو المغرور على هذه الحال شهراً تقريباً، حتى وقعوا في مأزق بسبب صعوبة الإمداد، بالإضافة الى طول فترة انتظار شروع الحرب.

وفي ذات يوم عبر عمرو بن عبدود ـ من أكبر فرسان العدو ـ ومعه عدد من فرسان الحرب المشهورين، من أحد نقاط الخندق راجع: السيرة النبويّة (لابن هشام) ٣: ٢٣٥؛ الكامل في التاريخ ٢: ١٨١. وصاروا أمام المسلمين، وطلبوا أن يبرز إليهم أمثالهم للمبارزة، فلم يجبهم أحد، وكرّروا نداءهم عدّة مرّات وكان لعمرو صيته المخيف المرعب، ففزع منه الجميع، وحبست الأنفاس في الصدور، ولم تلق نداءاته التي تُعرب عن غروره وخيلائه أيّ جواب، فأمر رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله أن يقوم إليه أحد ويقتلع شرّه فلم يجرأ على ذلك إلّا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه‌السلام، فقام إليه.

انظر: السنن الكبرى للبيهقي ٩: ١٣٢، المغازي للواقدي ٢: ٤٧٠ ـ ٤٧١، السيرة النبويّة لابن هشام ٣: ٢٣٦، الإرشاد للمفيد ١: ١٠٠.

وذكر الواقدي: لمّا دعا عمرو إلى البراز، قال عليّ عليه‌السلام: أنا أبارزه يا رسول الله! ثلاث مرّات.

⇐

⇐ وإن المسلمين يومئذٍ كأنّ على رؤوسهم الطير لمكان عمرو وشجاعته. انظر: المغازي (للواقدي) ٢: ٤٧٠. وقال عمرو بن عبدود العامري يوم الخندق:

ولقد بححت من النداء ... بجمعكم هل من مبارز

ووقفت إذ جبن الشجاع ... بموقف البطل المناجز

إنــي كــذلك لم أزل ... متسرعاً نحو الهزاهز

إنّ الشجاعة والسماحة ... في الفتى خير الغرائز

فبرز إليه أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول:

لا تـعجلنّ فقد أتاك ... مجيب صوتك غير عاجز

ذو نــيّة وبــصيرة ... والصدق منجى كلّ فائز

إنّــي لأرجــو أن ... أقيم عليك نائحة الجنائز

مــن ضــربة نــجلاء ... يبقى ذكرها عند الهزاهز

راجع: أعيان الشيعة ١: ٥٥٢ وانظر: مستدرك الحاكم ٣: ٨ وهذه بعض الأبيات من قصيدة رائعة طويلة للشيخ كاظم الأُزريّ، المتوفى سنة ١٢٠١ هـ، يصوّر فيها الواقعة، ويشير إلى شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام في تلك اللحظات الحساسة:

فابتدى المصطفى يحدّث عما ... تؤجر الصابرون في أُخراها

قــائلاً إنّ للــجليل جــناناً ... ليس غــير المجاهدين يراها

أيــن مــن نــفسه تتوق إلى ... الجنات أو يورد الجحيم عداها

فالتووا عــن جوابه كسوام ... لا تــراهــا مجيبة من دعاها

وإذا هـــم بــفارس قرشي ... ترجف الأرض خيفة إذ يطاها

قــائلاً مــا لهــا سواي كفيل ... هـــذه ذمّـــة عــليّ وفاها

ومشـــى يطلب الصفوف كما ... تمشي خماص الحشا إلى مرعاها

فــانتضى مشــرفيه فتلقى ... ســاق عــمرو بضربة فبراها

وإلى الحشـــر رنّــة السيوف منه ... يــملأ الخافقين رجع صداها

يــا لهــا ضــربة حوت مكرمات ... لم يــزن ثــقل أجرها ثقلاها

مــن لعــمرو وقــد ضــمنت ... عــلى الله له مــن جنانه أعلاها

هــذه مــن عــلاه إحدى المعالي ... وعــلى هــذه فقس ما سواها

راجع: أعيان الشيعة ١: ٥٥٧.

⇐

⇐ ولمّا تقابلا قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله -كما ذكروها أهل السير- عبارته الخالدة:
«برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه». راجع: شرح نهج البلاغة ١٣: ٢٨٥؛ ينابيع المودة ١: ٢٨١؛ أعيان الشيعة ١: ٣٩٧.

وبعد قتال شديد عاجله الإمام عليه السلام بهجمة سريعة، فقضى عليه، وملئت صيحة «الله أكبر» الآفاق، فلاذ أصحاب عمرو حينئذٍ بالفرار، وتبدد جيش الأحزاب على ما كان عليه من قوة وشوكة، وبعد أن صُرع هذا القائد المغرور، ولّى أصحابه مدبرين خائفين وألقى الإمام عليه السلام بضربته القاتلة تراب الذل والخوف والرعب على وجوه المشركين.

فكان لقتل عمرو بن عبدود في تلك اللحظات الخطيرة والظروف الصعبة، دوراً مهمّاً ومصيريّاً في تاريخ المسلمين إلى درجة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبدود يوم الخندق أفضل من أعمال أُمتي إلى يوم القيامة» المستدرك على الصحيحين ٣: ٣٢؛ بحار الأنوار ٣٩: ١.

وفي رواية: «لضربة عليّ لعمرو يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين». عوالي اللآلي ٤: ٨٦، بحار الأنوار ٣٩: ٢.

وبعد أن قتل الإمام عليه السلام عمراً، ترفّع عن سلب درعه الثمين لأنّه كان عليه السلام يقاتل في سبيل الله ولأجل إعلاء كلمة الحق لا غير، ولم يخف كلّ هذا الترفع والخُلق الرفيع عن سلب الدرع وغيره عن الأنظار، حتّى أُخت عمرو نفسها حين وقفت على جنازة أخيها، حيث أثنت على الإمام عليه السلام.

ورد عن عاصم بن عمر بن قتادة، قال لمّا قتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام عمرو بن عبدود أنشأت أُخته عمرة بنت عبدود ترثيه فقالت:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله	بكيته ما أقام الروح في جسدي
لكن قاتله من لا يعاب به	وكان يُدعى قديماً بيضة البلد

راجع: المستدرك على الصحيحين ٣: ٣٣.

ولقد تناقلت كتب التاريخ والسير وغيرها بطولات الإمام عليه السلام في واقعة الخندق، ودوره البارز في الدفاع عن الإسلام والمسلمين.

وفي شرح نهج البلاغة عن أبي بكر بن عياش: لقد ضرب علي بن أبي طالب عليه السلام ضربة ما كان في الإسلام أيمن منها؛ ضربته عمراً يوم الخندق. شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد) ١٩: ٦١، وانظر: البحار ٣٩: ٣.

وقد صرّح الحاكم في: المستدرك على الصحيحين: بأنّ قتل عليّ عمراً من الأحاديث ⇐

عبد ودّ كان فارس قريش المشهور، يُعدّ بألف فارس، وكان قد شهد بدراً ولم يشهد أُحداً، فلمّا كان يوم الخندق خرج مُعلِماً ليُري الناس مقامه، فلمّا رأى الخندق قال: مكيدة لم نعرفها من قبل، وحمل فرسه عليه فعطفه ووقف بإزاء المسلمين ونادى: هل من مبارز؟ فلم يُجبه أحد، فقام عليّ عليه السلام وقال: أنا يا رسول الله، قال: إنّه عمرو اجلس. فنادى ثانية، فلم يُجبه أحد، فنادى ثالثة فلم يُجبه أحد. فقام عليّ عليه السلام وقال: أنا يا رسول الله، قال: إنّه عمرو، فقال: وإن كان عمرو، فاستأذن النبيّ صلى الله عليه وآله في برازه فأذن له.

قال حُذيفة رحمه الله: فألبسه رسول الله صلى الله عليه وآله درعه الفضول وأعطاه ذو الفقار وعمّمه

⇐ المسندة. راجع: المستدرك على الصحيحين ٣: ٣٤. وكان عمرو ما له من القوة والهيبة بحيث يُعد بألف فارس. الأمالي (للصدوق): ١٦٧؛ بحار الأنوار ٢٠: ٢٠٢؛ تفسير الآلوسي ٢١: ١٥٥ (تفسير سورة الأحزاب). ولقد كفى الله المؤمنين القتال في معركة الخندق وذلك لأنّ أحد الأسباب المهمّة وهي ضربة الإمام علي عليه السلام لعمرو في الوقت المناسب، بحيث ألقى الرعب بعدها في قلوب الأعداء، وأذلّهم، كما بعث الثقة والاطمئنان في نفوس المسلمين، فرجوا النصر بعد اليأس منه. وبالتالي قلبت تلك الضربة الوضع رأساً على عقب وبعدها أصبح الأمر لصالح المسلمين. وعن الحاكم النيسابوري في: المستدرك على الصحيحين أن يحيى بن آدم قال: ما شبهت قتل عليّ عمراً إلّا بقول الله عزّوجل: ﴿**فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ**﴾ البقرة: ٢٥١. راجع: المستدرك على الصحيحين ٣: ٣٤.

ولمّا قتل الإمام عليّ عليه السلام عمراً كبّر رسول الله صلى الله عليه وآله وكبّر المسلمون سمعها مَنْ وراء الخندق من عساكر المشركين؛ ولذلك قال حذيفة بن اليمان: لو قُسِمت فضيلة عليّ عليه السلام بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم. وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**وكفى اللهُ المؤمنين القِتال**﴾ الأحزاب: ٢٥ قال: بعليّ بن أبي طالب عليه السلام. راجع: شرح نهج البلاغة (لابن أبي الحديد) ١٣: ٢٨٤.

وقتل الإمام عليه السلام بطلاً آخر من صناديد قريش وهو نوفل بن عبدالله، وسبّب ذلك هزيمة كبرى لقريش، وراح الرسول صلى الله عليه وآله يقول: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا». الإرشاد للشيخ المفيد ١: ١٠٦.

وولت قريش منهزمة على أعقابها تجرّ أذيال الخيبة والخسران.

عمامته السّحاب على رأسه تسعة أدوار، وقال له: تقدّم. فلمّا ولّى قال النبيّ ﷺ: برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلّه، اللهمّ احفظه من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، وعن فوق رأسه، ومن تحت قدميه.

فلمّا رآه عمرو قال له: مَن أنت؟ قال: أنا عليّ. قال: ابن عبد مناف؟ فقال: ابن أبي طالب. فقال: غيرك يابن أخي من أعمامك أسنّ منك فإنّي أكره أن أُهرِقَ دمك. فقال له عليّ عليه السلام: ولكنّي والله لا أكره أن أُهرِقَ دمك. قال: فغضب عمرو ونزل عن فرسه وعقرها وسلّ سيفه كأنّه شُعلة نار، ثمّ أقبل نحو عليّ عليه السلام فاستقبله عليّ عليه السلام بَدرَقَتِه[1] فقدّها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجّه، ثمّ إنّ عليّاً عليه السلام ضربه على حبل عاتقه فسقط الأرض وثارت بينهما عَجاجة فسمعنا تكبير عليّ عليه السلام. فقال رسول الله ﷺ: قتله والذي نفسي بيده. قال: وحزّ رأسه وأقبل نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلّل. قال له النبيّ ﷺ: أبشر يا علي فلو وُزِنَ اليوم عملُك بعمل اُمّة محمّد لرجح عملك بعملهم، وذلك أنّه لم يبقَ بيت من المشركين إلّا ودخله وهن، ولا بيت من المسلمين إلّا ودخله عزّ.

قال: ولمّا قُتِل عمرو وخذل الأحزاب وأرسل الله عليهم ريحاً وجنوداً من الملائكة فولّوا مدبرين بغير قتال، وسببه قتل عمرو، فمن ذلك قال سبحانه: «وكفى الله المؤمنين القتال» بعليّ[2].

وأحقّ من قيل فيه هذان البيتان:

يا فارس الإسلام حين توجّلت فرسانه وتخاذلت عن نصره

---

(١) الدرقة ـ محرّكة ـ: وهي تُرس من جلود ليس فيه خشب ولا عَقَب. لسان العرب ١٠: ٩٥ «درق».

(٢) تفسير البرهان ٤: ٤٣٣ ـ ٤٣٤ ح ٨٥٦٢.

والصارم الذكر[١] الذي اقتضت به   من ستر النقع عذره[٢] بكره[٣]

وروى الحافظ أبو منصور بن شهردار بن شيرويه بإسناده إلى ابن عبّاس، قال: لمّا قتل عليٌّ عليه السلام عمراً ودخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه يقطر دماً، فلمّا رآه كبّر وكبّر المسلمون، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: اللهمّ أعط عليّاً فضيلة لم يُعْطَها أحداً قبله ولم يُعْطَها بأحد بعده. قال: فهبط جبرئيل عليه السلام ومعه من الجنّه أُترجّة، فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله يقرأ عليك السلام ويقول لك: حيّ بهذه عليّ بن أبي طالب، قال: فدفعها إلى عليّ عليه السلام فانفلقت في يده فلقتين فإذا منها حريرة خضراء فيها مكتوب سطران بخضرة: «تحفة من الطالب الغالب إلى عليّ بن أبي طالب»[٤].

٩٨٧ ـ ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾[٥].

وجه الاستدلال أنّ منها من قاتل الإمام عليه السلام، ومن كان كذلك أتى بفاحشة مبيّنة فتكون مرتبتها أدنى من غيرها لضعف العذاب. أمّا المقدّمة الأُولى: فبما تواتر واشتهر في السير والآثار. أمّا الثانية: فبالآية. وإذا كان أدنى فلا يكون غير النساء، وهو خلاف الإجماع الذي ادّعوه فإنّ الطعن فيها لا يجوز عندهم، فإذا ثبت ذلك ثبت نفي الاختيار، كيف وإنّ قضيّة التسوية تستلزم ذلك، وإيذاء النبيّ صلى الله عليه وآله بذلك صار مستحقّه للطعن العظيم؛ فتأمّل.

---

(١) الذَّكَرُ من الحديد: أيبسُه وأشدُّه ويُسمّى السّيف مُذكّراً. المحيط في اللغة ٦: ٢٣٦ «ذكر».

(٢) في تأويل الآيات الظاهرة: «عدوّه» وفي هامشه عن بعض النسخ موافق لما في المتن.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٥١ ـ ٤٥٢ ح ١١.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٥٢ ـ ٤٥٣ ح ١٢، تفسير البرهان ٤: ٤٣٤ ح ٨٥٦٥ أخرجه عن الحافظ ابن شيرويه.

(٥) الأحزاب (٣٣): ٣٠.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة عن محمّد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال لي: أتدري ما الفاحشة المبيّنة؟ قلت: لا. قال: قتال أميرالمؤمنين عليه السلام يعني أهل الجمل[١].

وعنه عليه السلام: الفاحشة: الخروج بالسيف[٢].

وأُكّد ذلك ممّا هو خلاف أمره سبحانه في قوله: ﴿ **وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ** ﴾[٣] وهو الاستباق إلى النهي الذي في قوله سبحانه: ﴿ **وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ** ﴾[٤].

وأُكّد بما في الإكمال: عن ابن مسعود عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حديث أنّ يوشع بن نون وصيّ موسى عاش بعد موسى عليه السلام ثلاثين سنة، وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجة موسى عليه السلام فقالت: أنا أحقّ بالأمر منك، فقاتلها فقتل مقاتلها وأحسن أسرها، وإنّ ابنة أبي بكر ستخرج على عليّ في كذا وكذا ألفاً من أُمّتي فيقاتلها فيقتل مقاتليها ويأسرها فيحسن أسرها، وفيها أنزل الله تعالى: ﴿ **وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ** ﴾ يعني صفراء بنت شعيب[٥].

والقمّي عن الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام في هذه الآية قال: أي سيكون جاهليّة أُخرى[٦].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٥٣ ح ١٣، وراجع: تفسير البرهان ٤: ٤٤١ ح ٨٥٧٩.

(٢) تفسير القمّي ٢: ١٩٣، وروي أيضاً في: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٥٣ ـ ٤٥٤ ح ١٤، تفسير البرهان ٤: ٤٤١ ح ٨٥٧٨.

(٣) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

(٤) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

(٥) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٧، وعنه في: تفسير الصافي ٤: ١٨٧.

(٦) تفسير القمّي ٢: ١٩٣، عنه في: تفسير الصافي ٤: ١٨٧.

٩٨٨ ـ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

بيان الاستدلال بها على العصمة من وجهين، بل من ثلاثة أوجه، فإنّه قد تحقّق أنّ «إنّما» كلمة الحصر هي محقّقة لما أثبت بعدها، نافية لما لم يثبت بعدها؛ فيلزم اختصاص التطهير وإذهاب الرجس بأهل البيت صلوات الله عليهم، ووقوع التطهير مع الذهاب يستلزم عصمة المحال. وهذا مع ما ذكر من اللطائف المؤكّدة من إدخال اللّام أوّلاً، والإتيان بالجملة الثانية ثانياً، مع أنّ الأُولى يفيدها، ثمّ بصيغة المبالغة ثالثاً، فإنّه في الأكثر للتأكيد والتكثير والمبالغة في الحصول وعظم شأن المحصول، ثمّ بمؤكّد مؤكّده رابعاً، مع خصوصيّة المشافهة فلو لم يفد لما كان هناك فائدة في هذه.

ومن أهل العناد وربّ الخذلان إلى يوم التناد قال: إنّما يدلّ على أنّه تعالى يريد ذلك ولا يدلّ على أنّ الإرادة ثابتة فيهم، وإنّه كذا إذا كانت علّة تامّة في حصول المراد، فقد صحّ أنّه تعالى يريد ذلك لكلّ من المؤمنين.

قلنا: قد عرفت أنّ لفظ الآية اقتضىٰ اختصاص هؤلاء بما ليس لغيرهم، فلو كان المراد الإرادة المحضة لفات الاختصاص والتأكّد؛ لأنّه سبحانه أراد من كلّ مكلّف هذه الإرادة المطلقة فلا خصوصيّة لها بأهل البيت عليهم السلام دون سائر البريّة، ولأنّ هذا القول أيضاً يقتضي مدحاً وتشريفاً لهم بغير شبهة على ما وقع التصريح به في الأخبار المفسّرة لها، ولا مدح في الإرادة المجرّدة، وذلك يظهر ازدياد اللطف بهم أو خصوصه وهو مثبت، لأن يراد بالإرادة الحتميّة، وأنّ تلك المدحة أيضاً تقتضي مزيّة لتلك المحال المراد بها رجّحهم الله سبحانه على غيرهم، فإنّه لو لم يكن لهم

---

(١) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

استعداد ذلك لزم كونه تعالى مرجِّحاً لغير راجح، مع أنّ اختصاص غير القابل بالأهمّ في فعله جلّ وعزّ غير جائز؛ لبطلان ترجيح المساوي فكيف ترجيح المرجوح؟! ومع هذا خطاب المشافهة يقتضي نوعاً من الاختصاص مع ما ذكرنا.

لا يقال: أن لو كانت الإرادة علّة تامّة لسدّ باب البداء وهو من أُصول مذهبكم، فلو ثبت أصل لبتّر أصل وكيف وقد ورد عن أئمّتكم أنّ الإرادة من الأسباب السابقة على الإيجاد وهو مقدّم على الإمضاء فأنّى يجوز الاستدلال بمثل ذلك وقد قال العالم عليه السلام بعد أن سُئل كيف علم الله: علم وشاء وأراد وقدّر وقضى وأمضى، فأمضى ما قضىٰ، وقضى ما قدّر، وقدّر ما أراد، فبعلمه كانت المشيّة، وبمشيّته كانت الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء، والعلم متقدّم على المشيّة، والمشيّة ثانية، والإرادة ثالثة، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء، ولله تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء، وفيما أراد التقدير للأشياء، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء، الحديث[1].

لأنّا نقول: لنا وجوه من الأجوبة، فإنّهم قالوا بأنّ الإرادة علّة لحصول المراد وإن اختلفوا في موضع آخر، منها فإنّ طائفة منهم ـ مثل الحسن وغيره ـ قالوا: إنّها هي العلم ويوجب بها حصول المراد، ومنهم من قال: إنّ إرادته علمه في أفعاله وفي فعل غيره أمره، وقد نسب إلى أكثرهم، ومنهم من قال: إنّها مغايرة للعلم والقدرة فوجب الوقوع وهو قول المواقف، وعلى تلك التقديرات يلزمهم حصول المراد لما قالوا من نفي البداء واشتراك كلّهم في ذلك وفي الإلزام[2].

---

(١) الكافي ١: ١٤٨ ح١٦ كتاب التوحيد ـ باب البداء، التوحيد: ٣٣٤ ح٩ باب البداء، عنه في: بحار الأنوار ٥: ١٠٢ ح٢٧، تفسير نور الثقلين ٤: ٤ ح١١.

(٢) انظر: جامع الأفكار ونافذ الأنظار للنراقي ٢: ٣٧٦ وما بعدها حيث أشار إلى بعض هذه الأقوال،

وأيضاً: إنّ الإرادة عندنا حادثة من صفات الفعل ومنها حتميّة يستلزم حصول المراد، وقد يعبّر عنها بالعلّة التامّة؛ لأنّها متمّمة وبالإيجاد والتكوين والفعل ومنها غير ذلك لا يستلزم المراد وفيه البداء وهو المعنيّ به في الخبر السابق، والأوّل هو المراد بالآية بالذي ذكرنا من القرائن الصارفة والمقتضيات الراجحة فلا لزوم بين الإرادة مطلقها والإرادة المطلقة وبين البداء عندنا، وهو إن كنّا نجمع عليه، لكن قد وقع الخلاف بيننا في معناه فلا يلزم كونها مرجّح البداء مطلقاً.

وقد قيل[1]: فرق بين تعلّق إرادة الله بفعل غيره وبين تعلّقها بفعله وإمكان التخلّف في الأوّل لا في الثاني؛ لبطلان التخلّف والعجز.

وأيضاً قد أجمع على أنّ أميرالمؤمنين من أئمّة أهل البيت وأنّه تعالى أذهب عنهم الرجس، والمحقّق أنّ الكذب من جملته ولا خلاف أيضاً على أنّه عليه السلام ادّعى الإمامة فيجب أن يكون صادقاً في تلك الدعوى وإمامته حقّاً.

ومن أهل العناد[2] من قال: إنّ ذهاب الرجس يتصوّر في ضمن العدالة فكيف يلزم العصمة؟ وبما ذكر ظهر جوابه. وقد قيل[3] في الجواب أنّ اللّام في «الرجس» إمّا للجنس أو الاستغراق، وعلى التقديرين تفيد العصمة فإنّ نفي المهيّة يستلزم نفي الأفراد.

⇐ موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي ١: ١٣٥، شرح المصطلحات الكلاميّة (نشر العتبة الرضويّة): ١٦، شرح المواقف ٨: ٨٢ البحث الأوّل في إثبات الإرادة.

(١) الشافي في الإمامة للسيّد المرتضى ٣: ١٣٤.

(٢) حكى ذلك عن إمام المشكّكين ـ الفخر الرازي ـ بعض الشكوك، منها ما ذُكر في المتن، راجع: البراهين القاطعة في شرح تجريد العقائد الساطعة لمحمّد جعفر الإسترابادي ٣: ٢٥٦ ط. مركز العلوم والثقافة الإسلاميّة ـ قم.

(٣) انظر: البراهين القاطعة، وراجع كتاب: الأربعين للماحوزي: ٤٤.

والمعاند[١] قال أيضاً: إنّ الحصر غير مستقيم لأنّ الأنبياء عليهم السلام يخرجون من ذلك مع عصمتهم.

قلنا: أُجيب[٢] بأنّ الحصر إضافيّ والشبهة واردة إذا كان المراد بالحصر الحقيقي، ونقول أيضاً: إنّ عصمة الإمام عليه السلام تستلزم عصمة النبيّ صلى الله عليه وآله بالإجماع.

وأيضاً قلنا: إنّ المستفاد من قول بعض أهل البغي أنّ الآية خرجت مخرج المتشابه وهذا من تلك الجهة ليس دليلاً يفيد المدّعى.

ولنا فيه أنّك قد عرفت أنّ المفاد منها ما ذكرنا من العصمة وقد تسلّم عنده فلو كان هذا من جهة أنّه لا مدخل فيه للإمامة على ما يرى منه قلنا: إنّه إذا ثبت عصمة شخص بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ثبت كونه هو الإمام لعدم القول بخلافه، ولو كان من جهة أنّه لو دلّ على الإمامة لم يدلّ على واحد دون آخر بعينه ولاحتيج في التعيين إلى دلالة مبتدأة. قلنا أيضاً: فيما ذكرنا من الإجماع كفاية وقد أجمع أيضاً على عدم الجمعيّة في الأئمّة في عصر ولا تنافي بين عصمة الجماعة وبين أنّ الإمام فرد منهم؛ لذلك الذي ذكرنا.

هذا لو أغمضنا عن تفسير تلك الآية بما شوهد من الأخبار على أنّا لو سلّمنا التشابه في تلك الجهة أيضاً قلنا: إن نقول أنّك قد ظفرت وتناظرت فيما مضى بقوله تعالى: ﴿ **وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ** ﴾[٣] أنّ الإمام منهم بالإجماع، فلابدّ أن يعلم ذلك واليقين به عنده وعند غيره لا يحصل إلّا بعصمته مع ما عرفت أنّ الراسخين هم المعصومون.

---

(١) راجع: البراهين القاطعة ٣: ٢٥٦، ٢٥٧.

(٢) راجع: البراهين القاطعة ٣: ٢٥٦، ٢٥٧.

(٣) آل عمران (٣): ٧.

وأيضاً لو كان لهذا الكلام أصل لابدّ أن يرجع في ذلك إلى القرائن القطعيّة من العقل والنقل كما هو الشأن في المتشابهات مثل الآيات التي دلّت على التجسيم والتشبيه، والنقل يجيء ببيان المراد والبرهان كذلك.

والعجب من بعض[1] هؤلاء الذين طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وأبصارهم غشاوة مع ما رأى من القرائن المؤكّدة قال: إنّ المراد بالتطهير ونفي الرجس الغفران والأفعال التي يصير بها طاهراً. وقد عرفت ما اضمحلّت به هذه الشبهة. ونؤكّده بأنّ كلّ وصف سوى العصمة مشترك بينهم وبين غيرهم، فلو كان غيرها لزم نفي الاختصاص المؤكّد، وهو مع كونه خلاف حقيقة العربيّة ينافي البراهين العقليّة المؤكّدة بالنقليّة.

وأيضاً إن كان المراد به الغفران ومثله فهو لا يكون إلّا من الذنب، كيف وإنّه لو لم يكن لخرج مخرج تحصيل الحاصل وخلاف الحقيقة عرفاً ولغة، فذلك المحال الذي تعلّق به التطهير والغفران، إمّا أن يكون فيها إمكان ما كان فيها أوّلاً أو لا، الأوّل يستلزم التخلّف لأنّه هو العلّة التامّة لأنّ تعلّق إرادته سبحانه مع استعداد المواد ليس إلّا ذلك وعدم الفائدة أو الدوام على الذنب حتّى في حال الغفران، بل هو الجمع بين النقيضين أو الضدّين، وعلى الثاني يستلزم إمّا قلب الماهيّة الإمكاني بالامتناع أو عصمة المواد على تقدير الامتناع الغيري؛ فتأمّل.

ولنا أن نقول: إنّه لو كان واجباً لزم كونه فاعلاً موجباً وهو خلاف ما اتفقوا عليه من نفي الإيجاب عنه تعالى مطلقاً، وإن كان الغفران منه تعالى ليس على نحو

---

(١) انظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبدالجبّار ٢٠ ق١: ١٩٣، وراجع: الشافي في الإمامة للسيّد المرتضى ٣: ١٣٣ ولاحظ ردّه على كلام صاحب المغني.

الوجوب فما فائدة الترجيح ؟ وليس لأحدٍ أن يقول : إنّ المراد غير العصمة لأنّه قد ورد في اللغة في هذا المعنى ، قال البيضاوي في تفسيره : الرجس الذنب المدنّس يطهّركم عن المعاصي(١).

وعن ابن عبّاس : إنّه عمل الشيطان وما ليس فيه رضا الله(٢).

قال في النهاية : أعوذ بك من الرّجس النّجس . الرّجس : القذر ، وقد يعبّر به عن الحرام والفعل القبيح ، والعذاب ، والفتنة ، والكفر(٣).

في الصحاح : القَذَر(٤).

على أنّه سبحانه أثبت لهم الطهارة المؤكّدة بعد نفي الرجس فلو طرأ عليهم الرّجس إمّا بنفي الطهارة أو مع بقائها ، الأوّل يستلزم خلاف مراده جلّ وعزّ ، واستحالته قطعيّ ، والثاني يستلزم نقيضين على ما لا يخفى على المنصف المتأمّل.

وأيضاً : لو كان المراد به سوى العصمة من العدالة فلا معنى في أمر الكلّ بالعدالة ثمّ اختصاصهم بذلك ، فلو لم يكن للجميع استعداد العدالة لكان التكليف به تكليف فوق الطاقة ، فينبغي أن يكون المختصّ به غيرها ، وإلّا لما كان فرق بين العدالة والعصمة في المحلّ ، لابدّ أن يكون متّصفاً بجواز الخطأ أو بعدم جوازه ؛ لاستحالة ارتفاعهما واجتماعهما ، ولا يجوز الأوّل لقبح الإرادة بخلاف ما ذكر ، ولو كان المحلّ موصوفاً بالأوّل لما أمكن الاتصاف بعدمه ؛ لأنّه إذا لم يمكن فيمتنع وهو ممكن فيلزم قلب المحال فيمتنع إرادة الممتنع .

---

(١) انظر : أنوار التنزيل (تفسير البيضاوي) ٤ : ٣٧٤ وفيه : الذنب المدنّس لِعِرْضكم ... إلخ .

(٢) شرح إحقاق الحق ٢٤ : ٩٩ وفيه : « رضا الرّحمٰن » بدل « رضا الله » .

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢ : ٢٠٠ « رجس » .

(٤) الصحاح ٣ : ٩٣٣ « رجس » .

لا يقال: إنّ ذلك يستلزم تحصيل الحاصل.

لأنّا نقول: مطلقه ليس بباطل كما إذا كان ليس بنفس التحصيل على ...[1] الإظهار؛ فتأمّل.

وأيضاً إنّه تامّ سيّما ما ذهبوا إليه من قدم الإرادة[2]. أمّا على ما قلنا فقبلنا أنّ جعل الوجود والعصمة متلازمان أو تقدّم الذات على الوصف بالذات ولا ينافي المعيّة بالزمان والعرض، فحاصل المعنى رجع إلى أنّ الله تعالى جعل العصمة في تلك المحال في العالم العقلي الفطري قبل تكوين هؤلاء في هذا العالم الظاهر، فكذلك يخرج عن مقتضيات الطبيعة المشتركة.

ويظهر ممّا ذكرنا ضعف ما قاله البيضاوي[3] من استضعافه؛ لضعف عقله متمسّكاً بأنّ قبلها وبعدها في باب الأزواج والتفسير لا يقتضي التخصيص؛ لأنّ الخبر المروي في تفسيره يقتضي دخل عليّ وفاطمة والحسنين لا على عدم دخول غيرهم. ونقول: إنّ إجماع الكلّ يخرج غيرهم على تقدير عصمة هؤلاء، لعدم القول بعصمة غيرهم، ودعوى أنّ الخبر غير دالّ على المدّعى يشدخ بما سيجيء.

وقال السيّد في الشافي: وإذا ثبت اقتضاء الآية لعصمة من تناولته وعنى بها وجب أن تكون مختصّة من أهل البيت بمن ذهبنا إلى عصمته، دون من أجمع

---

(١) يوجد ـ هنا ـ في المخطوط كلمات غير واضحة.

(٢) انظر: اللمع لأبي الحسن الأشعري: ٤٧، مجلي مرآة المنجي ٢: ٥٧٢ ـ ٥٧٣.

(٣) تفسير البيضاوي ٤: ٣٧٤ بعد أن روى حديث الكساء ونزول الآية المباركة قال ما لفظه: والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون إجماعهم حُجّة ضعيف لأنّ التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها، والحديث يقتضي أنّهم من أهل البيت لا أنّه ليس غيرهم!

جميع المسلمين على فقد عصمته؛ لأنّها إذا انتفت عمّن قطع على نفي عصمته لما يقتضيه معناها من العصمة لم يخل من أن يكون متناولة لمن اختلف في عصمته، أو غير متناولة له وإن لم تناوله بطلت فائدتها التي تقتضيها، فوجب أن تكون متناولة له، وهذه الطريقة تبطل قول من حملها على الأزواج؛ لأجل كونها واردة عقيب ذكرهنّ وخطابهنّ، لأنّ الأزواج إذا لم يذهب أحد إلى عصمتهنّ وجب أن يخرجن من الخطاب المقتضي لعصمة من يتناوله[1]، انتهى.

على أنّ إيراده عقيب ذكرهنّ لا يستلزم التعلّق بهنّ؛ لأنّ الالتفات من كلام إلى كلام في عرفهم سيّما في الكتاب كثير مستحسن، والأشعار مملوّة من ذلك لا ينكره نكير خصوصاً مع عدم المطابقة في الحكم، على أنّ الخطاب في «عنكم» وتاليه يوضع لجمع المذكّر والتغليب خلاف الحقيقة مع أنّ الأزواج تسعة فلو غلب لزم التأنيث؛ ولذا أنّث فيما تقدّم وما تأخّر لتعلّقهما بهنّ دونه. وهذا هو المانع من رعاية التناسب، وكذا تذكير قول النبيّ ﷺ: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»، وسؤال أمّ سلمة مانع آخر، فينبغي أن نخاطب المعترض بأن رأيت شيئاً وغابت عنك أشياء.

وسجّل ما ذكرنا أيضاً بما قال تعالى: ﴿ **وَلٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾[2] فيعمّ التطهير هنا والعلّة فيه لابدّ أن يكون مطهّراً من سائر الأرجاس والخطأ بالأولويّة واللزوم لاستحالة التسوية والتسلل والتخلّف؛ فتأمّل.

على ما ذكر من المحسّنات وما ذكرنا من الأوضاع ورعاية الثانية أولى وأهمّ؛

---

(١) الشافي في الإمامة ٣: ١٣٥ ـ ١٣٦.

(٢) المائدة (٥): ٦.

لأنّ الأُولى من الظواهر المختلفة فيها المجوّزة العمل بخلافها، بخلاف الثانية.

وممّا يدلّ على نصرة ما ذكرنا واختصاصها بهم ما ورد في تفسيرها عن الفقيه الشافعي والبخاري في تفسير جامع البيان، والثعلبي في تفسيره في ثلاثة مواضع، والواحدي في تفسيره المسمّى بالوسيط، ومالك في سننه، والحميدي في الجمع بين الصحيحين، والبيضاوي في تفسيره، والحافظ ابن مردويه في كتابه، وعن شيخنا الشهيد رحمه الله في الذكرى[1].

أوّله عن أحمد بن حنبل في مناقبه، والطبراني في المعجم، ولا بأس علينا لو ذكرنا ذلك بألفاظهم، في الطرائف، فمن ذلك في صحيح البخاري في الجزء الرابع من ثمانية أجزاء ومن صحيح مسلم في الجزء الرابع منه أيضاً من أجزاء ستّة عن عائشة قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله غداة عليه مرجل من شعر أسود فجاء الحسن بن عليّ فأدخله، ثمّ جاء الحسين بن عليّ فأدخله، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليّ فأدخله، ثمّ قال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾.

ومن ذلك المعنى ما اتفق عليه لفظ أحمد بن حنبل والثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ**﴾ بإسنادهما إلى شدّاد بن عمّار قال: دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا عليّاً فشتموه فشتمته معهم، فلمّا قاموا قال لي: لِمَ تشتم هذا الرجل؟ قلت: رأيت القوم يشتمونه [فشتمته] معهم. فقال: ألا

---

(١) راجع: مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام لابن المغازلي الشافعي، جامع البيان (تفسير الطبري) ٢٠: ٥ ـ ٧ ط. دار المعرفة ـ بيروت، تفسير الثعلبي ٨: ٤١، ٤٣، ٤٤، تفسير الوسيط ٣: ٤٧٠، تفسير البيضاوي ٤: ٣٧٤، مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام لابن مردويه: ٣٠١ ـ ٣٠٤، الذكرى ١: ٥.

أُخبرك بما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قلت: بلى. قال: أتيت فاطمة عليها السلام سألتها عن عليّ عليه السلام، فقالت: توجّه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فجلست أنتظره حتّى جاء رسول الله صلى الله عليه وآله فجلس ومعه عليّ والحسن والحسين آخذ كلّ واحد منهما بيده حتّى دخلت فاطمة، فأومى على فاطمة فأجلسها بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً كلّ واحد منهما على فخذيه ثمّ لفّ عليهم ثوباً ـ أو قال: كساءً ـ ثمّ تلا هذه الآية: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ** ﴾ الآية، ثمّ قال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحقّ[١].

ومن رواية واثلة في وقعة أُخرى من مسند أحمد بن حنبل بإسناده إلى واثلة بن الأسقع قال: طلبت عليّاً عليه السلام في منزله فقالت فاطمة: ذهب يأتي برسول الله صلى الله عليه وآله. قال: فجاءا جميعاً فدخلا ودخلت معهما فأجلس عليّاً عليه السلام عن يساره، وفاطمة عن يمينه، والحسن والحسين بين يديه ثمّ التفع[٢] عليهم بثوبه وقال: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ** ﴾ الآية[٣].

ومن ذلك دفعة أُخرى عن واثلة بن الأسقع، قال: ممّا رواه أحمد بن حنبل في مسنده بإسناده إلى شدّاد بن عبدالله، عن واثلة بن الأسقع قال: رأيتني ذات يوم وقد جئت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو في بيت أُمّ سلمة، فجاء الحسن فأجلسه على فخذه الأيمن وقبّله، وجاء الحسين فأخذه فأجلسه على فخذه اليسرى وقبّله، ثمّ جاءت

---

(١) مسند أحمد ٤: ١٠٧، الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) ٨: ٤٣، وراجع: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٢٣ ح ١٨٨، بحار الأنوار ٣٥: ٢١٧ ح ٢٤، نهج الإيمان لابن جبر: ٧٨.

(٢) التفع: التحف. بحار الأنوار ٣٥: ٢٢٤.

(٣) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٦٣٢ ح ١٠٧٧، وراجع: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٢٤ ح ١٨٩، عنه في: بحار الأنوار ٣٥: ٢١٨ ح ٢٥، نهج الإيمان لابن جبر: ٨٢، وراجع أيضاً: العمدة لابن البطريق: ٣٤ ح ١٤، جامع البيان (تفسير الطبري) ٢٠: ٦.

فاطمة فأجلسها بين يديه، ثمّ دعا عليّاً فجاء، ثمّ أغدف[1] عليهم كساء خيبريّاً كأنّي أنظر إليهم، ثمّ قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ الآية[2].

ومن ذلك ما روته أُمّ سلمة في تعيين أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وأنّه ذكر أسماءهم وحقّقهم لأُمّته في عدّة مجالس وأوقات[3].

ومن ذلك ما روي في مسند أحمد بن حنبل بإسناده إلى عطيّة الطغاوي عن أبيه أنّ أُمّ سلمة حدّثته قالت: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله في بيتي إذ قال الخادم: إنّ عليّاً وفاطمة عليهما السلام في السدّة[4]، قالت: فقال لي: قومي فتنحّي لي عن أهل بيتي. قالت: فقمت فتنحّيت في البيت قريباً، فدخل عليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم جميعاً وهما صبيّان صغيران، قال: فأخذ الصبيّين فوضعهما في حجره فقبّلهما واعتنق عليّاً عليه السلام بإحدى يديه وفاطمة باليد الأُخرى وقبّل فاطمة وأغدف[5] عليهم خميصة[6] سوداء، ثمّ قال: اللهمّ إليك لا إلى النار، أنا وأهل بيتي.

قالت: قلت: وأنا يا رسول الله؟ قال: وأنت على خير[7].

---

(١) في العمدة: أردف.

(٢) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٦٧٢ ـ ٦٧٣ ح ١١٤٩، وراجع: العمدة لابن البطريق: ٣٤ ح ١٥.

(٣) راجع: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٢٤ ح ١٩١.

(٤) السدّة: باب الدار. الصحاح ٢: ٤٨٦ «سد».

(٥) أغدف: أي أرسل. يُقال: أغدفت المرأة قناعها أي أرسلته. لسان العرب ٩: ٢٦٢ «غدف».

(٦) الخميصة: ثوب أسود مربّع له علمان. الصحاح ٣: ١٠٣٨ «خمص».

(٧) مسند أحمد ٦: ٢٩٦، عنه في: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٢٤ ـ ١٢٥ ح ١٩١، وعن الطرائف في بحار الأنوار ٣٥: ٢١٩ ح ٢٦، ذخائر العقبى: ٢٢، العمدة لابن البطريق: ٣٢ ح ١١، الأربعون حديثاً للماحوزي: ٣٦.

ومن ذلك في المعنى من مسند أحمد بن حنبل عن أُمّ سلمة دفعة أُخرى عن عطاء ابن أبي رياح قال: حدّثني من سمع أُمّ سلمة تذكر أنّ النبيّ ﷺ كان في بيتها فأتت فاطمة ببرمة[١] فيها حريرة[٢] فدخلت بها عليه، قال: ادعي لي زوجك وابنيك. قالت: فجاء عليّ وحسن وحسين عليهم السلام فدخلوا فجلسوا يأكلون من تلك الحريرة وهو وهم على منام له وكان تحته كساء خيبري، قالت: وأنا في الحجرة أُصلّي، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ**﴾ الآية، قالت: فأخذ فضل الكساء كساهم به ثمّ أخرج فألوى بها إلى السماء وقال: هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي اللهمّ فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

قالت: فأدخلت رأسي البيت وقلت: أنا معكم يا رسول الله ﷺ؟ قال: إنّك على خير[٣].

قال: وروى الثعلبي[٤] هذا الحديث بهذه الألفاظ والمعاني في تفسير هذه الآية غير الرواية المتقدّمة.

روى عن مسند أحمد بن حنبل في المعنى قول النبيّ ﷺ دفعة أُخرى بإسناده إلى شهر بن حوشب عن أُمّ سلمة أنّ رسول الله ﷺ قال لفاطمة عليها السلام: ايتيني

---

(١) البُرمة: قِدْرٌ من حجارة. المحيط في اللغة ١٠: ٢٤٢ «برم».

(٢) في بعض المصادر ورد «خزيرة»، وفي البعض الآخر: «حريرة»، قال ابن الأثير: الخزيرة لحم يُقطّع صغاراً، ويُصبُّ عليه ماء كثير فاذا نَضِج ذُرّ عليه الدقيق، فإن لم يكن فيها لحم فهي عصيدة. وقيل: حسا من دقيق ودسم. وقيل: إذا كان من دقيق فهي حريرة، وإذا كان من نخالة فهي خزيرة. النهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ٢٨ «خزر».

(٣) مسند أحمد ٦: ٢٩٢، وعنه في: الطرائف: ١٢٥ح ١٩٢، العمدة لابن البطريق: ٣٢ـ٣٣ح ١٢، بحار الأنوار ٣٥: ٢٢٠ ح٢٧، نهج الإيمان لابن جبر: ٨١، ورواه أيضاً: الطبراني في المعجم الكبير ٣: ٥٤، السيوطي في الدرّ المنثور ٥: ١٩٨، وأنظر: تفسير نور الثقلين ٤: ١٧٦ ح ١٠٥، فتح القدير ٢: ٢٧٩.

(٤) انظر: تفسير الثعلبي ٨: ٤٢، ٤٣، وراجع: تفسير مجمع البيان ٨: ١٥٦.

بزوجك وابنيك، فجاءت بهم فالقى عليهم كساءً فدكيّاً، قالت: ثمّ وضع يده عليهم وقال: إنّ هؤلاء آل محمّد فاجعل صلواتك وبركاتك على محمّد وآل محمّد إنّك حميد مجيد[(١)]. [(٢)]

قالت أُمّ سلمة زوجة النبيّ صلى الله عليه وآله حين جاء نعي الحسين بن عليّ عليهما السلام: لعنت أهل العراق، وقالت: قتلوه قتلهم الله، غرّوه وأذلّوه لعنهم الله، فإنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد جاءته فاطمة غدوة ببرمة فيها عصيدة[(٣)] تحمله وفي طبق حتّى وضعتها بين يديه، فقال لها: أين ابن عمّك؟ قالت: هو في البيت، قال: اذهبي فادعيه وائتني بابنيه. قالت: فجاءت تقود ابنيها كلّ واحد منهما بيد وعليّ يمشي خلفهما حتّى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله فأجلسهما على حجره وجلس عليّ عن يمينه وجلست فاطمة عن يساره.

قالت أُمّ سلمة: واجتذب من تحتي كساءً خيبريّاً كان بساطاً لنا على المنامة[(٤)]

---

(١) تكملة الحديث في مسند أحمد: قالت أمّ سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي وقال: إنّك على خير.

(٢) مسند أحمد ٦: ٣٢٣، عنه في: العمدة لابن البطريق ٣٣ ح١٣، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٢٥ ح١٩٣، خصائص الوحي المبين لابن البطريق: ١٠١ ح ٣٤، ذخائر العقبى: ٢١ ط. مكتبة القدسي ـ القاهرة، بحار الأنوار ٣٥: ٢٢٠ ح٦. ورواه أيضاً: أبو يعلى الموصلي في مسنده ١٢: ٤٥٦ ح٧٠٢٦ ط. دار المأمون، والدولابي في الذريّة الطاهرة النبويّة: ١٥٠ ح١٩٣ ط. الدار السلفيّة في الكويت، والطبراني في المعجم الكبير ٣: ٥٣ ح ٢٦٦٤ ط. دار إحياء التراث العربي، والثعلبي في: تفسيره ٨: ٣١١، والآلوسي في: تفسيره ٢٢: ١٤، والقندوزي في: ينابيع المودّة ٢: ٢٢٢ ح ٦٣٠.

(٣) العصيدة هي دقيق يُلتّ بالسّمن ويُطبخ ٣: ٢٤٦. النهاية في غريب الحديث والأثر «عصد».

(٤) في بعض المصادر ورد «المنامة» وفي البعض الآخر «المثابة» ورجّح المجلسي الأوّل. راجع: الطرائف: ١٢٦ ذيل الحديث ١٩٣ حيث قال المجلسي في ذيل الحديث ما لفظه: في أكثر نسخ الطرائف في حديث سهل: كان بساطاً لنا على «المثابة»، وفي بعضها على «المنامة»، وهو أظهر... إلخ.

في المدينة فلفّه رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذ طرفي الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربّه عزّوجلّ وقال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

قلت: يا رسول الله، الست من أهلك؟ قال: بلى. قالت: فأدخلني في الكساء بعدما قضى دعاءه لابن عمّه عليّ وابنيه وابنته فاطمة[1].

ظنّ بعض[2] المعاندين أنّ هذا الخبر معارض لأنّ المستفاد منه أنّ أُمّ سلمة داخلة في أهل البيت، وأُجيب بأنّه لا نسلّم صحّة هذا الخبر ولو سلّم صحّته فقلنا: إنّ أُمّ سلمة في معرض التهمة لجرّ النفع والشرف لنفسها ومجرّد قولها غير مسموع، وفي الخبر: «بل إن شاء الله» فتعليقه على المشيّة لا يستلزم دخولها فيهم على أنّ أُمّ سلمة كانت عارفة بل على القرب، فلو علمت أنّها منهم لينبغي عدم مبادرتها إلى السؤال، وقد تقرّر ثبوت العصمة من الآية؛ ولا قائل بأنّها معصومة، فتلك القرينة دلّت على أنّها غير داخلة.

ومن ذلك المعنى في تفسير الثعلبي عن أبي سعيد الخدري عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: نزلت هذه في خمسة: فيّ وفي عليّ وحسن وحسين وفاطمة عليهم السلام: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾[3].

قال: وروى أبو الحسن عليّ بن أحمد الواحدي في الجزء الرابع من التفسير

---

(١) مسند أحمد ٦: ٢٩٨، العمدة لابن البطريق: ٣٥ ح١٧، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٢٦ ح١٩٤، بحار الأنوار ٣٥: ٢٢١ ح١٩، الأربعين للماحوزي: ٤٠، العوالم (الإمام الحسين عليه السلام) للبحراني: ٣٧٦، وانظر: شواهد التنزيل للحسكاني ٢: ١١٠، نهج الإيمان لابن جبر: ٨٤، سير أعلام النبلاء ١٠: ٣٤٦ رقم ٨٤ ترجمة أبو الوليد الطيالسي.

(٢) حُكي عنه بعنوان قيل في الصوارم المهرقة: ١٤٦.

(٣) تفسير الثعلبي ٨: ٤٢، عنه في: الطرائف: ١٢٧ ح١٩٥، نهج الإيمان لابن جبر: ٨٥، بحار الأنوار ٣٥: ٢٢٢ ح٣٠ رواه عن الطرائف، تفسير مجمع البيان ٨: ١٥٧، تفسير نور الثقلين ٤: ٢٧٧ ح١٠٧.

الوسيط بين المقبوض والبسيط ـ وهو معتبر عندهم ـ عند تفسير آية الطهارة وهو من علماء المخالفين لأهل البيت(١).

ومن ذلك في المعنى أيضاً من تفسير الثعلبي في تأويل هذه الآية أيضا بإسناده إلى مجمع من بني الحرث بن تيم الله قال: دخلت مع أُمّي على عائشة فسألتها أُمّي، قالت: أرأيت خروجك يوم الجمل؟ قالت: إنّه كان قدراً من الله تعالى. فسألتها عن عليّ، قالت: سألتني عن أحبّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وزوج أحبّ الناس كان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ولقد رأيت عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بثوب عليهم، ثمّ قال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي(٢) فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً(٣).

ومن ذلك في المعنى في تفسير الثعلبي في تأويل هذه الآية بإسناده إلى جعفر ابن أبي طالب الطيّار لمّا نظر رسول الله صلى الله عليه وآله الرحمة هابطة من السماء قال: من يدعو؟ ـ مرّتين ـ قالت زينب: أنا يا رسول الله. فقال لي: ادعي عليّاً وفاطمة والحسن والحسين. قال: فجعل حسيناً عن يمينه وحسناً عن شماله وعليّاً وفاطمة تجاهه ثمّ غشّاهم كساءًا خيبريّاً، ثمّ قال: اللهمّ إنّ لكلّ نبيّ أهلاً وهؤلاء أهل بيتي، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ**﴾ الآية. فقالت زينب: يا رسول الله، ألا أدخل معكم؟ فقال صلى الله عليه وآله: مكانك فإنّك على خير(٤).

---

(١) تفسير الوسيط ٣: ٤٧٠ ط. دارالكتب العلميّة ـ بيروت، عنه في: الطرائف: ١٢٧ ذيل الحديث ١٩٥.

(٢) في المصدر: «حامّتي» بدل «خاصّتي». قال ابن الأثير: حامّة الإنسان خاصّته وما يقرب منه، وهو الحميم أيضاً. النهاية في غريب الحديث والأثر ١: ٤٤٦، «حمم».

(٣) تفسير الثعلبي ٨: ٤٢ ـ ٤٣، عنه في: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٢٧ ح١٩٦.

(٤) تفسير الثعلبي ٨: ٤٣، وعنه في: الطرائف: ١٢٧ ح١٩٧.

ومن ذلك في المعنى في تفسير الثعلبي أيضاً في تأويل هذه الآية بإسناده إلى أبي داود وعن أبي الحمراء، قال: أقمت بالمدينة تسعة أشهر كيوم واحد وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يجيء كلّ غداة فيقوم على باب عليّ وفاطمة عليهما السلام فيقول: الصلاة، ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ**﴾ الآية[1].

ومن ذلك بالمعنى من صحيح أبي داود وهو كتاب السنن، وموطّأ مالك عن أنس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمرّ بباب فاطمة عليها السلام إذا خرج إلى صلاة الفجر لمّا نزلت هذه الآية قريباً من ستّة أشهر[2] يقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ**﴾ الآية[3].

---

(١) تفسير الثعلبي ٨: ٤٤، وعنه في: الطرائف: ١٢٨ ح١٩٨، بحار الأنوار ٣٥: ٢٢٣، العمدة لابن البطريق: ٤٥ ح٣٢.

(٢) الوقوف على باب علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام: تأكيداً في تحديد المراد من «أهل البيت» ونفي غيرهم في عصر نزول الآية المباركة، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقف علىٰ باب علي وفاطمة في كلّ يوم وهو يقرأ قوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾.

وقد داوم الرسول صلى الله عليه وآله علىٰ ذلك بمرأىٰ ومسمع الصحابة طيلة تسعة أشهر كما في رواية ابن عباس. راجع: الدر المنثور للسيوطي ٦: ٦٠٦ «أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال شهدنا رسول الله صلى الله عليه وآله تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند وقت كل صلاة فيقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويُطَهِّرَكُم تطهيراً...». وستة أشهر في رواية أنس بن مالك؛ روىٰ أحمد بن حنبل في مسنده ٣: ٢٥٩ (طبعة الميمنة في مصر): انّ النبي صلى الله عليه وآله يمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلىٰ الفجر فيقول: «الصلاة يا أهل البيت ويُطَهِّرَكُم تطهيراً». وأيضاً روي ذلك في: سنن الترمذي ٥: ٣١ ح ٣٢٥٩، والمستدرك علىٰ الصحيحن للحاكم النيسابوري ٣: ١٥٨. وفي غيرها من الأحاديث نحو ذلك.

وهذا العدد الوارد في الروايات بناء علىٰ ما شاهده الراوي علىٰ تحديد أصل إتيانه صلى الله عليه وآله، لذا في بعض الروايات جاء العدد ستة أشهر وفي البعض الآخر ثمانية أو تسعة وغير ذلك.

(٣) عنهما ابن طاووس في: الطرائف: ١٢٨ ح١٩٩، وراجع: بحار الأنوار ٣٥: ٢٢٣، العمدة لابن البطريق ٤٥: ح٣٢، مسند أحمد ٣: ٢٨٥، سنن الترمذي ٥: ٣١ ح٣٢٥٩ ط. دارالفكر ـ بيروت.

وروي في هذا المعنى من مسند عائشة في الجمع بين الصحيحين للحميدي وفي الحديث الرابع والسنن من أفراد مسلم من طريقين إحداهما أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خرج ذات غَداة، وعليه مِرْط[1] مُرجّل[2] من شعر أسود، فجاء الحسن بن عليّ فأدخله، ثمّ جاء الحسين فدخل معه، ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها، ثمّ جاء عليّ فأدخله، ثمّ قال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ**﴾ الآية[3].

وروى في صحيح أبي داود في الجزء الثالث في باب مناقب الحسن والحسين بإسناده عن النبيّ صلى الله عليه وآله مثل هذه الألفاظ والمعنى المنقول في الجمع بين الصحيحين للحميدي سواء[4].

وروى في صحيح أبي داود في موضع آخر منه في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ**﴾ الآية، بإسناده إلى النبيّ صلى الله عليه وآله مثل لفظه في الجمع بين الصحيحين للحميدي وزاد في آخره: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً[5].

وروى في صحيح مسلم في الجزء الرابع في ثالث كرّاس من أوّله من النسخة المنقول منها في باب فضائل أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بإسناده إلى سعد

---

(١) المِرط: ـ بالكسر ـ كساء من صوف. القاموس المحيط ٢: ٣٨٥ «مرط».

(٢) في بعض المصادر: «مرحّل» بالحاء المهملة وفي بعضها «مرجّل» بالجيم المعجمة. قال ابن الأثير: يروى بالجيم والحاء، فالجيم معناه أنّ عليها نقوشاً تمثال الرجال. والحاء معناه أنّ عليها صور الرّحال، وهي الإبل بأكوارها. منه ثوب مُرجّل. النهاية ٤: ٣١٥ «مرجل». لسان العرب ١١: ٦٢٢.

(٣) الطرائف: ١٢٨ ـ ١٢٩ ح ٢٠٠، تفسير البرهان ٤: ٤٦٧ ح ٨٦٣٣ ورواه ابن داوود في: سننه ٤: ٤٤ ح ٤٠٣٢ مختصراً، خصائص الوحي المبين: ١٠١ ح ٢٥.

(٤) الطرائف: ١٢٩ ح ٢٠١، تفسير البرهان ٤: ٤٦٨ ح ٨٦٣٧

(٥) الطرائف: ١٢٩ ذيل الحديث ٢٠١، العمدة لابن البطريق: ٣٢ ح ١٠.

ابن أبي وقّاص يذكر في الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله عدّة فضائل لعليّ عليه السلام خاصّة ويقول في أواخره: لمّا نزلت هذه الآية ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِل فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[١]، ثمّ دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً والحسن والحسين فقال: اللهمّ وهؤلاء أهل بيتي[٢].

ومن ذلك أيضاً ما رواه مسلم في صحيحه في الجزء الرابع أيضاً في أواخره على حدّ كرّاسين من النسخة المنقولة منها وقال: دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليهم السلام وقال: اللهمّ هؤلاء أهل بيتي[٣].

والأخبار الواردة في ذلك عن أهل العصمة كثيرة[٤] معضدة لما ذكرنا:

منها: ما في تأويل الآيات الظاهرة: عن عمر بن عليّ قال: خطب الحسن بن عليّ عليهما السلام الناس حين قتل عليّ عليه السلام فقال: قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون بعلم ولا يُدركه الآخرون، ما ترك على ظهر الأرض صفراء ولا بيضاء إلّا سبعمائة درهم فَضَلَت من عطائه، أراد أن يبتاع خادماً لأهله.

ثمّ قال: أيّها الناس، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن عليّ وأنا ابن البشير النذير، الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير، أنا من أهل البيت الذي كان ينزل فيه جبرئيل ويصعد، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس

---

(١) آل عمران (٣): ٦١.

(٢) عنه في: الطرائف: ١٢٩ ح ٢٠٢، وراجع: صحيح مسلم ٧: ١٢١.

(٣) عنه في: الطرائف: ١٣٠ ذيل الحديث ٢٠٢، بحار الأنوار ٣٥: ٢٢٧.

(٤) راجع: بحار الأنوار المجلّد ٣٥ الباب الخامس في نزول آية التطهير، تفسير البرهان ٤: ٤٤٢ وما بعدها، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٢٢ ـ ١٣٠، العمدة لابن البطريق: ٣١ ـ ٤٦ الفصل الثامن في آية التطهير. لقد نقلت هذه المصادر ـ وغيرها ـ الروايات الواردة في المقام عن المذاهب المختلفة، وراجع أيضاً: تفسير مجمع البيان ٨: ١٥٦ في تفسير الآية المباركة.

وطهّرهم تطهيراً[١].

وعن أُمّ سلمة قالت: نزلت هذه الآية في بيتي وفي البيت سبعة: جبرئيل وميكائيل ورسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، قالت: وكنت على الباب فقلت: يا رسول الله، ألست من أهل البيت؟ قال: إنّك من أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله، وما قال: إنّك من أهل البيت[٢].

وعن عليّ عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ فضّلنا أهل البيت وكيف لا يكون كذلك والله عزّوجلّ يقول في كتابه: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ**﴾ الآية، فقد طهّرنا الله من الفواحش ما ظهر منها وما بطن؛ فنحن على منهاج الحقّ[٣].

وفي تفسير الصافي: عن زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّ جهّالاً من الناس يزعمون أنّه أراد الله بهذه الآية أزواج النبي صلى الله عليه وآله وقد كذبوا وأثموا، وايم[٤] الله ولو عنى أزواج النبيّ لقال: «ليذهب عنكنّ الرجس ويطهّركنّ تطهيراً» ولكان الكلام مؤنّثاً كما قال: ﴿**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾[٥]، ﴿**وَلَا تَبَرَّجْنَ**﴾[٦] و: ﴿**لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ**﴾[٧].[٨]

والعيّاشي عن الباقر عليه السلام: ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن؛

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٥٨ ح٣٢، عنه في: بحار الأنوار ٢٥: ٢١٤ ح٥، تفسير البرهان ٤: ٤٤٩ ح٨٥٩٧

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٥٩ ح٢٤، عنه في: بحار الأنوار ٢٥: ٢١٤ ح٦، تفسير البرهان ٤: ٤٤٩ ـ ٤٥٠ ح٨٥٩٨

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٥٨ ح٢٢، تفسير البرهان ٤: ٤٤٩ ح٨٥٩٦

(٤) في المصدر: «وأيمن» بدل «وأيم».

(٥) الأحزاب (٣٣): ٣٤.

(٦) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

(٧) الأحزاب (٣٣): ٣٢.

(٨) تفسير الصافي ٤: ١٨٧.

إنّ الآية ينزل أوّلها في شيء وأوسطها في شيء وآخرها في شيء، ثمّ قال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ**﴾ الآية، من ميلاد الجاهليّة[١].

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال: يعني الأئمّة عليهم السلام وولايتهم من دخل فيها دخل في بيت النبيّ صلى الله عليه وآله[٢].

وعنه عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال في حديث: أُوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي فإنّي سألت الله عزّ وجلّ أن لا يفرّق بينهما حتّى يوردهما على الحوض فأعطاني ذلك، وقال: لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم، وقال: إنّهم لن يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوكم في باب ضلالة.

قال: فلو سكت رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يبيّن من أهل بيته لادّعاها آل فلان وآل فلان، ولكن الله عزّ وجلّ أنزل في كتابه لنبيّه: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ**﴾ الآية، وكان عليّ والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام فأدخلهم رسول الله تحت الكساء في بيت أُمّ سلمة ثمّ قال: اللهمّ إنّ لكلّ نبيّ أهلاً وثقلاً وهؤلاء أهل بيتي وثقلي. فقالت أُمّ سلمة: ألست من أهلك؟ فقال: إنّك على خير ولكن هؤلاء أهلي[٣].

وقال في آخر الحديث: الرجس هو الشكّ، والله لا نشكّ في ربّنا أبداً[٤].

وفي احتجاجه يوم الشورى قال: أنشدكم الله هل فيكم أحدٌ أنزل الله فيه آية

---

(١) حكاه عنه في: تفسير الصافي ٤: ١٨٨.

(٢) الكافي ١: ٤٢٣ ح ٥٤ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٣ ح ١٢، تفسير الصافي ٤: ١٨٨.

(٣) الكافي ١: ٢٨٧ ضمن حديث ١ كتاب الحجّة ـ باب ما نص الله عزّ وجلّ ورسوله على الأئمّة عليهم السلام واحداً فواحداً، بحار الأنوار ٣٥: ٢١١ ضمن حديث ١٢ رواه عن: تفسير العيّاشي، تفسير الصافي ٤: ١٨٨.

(٤) راجع: الكافي ١: ٢٨٨ ذيل الحديث ١ باب ما نصّ الله عزّوجل ورسوله على الأئمّة عليهم السلام، وتفسير الصافي ٤: ١٨٨.

التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ الآية[١].

وفي الإكمال: عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال في جمع من المهاجرين والأنصار في المسجد أيّام خلافة عثمان: أيّها الناس، أتعلمون أنّ الله عزّ وجلّ أنزل في كتابه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾ الآية، فجمعني وفاطمة وابنيّ حسناً وحسيناً وألقى علينا كساء وقال: اللهمّ إنّ هؤلاء أهل بيتي ولحمتي، يؤلمني ما يؤلمهم ويخرجني ما يخرجهم فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً. فقالت أُمّ سلمة: وأنا يا رسول الله؟ فقال: أنت على خير، إنّما أُنزلت فيّ وفي أخي وفي ابنتي وابنَيّ وفي تسعة من ولد ابني الحسين خاصّة ليس معنا أحد غيرنا.

فقالوا كلّهم: نشهد أنّ أُمّ سلمة حدّثتنا بذلك فسألنا رسول الله صلى الله عليه وآله فحدّثنا كما حدّثتنا أُمّ سلمة[٢].

أقول: الروايات في نزول هذه الآية في شأن أصحاب العباء عليهم السلام كثيرة من الطريقين بحيث لا تحصى، وفي ما ذُكر دليل على ما لم نذكر، ودلّ على أنّ العصمة من مبدأ الفطرة جعل فيهم، فإنّ الحسنين عليهما السلام في آن النزول كانا صغيرين غير بالغين ولا قائل بالفرق، وأيضاً لا قائل بأنّ هؤلاء معصومون دون التسعة الباقية، فإذا ثبت عصمتهم ثبت عصمة الأئمّة كلّهم، وذلك مؤكّد ممّا قلنا.

تفصيل ما أُجمل في آية التطهير: أنّ المحقّق والمسلّم أنّ كلمة «إنّما» للحصر؛ فيلزم اختصاص التطهير وذهاب الرجس بأهل البيت عليهم السلام، وأكّد ذلك بوجوه[٣]:

---

(١) الخصال: ٥٦١ ضمن حديث ٣٠ (احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام بمثل هذه الخصال على الناس يوم الشورى)، وراجع: تفسير الصافي ٤: ١٨٨، تفسير نور الثقلين ٤: ٢٧٢.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٧٦، عنه في: تفسير الصافي ٤: ١٨٨، تفسير نور الثقلين ٤: ٢٧٢ ح ٩٢.

(٣) ذكر بعض هذه الوجوه المازندراني في: شرح أُصول الكافي ٦: ٩٩.

الأوّل: بلام التأكيد في «ليذهب».

الثاني: الإتيان بالجملة الثانية مع أنّ الأُولى مفيدها.

الثالث: لفظ الإذهاب الدالّة على الإزالة بالكليّة.

الرابع: التعريف بالاستغراق أو الجنس الذي يستلزم نفيه في جميع جزئيّاته.

الخامس: الإتيان بالمضارع الدالّ على الاستمرار.

السادس: الإتيان بصيغة المستقبل في «يريد» للإشارة إلى أنّ المسدّد مع أهل العصمة، فإنّ الممكن في البقاء يحتاج إلى المؤثّر، فتعلّق الأداة يكون عن المحالّ المتعلّقة بها.

السابع: تقديم الظرف على المفعول الدالّ على كمال العناية والاختصاص.

الثامن: الإتيان بأهل البيت لا بأسمائهم؛ تعظيماً لهم.

التاسع: النداء على وجه الاختصاص.

العاشر: الإتيان بالتطهير الدالّ على التنزيه عن كلّ دنس.

الحادي عشر: الإتيان بالتفعيل الدالّ على النسبة الدالّة على الدوام والثبات.

الثاني عشر: الإتيان بالمصدر تأكيداً.

الثالث عشر: الإتيان بالصيغ على المشابهة فإنّها تفيد نوع اختصاص أيضاً.

الرابع عشر: أنّه سبحانه أثبت لهم الطهارة بعد نفي الرجس، فلو طرأ عليهم الرجس فهو إمّا ينفي الطهارة أو مع بقائها، الأوّل يستلزم خلاف مراده تعالى واستحالته قطعيّ، والثاني يستلزم النقيضين.

الخامس عشر: أنّ تلك المدحة تقتضي مزيّة لتلك المحال من العناية بها وحجّة على غيرهم والكمال الذي ليس في غيرهم هو العصمة؛ ولهذا أظهرها

تعالى بقوله في هذه الآية.

السادس عشر: أنّ قبل الآية وبعدها في الأزواج واقتحام هذه بينهما بإخراجهنّ منهم بالأوضاع دلّ على أنّ الأزواج خرجن من الكمال المثبت، فدلّ بهذا على أنّه لو كان غيرهم له أهلاً لهذا الوصف ينبغي أن يكون هذا الغير الأزواج؛ لأنّهنّ أولى بصدق أهل البيت عليهنّ فلمّا خرجن منهم بالأوضاع التي فيها ظهر أنّ الغير أولى بالخروج، فظهر من ذلك اختصاص آخر لهم عليهم السلام.

وبما ذكرنا ظهر أنّ المراد بالإرادة: الحتميّة.

فإن قلت: الإرادة الحتميّة تقتضي سدّ البداء.

قلت: الإرادة لا تثبت من الحتميّة، بل بها حتميّة ومنها بدايته وبالقرائن يخرج الثانية فإنّ الاختصاص يقتضي ذلك، وأمّا على قول الخصام من أنّ الإرادة توجب المراد، فالمراد أسهل، فتمّ بالبرهان والإلزام.

فإن قلت: المراد بها المغفرة.

قلت: المغفرة غير مختصّة بهم، وهذا ظاهر ممّا ذكرنا.

فإن قلت: على ما ذكرت يلزم عصمة الموجودين في آن النزول لا غير.

قلت: إذا ثبت عصمة واحد منهم عليهم السلام ثبت عصمة كلّهم؛ لعدم القول بالتفريق.

فإن قلت: الحتميّة لا تستلزم الفوريّة، بل يكفي وجود المراد وإن كان ساعة.

قلت: المراد بالإرادة الفعل، وإنّ الأخبار الواردة من الطريقين صريحة في ذلك وإنّ عصمتهم لانتزاع غيرهم بها وهو الغاية، وإلّا فمجرّد الغفران يكفي لهم فإنّ الاختصاص كذلك أيضاً؛ فتأمّل.

فإن قلت: دلالة الآية على العصمة على الجملة، والمطلوب عصمتهم من أوّل حالهم وبدو فطرهم.

قلت: من قال بعصمتهم قال بها من أوّل خلقتهم، ومن لم يقل بها قال بعدمها مطلقاً فيهم، فالقول بغيره خارق، وعلى القول باختصاص الإرادة مطلقاً بالحتميّة كان هو مذهبهم، وإنّها قائم مقام العلم فلا يرد هذا البحث؛ فتأمّل.

ونقول: إذا الوجود والخير خرجا خروج المساواة كالعدم والشرّ على ما هو مذهب المحقّقين، وقد ذكرنا بحثها في أوّل هذا الكتاب[1]، وقد مضى أنّ الوجود مشترك معنويّ وإنّ صدقه بالتشكيك فالكمالات الممكنة لازمة لوجود صاحب الكمالات أو فيها، فالوجود التامّ يلزمه كلّ كمال ممكن ومنها العصمة؛ فتأمّل.

ونقول أيضاً: إنّه قد حقّق أنّ القرآن كلّه نزل في ليلة القدر على اللوح أو غيره، ثمّ بالتدريج فنزل على الرسول ﷺ آية آية وسورة سورة، وكذا آية التطهير.

٩٨٩ ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * [وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا] هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[2].

وجه الاستدلال بالرحمة والإخراج من كلّ الظلمات قد مرّ في مثله؛ فتذكّر.

وأُيّد بما في تفسير الصافي عن الصادق عليه السلام: من صلّى على محمّد وآل محمّد عشراً صلّى الله عليه وملائكته مائة، ومن صلّى على محمّد وآل محمّد مائة مرّة

---

(١) راجع: الجزء الأوّل عند كلام المصنّف حول سورة الفاتحة.

(٢) الأحزاب (٣٣): ٤١ ـ ٤٣.

صلّى الله عليه وملائكته ألفاً، أما تسمع قول الله عزّ وجلّ: «هو الذي يصلّي عليكم» الآية(١).

وفي المجمع عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: صلّت الملائكة علَيّ وعلى عليٍّ سبع سنين، وذلك أنّه لم يصلّ فيها أحد غيري وغيره(٢).

وفي تأويل الآيات الظاهرة: عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: تسبيح فاطمة عليها السلام من ذكر الله الكثير الذي قال الله عزّ وجلّ: «اذكروا الله ذكراً كثيراً»(٣).

وعن إسماعيل بن عمّار قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: قوله عزّ وجلّ: «اذكروا الله ذكراً كثيراً» ما حدّه؟ قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله علّم فاطمة عليها السلام أن تكبّر أربعاً وثلاثين تكبيرة، وتسبّح ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، وتحمد ثلاثاً وثلاثين تحميدة فإذا فعلت ذلك بالليل مرّة وبالنهار مرّة فقد ذكرت الله كثيراً(٤).

ولمّا خاطب الله سبحانه المؤمن أمرهم بالذكر والتسبيح خاطبهم عامّة، ثمّ خاطب [أمير](٥) المؤمنين منهم خاصّة، فقال: «هو الذي يصلّي عليكم وملائكته» ثمّ عاد الخطاب إلى المؤمنين عامّة غير الخاصّة، فقال: «ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً»، فأمّا المؤمنون خاصّة فالنبيّ وأهل البيت صلّى

---

(١) تفسير الصافي ٤: ١٩٤ وراجع: الكافي ٢: ٤٩٣ ح ١٤ باب الصلاة على النبي محمّد وأهل بيته عليهم السلام.

(٢) تفسير مجمع البيان ٥: ١١٣، عنه في: تفسير الصافي ٤: ١٩٤، تفسير نور الثقلين ٤: ٢٨٨ ح ١٥٩، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٢: ٣٩.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٥٤ ح ١٥، ورواه في: تفسير البرهان أيضاً ٤: ٤٧٤ ح ٨٥٦١

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٥٤ ح ١٦، عنه في: تفسير البرهان ٤: ٤٧٦ ح ٨٦٦١

(٥) ما بين المعقوفتين من المصدر، وفي هامش المصدر عن بعض النسخ «المؤمن».

الله عليهم لما روي مرفوعاً عن ابن عبّاس أنّه قال في تأويل قوله تعالى: «هو الذي يصلّي عليكم وملائكته» قال: الصلاة على النبيّ وأهل بيته صلوات الله عليهم لا غير، فهذه الآية خاصّة لمحمّد وآله ليس لغيرهم فيها نصيب؛ لأنّ الله سبحانه لم يصلّ على أحد إلّا عليهم، ومن زعم أنّ الله سبحانه صلّي على أحد من هذه الأُمّة فقد كفر وأعظم[1].

وبيان ذلك: أنّه لو صلّى على أحد غيرهم لكان هو والنبيّ صلى الله عليه وآله في الفضل سواء؛ لأنّ الله سبحانه قال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾[2] وقال للمؤمنين: «هو الذي يصلّي عليكم وملائكته» فلم يبق حينئذٍ بينه وبينهم فرق وهذا لا يجوز لقوله تعالى: ﴿**لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا**﴾[3] فلم يبق إلّا أن يكون النبيّ وأهل بيته عليهم السلام هم المعنيّون بالصلاة خاصّة[4].

ويؤيّده قوله صلى الله عليه وآله وقد سأله المسلمون عند نزول قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ**﴾ الآية، يا رسول الله: هذا السلام عليك قد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: قولوا: اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد، فلو لم يعلم أنّ الله سبحانه قد صلّوا عليكم كما صلّى عليه يأمر بالصلاة عليه وعليهم[5].

ويؤيّد هذا أنّه أوجب الصلاة عليه وعليهم في جميع الصلاة ولمّا أمر الله

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٥٥ ح١٧ وانظر: ذيل الحديث ١٦.

(٢) الأحزاب (٣٣): ٥٦.

(٣) النور (٢٤): ٦٣.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٥٥ ذيل الحديث ١٧.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٥٥ ح١٨.

سبحانه المؤمنين بالصلاة والتسليم على النبيّ صلى الله عليه وآله إنّه أخبرهم بأنّه قد صلّى على آله أيضاً في قوله: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾[1] فقد حصلت لهم الصلاة والتسليم من الله العزيز الحكيم، كما حصلت للنبيّ الكريم صلى الله عليه وآله، وما ذاك إلّا أنّ فضلهم من فضله الباهر، وأصلهم من أصله الطاهر[2].

وأمّا توجيه قوله تعالى: «ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً» فمعناه: أنّه سبحانه لمّا صلّى على محمّد وآله فأتمّه بشيعتهم إكراماً لهم فقال: «ليخرجكم» شيعة آل محمّد «من الظلمات» ظلمات أعدائكم الفجّار «إلى النور» نور أئمّتكم الأبرار «وكان بالمؤمنين» منكم «رحيماً»، فصلّوا على النبيّ وعلى آله وسلّموا تسليماً[3].

٩٩٠ ـ ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[4].

نصّ الله تعالى بأنّه خاتم النبيّين وأنّه ليس بعده نبيّ، فلو لم يكن بعده أيضاً خليفة مثله لزم إمّا عدم علمه أو عجزه أو عدم إمكان ذلك في نفسه أو عدم افتقار من كان بعده من الأُمّة إلى ذلك كالذي قبله وفي زمانه صلى الله عليه وآله أو ترجيح المرجوح، وبطلان الكلّ مسلّم مبيَّن في العلم الأعلى، أشرت إليه في مواضع من هذا الكتاب، والملازمة ظاهرة، فيثبت بذلك إيجاب إيجاده ووجود خليفة كذلك، ولمّا كان النبيّ صلى الله عليه وآله معصوماً فيجب أيضاً عصمته، وإلّا لزم المفاسد المذكورة.

---

(١) الصافّات (٣٧): ١٣٠.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٥٥ ذيل الحديث ١٨.

(٣) راجع: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٥٦.

(٤) الأحزاب (٣٣): ٤٠.

ولأنّه تعالى نصّ على أنّه رحمة للعالمين، والرحمة حيث كونها رحمة غير مشوبة بشوب من الخطأ وإلّا لم يكن رحمة وإنّ العالمين عامّ كما عرفت فيما مضى، فثبت بنفيه بعده وليس بالإجماع فيجب ترتّب النفع والغاية والأثر، وهو ليس إلّا بالإمام بعده متّحداً معه فيه.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: في المناقب عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّي خاتم الأنبياء وأنت يا عليّ خاتم الأولياء.

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام: ختم محمّد ألف نبيّ، وإنّي ختمت ألف وصيّ وإنّي كُلِّفت ما لم يُكلَّفوا[١].

وفي المجمع: قد صحّ أنّه صلى الله عليه وآله قال للحسن عليه السلام: إنّ ابني هذا سيّد.

وقال للحسن والحسين عليهما السلام: ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا[٢].

٩٩١ ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[٣].

هذا لا يتمّ إلّا بانقياد أوامره وامتثال نواهيه، لأنّ الصلاة عليه مع عدم العلم والعمل بهذا كلا صلاة ولا تسليم، وهذا لو لم يفسّر التسليم بهذا وإلّا فدلّ بالمنطوق على ذلك والعلم بذلك ليس إلّا بقول المعصوم فيجب؛ لرجحان الصلاة في الجملة.

وأُكّد هذا بما روي عن طريق العامّة والخاصّة، منها ما في الطرائف فقال: ومن طرائف ما قد انتهى إليه إعراضهم عن آل محمّد أنّهم رووا في صحاحهم وعن

(١) تفسير الصافي ٤: ١٩٣، وراجع: المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٥٤.

(٢) تفسير مجمع البيان ٨: ١٩٥.

(٣) الأحزاب (٣٣): ٥٦.

رجالهم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله علّمهم أنّهم إذا صلّوا عليه يصلّون على آله معه، وإذا اعتبرت كتبهم المجلّدات، وما يجري على ألسنتهم في المحاورات، رأيت أكثر ذلك قد أطرحوا فيه ذكر آل محمّد عليهم السلام، فكيف استحسنوا لأنفسهم أن يبخلوا عليهم بهذا المقدار؟ وهل يحسن أن يبلغ التعصّب عليهم إلى هذه الغاية؟

فمن الروايات الدالّة على تعليم النبيّ صلى الله عليه وآله لهم كيفيّة الصلاة عليه: ما رواه مسلم في صحيحه في أواسط الجزء الرابع بإسناده إلى كعب بن عجرة قال: قلت: يا رسول الله، أمّا السلام فقد عرفنا، فعرِّفنا الصلاة عليك. قال صلى الله عليه وآله: قولوا: «اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد»[1].

وروى البخاري في الجزء السادس في أوّل كرّاس من أوّله بإسناده قال: قلت: يا رسول الله، قد علمنا هذا التسليم فكيف نصلّي عليك؟ فقال في روايته عن ابن صالح عن الليث: «اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد»[2].

وروى البخاري نحو ذلك في هذا الموضع من الجزء المذكور عن كعب بن عجرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله[3].

ورواه أيضاً البخاري في الجزء الرابع منه وكان الجزء تسع كراريس من النسخة المنقول منها[4].

---

(١) عنه في: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٦٠ ح ٢٤٩، وراجع: بحار الأنوار ٢٧: ٢٥٧، العمدة لابن البطريق: ٤٩ ح ٤١.

(٢) صحيح البخاري ٦: ٢٧ ط. دار الفكر ـ بيروت، وعنه في: الطرائف: ١٦٠ ـ ١٦١ ح ٢٥٠.

(٣) صحيح البخاري ٤: ١١٨، وعنه في: الطرائف: ١٦١ ذيل الحديث ٢٥٠.

(٤) صحيح البخاري ٤: ١٤٦، وعنه في: الطرائف: ١٦١ ذيل الحديث ٢٥٠ أيضاً.

ومن ذلك: ما رواه الحميدي في الجمع بين الصحيحين في مسند أبي سعيد الخدري في الحديث الخامس من أفراد البخاري قال: قلنا: يا رسول الله، قد علمنا السلام عليك فكيف نصلّي عليك؟ قال: قولوا: «اللهمّ صلّ على محمّد عبدك ورسولك كما صلّيت على إبراهيم، وبارك على محمّد وآل محمّد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم»(١).

ومنها: ما رواه الحميدي أيضاً في الجمع بين الصحيحين في مسند أبي مسعود عقبة بن عمر الأنصاري في الحديث الثاني من أفراد مسلم، قال بشير: أمرنا الله أن نصلّي عليك يا رسول الله فكيف نصلّي عليك؟ وسكت رسول الله ﷺ حتّى تمنّينا أنّه لم نسأله، قال رسول الله ﷺ: قولوا: «اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمّد وآل محمّد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد»(٢).

ومنها: ما رواه الثعلبي بإسناده في تفسير قوله تعالى: «إنّ الله وملائكته يصلّون على النبيّ يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً»، قال: لمّا نزلت: «إنّ الله وملائكته يصلّون على النبي»، قلنا: يا رسول الله، قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: «اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمّد وآل محمّد كما باركت على إبراهيم وآل

---

(١) الجمع بين الصحيحين ٢: ٤٥٨ ح١٧٨٣ (أفراد البخاري)، عنه في: الطرائف: ١٦١ ح٢٥١، بحار الأنوار ٢٧: ٢٥٧ ح٣، إحقاق الحق ٩: ٥٦٦.

(٢) الجمع بين الصحيحين ١: ٤٩٥ ح٧٩٦ (أفراد مسلم)، عنه في: الطرائف: ١٦١ ح٢٥٢، بحار الأنوار ٢٧: ٢٥٧ ح٤.

إبراهيم إنّك حميد مجيد»[١].

فإذا كانت الصلاة على آله مأموراً بها فيكون آله أفضل، ولا ريب أنّ عليّاً عليه السلام أفضل آله فيكون أولى بأمر الإمامة، وقد قيل في الاستدلال على عظمة أهل البيت أنّه صلى الله عليه وآله جعل أهل بيته قائماً مقامه وكما أنّ الصلاة عليه صلى الله عليه وآله توجب تعظيمهم كذلك الصلاة عليهم توجب تعظيمه. وقد روي أنّه قال صلى الله عليه وآله في يوم أدخلهم في العباء: اللهمّ إنّهم منّي وأنا منهم فاجعل صلواتك ومغفرتك ورحمتك ورضوانك علَيّ وعليهم[٢].

وقد نُقل[٣] عن سلطان محمّد خدابنده أنّه قال: في وجه عدم ذكر آل الأنبياء معهم في الصلاة عليهم بخلاف آل نبيّنا صلى الله عليه وآله ذكروا معه صلى الله عليه وآله في الصلاة أنّ أديان أنبياء الله تكون في معرض التبدّل والنسخ، أمّا دين نبيّنا صلى الله عليه وآله على خلافه فمن تبعه يلزم عليه الأخذ به من أولاده صلوات الله عليهم فيجب ذكرهم بذكره فيها ليعلموا أنّهم الحافظون لملّته صلى الله عليه وآله، وإنّ الواجب تعظيمهم كتعظيمه.

وقال أيضاً: وجه آخر وهو أنّ أعداءه صلى الله عليه وآله عدّوه أبتر، فقرن ذكرهم بذكره، حتّى يعلم أنّ نسله لا ينقطع فمن عدّه أبتر هو الأبتر.

وقيل في الوجه: إذا أوجب الصلاة عليهم في الصلاة التي ـ هي أفضل الأعمال ـ فيعلم يقيناً أنّه يجب تبعيتهم في غيرها. ونُقل عن الشافعيّ شعر، وهو هذا:

---

(١) الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) ٨: ٦١، عنه في: الطرائف: ١٦٢ ح٢٥٣، بحار الأنوار ٢٧: ٢٥٨ ح٥، وراجع: تفسير الطبري ٢٢: ٣١ و٣٢.

(٢) راجع: المناقب للخوارزمي: ٦٣ ح٣٢، ينابيع المودّة ١: ٣٢٢ ح٨ الباب الثالث والثلاثون في تفسير آية التطهير و٢: ٤٣٤ ح١٩٥ الباب التاسع والخمسون.

(٣) انظر: حديقة الشيعة ١: ١٠٩، ١١٠ الفصل الرابع في يقين الإمام عليه السلام.

يا أهل بيت رسول الله حبّكم　　　فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنّكم　　　من لا يصلّي عليكم لا صلاة له[١]

قال عبد المحمود بن داود: من عجيب ما رأيت أنّني وقفت على هذه الأحاديث في كتبهم المذكورة ولمّا ذكروا النبيّ قالوا: «صلّى الله عليه وسلّم» ولم يذكروا آله، وهذا من العناد القبيح والجهل الصريح، وأمّا كتبهم فإنّه قد وقفت على كثير من مجلّداتهم وسمعت محاوراتهم فما رأيت في شيء ممّا وقفت عليه بخطوطهم ذكر الصلاة على آله إلّا عند خاتمة المجلّدات والمكاتبات في بعض دون بعض، ومن طرائف أُمورهم أنّهم قد رووا مثل هذه الأحاديث وصحّت عندهم وهي تتضمّن أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله قد أجرى الله مجرى نفسه في تعظيم الصلاة عليه.

وقال الشافعيّ ابن المغازلي في رواية التنوخي عنه: إنّ الصلاة على النبيّ وآله فريضة في الصلاة.

قال أبو حنيفة: الصلاة على النبيّ في الصلاة فريضة (وعلى آله سنّة)[٢].

فأين الاهتمام بمعرفة هؤلاء آل محمّد هل هذا التعظيم لجميعهم الصالح منهم والطالح أم لا؟ فأين التعرّف بهم، والمعرفة لهم، والتعظيم لشأنهم، والتخلّق بأخلاقهم؟ إنّ إهمال هؤلاء الأربعة المذاهب لآل نبيّهم مع ما قد شهدوا لهم من الطرائف العجيبة والغرائب المريبة[٣].

---

(١) ورد الشعر في: إعانة الطالبين للدمياطي الشافعي ١: ٢٠٠ ط. دار الفكر بيروت، ينابيع المودّة ٢: ٤٣٤.

(٢) ما بين القوسين لم يرد في الطرائف.

(٣) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٦٢ ذيل الحديث ٢٥٣. وحكى ابن حجر في الصواعق ٢: ٦٦٧ عن الشافعي: إنّ الصلاة على الآل من واجبات الصلاة كالصلاة عليه صلى الله عليه وآله.

وفي تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي المغيرة قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: ما معنى صلاة الله وملائكته والمؤمنين؟ قال: صلاة الله رحمة الله، وصلاة ملائكته تزكية منهم له، وصلاة المؤمنين دعاء منهم له[١].

وعن شعيب، عن الحكم قال: سمعت ابن أبي ليلى يقول: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي إليك هديّة؟ قلت: بلى. قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله خرج إلينا، فقلت: يا رسول الله، قد علمنا كيف السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: «اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد، وبارك على محمّد وآل محمّد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم»[٢].

وروي عن الصادق عليه السلام ما يؤيّده قال: لمّا نزل قوله عزّ وجلّ: «إنّ الله وملائكته يصلّون على النبيّ يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً»، قالوا: يا رسول الله، قد عرفنا كيف السلام عليك فكيف الصلاة عليك؟ قال: تقولون: «اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد»[٣].

وممّا ورد في فضل الصلاة على محمّد وآل محمّد عليهم السلام ما رواه الشيخ أبو جعفر ابن بابويه رحمه الله بإسناده عن عبدالله بن سنان، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: قال رسول

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٦٠ ح٢٥ وراجع: ثواب الأعمال: ١٥٦، عنه في: بحار الأنوار ٨٣: ٩٦ ح٣.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٦٠ ح٢٦، وراجع: مسند أبي داود الطيالسي: ١٤٢، سنن ابن ماجة ١: ٢٩٣ ح٩٠٤، وانظر: فضائل الخمسة من الصحاح الستّة للفيروزآبادي ١: ٢٥٨ ط. الأعلمي ـ بيروت.

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق: ٤٧٠ ح٥/٦٢٦ المجلس الحادي والستّون، الأمالي للشيخ الطوسي: ٤٢٩ ح١٥/٩٥٨ المجلس الخامس عشر، بحار الأنوار ٢٧: ٢٥٩ ح١٠، مسند أحمد ٤: ٢٤١، المعجم الكبير للطبراني ١٩: ١٢٤، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٦٠ ح٢٧.

الله صلى الله عليه وآله لأميرالمؤمنين عليه السلام ذات يوم: ألا أُبشّرك؟ قال: بلى بأبي أنت وأُمّي فإنّك لم تزل مبشّراً بكلّ خير. فقال: أخبرني جبرئيل آنفاً بالعجب. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما الذي أخبرك به يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: أخبرني أنّ الرجل من أُمّتي إذا صلّى عليّ وأتبع بالصلاة على أهل بيتي فُتِحَت له أبواب السماء وصلّت عليه الملائكة سبعين صلاة وإنّه لمذنب خطيء ثمّ تحاتّ عنه الذنوب كما تحاتّ الورق عن الشجرة ويقول الله تعالى: لبّيك عبدي وسعديك، يا ملائكتي أنتم تصلّون عليه سبعين صلاة وأنا أُصلّي عليه سبعمائة صلاة، وإذا لم يتبع بالصلاة على أهل بيتي كان بينها وبين السماء سبعون حجاباً ويقول الله جلّ جلاله: لا لبّيك ولا سعديك، يا ملائكتي لا تصعدوا دعاءه إلّا أن يلحق بالنبيّ صلى الله عليه وآله عترته، فلا يزال محجوباً حتّى يلحق بي أهل بيتي[1].

وروي أيضاً عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: إذا ذُكر النبيّ فأكثروا من الصلاة عليه؛ فإنّه من صلّى عليه صلاة واحدة صلّى عليه ألف صلاة في ألف صفّ من الملائكة، ولم يبق شيء ممّا خلق الله إلّا صلّى على ذلك العبد لصلاة الله عليه؛ فلا يرغب عن هذا إلّا جاهل مغرور، قد برئ الله منه ورسوله وأهل بيته عليهم السلام[2].

وروي أيضاً عن الصادق عليه السلام أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا عند الميزان يوم

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ٦٧٦ ح١٨/٩١٦ المجلس الرابع والثمانون، ثواب الأعمال: ١٥٧ باب ثواب من صلّى على النبي صلى الله عليه وآله واتبع بالصلاة على أهل بيته عليه السلام، روضة الواعظين: ٣٢٣، مستدرك الوسائل ٥: ٣٥٤ باب وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله كلّما ذُكر، جمال الأُسبوع لابن طاووس: ١٥٧ ط. مؤسسة الآفاق، بحار الأنوار ٩١: ٥٩.

(٢) الكافي ٢: ٤٦٩ ح٦ كتاب الدعاء ـ باب الصلاة على النبي محمّد صلى الله عليه وآله وآله وأهل بيته عليهم السلام صلاة واحدة، بحار الأنوار ١٧: ٣٠ ح١١، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٦١ ح٢٩.

القيامة؛ فمن ثقلت سيّئاته على حسناته جئت بالصلاة عليَّ حتّى أثقل بها حسناته[١].

وقد تقدّم البحث في أنّ المصلّي على محمّد صلى الله عليه وآله دعاؤه محجوب حتّى يصلّي على آله:

في حديقة الشيعة في الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: لا تصلّوا عليَّ الصلاة البتراء. فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال: تقولون: «اللهمّ صلّ على محمّد» وتمسكوا، بل قولوا: «اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد»[٢].

ويؤيّده ما رواه أيضاً بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: كلّ دعاء محجوب عن السماء حتّى يصلّى على النبيّ وآله صلى الله عليه وآله[٣].

وممّا ورد في فضل الصلاة على محمّد وأهل بيته في تفسير الإمام أبي محمّد الحسن العسكري عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أتى جبل بالمدينة ـ في حديث طويل ـ فسأله فقال: يا أيّها الجبل، إنّي أسألك بجاه محمّد وآله الطيّبين الذين بذكر أسمائهم خفّف الله العرش على كواهل ثمانية من الملائكة بعد أن لم يقدروا على تحريكه وهم خلق كثير لا يعرف عددهم إلّا الله.

وقصّة ذلك: قال الإمام عليه السلام في حديث طويل: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله لمّا خلق العرش خلق له ثلاثمائة وستّين ألف ملك لو أذن الله لأصغرهم لالتقم

---

(١) ثواب الأعمال: ١٨٦ ح ١ باب ثواب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله، وسائل الشيعة ٧: ١٩٥ ح ١١ باب استحباب الإكثار من الصلاة على محمد صلى الله عليه وآله، بحار الأنوار ٧: ٣٠٤.

(٢) انظر: حديقة الشيعة ١: ١١١ الفصل الرابع في تعيين الإمام عليه السلام.

(٣) ثواب الأعمال: ١٨٦ ح ٣ باب ثواب الصلاة على النبيّ صلى الله عليه وآله.

السماوات السبع والأرضين السبع وما كان بين لهواته[١] إلّا كالرملة في المفازة[٢] الفضفاضة[٣]، فقال الله تعالى لهم: يا عبادي، احتملوا عرشي هذا، فتعاطوه فلم يطيقوا حمله ولا تحريكه، فخلق الله مع كلّ واحد منهم واحداً فلم يقدروا، فخلق الله مع كلّ واحد منهم عشرة فلم يقدروا أن يحرّكوه، فقال الله عزّ وجلّ لجمعهم: خلّوه على أنّي أمسكه بقدرتي، فخلّوه فأمسكه الله عزّ وجلّ بقدرته.

فقال لثمانية منهم: احملوه أنتم، فقالوا: يا ربّنا، لم نطقه نحن وهذا الخلق الكثير والجمّ الغفير فكيف نطيقه الآن دونهم؟! فقال الله عزّ وجلّ: لأنّي أنا الله المقرِّب للبعيد والمذلِّل للعنيد[٤] والمخفّف للشديد والمسهِّل للعسير، أفعل ما أشاء وأحكم ما أُريد، أُعلِّمكم كلمات تقولونها يخفّ بها عليكم.

قالوا: وما هي ربّنا؟

قال: تقولون: «بسم الله الرّحمٰن الرّحيم ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم وصلّى الله على محمّد وآله الطيّبين».

فقالوها فحملوه، وخفّ على كواهلهم[٥] كشعرة نابتة على كاهل رجل قوي، ثمّ قال الله عزّ وجلّ لسائر تلك الأملاك: خلّوا عن هؤلاء الثمانية عن شيء ليحملوه وطوفوا أنتم حوله وسبّحوني ومجّدوني وقدّسوني فإنّي أنا الله القادر على ما رأيتم وعلى كلّ شيء قدير[٦].

---

(١) اللهوات: جمع لهاة وهي اللحمات في أقصى الفم. النهاية في غريب الحديث والأثر ٤: ٢٨٤ «لها».

(٢) المفازة: الفلاة لا ماء بها. القاموس المحيط ٢: ٢٩٨ «فوز».

(٣) الفضفاض: الواسع. النهاية في غريب الحديث والأثر ٣: ٤٥٥ «فضفض».

(٤) في بعض المصادر: «للعبيد».

(٥) الكاهل: مُقدّم أعلى الظهر ممّا يلي العُنق. المحيط في اللغة ٣: ٣٥٧ «كهل».

(٦) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ١٤٦ ـ ١٤٧، عنه في: بحار الأنوار ٢٧: ٩٧ ح ٦٠، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٦٢ ح ٣٢.

فقد بان لك أنّ بالصلاة على محمّد وآله حمل الملائكة العرش، ولولاها لم يطيقوا حمله ولا خفّ عليهم ثقله.

وممّا ورد في الصلاة على محمّد صلى الله عليه وآله في يوم الجمعة، فمن ذلك ما رواه الشيخ الصدوق رحمه الله بإسناده عن الباقر عليه السلام أنّه سُئل: ما أفضل الأعمال يوم الجمعة؟ قال: لا أعلم عملاً أفضل من الصلاة على محمّد وآله[1].

وذكر الشيخ المفيد رحمه الله في المقنعة عن الصادق عليه السلام أنّه قال: إذا كان يوم الخميس وليلة الجمعة نزلت ملائكة من السماء ومعها أقلام الذهب وصحف الفضّه لا يكتبون إلّا الصلاة على محمّد وآل محمّد إلى أن تغيب الشمس من يوم الجمعة[2].

وذكر أيضاً عن الصادق عليه السلام أنّه قال: الصدقة ليلة الجمعة ويوم الجمعة بألف، والصلاة على محمّد ليلة الجمعة بألف من الحسنات، ويحطّ الله فيها ألفاً من السيّئات، ويرفع ألفاً من الدرجات، وإنّ المصلّي على محمّد وآل محمّد ليلة الجمعة وليلة الجمعة يزهر نوره في السماوات إلى يوم القيامة، وإنّ ملائكة السماوات يستغفرون له، والملك الموكّل بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله يستغفر له إلى أن تقوم الساعة[3].

وفي تفسير الصافي: في العيون عن الرضا عليه السلام في مجلسه مع المأمون قال: وقد علم المعاندون منهم أنّه لمّا نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله، قد عرفنا التسليم

---

(١) كذا في تأويل الآيات ولكن الرواية في الخصال والبحار عن أبي عبدالله عليه السلام. راجع: الخصال: ٣٩٤ ح ١٠١، البحار ٩١: ٥٠ ح ١٢، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٦٤ ح ٣٣.

(٢) المقنعة: ١٥٧، وراجع: الخصال: ٣٩٣ ح ٩٥، عنه في: بحار الأنوار ٨٦: ٣٠٩ ح ١٤.

(٣) المقنعة: ١٥٦، وراجع: بحار الأنوار ٨٦: ٣١٤، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٦٤ ح ٣٥.

عليك فكيف الصلاة عليك؟ فقال: تقولون: «اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد كما صلّيت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد»، فهل بينكم معاشر الناس في هذا خلاف؟ قالوا: لا. قال المأمون: هذا ممّا لا خلاف فيه أصلاً وعليه إجماع الأُمّة، فهل عندك في الآل شيء أوضح من هذا في القرآن؟

قال عليه السلام: نعم، أخبروني عن قول الله تعالى: ﴿**يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[1] فمن عنى بقوله «يس»؟ قالت العلماء: «يس» محمّد صلى الله عليه وآله لم يشكّ فيه أحد. قال عليه السلام: فإنّ الله أعطى محمّداً وآل محمّد من ذلك فضلاً لا يبلغ أحد كنهه وضبطه من عقله وذلك أنّ الله لم يسلِّم على أحد إلّا على الأنبياء عليهم السلام، فقال تبارك وتعالى: ﴿**سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ**﴾[2]، وقال: ﴿**سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ**﴾[3]، وقال: ﴿**سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ**﴾[4]، ولم يقل: سلام على آل نوح، ولم يقل: سلام على آل إبراهيم، ولم يقل: سلام على آل موسى وهارون، وقال: ﴿**سَلَامٌ عَلَىٰ آلِ يَاسِينَ**﴾[5] يعني آل محمّد، فقال: المأمون قد علمت أنّ في معدن النبوّة شرح هذا وبيانه[6].

وفي الاحتجاج عن أميرالمؤمنين عليه السلام: لهذه الآية ظاهر وباطن؛ فالظاهر: قوله

---

(١) يس (٣٦): ١ ـ ٤.

(٢) الصافّات (٣٧): ٧٩.

(٣) الصافّات (٣٧): ١٠٩.

(٤) الصافّات (٣٧): ١٢٠.

(٥) الصافّات (٣٧): ١٣٠.

(٦) تفسير الصافي ٤: ٢٠١، وراجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٣٦ باب ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأُمّة، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٠٠ ح١٨، تفسير البرهان ٤: ٦٢٥، ح٩٠٣٣.

تعالى: «صلّوا عليه»، والباطن: قوله: «سلّموا تسليماً» أي سلّموا لمن وصّاه واستخلفه عليكم فضله وما عهد به إليه تسليماً. قال: وهذا ممّا أخبرتك أنّه لا يعلم تأويله إلّا من لطف حسّه، وصفا ذهنه، وصحّ تمييزه[1].

٩٩٢ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله: **﴿إِثْمًا مُّبِينًا﴾**[2].

لا شيء من الإمام المعصوم كذلك بالضرورة، وكلّ غير معصوم يمكن أن يكون كذلك بالضرورة، فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة، وسيجيء في المطاعن أنّ من الخلفاء مَنْ صدر منه هذا؛ فصاروا بذلك مستحقّين للّعن السرمدي والعذاب الأبدي.

وقد قيل: إنّ الآية مربوطة بالآية السابقة، وإذا كان الله تعالى صلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله فيكون إيذاؤه هو إيذاء الله تعالى، ولمّا كان إيذاؤه عليه السلام إيذاء النبيّ صلى الله عليه وآله، فيكون إيذاؤه عليه السلام إيذاء الله تعالى لما يجيء، وهذا الوصف لغيره عليه السلام فيكون أولى وأفضل من غيره.

وعن مقاتل أنّها نزلت في عليّ عليه السلام على، ما قال في الحديقة[3].

وأُيّد بما رواه في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي خالد الواسطي وهو آخذ بشعره، قال: حدّثني زيد بن عليّ وهو آخذ بشعره، قال: حدّثني عليّ بن الحسين وهو آخِذ بشعره، قال: حدّثني الحسين بن عليّ وهو آخِذ بشعره، قال: حدّثني

(١) الاحتجاج ١: ٣٧٧، وراجع: بحار الأنوار ٨٩: ٤٦، تفسير الصافي ٤: ٢٠٢، تفسير نور الثقلين ٤: ٤٢٢ ح١٠٣، تفسير البرهان ٤: ٤٩١ ح٨٧١٠.

(٢) الأحزاب (٣٣): ٥٧ ـ ٥٨.

(٣) حديقة الشيعة ١: ١١٤ الفصل الرابع في دلائل تعيين الإمام عليه السلام.

عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو آخِذ بشعره، قال: حدّثني رسول الله صلوات الله عليهم وهو آخِذ بشعره، فقال: يا علي، من آذى شعرة منك فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فعليه لعنة الله(١).

ويؤيّده ما ذكره في تفسير الإمام أبي محمّد الحسن العسكري قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث جيشاً وأمّر عليهم عليّاً عليه السلام وما بعث جيشاً قطّ وفيهم عليّاً عليه السلام إلّا جعله أميرهم، فلمّا غنموا رَغِب عليّ عليه السلام أن يشتري من جملة الغنائم جارية ويجعل ثمنها في جملة الغنائم، فكايده فيها حاطب بن أبي بَلْتَعَة، وبُريدة الأسلمي، وزائدة، فلمّا نظر إليهما يُكايدانه ويُزايدانه انتظر إلى أن بلغ قيمتُهما قيمة عدل في يومها فأخذها بذلك، فلمّا رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تواطئا على أن يقولا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا رسول الله، ألم تَر إلى ابن أبي طالب أخذ جاريةً من الغنم دون المسلمين؟ فأعرض عنه، فجاء عن يمينه فقالها فأعرض عنه، فجاء عن يساره فقالها فأعرض عنه، فجاء فقال، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله غضباً لم ير قبله ولا بعده غضباً مثله وتغيّر لونه وتربّد(٢) وانتفخت أوداجه وارتعدت أعضاؤه، فقال: ما لك يا بريدة آذيت رسول الله اليوم، أما سمعت قول الله عزّ وجلّ: «إنّ الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم عذاباً مُهيناً * والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بُهتاناً وإثماً مبيناً»؟

فقال بُريدة: يا رسول الله ما علِمتُ أنّي قصدتُك بأذى.

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٦٥ ح٣٧، وراجع: تفسير مجمع البيان ٨: ١٨١، بحار الأنوار ٣٩: ٣٣٢، تفسير البرهان ٤: ٤٩٣ ح٨٧١٧، تفسير الصافي ٤: ٢٠٣.

(٢) تربّد: إحمر وجهه حمرةً فيها سواد عند الغضب. لسان العرب ٣: ١٧٠ «ربد».

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أو تظنّ يا بُريدة أنّه لا يؤذيني إلّا من قصد ذات نفسي، أما علمت أنّ عليّاً منّي وأنا منه، وأنّ من آذى عليّاً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فحقّ على الله أن يُؤذيه بأليم عذابه في نار جهنّم؟

يا بُريدة، أنت أعلم، أم الله عزّ وجلّ؟ أنت أعلم أم قرّاء اللوح المحفوظ؟ أنت أعلم أم ملك الأرحام؟ فقال بُريدة: بل الله أعلم، وقرّاء اللوح المحفوظ أعلم، وملك الأرحام أعلم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت أعلم يا بُريدة، أم حفظة عليّ بن أبي طالب؟ قال: بل حفظة عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فكيف تُخطّئهُ وتلومه وتوبّخه وتُشنّع عليه في فعله، وهذا جبرئيل أخبرني عن حفظة عليّ أنّهم لم يكتبوا عليه قطّ خطيئة منذ ولد، وهذا ملك الأرحام حدّثني أنّه كُتب قبل أن يولد حين استحكم في بطن أُمّه: أنّه لا يكون منه خطيئة أبداً، وهؤلاء قرّاء اللوح المحفوظ أخبروني ليلة أُسري بي أنّهم وجدوا في اللوح المحفوظ مكتوباً: عليّ المعصوم من كلّ خطأ وزلل، فكيف تُخطّئه أنت وقد صوّبه ربُّ العالمين والملائكة المقرّبون؟!

يا بُريدة، لا تتعرّض لعليّ بخلاف الحسن الجميل، فإنّه أميرالمؤمنين، وسيّد الصالحين، وفارس المسلمين، وقائد الغُرّ المُحجّلين، وقسيم الجنّة والنار، يقول يوم القيامة للنار: هذا لي، وهذا لكِ.

ثمّ قال: يا بُريدة، أترى ليس لعليّ من الحقّ عليكم ـ معاشر المسلمين ـ أن لا تكايدوه، ولا تعاندوه، ولا تزايدوه، هيهات هيهات هيهات هيهات إنّ قَدْر عليّ عند الله أعظم من قَدْره عندكم، أو لا أُخبركم؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

فقال: إنّ الله سبحانه وتعالى يبعث يوم القيامة أقواماً تمتلئ من جهة السيّئات موازينهم، فيُقال لهم: هذه السيّئات فأين الحسنات وإلّا فقد عَطِبْتُم؟ فيقولون: يا ربّنا ما نعرف لنا حسنات، فإذا النداء من قبل الله عزّ وجلّ: إذا لم تعرفوا لأنفسكم حسنات، فإنّي أُعرّفُها لكم، وأوفوها إليكم، ثمّ تأتي الريح برقعة صغيرة تطرحها في كفّة حسناتهم فترجح بسيّئاتهم بأكثر ما بين السماء والأرض، فيقال لأحدهم: خُذ بيد أبيك وأُمّك وإخوانك وأخواتك وخاصّتك وقراباتك وأخدانك ومعارفك فأدخلهم الجنّة. فيقول أهل المحشر: يا ربّنا، أمّا الذنوب فقد عرفناها، فما كانت حسناتهم؟ فيقول الله عزّ وجلّ: يا عبادي، إنّ أحدهم مشى ببقيّة دَين عليه لأخيه إلى أخيه، فقال له خذها فإنّي أُحبّك بحبّك لعليّ بن أبي طالب، فقال له الآخر: إنّي قد تركتها، لك بحُبّك لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ولك من مالي ما شئت، فشكر الله تعالى لهما ذلك، فحطّ خطاياهما، وجعل ذلك في حشو صحائفهما وموازينهما وأوجب لهما ولوالديهما الجنّة.

ثمّ قال: يا بُريدة، إنّ من يدخل النار ببغض عليّ أكثر من الخَذْف الذي يُرمىٰ بها عند الجمرات فإيّاك أن تكون منهم[1].

٩٩٣ ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾[2].

وهو في الاستدلال كسابقه.

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ١٣٦ ح ٧٠، عنه في: تفسير البرهان ٤: ٤٩٣ ح ٨٧١٩.

(٢) الأحزاب (٣٣): ٦٩.

وأُيّد بما في [كتاب] الكليني مرفوعاً عنهم عليهم السلام أنّ هذه الآية في عليّ والأئمّة عليهم السلام (١).

٩٩٤ ـ ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٢).

الإطاعة تتوقّف على العلم بالأوامر والنواهي؛ لأنّ عظمة الفوز والزلفى يقتضي مدحاً عظيماً، والنهي عن الظنّ يقتضي مذمّة العامل به، وهو لا يحصل إلّا بالمعصوم، فيجب نصبه.

وأُيّد بما في الكافي عن الصادق عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: «ومن يطع الله ورسوله» في ولاية عليّ والأئمّة من بعده «فقد فاز فوزاً عظيماً» (٣).

وأُيّد أيضاً بما روي في تفسير قوله تعالى: **﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾** (٤).

وفي تفسير الصافي: في الكافي عن الصادق عليه السلام: هي ولاية أميرالمؤمنين (٥).

وفي البصائر عن الباقر عليه السلام: هي الولاية أبين أن يحملنها كفراً بها وعناداً

---

(١) الكافي ١: ٤١٤ ح٩ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٦٨ ح٣٨.

(٢) الأحزاب (٣٣): ٧١.

(٣) الكافي ١: ٤١٤ ح٨ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٦٩ ح٣٩، بحار الأنوار ٢٣: ٣٠١ ح٥٦، تفسير البرهان ٤: ٤٩٨ ح٨٧٣٠.

(٤) الأحزاب (٣٣): ٧٢.

(٥) تفسير الصافي ٤: ٢٠٧، وراجع: الكافي ١: ٤١٣ ح٢ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

«وحملها الإنسان» أبو فلان[١].

وفي المعاني عن الصادق عليه السلام: الأمانة هي الولاية، والإنسان أبو الشرور المنافق[٢].

أقول: ولعلّ المراد أنّ الله سبحانه أفاد بهذه الآية أنّ شرط التكاليف استعداد المواد؛ فلذا هذه الأجسام أبين من تحمّل المعرفة كما هي والإنسان يحملها باستعداد المجعول فيه وإن كان ظلوماً جهولاً من حيث ذاته الإمكانيّة، فمن أبى عن ذلك ليس من ضعف استعداده إيّاها، بل من حيث ذاته الإمكانيّة، وبعدم تخليته عن أوساخ الهيولانيّة وانغماره في العوائق الرديّة صار متباعداً عن مقتضيات العقلانيّة فينخرط في سلك ﴿**إِنْ هُمْ إِلَّا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**﴾[٣]، فمن ادّعى الولاية مع عدم استعدادها فهو كذلك.

أو المراد أنّ تحمّل الولاية والأُمور العظيمة ليس بعظمة الجسم ولا بتطوّل كميّة أو كيفيّة في عرض أو طول، ولا بغيرها، بل ذلك بإفاضة ربّ العالمين وأمره واصطفائه، ولو كان غير كذلك لكان تلك الأجسام أولى بهذه، وبذلك توافق ما ورد من الأخبار المختلفة بظاهرها في تأويل هذه الآية.

وقيل: إنّ العرض على أهل السماوات والأرض من الملائكة والجنّ والإنس فحذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه[٤].

---

(١) بصائر الدرجات: ٩٦ ح٣ باب ١٠ في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٢٨١ ح٢٤، تفسير الصافي ٤: ٢٠٧.

(٢) معاني الأخبار: ١١٠ ح٣، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٢٠٧، تفسير البرهان ٤: ٥٠٠ ح٨٧٣٤.

(٣) الفرقان (٢٥): ٤٤.

(٤) راجع: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٦٩.

وقيل عن ابن عبّاس: وهو أنّه عرضت على أهل السماوات والأرض والجبال فامتنعت من حملها وأشفقت منها؛ ولأنّ نفس الأمانة قد حفظتها الملائكة والأنبياء والمؤمنون(١).

وقوله: «أشفقن منها» أي أنّ هذه الأمانة في جلالة موقعها وعظم شأنها لو قيست السماوات والأرض والجبال وعرضت بها لكانت الأمانة أرجح قدراً وأثقل وزناً منها، ومع ذلك فقد حملها الإنسان مع ضعفه.

ومعنى «حملها» أي خانها وضيّعها، كلّ من حمل الأمانة فقد خانها وضيّعها ومن لم يحملها فقد أدّاها، وليس المراد بحملها الاستقلال بها. وأنشد بعضهم في أنّ حمل الأمانة بمعنى الخيانة فقال:

إذا أنت لم تبرح تؤدّي أمانة وتحمل أُخرى أفدحتك الودائع(٢)

وقوله: «حملها الإنسان» وهو الكافر والمنافق «إنّه كان ظلوماً جهولاً» بالثواب والعقاب المعدّ له يوم المآب(٣).

---

(١) بحار الأنوار ٥٧: ٢٧٩، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٦٩ ـ ٤٧٠، وعنه في: تفسير البرهان ٤: ٥٠٢ ح ٨٧٤١.

(٢) راجع: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٧٠، وانظر: بحار الأنوار ٥٧: ٢٧٨، ٢٧٩.

(٣) بمقتضى قوله صلى الله عليه وآله «القرآن ذو وجوه كثيرة» يحتمل هذه الآية وجه من المعاني على حسب اختلاف الروايات والأقوال:

منها: أنّ المراد بالأمانة إمّا ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام أو ولاية الأئمّة عليهم السلام ومطلق الولاية أو الولاية المطلقة، فيكون المراد بالعرض، عرضها على نفس السماوات والأرض والجبال أو أهل السماوات والأرض والجبال والملائكة والجنّ والإنس، فعلى هذا يكون المراد بالإنسان هو الخليفة الأوّل أو أعمّ منه ومن كلّ جائر غاصب غير مستعدّ للولاية والخلافة باستيلاء الجهل والخطل وأصحاب عساكر الغرر والزلل.

ومنها: أن يكون المراد بالأمانة ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام أو ولاية الأئمّة عليهم السلام ومنزلتهم أو الأعمّ ⇐

وأيّد ما ذكرنا في تفسير الصافي عن الصادق ما ملخّصه: أنّ الله عرض أرواح الأئمّة على السماوات والأرض والجبال فغشيها نورهم وقال في فضلهم ما قال، ثمّ قال: فولايتهم أمانة عند خلقي فأيّكم يحملها بأثقالها ويدّعيها لنفسه؟ فأبت من ادّعاء منزلتها وتمنّي محلّها من عظمة ربّهم، فلمّا أسكن الله آدم وزوجته الجنّة وقال لهما ما قال وحملها الشيطان على تمنّي منزلتهم فنظر إليهم بعين الحسد فخذلا حتّى أكلا من شجرة الحنطة ـ وساق الحديث إلى أن قال: ـ فلم يزل أنبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الأمانة ويخبرون بها أوصياءهم والمخلصين من أمّتهم فيأبون حملها ويشفقون من ادّعائها وحملها الإنسان الذي قد عرف بأصل كلّ ظلم منه إلى يوم القيامة، وذلك قول

⇐ منه، المعبّر عنه بمنزلة النبيّ والأئمّة عليهم السلام يعبّر عنه تارة بالولاية المطلقة فيكون المراد بالعرض المعنيين والمراد بالإنسان آدم عليه السلام على ما يلوح من بعض رواياتنا، فحينئذٍ يكون المراد بالظلوم والجهول ما هو خلاف الأُولى، أو إنّ ذلك بحسب بعض الطبيعة الإمكاني وعلى أنّه في غير عالم التكليف أو على اعتبار الاستخدام في الضمير وغير ذلك.

ومنها: أن يكون المراد بالأمانة المعرفة الشاملة لأُصول الديانات، والمراد بالعرض المعنى الظاهري مجرّداً عن حذف مضاف في إطار العالم العقلي المعبّر عنه بالميثاق والذرّ فامتنعن من حملها؛ لعدم استعداد فيها وأشفقن من عقوبة حامليها أو ممّا يعقّب وجودهنّ من اقتضاء ذواتهنّ من حيث الإمكان المعبّر عن خليّة الاستعداد بخلاف الإنسان فإنّه المجعول فيه قابليّة الحمل وظلمه وجهله باقتضاء ما شاركه غيره من الطبيعة الإمكانيّة، محصّله أنّ الحمل من جهة والإباء من جهة وقد جمعا في الإنسان فيكون قوله تعالى: «إنّه كان ظلوماً جهولاً» رفع لما يتوهّم؛ فتأمّل.

ومنها: أن يكون المراد بالأمانة معنى الأمانة المتعارف على ما في بعض الأخبار، فيكون إشارة إلى التأكيد والتشديد في أمر الأمانة.

ومنها: أن يكون المراد بها الصلاة فيكون كذلك.

ويمكن أن يراد بها المعنى الأعمّ الشامل لتلك المعاني وغير ما فيها جمعاً؛ فتأمّل. (منه)

جملة الاحتمالات المستفادة من الأخبار والأقوال ستّة وعشرون؛ فتأمّل تعرف. (منه)

الله عزّ وجلّ: «إنّا عرضنا الأمانة» الآية[١].[٢]

والقمّي: الأمانة هي: الإمامة والأمر والنهي، والدليل على أنّ الأمانة هي الإمامة قوله عزّ وجلّ للأئـمّة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾[٣] يعني الإمامة، فالأمانة هي الإمامة عرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، أن يدّعوها أو يغصبوها أهلها، «وحملها الإنسان» يعني الأوّل «إنّه كان ظلوماً جهولاً»[٤].

وفي نهج البلاغة في جملة وصاياه عليه السلام للمسلمين: ثمّ أداء الأمانة فقد خاب من ليس [من] أهلها، إنّـها عُـرِضت عـلى السـماوات المـبنيّة والأرض المـدحوّة، والجبال ذات الطول المنصوبة، فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم منها، ولو امتنع شيء بطول أو عرض أو قوّة أو عزّ لامتنعن، ولكن أشفقن من العقوبة، وعقلن ما جهل من هو أضعف منهنّ وهو الإنسان «إنّه كان ظلوماً جهولاً»[٥].

---

(١) في الاحتجاج عن عليّ عليه السلام حين سُئل عن معنى الأمانة التي في هذه الآية، قال عليه السلام: وأمّا الأمانة التي ذكرها الله فهي الأمانة التي لا تجب ولا تجوز أن تكون إلّا في الأنبياء وأوصـيائهم؛ لأنّ الله تبارك وتعالى ائتمنهم على خلقه وجعلهم حججاً في أرضه، والسامري ومن أجمع معه وأعانه من الكفّار على عبادة العجل عند غيبة موسى عليه السلام ما تمّ انتحال محل موسى من الطغام والاحتمال لتلك الأمانة التي لا ينبغي إلّا لطاهر من الرجس، فاحتمل وزرهـا ووزر مـن سـلك سـبيله مـن الظالمين وأعوانهم.. إلخ. (منه) [الاحتجاج ١: ٣٧٤].

(٢) تفسير الصافي ٤: ٢٠٧.

(٣) النساء (٤): ٥٨.

(٤) تفسير القمّي ٢: ١٩٨، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٢٠٧.

(٥) نهج البلاغة (مع شرح محمّد عبده) ٢: ١٨٠ رقم ١٩٩ من كلامه له عليه السلام يوصي به أصحابه ط. دار الذخائر ـ قم، عنه في: مستدرك الوسائل ١٤: ٦ ح ١٥٩٣٩ كتاب الوديعة ـ باب وجوب أداء الأمانة، بحار الأنوار ٥٧: ٢٨١، تفسير الصافي ٤: ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

وفي الكافي[١] ما يقرب منه.

وفي العوالي: أنّ علياً عليه السلام إذا حضر وقت الصلاة يتململ ويتزلزل ويتلوّن، فيقال له: ما لك يا أميرالمؤمنين؟ فيقول: جاء وقت الصلاة، وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها[٢].

وفي التهذيب: عن الصادق عليه السلام أنّه سُئل عن الرجل يبعث إلى الرجل يقول له: ابتع لي ثوباً فيطلب له في السوق فيكون عنده مثل ما يجد له في السوق فيعطيه من عنده؟ قال: لا يقرب من هذا ولا يدنّس نفسه، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: «إنّا عرضنا الأمانة» الآية. قال: وإن كان عنده خير ممّا يجد له في السوق فلا يعطيه من عنده[٣].

أقول: لا منافاة بين هذه الأخبار حيث خصّصت الأمانة تارة بالولاية وأُخرى بما يعمّ كلّ أمانة وتكليف، لما عرفت في مقدّمات الكتاب من جواز تعميم اللفظ بحيث يشمل المعاني المحتملة كلّها بإرادة الحقائق تارة والتخصيص بواحد واحد أُخرى.

ثمّ ما يُقال في تأويل هذه الآية في مقام التعميم أنّ المراد بالأمانة التكليف بالعبوديّة لله على وجهها والتقرّب بها إلى الله سبحانه، كما ينبغي لكلّ عبد بحسب استعداده لها وأعظمها الخلافة الإلهيّة لأهلها، ثمّ تسليم من لم يكن من أهلها

---

(١) الكافي ٥: ٣٧ ضمن حديث ١ باب ما كان يوصي أمير المؤمنين عليه السلام به عند القتال، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٢٠٨.

(٢) عوالي اللآلي ١: ٣٢٤، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٢٠٨.

(٣) تهذيب الأحكام ٦: ٣٥٢ ح ٩٩٩ باب المكاسب، عنه في: وسائل الشيعة ١٤: ٣٨٩ ح ٢٢٨١٥ باب أنّ من أمر الغير أن يشتري له لم يجز له أن يعطيه من عنده.

لأهلها وعدم ادّعاء منزلتها لنفسه، ثمّ سائر التكاليف[١].

والمراد بعرضها على السماوات والأرض والجبال النظر إلى استعدادهنّ لذلك وبإبائهنّ إباء الطبيعي الذي هو عبارة عن عدم اللياقة لها، وبحمل الإنسان إيّاها تحمّله لها من غير استحقاقها تكبّراً على أهلها أو مع تقصيره بحسب وسعه في أدائها، وبكونه ظلوماً جهولاً غلب عليه حسب القوّة الغضبيّة والشهويّة، وهو وصف للجنس باعتبار الأغلب، فهذه حقائق معانيها الكليّة، وكلّ ما ورد في تأويلها مقام التخصيص يرجع إلى هذه الحقائق، كما يظهر عند التدبّر والتوفيق من الله وزمام الصواب عنده[٢].

سورة سبأ وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

٩٩٥ ـ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾ إلى قوله: **﴿وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾** إلى قوله: **﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾**[٣].

الاستدلال على وجوه من الشكل الثاني ظاهر.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: في الاحتجاج عن الباقر عليه السلام في حديث الحسن البصري في هذه الآية قال عليه السلام: بل فيها ضرب الله الأمثال في القرآن، فنحن القرى التي بارك الله فيها وذلك قول الله عزّ وجلّ فيمن أقرّ بفضلنا حيث أمرهم أن يأتونا فقال: «وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها» أي جعلنا بينهم وبين شيعتهم

---

(١) تفسير الصافي ٤: ٢٠٨.

(٢) راجع: تفسير الصافي ٤: ٢٠٨.

(٣) سبأ (٣٤): ١٨ ـ ١٩.

القرى التي باركنا فيها «قرى ظاهرة»، والقرى الظاهرة الرسل والنقلة عنّا إلى شيعتنا وفقهاء شيعتنا، وقوله سبحانه: «وقدّرنا فيها السير» فالسير مثل العلم سير به فيها ليالي وأيّاماً مثل لما يسير من العلم في اللّيالي والأيّام عنّا إليهم، في الحلال والحرام، والفرائض والأحكام، آمنين فيها إذا أخذوا عن معدنها الذي أُمروا أن يأخذوا منه، آمنين من الشكّ والضلال والنقلة من الحرام إلى الحلال [١].

وعن السجّاد عليه السلام: إنّما عنى بالقرى الرجال، ثمّ تلا آيات في هذا المعنى من القرآن، قيل: فمن هم؟ قال: نحن هم، قال: أوما تسمع ـ إلى قوله ـ «سيروا فيها ليالي وأيّاماً آمنين» من الزيغ [٢].

وفي الإكمال: عن القائم عليه السلام في هذه الآية قال: نحن والله القرى التي بارك الله، وأنتم القرى الظاهرة [٣].

وفي العلل: عن الصادق عليه السلام في حديث أبي حنيفة الذي سبق: «سيروا» إلى قوله «آمنين» قال: مع قائمنا أهل البيت [٤].

وأُيّد أيضاً بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي جعفر عليه السلام قال: دخل على أبي بعض من يفسّر القرآن، فقال له: أنت فلان ـ وسمّاه باسمه ـ؟ قال: نعم، قال: أنت الذي تفسّر القرآن؟ قال: نعم، قال: فكيف تفسّر هذه الآية: «وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدّرنا فيها السّير سيروا فيها ليالي وأيّاماً آمنين»؟ قال: هذه بين مكّة ومنى. فقال له أبو عبدالله عليه السلام: أيكون في هذا الموضع

---

(١) تفسير الصافي ٤: ٢١٧، وراجع: الاحتجاج ٢: ٦٣، بحار الأنوار ٢٤: ٢٣٣.

(٢) تفسير الصافي ٤: ٢١٧.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٣، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٢١٧.

(٤) عنه في: تفسير الصافي ٤: ٢١٧.

خوف وقطيع؟ قال: نعم. قال: فموضع يقول الله آمن يكون فيه خوف وقطيع؟ قال: فما هو؟ قال: ذاك نحن أهل البيت قد سمّاكم الله ناساً وسمّانا قرى.

قال: جُعلت فداك، أوجدت هذا في كتاب الله أنّ القرى رجال؟

فقال أبو عبدالله عليه السلام: أليس الله تعالى يقول: ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا**﴾[1] فللجدران والحيطان السؤال أم للناس؟ وقال تعالى: ﴿**وَإِن مِن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا**﴾[2]، فمن المعذّب: الرجال أم الجدران والحيطان؟[3]

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: دخل البصريّ على محمّد بن عليّ عليهما السلام فقال له: يا أخا أهل البصرة، بلغني أنّك فسّرت آية من كتاب الله على غير ما أنزلت، فإن كنت فعلت فقد هلكت واستهلكت.

قال: وما هي جعلت فداك؟

قال: قوله عزّ وجلّ: «وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدّرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأيّاماً آمنين»، ويحك! كيف يجعل القوم أماناً ومتاعهم يُسرق بمكّة والمدينة وما بينهما؟ وربّما أُخذ عبد أو قتل وفاتت نفسه. ثمّ مكث مليّاً ثمّ أومى بيده إلى صدره، وقال: نحن القرى التي بارك الله فيها.

قال: جُعلت فداك، أوجدت هذا في كتاب الله أنّ القرى رجال؟

قال: نعم، قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَكَأَيِّن مِن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ**

---

(١) يوسف (١٢): ٨٢.

(٢) الإسراء (١٧): ٥٨.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٧١ ـ ٤٧٢ ح ١، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٣٤ ح ٣، تفسير البرهان ٤: ٥١٤ ـ ٥١٥ ح ٨٧٦٩

فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا ﴾[١] فمن العاتي على الله عزّوجلّ: الحيطان، أم البيوت، أم الرجال؟

فقال: الرجال. ثمّ قال: جعلت فداك، زدني.

قال: قوله عزّ وجلّ في سورة يوسف: **﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾**[٢] لمن أمروه أن يسأل: القرية والعير أم الرجال؟

فقال: جعلت فداك، فأخبرني عن القرى الظاهرة؟

قال: هم شيعتنا، يعني: العلماء منهم، وقوله: «سيروا فيها لياليَ وأيّاماً آمنين» من الزيغ، أي فيما يقتبسونه منهم من العلم في الدنيا والدين[٣].

وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «إنّ في ذلك لآيات لكلّ صبّارٍ شكور»، قال: صبّار على مودّتنا وعلى ما نزل به من شدّة أو رخاء، صبور على الأذى فينا، شكور لله على ولايتنا أهل البيت[٤].

٩٩٦ ـ ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٥].

الاستدلال به بالشكل الثاني ظاهر.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أخذ بيد عليّ بغدير خمّ فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» كان إبليس حاضراً بعفاريته، فقالت له حيث قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، والله ما هكذا قلت

---

(١) الطلاق (٦٥): ٨.

(٢) يوسف (١٢): ٨٢.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٧١ ـ ٤٧٢ ح ١، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٣٢ ح ٣، تفسير البرهان ٤: ٥١٤ ـ ٥١٥ ح ٨٧٦٩.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٧٣ ح ٤، تفسير البرهان ٤: ٥١٨ ح ٨٧٧٥.

(٥) سبأ (٣٤): ٢٠.

لنا، لقد أخبرتنا أنّ هذا إذا مضى افترق أصحابه، وهذا أمر مستقرّ كلّما أراد أن يذهب واحد بدر آخر. فقال: افترقوا فإنّ أصحابه قد وعدوني أن لا يقرّوا له بشيء ممّا قال، وهو قوله عزّوجلّ: «ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه فاتّبعوه إلّا فريقاً من المؤمنين»[١].

وعن زيد الشحّام قال: دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر عليه السلام وسأله عن قوله عزّ وجلّ: «ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه فاتّبعوه إلّا فريقاً من المؤمنين»، قال: لمّا أمر الله نبيّه أن ينصب أميرالمؤمنين للناس وهو قوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ** ﴾ في عليّ ﴿ **وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** ﴾[٢] أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد عليّ بغدير خمّ وقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، حثت الأبالسة التراب على رؤوسها، فقال لهم إبليس الأكبر: ما لكم؟ قالوا: قد عقد هذا الرجل اليوم عقدة لا يحلّها شيء إلى يوم القيامة. فقال لهم إبليس: كلّا إنّ الذين حوله قد وعدوني فيه عِدَةً ولن يخلفوني فيها، فأنزل الله سبحانه هذه الآية: «ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه فاتّبعوه إلّا فريقاً من المؤمنين» يعني شيعة أميرالمؤمنين صلوات الله عليه وعلى ذريّته الطيّبين[٣].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيد عليّ عليه السلام يوم الغدير وصرخ إبليس في جنوده صرخة فلم يبق منهم أحد في برّ ولا بحر إلّا أتاه، فقالوا: يا سيّدهم[٤]، فما سمعنا لك صرخة أوحش من صرختك هذه؟ فقال لهم: فعلَ

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٧٣ ـ ٤٧٤ ح٥، عنه في: بحار الأنوار ٣٧: ١٦٨ ح٤٥، تفسير البرهان ٤: ٥١٩ ح٨٧٧٨.

(٢) المائدة (٥): ٦٧.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٧٤ ح٦، بحار الأنوار ٣٧: ١٦٩، تفسير البرهان ٤: ٥١٩ ح٨٧٧٩.

(٤) في تأويل الآيات: «يا سيّداه».

هذا النبيّ فعلاً إن تمّ له لم يعص الله أبداً. فقالوا: يا سيّدهم[1] أنت كنت لآدم من قبل. فلمّا قال المنافقون إنّه ينطق عن الهوى، وقال أحدهم لصاحبه: أما ترى عينيه تدوران[2] في رأسه كأنّه مجنون ـ يعنون رسول الله ـ صرخ إبليس صرخة بطرب فجمع أولياءه. ثمّ قال: أما علمتم أنّي كنت لآدم من قبل؟ قالوا: نعم. قال: أمّا آدم نقض العهد ولم يكفر بالربّ وهؤلاء نقضوا العهد وكفروا بالرسول.

فلمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وأقام الناس غير عليّ عليه السلام لبس إبليس تاج الملك ونصب منبراً وقعد في الزينة وجمع خيله ورَجِلَه، ثمّ قال لهم: اطْربوا لا يطاع الله حتّى يقوم إمام، ثمّ تلا أبو جعفر عليه السلام: «ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه فاتّبعوه إلّا فريقاً من المؤمنين».

ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: كان تأويل هذه الآية لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله والظنّ من إبليس حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: إنّه ينطق عن الهوى، فظنّ بهم ظنّاً فصدّقوا ظنّه[3].

٩٩٧ ـ ﴿ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾[4].

كلّ إمام شفيع وشافع لأنّه بالضرورة، ولا شيء من غير المعصوم له ذلك في الإمكان، فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: لا يقبل الله

---

(١) كذلك في تأويل الآيات: «يا سيّداه».

(٢) في المخطوط: «تدور» وما أثبتناه من تأويل الآيات وتفسير البرهان والكافي.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٧٥ ح٧، وراجع: الكافي ٨: ٣٤٤ ح٥٤٢، تفسير البرهان ٤: ٥١٨ ح٨٧٧٦.

(٤) سبأ (٣٤): ٢٣.

الشفاعة يوم القيامة لأحد من الأنبياء والرسل حتّى يأذن له في الشفاعة إلّا رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّ الله قد أذن له في الشفاعة من قبل يوم القيامة، فالشفاعة له ولأميرالمؤمنين وللأئمّة من ولده، ثمّ بعد ذلك لأبينا صلوات الله عليهم[١].

وعن سماعة قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن شفاعة النبيّ صلى الله عليه وآله يوم القيامة؟ قال: يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحد فيلجمهم العرق، فيقولون: انطلقوا بنا إلى أبينا آدم يشفع لنا، فيأتون آدم فيقولون له: اشفع لنا عند ربّك، فيقول: إنّ لي ذنباً وخطيئة وأنا أستحيي من ربّي فعليكم بنوح، فيأتون نوحاً فيردّهم إلى من يليه، ويردّهم كلّ نبيّ إلى من يليه من الأنبياء حتّى ينتهوا إلى عيسى فيقول: عليكم بمحمّد صلى الله عليه وآله فيأتون محمّداً فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه أن يشفع لهم، فيقول لهم: انطلقوا بنا فينطلقون حتّى يأتي باب الجنّة فيستقبل وجه الرّحمٰن سبحانه ويخرّ ساجداً فيمكث ما شاء الله، فيقول الله: ارفع رأسك يا محمّد واشفع تُشفَّع، وسل تُعطَ، فيشفع فيهم[٢].

٩٩٨ ـ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٣].

في الألفين: الإمام قائم مقام النبيّ صلى الله عليه وآله، ولهذا سمّي خليفة رسول الله، والنبيّ صلى الله عليه وآله بشير ونذير بهذه الآية، والإمام أيضاً بشيراً ونذيراً، وإنّما يتمّ فائدته مع العلم بصواب قوله وفعله ولا يتمّ ذلك إلّا مع العصمة[٤].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٧٦ ح٨، عنه في: تفسير البرهان ٤: ٥٢٠ ح٨٧٨٢.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٧٦ ح٩، عنه في: تفسير البرهان ٤: ٥٢١ ح٨٧٨٣.

(٣) سبأ (٣٤): ٢٨.

(٤) الألفين: ٣٤٩ السادس والأربعون من أدلّة المائة الثامنة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

٩٩٩ ـ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾[١].

الإمام هو الداعي بالوعظ والنصح لمن يقبل ذلك، وبالبرهان لمن استرشد بذلك، وبالجدل لمن كان يناسب حاله ذلك، وكذا في سائر مقامات الأقيسة لإنجاح المطالب، بحيث علم كلّ علم يحتاج إليه في كلّ واقعة دافعاً لكلّ خصم، قامعاً لكلّ ردع في كلّ أوان وزمان بغير كسب وتعليم، صادقاً فيه، فإنّا أثبتنا ذلك فيما مضى وسيجيء أيضاً بيانه كيف وإنّ قضيّة التسوية تقتضي كون الولي كالنبي ﷺ مأموراً بذلك، فلو جازت الخطيئة عليه لزم أمره تعالى بالخطأ ورضائه بالظلم، وبطلان ترجيح المرجوح يقتضي تعيين الإمام أيضاً؛ فتأمّل.

ولا شيء من غير المعصوم كذلك بالإمكان، فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي عبدالله عليه السلام حين سُئل عن هذه الآية، قال: بالولاية. قال السائل: قلت: وكيف ذاك؟ قال: إنّه لمّا نصب النبيّ ﷺ أميرالمؤمنين عليه السلام على الناس[٢] فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اغتابه رجل وقال: إنّ محمّداً ليدعو كلّ يوم إلى أمر جديد، وقد بدأ بأهل بيته يُملّكهم رقابنا، فأنزل الله عزّ وجلّ على نبيّه ﷺ بذلك قرآناً فقال له: «قل إنّما أعظمكم بواحدة» فقد أدّيت إليكم ما افترض ربّكم عليكم.

قلت: فما معنى قوله عزّ وجلّ: «أن تقوموا لله مثنى وفرادى»؟ فقال: أمّا مثنى يعني طاعة رسول الله ﷺ وطاعة أميرالمؤمنين عليه السلام، وأمّا فرادى يعني طاعة الإمام

---

(١) سبأ(٣٤): ٤٦.

(٢) في المصدر: «إلى الناس».

من ذريّتهما من بعدهما، ولا والله يا يعقوب ما عنى غير ذلك[١].

وفي الكافي عن أبي جعفر عليه السلام: إنّما أعظكم بولاية عليّ عليه السلام، هي الواحدة التي قال الله تعالى: «إنّما أعظكم بواحدة»[٢].

١٠٠٠ ـ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾[٣].

الاستدلال به على طريق الشكل الثاني ظاهر.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي جعفر عليه السلام قال: يخرج القائم فيسير حتّى يمرّ فيبلغه أنّ عامله قد قُتل، فيرجع إليهم فيقتل المقاتِلة ولا يزيد على ذلك شيئاً، ثمّ ينطلق فيدعو الناس حتّى ينتهي إلى البيداء فيخرج جيشان[٤] للسفياني فيأمر الله عزّ وجلّ الأرض أن تأخذ بأقدامهم وهو قوله تعالى: «ولو ترى» الآية، **﴿وَقَالُوا آمَنَّا﴾**[٥] يعني بقيام القائم **﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾** يعني بقيام القائم من آل محمّد صلى الله عليه وآله **﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ * وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾**[٦].[٧]

تمّ الألف الأوّل من الأدلّة على عصمة الأئمّة صلوات الله عليهم ونشرع في الألف الثاني

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٧٧ ح ١٠، وراجع: بحار الأنوار ٢٣: ٣٩١ ح ١، تفسير البرهان ٤: ٥٢٦ ح ٨٩٧٦.

(٢) الكافي ١: ٤٢٠ ح ٤١، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٩٢ ح ٤، تفسير البرهان ٤: ٥٢٦ ح ٨٧٩٦.

(٣) سبأ (٣٤): ٥١.

(٤) في تفسير البرهان: «جيش».

(٥) سبأ (٣٤): ٥٢.

(٦) سبأ (٣٤): ٥٣ و ٥٤.

(٧) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٧٨ ح ١٢، عنه في: بحار الأنوار ٥٢: ١٨٧ ح ١٣، تفسير البرهان ٤: ٥٢٩ ح ٨٨٠٧.

[المائة الأُولى من الألف الثاني من أدلّة عصمة الإمامعليه السلام]

سورة الملائكة (فاطر) وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمامعليه السلام

١٠٠١ ـ ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾[١].

قول الإمام وفعله رحمة لأنّه تعالى أمر بامتثاله في آية أُولي الأمر، وكلّما كان رحمة فهو قد عصم عن الخطأ لأنّ الرحمة تنافيه، فلو أخطأ في وقت فيهما لكان لها ممسك، وقد قال تعالى: «فلا ممسك لها» على العموم لأنّ النكرة المنفيّة للعموم على ما ثبت في موضعه[٢]، وإنّ وجود النبي صلى الله عليه وآله رحمة لقوله: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾[٣] فكذا وجود من كان قائماً مقامه لقضيّة التسوية، فلابدّ من كونه معصوماً دائماً بدوام الدهر لذلك العموم، وإنّه إذا كان النبيّ صلى الله عليه وآله رحمة فوجوده فتح رحمة للناس، فلابدّ من عدم إمساكه لذلك العموم، فيكون باقياً بدوام الدهر بذاته أو بأثره، فالأوّل خلاف الإجماع والنصّ والضرورة، فثبت الثاني، وهو المراد المطلوب، فتمّ الاستدلال بها على ثلاثة أوجه؛ فتأمّل.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قول الله عزّ وجلّ: «ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها»، قال: هي ما أجرى الله على لسان الإمام[٤].

يعني: أنّ الذي يجريه الله على لسان الإمام عليه السلام من الكلام هو رحمة فتح بها على الناس؛ لأنّه لا ينطق عن الهوى ولا ينطق إلّا عن الله، وكلّما يكون من الله فهو

---

(١) فاطر (٣٥): ٢.

(٢) راجع: مبادئ الوصول إلى علم الأُصول: ١٢٢، العدّة في أُصول الفقه ١: ٢٧٦.

(٣) الأنبياء (٢١): ١٠٧.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٧٨ ح ١، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٦٦ ح ٥١، تفسير البرهان ٤: ٥٣٧ ح ٨٨٢٣.

رحمة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ وكذلك أهل بيته الطيّبين صلوات الله عليهم أجمعين[١].

١٠٠٢ ـ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[٢].

العلم يطيّب الكلم، والعمل الصالح اشتراط القول والعمل، وبه يتحقّق أسباب القبول؛ لأنّ الظنّ منهيّ عنه وإنّه لا يغني عن الحقّ شيئاً، وهو ليس إلّا بقول المعصوم.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه»، قال: ولايتنا أهل البيت ـ وأهوى بيده إلى صدره ـ فمن لم يتولّنا لم يرفع الله له عملاً[٣]. يعني: أنّ الولاية هي العمل الصالح الّذي يرفع الكلم الطيّب إلى الله تعالى[٤].

ويؤيّده ما رواه عن الإمام عليّ بن موسى عليه السلام في قوله تعالى: «إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه»، قال: الكلم هو قول «لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله وخليفته حقّاً وخلفاؤه خلفاء الله»، «والعمل الصالح يرفعه» فهو دليله وعمله اعتقاده الذي في قلبه بأنّ هذا الكلام صحيح كما قلته بلساني[٥]. يعني: أنّ قوله بلسانه غير كاف إذا لم يكن بقلبه ولسانه وجوارحه.

١٠٠٣ ـ ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾[٦].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٧٩ ذيل الحديث ١.

(٢) فاطر (٣٥): ١٠.

(٣) الكافي ١: ٤٣٠ ح ٨٥ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، بحار الأنوار ٢٤: ٣٥٧ ح ٧٥، تفسير البرهان ٤: ٥٣٩ ح ٨٨٢٨.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٧٩ ح ٢.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٧٩ ـ ٤٨٠ ح ٤، راجع: بحار الأنوار ٢٤: ٣٥٨ ح ٧٦.

(٦) فاطر (٣٥): ١٠.

الاستدلال به بالشكل الثاني ظاهر.

وأُيّد بما في تفسير الصافي قيل يعني: مكرات قريش للنبيّ صلى الله عليه وآله[١].

وأقول: يشمل مكرات أصحاب السقيفة في ردّ وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله للوصي عليه السلام.

١٠٠٤ ـ ﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلَا الأَمْوَاتُ﴾[٢].

فيه دلالة على نفي الاستواء بين الكامل والناقص، ولا ريب أنّ المعصوم كامل وغيره ناقص بالنسبة إليه، فلو اختار الناقص مع إمكان الكامل ورضي به لزم نفي هذه المذمّة، هذا خلف، فيجب.

وأُكّد بما عن طريق العامّة كما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أنس بن مالك، عن ابن شهاب، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس قال: قوله عزّ وجلّ: «وما يستوي الأعمى والبصير»، قال: الأعمى أبو جهل والبصير أميرالمؤمنين عليه السلام، «ولا الظلمات ولا النور»، فالظلمات أبو جهل والنور أميرالمؤمنين عليه السلام، «ولا الظلّ ولا الحرور»، والظلّ أميرالمؤمنين عليه السلام في الجنّة، والحرور يعني جهنّم لأبي جهل، ثمّ جمعهم جميعاً فقال: «وما يستوي الأحياء ولا الأموات»، فالأحياء عليّ وحمزة وجعفر والحسن والحسين وفاطمة وخديجة عليهم السلام، والأموات كفّار مكّة[٣].

١٠٠٥ ـ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٤].

فيه مدح للعلماء وحثّ على التعليم والتعلّم، ولا ريب أنّ العلم مطلقاً ليس فيه يلزم ترتّب التمدّح، بل الذي مصدره الوحي الإلهي يقتضيه الامتثال، وليس مطلق

---

(١) تفسير الصافي ٤: ٢٣٤.

(٢) فاطر (٣٥): ١٩ ـ ٢٢.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٨٠ ح٥، راجع: بحار الأنوار ٢٤: ٣٧٢ ح٩٨.

(٤) فاطر (٣٥): ٢٨.

ذلك أيضاً ممدوحاً؛ لأنّه مع العلم فلابدّ أن يراد بهم إمّا المعصومون أو الذين يقتبسون العلم منهم، وإنّه رتّب على العلم لا على الظنّ، وقول غير المعصوم من حيث قوله لا يفيد أكثر من الظنّ.

وأُكّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن ابن عبّاس من طرق العامّة أنّه قال: يعني به عليّاً عليه السلام كان عالماً بالله، ويخشى الله ويراقبه، ويعمل بفرائضه، ويجاهد في سبيله، ويتّبع جميع أوامره ورضائه ومرضاة رسوله صلى الله عليه وآله[(١)].

والحصر في الخشية يقتضي أنّ الذين يخشون الله هم العلماء من حيث العلم والعمل، فلو ترك علماً أو عملاً حيناً من الأحيان لكان صدق عدم الخشية، فيكون غير عالم، والإمام يلزمه العلم والخشية ما دام إماماً بالضرورة، وكلّ غير معصوم يمكن أن لا يكون كذلك بالضرورة.

١٠٠٦ـو١٠٠٧ـ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[(٢)].

صرّح الله سبحانه بتثليث أصناف الناس بأنّ بعضهم على الضلالة دائماً، وبعضهم على مسلك الاقتصاد، وبعضهم سبقوا إلى كلّ الخيرات دائماً، ولا ريب أنّ الإمام عليه السلام من الثالث فيما مضى غير مرّة.

وأيضاً إنّه جلّ وعزّ حكم وأخبر بأنّهم استبقوا إلى كلّ خير؛ لأنّ الجمع المحلّى باللّام يفيد العموم[(٣)]، ثمّ قال: «بإذن الله» فلابدّ لهؤلاء العلم بإعمال تلك الخيرات

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٨٠ ح٦، بحار الأنوار ٢٤: ١١٢ ح٩٢، تفسير البرهان ٤: ٥٤٥ ح٨٨٤٧.

(٢) فاطر (٣٥): ٣٢.

(٣) راجع: العُدّة في أُصول الفقه ١: ٢٧٦، مبادئ الوصول إلى علم الأُصول: ١٢٢.

كلّها، ثمّ حكم أنّ ذلك هو الفضل الكبير بالفضل، وذلك ليس إلّا العصمة، وإذا حكم بأنّ قوماً لهم تلك الصفات فلو جاز عليهم الانحراف في بعض الأحيان لزم دخولهم في المقتصدين، فلا معنى للتثليث، ولزم أيضاً خلاف ما أخبر به سبحانه.

وأيضاً المراد بالفرقة الثالثة: إمّا النبيّيون المعصومون، أو الأئمّة، أو الأعمّ منهما؛ فعلى الثاني والثالث يفيد المطلوب، وعلى تقدير الأوّل فيفيد أيضاً؛ لما عرفت غير مرّة استحالة خلاف ما أخبر الله به، وقد أخبر بعصمتهم فيمتنع نفيه، فلو جاز عليهم أوّلاً في مبدأ خلقتهم ذلك لزم انقلاب الإمكان بالامتناع.

وأيضاً نسبة الإيراث على نفسه ثمّ الاصطفاء، يقتضي عصمة هؤلاء.

وأيضاً أنّ الخيرات على العموم، ثمّ ترتّب المدح عليها ليس إلّا بالعمل بها، وهو ليس إلّا بالعلم بها؛ لأنّ لا مدح للظنّ، وذلك لا يحصل بالكتاب ولا بالإجماع ولا بغيرها، لأنّه لا فائدة منها، فهو ليس كلّها فاحتيج إلى من كان علم ذلك عنه يقيناً ويحصل العلم بقوله وفعله، وهو ليس إلّا بالمعصوم؛ فتمّ الاستدلال بالأوجه؛ فتأمّل.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي إسحاق السبيعي قال: خرجت حاجّاً فلقيت محمّد بن عليّ عليه السلام فسألته عن هذه الآية: «ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا»، فقال: ما يقول فيها قومك يا أبا إسحاق؟ قلت: يقولون: إنّها لهم. قال: فما يخوّفهم إذا كانوا من أهل الجنّة؟ قلت: فما تقول أنت جعلت فداك؟ قال: هي لنا خاصّ يا أبا إسحاق؛ أمّا السابقون بالخيرات فعليّ والحسن والحسين والإمام منّا، والمقتصد فصائم بالنهار وقائم بالليل، والظالم لنفسه ففيه ما في الناس وهو مغفور له. يا أبا إسحاق، بنا يُفكّ رقابكم، ويحلّ الله رقاب الذلّ

من أعناقكم، وبنا يغفر الله ذنوبكم، وبنا يفتح وبنا يختم، ونحن كهفكم ككهف أصحاب الكهف، ونحن سفينتكم كسفينة نوح، ونحن باب حطّتكم كباب حطّة بني إسرائيل[١].

وعن أبي سلام سورة بن كليب قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما معنى قوله عزّوجلّ: «ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» الآية؟ قال: الظالم لنفسه الذي لا يعرف الإمام. قلت: فمن المقتصد؟ قال: الذي يعرف الإمام. قلت: فمن السابق بالخيرات؟ قال: الإمام. قلت: فما لشيعتكم؟ قال: تكفّر ذنوبهم، وتقضى لهم ديونهم، ونحن باب حطّتهم، وبنا يغفر لهم[٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا»، قال: فهم آل محمّد صفوة الله، فمنهم ظالم لنفسه وهو الهالك، ومنهم مقتصد ـ وهم الصالحون ـ ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله فهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، يقول الله عزّ وجلّ: «ذلك هو الفضل الكبير» يعني القرآن. يقول الله عزّ وجلّ: ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا**﴾[٣] يعني آل محمّد يدخلون قصور جنّات كلّ قصر من لؤلؤة واحدة ليس فيها صدع ولا وصل، لو اجتمع أهل الإسلام فيها ما كان ذلك القصر إلّا سعة لهم، له القباب من الزبرجد، كلّ قبّة لها مصراعان: المصراع طوله اثنا عشر ميلاً، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿**يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا**

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٨١ ح٧.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٨١ ـ ٤٨٢ ح٨، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٢١٩ ح٢٠، تفسير البرهان ٤: ٥٥٠ ح٨٨٦٢.

(٣) فاطر (٣٥): ٣٣.

لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾[١]، قال: والحزن ما أصابهم في الدنيا من الخوف والشدّة[٢].

وقال عليّ بن إبراهيم رحمه الله في هذه الآية: هم آل محمّد صلوات الله عليهم خاصّة (ليس لأحد فيها شيء، أورثهم الله الكتاب الذي أنزله على محمّد صلى الله عليه وآله تامّاً كاملاً.

وقال الصادق عليه السلام[٣]:) «فمنهم ظالم لنفسه» وهو الجاحد للإمام من آل محمّد، «ومنهم مقتصد» وهو المُقرّ بالإمام، والسابق بالخيرات هو الإمام. ثمّ قال عزّوجلّ: **﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ * الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾**[٤].

ذكر الشيخ أبو جعفر بن بابويه رحمه الله في تأويل قوله تعالى: «الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن» إلى قوله: «لغوب»[٥] خبراً يتضمّن بعض فضائل الزهراء صلوات الله عليها[٦]:

عن أبي ذرّ رحمه الله قال: رأيت سلمان وبلال يقبلان إلى النبيّ صلى الله عليه وآله إذ انكبّ سلمان على قدم رسول الله صلى الله عليه وآله يقبّلها، فزجره النبيّ صلى الله عليه وآله عن ذلك، ثمّ قال: يا سلمان، لا تصنع بي ما تصنع الأعاجم بملوكها، أنا عبدٌ من عبيد الله؛ آكل ممّا يأكل العبيد، وأقعد كما يقعد العبيد.

فقال له سلمان: يا مولاي، سألتك بالله إلّا أخبرتني بفضل فاطمة عليها السلام يوم القيامة.

---

(١) فاطر (٣٥): ٣٣ ـ ٣٤.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٨٣ ح ١٠، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٢٢٠ ح ١٣.

(٣) ما بين القوسين لم نجده في تفسير القمي.

(٤) فاطر (٣٥): ٣٣ ـ ٣٥.

(٥) قال علي بن إبراهيم في: تفسيره ٢: ٢٠٩: النَصَب: العَناء، واللُّغوب: الكَسل والضجر.

(٦) انظر: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٨٣ ح ١٢.

قال: فأقبل النبيّ صلى الله عليه وآله ضاحكاً مستبشراً ثمّ قال: والذي نفسي بيده إنّها الجارية التي تجوز في عرصة القيامة على ناقة رأسها من خشية الله، وعيناها من نور الله، وخطامها من جلال الله، وعنقها من بهاء الله، وسنامها من رضوان الله، وذنبها من قدس الله، وقوائمها من مجد الله، إن مشت سبّحت، وإن رعَت قدّست، عليها هودج من نور، فيه جارية إنسيّة حوريّة عزيزة جمعت فخلقت، وصنعت ومثّلت ثلاثة أصناف: فأوّلها من مسك أذفر، وأوسطها من العنبر الأشهب، وآخرها من الزعفران الأحمر، عُجِنت بماء الحيوان، لو تفلت تفلة في سبعة أبحر مالحة لعذبت، ولو أخرجت ظفر خنصرها إلى دار الدنيا يغشى الشمس والقمر، جبرئيل عن يمينها، وميكائيل عن شمالها، وعليٌّ أمامها، والحسن والحسين وراءها، والله يكلأها ويحفظها، فيجوزون في عرصة القيامة، فإذا النداء من قِبَل الله جلّ جلاله: معاشر الخلائق، غضّوا أبصاركم ونكّسوا رؤوسكم، هذه فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله نبيّكم، زوجة عليّ إمامكم، أُمّ الحسن والحسين، فتجوز الصراط وعليها ريطتان[1] بيضاوتان.

فإذا دخلت ونظرت إلى ما أعدّ الله لها من الكرامة قرأت: «بسم الله الرّحمٰن الرّحيم، الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إنّ ربّنا لغفور شكور * الّذي أحلّنا دار المُقامة من فضله لا يمسّنا فيها نَصَبٌ ولا يمسّنا فيها لغوب».

قال: فيوحي الله عزّ وجلّ إليها: يا فاطمة، سليني أعطك، وتمنّي عَلَيّ أُرضِك، فتقول: إلهي أنت المُنى وفوق المُنى، أسألك أن لا تُعذِّب محبّي ومحبّ عترتي بالنار. فيوحي الله تعالى إليها: يا فاطمة، وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني لقد آليت

---

(١) الريطة: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسجاً واحداً. انظر: لسان العرب ٧: ٣٠٧ «ريط».

على نفسي من قبل أن أخلق السماوات والأرض بألفَي عام أن لا أُعذّب محبّيك ومحبّي عترتك بالنار.

اعلم أنّه لمّا بيّن فيما تقدّم من الآيات أنّ الذين أُورثوا الكتاب عليٌّ والأئمّة من ولده صلوات الله عليهم، ذكر سبحانه عقيب ذلك أعداءهم الكفّار المستوجبين النار(١).

وفي تفسير الصافي عن الصادق عليه السلام أنّه قيل: إنّها في الفاطميّين، فقال: ليس حيث تذهب، ليس يدخل في هذا من أشار بسيفه ودعا الناس إلى ضلال. فقال: أيّ شيء الظالم لنفسه؟ قال: الجالس في بيته لا يعرف حقّ الإمام، والمقتصد العارف بحقّ الإمام، والسابق بالخيرات الإمام(٢).

وفي العيون عنه عليه السلام: أراد ـ والله ـ بذلك العترة الطاهرة، ولو أراد الأُمّة لكانت بأجمعها في الجنّة لقول الله تعالى: «فمنهم ظالم لنفسه» الآية، ثمّ جمعهم كلّهم في الجنّة فقال: «جنّات» الآية، فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم(٣).

وفي المناقب عنه عليه السلام: نزلت في حقّنا وحقّ ذريّتنا(٤).

١٠٠٨ ـ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ إلى قوله: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِنْ عَذَابِهَا﴾ إلى قوله: ﴿الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾(٥).

---

(١) عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٨٣ ـ ٤٨٤ ح ١٢، وراجع: بحار الأنوار ٢٧: ١٣٩ ح ١٤٤ عن تأويل الآيات، تفسير البرهان ٤: ٥٥٢ ـ ٥٥٣ ح ٨٨٧١ عن ابن بابويه.

(٢) تفسير الصافي ٤: ٢٣٨.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٢٨ ـ ٢٢٩ ح ١ باب ٢٣ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأمة، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٢٣٨، الأمالي للشيخ الصدوق: ٦١٥ ح ١/٨٤٣، عنه في: بحار الأنوار ٢٥: ٢٢٠ ح ٢٠، تفسير نور الثقلين ٤: ٣٦٥ ح ٩٤ عن العيون.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٢٧٤.

(٥) فاطر (٣٥): ٣٣ ـ ٣٧.

كلّ إمام هو المقرِّب إلى موجبات ما في الآية الأُولى والمُبعِّد عن موجبات ما في الآية الثانية بالضرورة؛ لأنّه وضع لذلك، ولأنّه قائم مقام النبيّ صلى الله عليه وآله، وهو صلى الله عليه وآله لذلك فيكون لذلك، ولأنّ المأمور به طاعته بنفسه تعالى، وكلّ غير معصوم يمكن أن يكون كذلك بالضرورة؛ فكلّ إمام ليس بغير معصوم بالضرورة، وكلّ غير معصوم يكون له هذه الصفات الموجبات للثانية بالفعل، ولا شيء من الإمام له هذه بالضرورة؛ فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن أميرالمؤمنين صلوات الله عليه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ، ما بين من يُحبّك وبين أن يرى ما تقرّ به عيناه إلّا أن يعاين الموت، ثمّ تلا: «ربّنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنّا نعمل» يعني: أنّ أعداءه إذا دخلوا النار قالوا: ربّنا أخرجنا نعمل صالحاً في ولاية عليّ عليه السلام غير الذي كنّا نعمل في عداوته، فيقال لهم في الجواب: أولم نعمِّركم ما تذكّر فيه من تذكّر وجاءكم النذير وهو النبيّ صلى الله عليه وآله، فذوقوا فما للظالمين لآل محمّد من نصير ينصرهم ولا ينجيهم ولا يحجبهم عنه[1].

وفي تفسير الصافي: في سعد السعود عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حديث يذكر فيه ما أعدّ الله لمحبّي عليّ يوم القيامة، قال: فإذا دخلوا منازلهم وجدوا الملائكة يهنّونهم بكرامة ربّهم حتّى إذا استقرّوا قرارهم قيل لهم: هل وجدتم ما وعد ربّكم حقّاً؟ قالوا: نعم ربّنا رضينا فارض عنّا، قال: برضاي عنكم وبحبّكم أهل بيت نبيّي

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٨٥ ـ ٤٨٦ ح١٣، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٦١ ح١٩، تفسير البرهان ٤: ٥٥٤ ح٨٨٧٤.

حللتم داري فهنيئاً هنيئاً عطاء غير مجذوذ، وليس فيه تنغيص، فعندها قالوا: «الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن» الآية[١].

فالحمد لله ربّ العالمين على الذي جعلنا من المحبّين لأميرالمؤمنين وذريّته الطيّبين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

سورة يسٓ وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

١٠٠٩ ـ ﴿ يسٓ ﴾[٢].

لو كان من المتشابهات فقد عرفت وجه الاستدلال به، وإلّا فيما مرّ في العيون: عن الرضا عليه السلام في حديث له في مجلس المأمون قال: أخبروني عن قول الله تعالى: ﴿ **يسٓ** ﴾ إلى ﴿ **مُسْتَقِيمٍ** ﴾[٣] من عنى بقوله «يسٓ»؟ قال العلماء: «يسٓ» محمّد صلى الله عليه وآله لم يشكّ فيه أحد، الحديث[٤]. وقد سبق تمامه في سورة الأحزاب عند قوله: ﴿ **سَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[٥] ويأتي أيضاً في الصافّات.

وفي المجالس: عن أميرالمؤمنين عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿ **سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ** ﴾[٦]، قال: يسٓ محمّد صلى الله عليه وآله، ونحن آل يسٓ[٧].

---

(١) تفسير الصافي ٤: ٢٤١، وراجع: سعد السعود: ١١١، تفسير نور الثقلين ٤: ٣٦٧ح١٠٤ عن سعد السعود.

(٢) يسٓ (٣٦): ١.

(٣) يسٓ (٣٦): ١ ـ ٤.

(٤) راجع: تفسير الصافي ٤: ٢٤٤ و٦: ١٤٢، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٣٦ ضمن حديث ١ باب ٢٣ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأُمة.

(٥) الأحزاب (٣٣): ٥٦.

(٦) الصافّات (٣٧): ١٣٠.

(٧) الأمالي للشيخ الصدوق: ٥٥٨ ح١٧٤٣ المجلس الثاني والسبعون، وراجع: معاني الأخبار: ١٢٢ ح٣ باب معنىٰ آل يسٓ، عنه في: بحار الأنوار ١٦: ٨٧ح ١١.

١٠١٠ إلى ١٠١٤ ـ ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١].

وجه الاستدلال من خمسة أوجه:

الأوّل: في «الألفين»: يدلّ على عصمة النبيّ صلى الله عليه وآله لأنّ معنى كونه على صراط مستقيم، أي أنّه لا يجوز عليه الخطأ، بل كلّ أفعاله صواب، وإلّا لخرج من الاستقامة في وقتٍ مّا، لكن إنّما يقال: إنّه على صراط مستقيم إنّه كان كذا مؤكّداً. ولأنّه ترغيب في وجوب اتّباعه وإعلام الأُمّة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله على صراط مستقيم فاتّبعوه إلى ذلك الصراط. لكن له النبوّة دائماً وعلى كلّ التقادير، وكذا وجوب الاتّباع فيكون على الصراط المستقيم دائماً، والقائم مقامه وخليفته داعٍ إلى ما دعا إليه، فينبغي أن يكون على الصراط المستقيم الذي عليه، فيجب كونه معصوماً[٢].

في «الألفين»: قوله تعالى: ﴿**يسٓ**﴾ إلى ﴿**تَنْزِيلَ الْعَزِيْزِ الرَّحِيمِ**﴾[٣] تقرير الاستدلال أن نقول: الطريق الذي يدعو النبيّ صلى الله عليه وآله إليه طريق مستقيم وهي طريق العصمة؛ لأنّها تكون صواباً بحيث لا يتخلّلها خطأ، وإلّا لم يكن صراطاً مستقيماً ويكون معلوماً بحيث لا يتطرّق إليه شك ولا احتمال النقيض؛ لقوله تعالى: «تنزيل العزيز الرّحيم» وصف الطريق المذكورة بأنّها منزلة من عند الله تعالى. لكن هذه الطريقة هي طريقة الإمام أيضاً، فيصحّ وصف الإمام بأنّه على صراط مستقيم، فيكون معصوماً[٤].

في «الألفين»: دلّت هذه الآية المقدّسة على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله على طريق مستقيم

---

(١) يسٓ (٣٦): ٣ و ٤.

(٢) الألفين: ٢٩٣ السادس والثلاثون من أدلة المائة السابعة الدالة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٣) يسٓ (٣٦): ١ ـ ٥.

(٤) الألفين: ٣٠٦ الخامس والسبعون من أدلة المائة السابعة الدالة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

فوجوب طاعته لكونه على هذه الطريقة فوجب اتّباعه لذلك، وطريق غير المعصوم ينافي ذلك في وقتٍ ما، وقوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[1] يدلّ على وجوب اتّباع النبيّ ﷺ دائماً واتّباع الإمام دائماً، فيكون قد كلّف المكلّف بالمتنافيين في حالة واحدة في وقت واحد، وهذا محال؛ لما بيّن في علم الكلام[2] من استحالة ذلك، وهو ظاهر[3].

في «الألفين»: تساوي الحكمين في اللطفيّة بحيث يسدّ كلّ واحد منهما مسدّ الآخر ويقوم مقامه يدلّ على تساوي وجه اللطف المقتضي لوجوب الحكم فيهما، وأنّه في كلّ واحد منهما مثله في الآخر، وقد بيّن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الشريفة وجه لطف نبوّة نبيّنا محمّد ﷺ بقوله: ﴿**إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[4] وأشار إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿**لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ**﴾[5]، والإمامة قائمة مقام النبوّة في اللطفيّة، فيجب أن يساويها في وجه اللطف، ونبّه عليه تعالى بقوله: ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾[6] فيكون الإمام على صراط مستقيم دائماً، وهذا معنى العصمة[7].

في الألفين: قوله: ﴿**تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ**﴾[8] هذا ترغيب من وجهين:

---

(١) النساء (٤): ٥٩.

(٢) انظر: الذخيرة في علم الكلام: ١٢١، نهج الحق وكشف الصدق: ١٣٥ ـ ١٣٦.

(٣) الألفين: ٣٠٦ السادس والسبعون من أدلة المائة السابعة الدالة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٤) الزخرف (٤٣): ٤٣.

(٥) يسٓ (٣٦): ٦.

(٦) الرعد (١٣): ٧.

(٧) الألفين: ٣٠٦ السابع والسبعون من أدلة المائة السابعة الدالة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٨) يسٓ (٣٦): ٥.

أحدهما: أنّه قد حكم بأنّ ما يأتي به الرسول فهو تنزيل من الله تعالى.

وثانيهما: أنّ الذي نزّله عزيز غنيّ عالم وإنّما نزّله رحمةً بكم؛ لأنّه رحيم فيكون ما يأتي به رحمة من الله تعالى، ولا يعلم أنّه كذلك إلّا بكونه معصوماً، فالداعي إلى ما دعا إليه، والقائم مقامه في كلّ الأفعال والأقوال، يجب كونه كذلك[١].

وأُيّد بما في التفسير الصافي: القمّي: قال الصادق عليه السلام: «يس» اسم رسول الله والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[٢]، قال: على الطريق الواضح، ﴿**تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ**﴾[٣] قال: القرآن: ﴿**لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ...**﴾[٤].

وفي الكافي عنه عليه السلام قال: ﴿**لِتُنْذِرَ**﴾ إلى: ﴿**غَافِلُونَ**﴾[٥] عن الله وعن رسوله وعن وعيده، ﴿**لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ**﴾[٦] ممّن لا يقرّون بولاية عليّ أمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة عليهم السلام من بعده ﴿**فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾[٧] قال: بإمامة أميرالمؤمنين عليه السلام والأوصياء من بعده، فلمّا لم يقرّوا كانت عقوبتهم ما ذكر الله:

---

(١) الألفين: ٢٩٣ السابع والثلاثون من أدلة المائة السابعة الدالة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٢) يسٓ (٣٦): ٣ و٤.

(٣) يسٓ (٣٦): ٥.

(٤) تفسير الصافي ٤: ٢٤٥، وراجع: تفسير القمّي ٢: ٢١١، عنه في: تفسير البرهان ٤: ٥٦٤ ح٨٨٩٣.

(٥) يسٓ (٣٦): ٦.

(٦) يسٓ (٣٦): ٧.

(٧) تتمّة الآية ٧.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِى أَعْنَاقِهِمْ﴾ الآية[١].[٢]

١٠١٥ ـ ﴿لِتُنْذِرَ﴾ إلى قوله: ﴿بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾[٣].

الاستدلال به على بعض وجوه الشكل الثاني ظاهر.

وأُيّد بما في الكافي: عن أبي عبدالله عليه السلام: عقوبة منه لهم حيث أنكروا ولاية أمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام من بعده هذا في الدنيا، وأمّا في الآخرة ففي نار جهنّم مقمحون. ثمّ قال: يا محمّد، سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بولاية عليّ من بعده. ثمّ قال: «إنّما تنذر من اتّبعَ الذكر» يعني أمير المؤمنين عليه السلام «وخشي الرّحمٰن بالغيب فبشّره» يا محمّد «بمغفرة وأجر كريم»[٤].

١٠١٦ ـ ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِى إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[٥].

ظاهره بل صريحه أنّ الإمام علّمه الله تعالى كلّ ما في الكتب، والحكم به منه تعالى سيلزم عصمته؛ نظراً إلى الغاية وإلى أنّ المقام مقام المدح.

وأُكّد بما في طرق العامّة والخاصّة مضمون ذلك عنه عليه السلام لنفسه، والظاهر أنّ الإمام هو الراسخ في العلم فلابدّ أن يعلم كلّ ما في القرآن؛ لما مرّ غير مرّة، وقد قال تعالى أنّ فيه تبيان كلّ شيء، فيجب أن يعلم كلّ شيء، فإن كان المراد

---

(١) يس (٣٦): ٨.

(٢) الكافي ١: ٤٣٢ ضمن حديث ٩٠ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣٣٣ ضمن حديث ٥٧.

(٣) يس (٣٦): ٦ ـ ١١.

(٤) الكافي ١: ٤٣٢ ضمن حديث ٩٠ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣٣٣ ضمن حديث ٥٧.

(٥) يس (٣٦): ١٢.

بإمام مبين اللوح والقرآن أو الإمام أو غيرها، ثبت المطلوب على أيّ تقدير منها؛ فتأمّل تعرف.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: القمّي عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: أنا والله الإمام المبين؛ أُبيّن الحقّ من الباطل، ورثته من رسول الله صلى الله عليه وآله(١).

وفي المعاني: عن الباقر عليه السلام عن أبيه عن جدّه عليهما السلام قال: لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله «وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين» قام أبو بكر وعمر من مجلسهما وقالا: يا رسول الله، هو التوراة؟ قال: لا، قالا: هو الإنجيل؟ قال: لا، قالا: وهو القرآن؟ قال: لا، فأقبل أميرالمؤمنين عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هو هذا، إنّه الإمام الذي أحصى الله فيه علم كلّ شيء(٢).

وفي الاحتجاج: عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حديث قال: معاشر الناس، ما من علم إلّا علّمنيه ربّي وأنا علّمته عليّاً وقد أحصاه الله فيّ، وكلّ علم علمت فقد أحصيته في إمام المتّقين، وما مِن علم إلّا علّمته عليّاً(٣).

وفي تأويل الآيات الظاهرة: عن صالح بن سهل قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقرأ «وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين» قال: في أميرالمؤمنين عليه السلام(٤).

وعن محمّد بن عليّ الباقر صلوات الله عليهما، قال: لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله: «وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين» قام رجلان من مجلسهما، فقالا: يا رسول الله، هو التوراة؟ قال: لا، قالا: هو الإنجيل؟ قال: لا، قالا: هو

---

(١) تفسير الصافي ٤: ٢٤٧، وراجع: تفسير القمي ٢: ٢١٢، عنه في: تفسير البرهان ٤: ٥٦٦ ح ٨٨٩٩.
(٢) معاني الأخبار: ٩٥ ح ١ باب معنى الإمام المبين، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٢٤٧.
(٣) عنه في: تفسير الصافي ٤: ٢٤٧، وراجع: الاحتجاج ١: ٧٤ مع اختلاف قليل.
(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٨٧ ح ٢، عنه في: بحار الانوار ٢٤: ١٥٨ ح ٢٤.

القرآن؟ قال: لا، قال: فأقبل أميرالمؤمنين عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هو هذا، إنّه الإمام الذي أحصى الله تبارك وتعالى فيه علم كلّ شيء، يعني ما كان وما يكون إلى يوم القيامة(١).

ويؤيّد هذا التاويل ما رواه الشيخ أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي ـ قدّس الله روحه ـ في كتابه مصباح الأنوار بإسناده عن رجاله مرفوعاً إلى المفضّل بن عمر، قال: دخلت على الصادق عليه السلام ذات يوم، فقال لي: يا مفضّل، هل عرفت محمّداً وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام كنه معرفتهم؟ قلت: يا سيّدي، وما كنه معرفتهم؟ قال: يا مفضّل، تعلم أنّهم في طير عن الخلائق بجنب الروضة الخضرة؛ فمن عرفهم كُنه معرفتهم كان مؤمناً في السنام الأعلى(٢).

قال: قلت: عرّفني ذلك يا سيّدي.

قال: يا مفضّل، تعلم أنّهم علموا ما خلق الله عزّ وجلّ وذرأه، وبرأه،(٣) وأنّهم كلمة التقوى، وخُزّان السماوات والأرضين والجبال والرمال والبحار، وعرفوا كم في السماء نجم وملك، ووزن الجبال، وكيل ماء البحار وأنهارها وعيونها، وما تسقط من ورقة إلّا علموها، ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلّا في كتابٍ مبين، وهو في علمهم وقد علموا ذلك.

فقلت: يا سيّدي، قد علمت ذلك وأقررت به وآمنت.

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ٢٣٥ ح ٦/٢٥٠، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٨٧ ح٣، وراجع: معاني الأخبار: ٩٥ ح ١ باب معنى الإمام المبين.

(٢) السنام الأعلى: أي أعلى مدارج الإيمان، سنام كلّ شيء أعلاه. راجع: بحار الأنوار ٢٦: ١١٦ ذيل الحديث ٢٢.

(٣) الذرأ: الخلق، ذرأ الله الخلق: خلقهم. تاج العروس ١: ٥٦ «ذرأ». برأ الله الخلق: خلقهم. القاموس المحيط ١: ٦ «برأ».

قال: نعم يا مفضّل، نعم يا مكرَّم، نعم يا محبور، نعم يا طيّب، طِبْتَ وطابت لك الجنّة ولكلّ مؤمن بها[١].

وممّا يوضِّحه بياناً ما جاء في الدعاء: «اللّهمّ إنّي أسألك بالاسم الذي تقوم به السماء وبه تقوم الأرض، وبه تفرق بين الحقّ والباطل، وبه تجمع بين المتفرّق، وبه تفرِّق بين المجتمع، وبه أحصيت عدد الرمال وزنة الجبال وكيل البحار، أن تصلّي على محمّد وآل محمّد وأن تجعل لي مِن أمري فرجاً ومخرجاً إنّك على كلّ شيء قدير»[٢].

وهذا الاسم العظيم داخل في جملة الأسماء علموها من الاسم الأعظم[٣].

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: إنّ اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، وإنّما كان عند آصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتّى تناول السرير بيده، ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة العين، وعندنا نحن من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله تبارك وتعالى استأثر به في علم الغيب، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم[٤].

وعن عمرو بن الجهم عن رجل من أصحاب أبي عبدالله لم أحفظ اسمه، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ عيسى بن مريم أُعطي من الاسم الأعظم حرفين كان يعمل بهما، وأُعطي موسى عليه السلام أربعة أحرف، وأُعطي إبراهيم عليه السلام ثمانية

---

(١) انظر: بحار الأنوار ٢٦: ١١٦ ضمن حديث ٥٣ ح ٢٢، تفسير البرهان ٤: ٥٦٩ ح ٨٩٠٧.

(٢) مصباح المتهجد: ٢٣٥ رقم ٧٨/٣٤٠ ط. مؤسسة فقه الشيعة.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٨٨ و٤ و٥.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٨٩ ح٦، وراجع: الكافي ١: ٢٣٠ ح٣ كتاب الحجّة ـ باب ما أُعطي الأئمة عليهم السلام من اسم الله الأعظم، تفسير الصافي ٤: ٦٧، بحار الأنوار ١٤: ١١٣ ح ٥.

أحرف، وأُعطي نوح عليه السلام خمسة عشر حرفاً، وأُعطي آدم عليه السلام خمسة وعشرين حرفاً، وإنّ الله تعالى جمع ذلك كلّه لمحمّد صلى الله عليه وآله، وإنّ اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً أُعطي محمّد صلى الله عليه وآله اثنين وسبعين حرفاً وحُجب عنه حرف. استأثر به في علم الغيب[1].

وممّا جاء في تأويل الإحصاء نبأ حسن من الأنباء، وهو ما رواه الشيخ أبو جعفر الطوسي رحمه الله في كتاب مصباح الأنوار، قال: ومن عجائب آياته ومعجزاته ما رواه أبوذر الغفاري، قال: كنت سائراً في أغراض مع أميرالمؤمنين عليه السلام إذ مررنا بوادٍ ونمله كالسيل الساري، فذهلت ممّا رأيت فقلت: الله أكبر جلّ محصيه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تقل ذلك يا أبا ذر ولكن قل: جلّ باريه، فوالذي صوّرك إنّي أُحصي عددهم وأعلم الذكر منهم والأُنثى بإذن الله عزّ وجلّ[2].

وممّا ورد في علم أهل البيت عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام، قال: قلت له: جعلت فداك، أخبرني النبيّ صلى الله عليه وآله وارث النبيّين كلّهم؟ قال: نعم. قلت: من لدن آدم حتّى انتهى إلى نفسه؟ قال: ما بعث الله نبيّاً إلّا ومحمّد صلى الله عليه وآله أعلم منه. قال: قلت: إنّ عيسى بن مريم كان يُحيي الموتى، قال: صدقت، قلت: وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقدر على هذه المنازل؟

قال: فقال: إنّ سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشكّ في أمره: ﴿ **فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ** ﴾[3] حين فقده فغضب عليه، وقال:

---

(١) الكافي ١: ٢٣٠ ح٢ كتاب الحجّة ـ باب ما أُعطي الأئمّة عليهم السلام من الاسم الأعظم، بصائر الدرجات: ١١٨ ح٢ باب ١٣ في الأئمة عليهم السلام أنّهم أُعطوا اسم الله الأعظم، تفسير البرهان ٤: ٢١٧ ح٨٠١٦، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩٠ ح٧. «استأثر به في علم الغيب» وردت في المصدر الأخير.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩٠ ح٨، وراجع: مدينة المعاجز للبحراني ٢: ١٣٢ ح٤٥٢ ط. مؤسسة المعارف الإسلاميّة ـ قم، ينابيع المودّة ١: ٢٣١ ح٦٩.

(٣) النمل (٢٧): ٢٠.

﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾[١] وإنّما غضب؛ لأنّه كان يدلّه على الماء، فهذا ـ وهو طائر ـ قد أُعطي ما لم يُعْطَ سليمان، وقد كانت الطير والريح والنمل والجنّ والإنس والشياطين المردة طائعين، ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء وكان الطير يعرفه، وإنّ الله سبحانه يقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ ﴾[٢] وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسيّر به الجبال وتقطّع به البلدان وتُحيى به الموتى، ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وإنّ في كتاب الله لآيات ما يُراد بها أمر إلّا بإذن الله به مع ما قد يأذن الله به ممّا كتبه الماضون، جعله الله لنا في أُمّ الكتاب، إنّ الله يقول: ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[٤] فنحن الذين اصطفانا الله عزّ وجلّ وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كلّ شيء[٥].

ومن هنا بان أنّ أميرالمؤمنين صلوات الله عليه هو الإمام الذي أحصى الله فيه علم كلّ شيء؛ لكونه يعلم علم الكتاب الذي فيه تبيان كلّ شيء، وبالله التوفيق، ونسأله الهداية إلى سواء الطريق، واتّباع أُولي التحقيق، فريق محمّد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام خير فريق.

---

(١) النمل (٢٧): ٢١.

(٢) الرعد (١٣): ٣١.

(٣) النمل (٢٧): ٧٥.

(٤) فاطر (٣٥): ٣٢.

(٥) بصائر الدرجات: ١٣٤ ـ ١٣٥ ح ٣ باب في الأئمة عليهم السلام أنّهم ورثوا علم آدم وجميع العلماء، الكافي ١: ٢٢٦ ح ٧ كتاب الحجّة ـ أنّ الأئمّة ورثوا علم النبي صلى الله عليه وآله وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم، عنه في: بحار الأنوار ١٧: ١٣٣ ح ١٠، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩٠ ح ٩.

١٠١٧ ـ ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ * إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾[١].

في «الألفين»: وجه الاستدلال يتوقّف على مقدّمات:

إحداها: أنّ رحمة الله متساوية، بل على أُمّة محمّد ﷺ أولى.

الثانية: أنّ أُمّة محمّد ﷺ أشرف من سائر الأُمم لقوله تعالى: **﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾**[٢].

الثالثة: أنّ لطف الإمامة كلطف النبوّة[٣].

إذا تقرّر ذلك فنقول: لطف الله تعالى في حقّ الأُمّة الذين كذّبوا وأنكروا الرسالة عليهم بعد التكذيب ولا لطف أعظم من طريق مفيد للعلم بطريق الآخرة وتحصيل السعادة الأبديّة والدلالة على الأحكام الشرعيّة وحفظها بمعصوم، فهل يتلطّف الله بالكفّار ثمّ لا ينصب لأُمّة محمّد ﷺ من ينبئهم ويخبرهم ممن يفيد قوله اليقين وهم أشرف الأُمم وعناية الله بهم أتمّ؟ وهذا لا يتصوّر[٤].

١٠١٨ و ١٠١٩ ـ ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَن لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[٥].

في «الألفين»: هذه الآية تدلّ على وجوب عصمة النبيّ ﷺ والإمام عليه السلام، وتقريرها أن نقول: علّة وجوب الاتّباع عدم سؤال الأجر وكون المتَّبَع مهتدياً، وإنّما يجب الاتّباع حالة الاهتداء؛ لأنّ الواو للحال، وإنّما يعلم كونه مهدياً

---

(١) يس (٣٦): ١٣ ـ ١٤.

(٢) آل عمران (٣): ١١٠.

(٣) انظر: الذخيرة في علم الكلام: ٤٠٩ ـ ٤١٠، قواعد المرام في علم الكلام: ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٤) الألفين: ٢٩٣ الثامن والثلاثون من أدلة المائة السابعة الدالة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٥) يس (٣٦): ٢٠ و ٢١.

بالعصمة؛ لأنّها الضابط الكلّي في السلامة عن الضلال، والإمام متّبَع فيجب عصمته(١).

وبوجهٍ آخر: انّه عَلَّلَ وجوب الاتّباع بأنّهم مهتدون، وذكر ما يوجب انتفاء التهمة وهو سؤال الأجر، لكنّ الإمام مساوٍ للنبيّ صلى الله عليه وآله في وجوب الاتّباع، فيلزمه التساوي في العلّة، وهو الهداية، فإنّه لم يعلّل إلّا بأنّهم مهتدون، فتطرد العلّة في حقّ المعلول(٢).

وأُيّد بما في الجوامع عنه صلى الله عليه وآله قال: سبّاق الأُمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين: عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وصاحب يس، ومؤمن آل فرعون، فهم الصدّيقون، عليٌّ أفضلهم(٣).

وفي الخصال: عنه صلى الله عليه وآله قال: ثلاثة لم يكفروا بالوحي طرفة عين: مؤمن آل يس، وعليّ بن أبي طالب، وآسية امرأة فرعون(٤).

وفي المجالس: عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: الصدّيقون ثلاثة: حبيب النجّار، مؤمن آل يسٓ الذي يقول: «اتّبعوا المرسلين» الآية، وحزقيل مؤمن آل فرعون، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام أفضلهم(٥).

١٠٢٠ ـ ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾(٦).

---

(١) الألفين: ٣٥٤ الثاني والستون من أدلة المائة الثامنة الدالة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٢) الألفين: ٣١٢ السادس والتسعون من أدلة المائة السابعة الدالة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٣) تفسير جوامع الجامع ٣: ١٣٥.

(٤) الخصال: ٧٤ ح ٢٣٠، عنه في: بحار الأنوار ١٤: ٢٧٣ ح ٣.

(٥) الأمالي للشيخ الصدوق: ٥٦٣ ح ١٨/٧٦٠ المجلس الثاني والسبعون.

(٦) يسٓ (٣٦): ٥٢.

الاستدلال به على بعض وجوه بالشكل الثاني ظاهر؛ لما مرّ.

وأُيّد بما في الكافي وفي تأويل الآيات الظاهرة عن الحسن بن شاذان الواسطي قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أشكو جفاء أهل واسط وجهلهم عليّ وكانت عصابة من العثمانيّة تؤذيني، فوقّع بخطّه: إنّ الله قد أخذ ميثاق أوليائه على الصبر في دولة الباطل فاصبر لحكم ربّك، فلو قد قام سيّد الخلق لقالوا: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرّحمٰن وصدق المرسلون[1]. ويعني بسيّد الخلق القائم عليه السلام.

١٠٢١ إلى ١٠٢٥ ـ ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ * لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾[2].

في «الألفين»: وجه الاستدلال يتوقّف فيه على مقدّمات:

الأُولى: أنّ الغاية معلولة بوجودها وعلّة بماهيّتها كالجلوس على السرير، فإنّه علّة لفعل الصانع ومعلول له.

الثانية: أنّ جعل ما ليس بعلّة علّة من الحكيم العالم به قبيح محال.

الثالثة: أنّه تعالى عالم بكلّ معلوم وهو حكيم.

الرابعة: اللّام في قوله «لتنذر» لام الغاية، وهو ظاهر.

إذا تقرّر ذلك فنقول: جعل الله تعالى الغاية المذكورة ـ وهي الإنذار ـ أشياء:

أحدها: وجود المنذر.

وثانيها: أنّه مرسل.

---

(١) الكافي ٨: ٢٤٧ ح٣٤٦، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩١ ـ ٤٩٢ ح١٠.

(٢) يسٓ (٣٦): ٣ ـ ٧.

وثالثها: أنّه على صراط مستقيم.

ورابعها: أنّ ذلك الصراط المستقيم تنزيل العزيز الرّحيم، وكذا إرساله عليه السلام.

فعرفنا أنّ الإنذار موقوف على هذه الأشياء، أمّا توقّفه على نصبه تعالى إيّاه رسولاً فلترجيح وجوب طاعته من بين بني نوعه، ولدفع اعتراض المعترضين فإنّ كلامهم مع المماثلة في عدم نصبه تعالى أوجه من المماثلة في البشريّة.

وأمّا توقّفه على كونه على صراط مستقيم فلأنّه لو كان طريقه غير صحيح في الكلّ كان اتّباعه قبيحاً فهو وجه الحجّة للمكلّفين على عدم اتّباعه وإن كان في البعض لم يكن كلامه وفعله وطريقه دالّاً على الصواب؛ لأنّه أعمّ منه حينئذٍ ولا دلالة للعام على الخاص فيكون حجّة للمكلّف في ترك اتّباعه أظهِر.

فتعيّن أن يكون طريقه صواباً دائماً.

وأمّا توقّفه على كونه منزلاً من عند الله بمعرفته صحّة ما لم يدركه العقل في الأُمور النقلية، وإنتقاء عذر المكلّف بعدم إدراك عقله إيّاه في الأُمور النظريّة التفصيليّة.

إذا تقرّر ذلك، فشُرِطَ في الإمام أيضاً كونه بنصب الله تعالى، وبأنّه على صراط مستقيم أي كون أمره ونهيه واختياره وفعله وتركه صواباً، وكونه من عند الله ولمشاركة النبيّ الإمام في الغاية وفي الإنذار، وحمل المكلّفين وإلزامهم بذلك، ويكون الفارق أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يعلمه بالوحي وهذا يعلمه من النبيّ صلى الله عليه وآله، فدعاء النبيّ والإمام إلى شيء واحد وهما معاً على صراط مستقيم، وهو يرد من عند الله تعالى إلى النبيّ بالوحي، وإلى الإمام بإخبار النبيّ صلى الله عليه وآله إيّاه، وإنّما يتحقّق ذلك مع كون

الإمام معصوماً[١].

أنّه جعل في هذه الآية أنّ بعد هذه الأُمور حقّ القول عليهم، فمع الإخلال بشيء منها لا يلزم ذلك، فبعد موت النبيّ ﷺ عدم إتمام الحجّة إن لم يوجد من له هذه الصفات، أعني وجود المنذر وكونه بنصب الله تعالى وكونه على صراط مستقيم وأنّه يرد من عند الله، والفارق بينهما أنّ النبيّ ﷺ رسول من عند الله تعالى وهذا نائب عنه، لكن يتّحدان في الغاية والطريق، وإلّا لم يحق[٢] القول.

لا يقال: هذان الدليلان مبنيّان على أنّ الغاية إذا تعقّبت الجمل رجعت إلى الكلّ، وهو ممنوع.

لأنّا نقول: قد بيّنّا[٣] وجه تعلّقها بالكلّ[٤].

النبوّة لطف خاصّ والإمامة لطف عام لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾[٥] ولا شكّ أنّ الاحتياج إلى الهداية دائم بخلاف الإنذار، فهي أولى بوجه اللطفيّة، وقد بيّن[٦] أنّ وجه لطف النبوّة هي العصمة، فيكون أولى بالإمام[٧].

أحد الأُمور الأربعة لازم، وهي: إمّا وجوب مخالفة النبيّ ﷺ في وقتٍ مّا، أو وجوب مخالفة الإمام في وقتٍ مّا، أو التكليف بما لا يطاق، أو عصمة الإمام،

---

(١) الألفين: ٢٨٥ الرابع عشر من أدلة المائة السابعة الدالة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٢) في المخطوط: «يتحقّق» وما أثبتناه من المصدر.

(٣) بيّنه في الدليل الرابع عشر من هذه المائة.

(٤) الألفين: ٢٨٦ الخامس عشر من أدلة المائة السابعة الدالة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٥) الرعد(١٣): ٧.

(٦) انظر: الذخيرة في علم الكلام: ٤١٠.

(٧) الألفين: ٣٠٧ الثامن والسبعون من أدلة المائة السابعة الدالة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

والثلاثة الأُوَل، باطلة فتعيّن الرابع، وهو المطلوب.

بيان الملازمة: أنّ طريق النبيّ صلى الله عليه وآله صواب دائماً، فلو كان الإمام غير معصوم لكان على خطأ في وقت ما، لكن يجب اتّباع كلّ واحد منهما دائماً لقوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾[١] فساوى بينهما في وجوب الإطاعة، ففي ذلك الخطأ إمّا أن يجب اتّباع النبيّ صلى الله عليه وآله فيجب مخالفة الإمام في وقتٍ مّا وهو أحد الأُمور الثلاثة، أو يجب اتّباع الإمام فيجب مخالفة النبيّ صلى الله عليه وآله في وقتٍ مّا، وهو أحد الأُمور الثلاثة، أو يجب اتّباعهما معاً فيلزم التكليف بما لا يطاق، وهو الأمر الثالث، أو يكون الإمام على الصراط المستقيم، وهو الأمر الرابع إذ لا نعني بالعصمة إلّا ذلك. وأمّا بيان استحالة الثلاثة الأُوَل، فظاهر[٢].

حكم سبحانه في هذه الآية بأحكام ثلاثة: أنّ طريق النبيّ صلى الله عليه وآله صراط مستقيم فلا يكون الحقّ إلّا في دينه وجعله يقيناً؛ لأنّه قال: «تنزيل العزيز الرّحيم» ولو كان الإمام غير معصوم لجاز أن يزلّ عن الصراط المستقيم؛ فنزلّ نحن، ولا يبقى اليقين بصحّته، فيجب عصمة الإمام. ولأنّه لو جاز شيء من ذلك عليه لما حصل للمكلّف الطمأنينة بقوله[٣].

١٠٢٦ ـ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ * لِيُنْذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[٤].

هذه الآية عامّة فيجري بعد النبيّ صلى الله عليه وآله حكمها، فلو لم يكن الإمام معصوماً لما

---

(١) النساء (٤): ٥٩.

(٢) الألفين: ٣٠٧ التاسع والسبعون من أدلة المائة السابعة الدالة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٣) الألفين: ٣٤٨ الخامس والأربعون من أدلة المائة الثامنة الدالة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٤) يسٓ (٣٦): ٦٩ ـ ٧٠.

حصل الإنذار وفاتت الغاية ونفي الغرض، وهو على الله سبحانه محال، والحقّ يقتضي إكمال الحجّة، وهو ليس إلّا به، والحكم بكونه عظة ومبيّناً ليس إلّا به؛ فتأمّل.

١٠٢٧ ـ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[١].

الاستدلال به تمّ بمقدّمات:

الأُولى: أنّ إرادة الله لا تتعلّق بالظلم أصلاً لقوله تعالى: **﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾**[٢]، ولأنّه لا يحبّ الظالمين من حيث الظلم لا من حيث كونهم ذواتاً موجودة متعلّقة للإيجاد واللطف، وهو ظاهر مؤكّد بالعقل القطعي.

الثانية: أنّ الإرادة عندهم قديمة[٣] علّة لحصول المراد، وعندنا حادثة[٤] لا يستلزم حصول المراد، بل الحتميّة منها يستلزمه؛ نظراً إلى تعلّقها واستعداد المادّة.

الثالثة: لا يمكن أن يوجد شيء إلّا بمدخليّة إرادته، وهي مقدّمة مبيّنة في علم الكلام، وأشرنا إليه في تفسير سورة الحمد في هذا الكتاب.

فإذا تقرّر ذلك فنقول: لو كان الإمام غير معصوم يصدر عنه المعصية قولاً أو فعلاً بالفعل وهو ضروريّ، فإمّا أن يوجب منه تعالى الإرادة إلى هذا أو لا، الثاني يستلزم كونه غير موجود بالمقدّمة الثالثة، ولو تعلّقت به لاستلزم تعلّقها بالظلم، وهو خلاف ما ثبت بالمقدّمة الأُولى، ولو أراد ولم يوجد لزم خلاف ما اعترفوا به

---

(١) يسٓ (٣٦): ٨٢.

(٢) غافر (٤٠): ٣١.

(٣) انظر: نهاية الأقدام في علم الكلام للشهرستاني: ١٣٩.

(٤) انظر: بحار الأنوار ٤: ٢٥٩ (كتاب التوحيد)، ١٠: ٣٤٠.

وخلاف ما ثبت بهٰذه الآية، وبارتفاعهما يستلزم ارتفاع النقيضين؛ لأنّ الإرادة وعدمها نقيضان فلابدّ أن يكون الإمام معصوماً.

لا يقال: إنّ هذا يجري في غيره.

لأنّا نقول: المراد أنّه تعلّق إرادته سبحانه بإطاعة الإمام مطلقاً، فلو صدر عنه ذلك لزم ما ذكرنا؛ فتأمّل.

ونقول أيضاً: إنّه تعالى أراد من الإمام كونه متّبَعاً ومن غيره إيجاب اتّباعه وإطاعته، فلو كان مخطئاً وظالماً في وقت لزم تعلّق إرادته بالظلم، وقد عرفت استحالته، وإذا كان معصوماً يجب كونه معصوماً من بداية خلقته؛ لأنّ الإرادة عندهم قديمة.

سورة الصافّات وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

١٠٢٨ ـ ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ﴾[١].

الاستدلال به على طريق ما مرّ ظاهر.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة ما معناه: أنّ الله سبحانه يقول يوم القيامة للملائكة: احشروا الذين ظلموا آل محمّد حقّهم وأزواجهم ـ أي أشباههم ـ وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم ـ قبل دخولهم النار ـ إنّهم مسؤولون، قال: عن ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٢].

وعن ابن عبّاس في قول الله عزّ وجلّ: «وقفوهم إنّهم مسؤولون»، قال: عن

---

(١) الصافّات (٣٧): ٢٢ ـ ٢٤.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩٢.

ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام(١).

وروى مثله من طريق العامّة عن أبي نعيم، عن ابن عبّاس، ومثله عن أبي سعيد الخدري، ومثله عن سعيد بن جبير كلّهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله(٢).

ويؤيّده ما رواه عبدالله بن عبّاس عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: لا تزول قدم العبد يوم القيامة حتّى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به، وعن حبّنا أهل البيت(٣).

ويؤيّده معنى ما قلناه أوّلاً وهو ما ذكره عليّ بن إبراهيم في تفسيره وقال: وأمّا قوله تعالى: «احشروا الذين ظلموا وأزواجهم» قال: الذين ظلموا آل محمّد حقّهم «وأزواجهم» قال العالم: وأشباههم «وما كانوا يعبدون * من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم * وقفوهم إنّهم مسؤولون» عن ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام(٤).

ويعضده ما رواه محمّد بن مؤمن الشيرازي رحمه الله في كتابه حديثاً يرفعه بإسناده عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة أمر الله مالكاً أن يُسعّر النيران السبع، ويأمر رضوان يُزخرف الجنان الثمان، ويقول: يا ميكائيل، هذا الصراط على متن جهنّم، ويقول: يا جبرئيل انصب ميزان العدل تحت العرش، ويقول: يا محمّد، قرِّب أُمّتك للحساب، ثمّ يأمر الله تعالى أن يُعقد على الصراط

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩٢ ح ١، وانظر: تفسير القمي ٢: ٢٢٢.

(٢) حكاه ابن طاووس في الطرائف: ٧٤ ح ٩٢ عن أبي سعيد الخدري، والعاملي في: الصراط المستقيم: ٢٩٢ عن أبي نعيم، وفرات الكوفي في: تفسيره: ٣٥٥ ح ٤٨٤ عن ابن عباس وفي: تفسير مجمع البيان ٨: ٣٠١ عن سعيد بن جبير وأبي سعيد الخدري وابن عباس، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩٢، شواهد التنزيل ٢: ١٦١، الأحاديث ٧٨٧ و ٧٨٨ و ٧٨٩.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩٣ ح ٣، وراجع: تفسير الثعلبي ١٠: ٢٠٨.

(٤) تفسير علي بن إبراهيم ٢: ٢٢٢، عنه في: بحار الأنوار ٣١: ٥٧٩ ح ١١.

سبع قناطر، طول كلّ قنطرة سبعة عشر ألف فرسخ، وعلى كلّ قنطرة سبعون ألف ملك يسألون هذه الأُمّة نساءهم ورجالهم على القنطرة الأُولى عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وحبّ أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله؛ فمن أتى به جاز القنطرة الأُولى كالبرق الخاطف، ومن لا يحبّ أهل بيته سقط على أُمّ رأسه في قعر جهنّم ولو كان معه من أعمال البرّ عمل سبعين صدّيقاً[١].

وذكر الشيخ أبو جعفر الطوسي رحمه الله في مصباح الأنوار حديثاً يرفعه بإسناده إلى أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين في صعيد واحد، ونصب الصراط على شفير جهنّم، فلم يجز عليه إلّا من كان معه براءة من عليّ بن أبي طالب[٢].

وذكر أيضاً في الكتاب المذكور حديثاً يرفعه بإسناده عن عبدالله بن عبّاس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة أقف أنا وعليّ على الصراط، بيد كلّ واحد منّا سيف، فلا يمرّ أحد من خلق الله إلّا سألناه عن ولاية عليّ؛ فمن معه شيء منها نجا وفاز، وإلّا ضربنا عنقه وألقيناه في النار، ثمّ تلا: ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ * بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ**﴾[٣].[٤]

وهذا التأويل يدلّ على أنّ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام مفترضة على الخلق أجمعين، وإذا كان الأمر كذلك، فيكون أفضل منهم ما خلا خاتم النبيّين وسيّد

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩٣، وراجع: نهج الإيمان لابن جبر: ٥٠٧، بحار الأنوار ٧: ٣٣١ ح١٢، تفسير البرهان ٤: ٥٩٥ ح٨٩٧٣.

(٢) عنه المجلسي في: بحار الأنوار ٧: ٣٣٢ ح١٣، وشرف الدين النجفي في: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩٤ ح٥.

(٣) الصافّات (٣٧): ٢٤ـ٢٦.

(٤) بحار الأنوار ٧: ٣٣٢ ح١٤، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩٣ ـ ٤٩٤.

المرسلين ﷺ، جعلنا الله وإيّاكم من الموالين المحبّين له وذريّته الطّيّبين إنّه أسمع السامعين وأرحم الراحمين[١].

١٠٢٩ ـ ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[٢].

دلّ على عصمة النبيّ ﷺ من أوّل خلقته إلى آخر عمره لما مرّ، فدلّ على عصمة الإمام لما عرفت من عدم القول بخلافه.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي عليّ الطبرسي رحمه الله: الشيعة الجماعة التابعة لرئيس لهم، وصار بالعرف عبارة عن الإماميّة؛ لما روي عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال للراوي: ليهنئكم الاسم، قال: قلت: وما هو؟ قال: الشيعة، قلت: إنّ الناس يعيّرونا بذلك، قال: أما تسمع قوله عزّ وجلّ: «وإنّ من شيعته لإبراهيم»، وقوله: **﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾**[٣]. ومعنى أنّ من شيعته لإبراهيم أي إنّ إبراهيم عليه السلام من شيعة محمّد ﷺ كما قال سبحانه: **﴿ وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾**[٤] أي ذريّة من هو أب لهم فجعلهم ذريّة وقد سبقوا إلى الدنيا[٥].

وروي عن مولانا الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام أنّه قال: قوله عزّ وجلّ: «وإنّ من شيعته لإبراهيم» أي إنّ إبراهيم عليه السلام من شيعة النبي صلوات الله عليه، فهو من شيعة عليّ عليه السلام لأنّ كلّ من كان من شيعة النبيّ ﷺ فهو من شيعة عليّ، ومن كان من

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩٥.

(٢) الصافّات (٣٧): ٨٣ و٨٤.

(٣) القصص (٢٨): ١٥.

(٤) يسٓ (٣٦): ٤١.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩٥ ح٦ و٧، وراجع: تفسير مجمع البيان ٨: ٣١٤.

شيعة عليّ فهو من شيعة النبيّ صلّى الله عليهما وعلى ذريّتهما الطيّبين[١].

ويؤيّد هذا التأويل أنّ إبراهيم من شيعة أميرالمؤمنين صلوات الله عليهما: وعن يحيى بن القاسم قال: سأل جابر بن يزيد الجعفي جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام عن تفسير هذه الآية: «وإنّ من شيعته لإبراهيم»، فقال عليه السلام: إنّ الله سبحانه لمّا خلق إبراهيم كشف له عن بصره فنظر فرأى نوراً إلى جنب العرش فقال: إلهي، ما هذا النور؟ فقيل له: هذا نور محمّد صفوتي من خلقي، ورأى نوراً إلى جنبه فقال: إلهي، وما هذا النور؟ فقيل له: هذا نور عليّ بن أبي طالب عليه السلام ناصر ديني، فرأى إلى جنبهما ثلاثة أنوار فقال: إلهي، وما هذه الأنوار؟ فقيل له: هذا نور فاطمة فطمت محبّيها من النار، ونور ولديها الحسن والحسين. فقال: إلهي، وأرى تسعة أنوار قد حفّوا بهم، قيل: يا إبراهيم، هؤلاء الأئمّة من ولد عليّ وفاطمة. فقال إبراهيم: إلهي، بحقّ هؤلاء الخمسة إلّا عرّفتني من التسعة. قيل: يا إبراهيم، أوّلهم عليّ بن الحسين وابنه محمّد وابنه جعفر وابنه موسى وابنه عليّ وابنه محمّد وابنه عليّ وابنه الحسن والحجّة القائم ابنه.

فقال إبراهيم: إلهي وسيّدي، أرى أنواراً قد أحدقوا بهم لا يحصي عددهم إلّا أنت، قيل: يا إبراهيم، هؤلاء شيعتهم، شيعة أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فقال إبراهيم: وبما تعرف شيعته؟ قال: بصلاة إحدى وخمسين، والجهر ببسم الله الرّحمٰن الرّحيم، والقنوت قبل الركوع، والتختّم في اليمين. فعند ذلك قال إبراهيم: اللهمّ اجعلني من شيعته. قال: فأخبر الله تعالى في كتابه فقال: «وإنّ من شيعته لإبراهيم»[٢].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩٥ ح٨.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩٦ ح٩، عنه في: بحار الأنوار ٣٦: ١٥١ ح ١٣١.

تنبيه: فإذا كان إبراهيم عليه السلام من شيعة أميرالمؤمنين صلوات الله عليه فيكون أفضل منه؛ لأنّ المتبوع أفضل من التابع، وهذا لا يحتاج إلى بيان ولا إلى دليل وبرهان.

وممّا يدلّ على أنّ إبراهيم وجميع الأنبياء والرسل من شيعة أهل البيت عليهم السلام ما روي عن الصادق عليه السلام، أنّه قال: ليس إلّا الله ورسوله ونحن وشيعتنا، والباقي في النار[1].

فتعيّن أنّ جميع أهل الإيمان من الأنبياء والرسل وأتباعهم من شيعتهم، ولقول النبيّ صلى الله عليه وآله: لو اجتمع الخلق على حبّ عليّ لم يخلق الله النار؛ فافهم ذلك[2].

١٠٣٠ ـ ﴿إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * ... وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[3].

التشبيه يقتضي أنّ شرط الجزاء على الإحسان هو العلم به، وهو لا يتمّ إلّا بالمعصوم في المكلّفين.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: الذبح معناه المذبوح وليس هو الكبش الذي ذبحه إبراهيم عليه السلام لقوله «عظيم»، ولكنّه معناه ما رواه الشيخ أبو جعفر محمّد ابن بابويه رحمه الله في عيون الأخبار بإسناده عن رجاله عن فضل بن شاذان، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: لمّا أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذي أنزل عليه بمنى، تمنّى إبراهيم أن يكون قد ذبح ابنه بيده ولم يؤمر أن يذبح بمكانه الكبش ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبَح أعزّ ولده بيده؛ فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، فأوحى الله تعالى

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩٧ ح ١٠.
(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩٧.
(٣) الصافّات (٣٧): ١٠٥ و١٠٧.

إليه: يا إبراهيم، من أحبّ خلقي إليك؟ قال: يا ربّ، ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمّد صلى الله عليه وآله، فأوحى الله تعالى إليه: يا إبراهيم، هو أحبّ إليك أم نفسك؟ فقال: هو أحبّ إليّ من نفسي. قال: فولده أحبّ إليك أم ولدك؟ قال: بل ولده. قال: فذبح ولده ظلماً على يد أعدائه أوجع لقلبك أم ذبح ولدك في طاعتي؟ قال: يا ربّ، بل ذبح ولده على يد أعدائه أوجع لقلبي. قال: يا إبراهيم، فإنّ طائفة تزعم أنّها من أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله ستقتل ولده الحسين من بعده ظلماً وعدواناً كما يُذبَح الكبش ويستوجبون سخطي.

قال: قال: فحزن إبراهيم لذلك وتوجّع قلبه وأقبل يبكي، فأوحى الله تعالى إليه: يا إبراهيم، قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، وهذا معنى قوله: «وفديناه بذبح عظيم»[1].

١٠٣١ ـ ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾[2].

دلّ هذا على عصمتهم فثبت عصمة الإمام عليه السلام وقد مرّ غير مرّة.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: بإسناده عن أشياخ من آل عليّ بن أبي طالب عليه السلام قالوا: قال عليّ عليه السلام في بعض خطبه: إنّا آل محمّد كنّا أنواراً حول العرش، فأمرنا الله بالتسبيح فسبّحنا، فسبّحت الملائكة بتسبيحنا، فإنّا لنحن

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩٧ ح١٢، وراجع: عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٠٦ ح١ باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في تفسير قول الله عزّوجلّ «وفديناه بذبح عظيم».

(٢) الصافّات (٣٧): ١٦٤ ـ ١٦٦.

الصافّون وإنّا لنحن المسبّحون[1].

ومن ذلك ما روى مرفوعاً إلى محمّد بن زياد قال: سأل ابن مهران عبدالله بن عبّاس رضي الله عنه عن تفسير قوله تعالى: «وإنّا لنحن الصافّون وإنّا لنحن المسبّحون»، فقال ابن عبّاس: إنّا كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فأقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فلمّا رآه النبيّ صلى الله عليه وآله تبسّم في وجهه وقال: مرحباً بمن خلقه الله قبل آدم بأربعين ألف عام. فقلت: يا رسول الله، أكان الابن قبل الأب؟ قال: نعم، إنّ الله تعالى خلقني وخلق عليّاً قبل أن يخلق آدم بهذه المدّة، خلق نوراً فقسّمه نصفين فخلقني من نصف وخلق عليّاً من النصف الآخر قبل الأشياء كلّها، ثمّ خلق الأشياء فكانت مظلمة فنورها من نوري ونور عليّ عليه السلام، ثمّ جعلنا عن يمين العرش، ثمّ خلق الملائكة فسبّحنا فسبّحت الملائكة، وهلّلنا فهلّلت الملائكة، وكبّرنا فكبّرت الملائكة؛ فكان ذلك من تعليمي وتعليم عليّ، وكان ذلك في علم الله السابق أن لا يدخل النار محبّ لي ولعليّ، ولا يدخل الجنّة مبغض لي ولعليّ.

ألا وإنّ الله عزّ وجلّ خلق ملائكة بأيديهم أباريق اللُّجَين[2]، مملوءة من ماء الحياة من الفردوس، فما أحد من شيعة عليّ إلّا وهو طاهر الوالدين تقيّ نقيّ مؤمن بالله، فإذا أراد أبو أحدهم[3] أن يواقع أهله جاء ملك من الملائكة الذين بأيديهم أباريق ماء الجنّة، فيطرح من ذلك الماء في آنيته التي يشرب منها، فيشرب من ذلك الماء، فينبت الإيمان في قلبه كما ينبت الزرع، فهم على بيّنة من

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٠١ ح١٩، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٨٨ ح٣، تفسير البرهان ٤: ٦٣٤ ح٩٠٨٥.

(٢) اللُّجَيْن: الفِضة. الصحاح ٦: ٢١٩٣ «لجن».

(٣) في البحار: «أحدهم» بدل «أبو أحدهم».

ربّهم ومن نبيّهم ومن وصيّه عليّ ومن ابنتي الزهراء ثمّ الحسن ثمّ الحسين ثمّ الأئمّة من ولد الحسين.

فقلت: يا رسول الله، ومن هم الأئمّة؟ قال: أحد عشر منّي والدهم عليّ بن أبي طالب.

ثمّ قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «الحمد لله الذي جعل محبّة عليّ والإيمان سببين» يعني سبباً لدخول الجنّة، وسبباً للنجاة من النار(١).

١٠٣٢ ـ ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾(٢).

على تقدير «آل» فدلّ على تفضيل آل النبيّ صلى الله عليه وآله على غيره من الأنبياء عليهم السلام؛ لأنّك قد عرفت أنّ «يسٓ» اسم محمّد صلى الله عليه وآله على ما ورد في طرق العامّة والخاصّة، سلام الله عليهم، يقتضي نوعاً من الترجيح وهو ليس إلّا بعصمتهم، وإنّ الله سبحانه خصّ أنبياءه بعضهم بالسلام، وليس ذلك إلّا لعصمتهم فكذا من كان مشاركاً لهم فيه.

أمّا على تقدير «إِلْ ياسين» فيما دلّت الآيات السابقة واللّاحقة على أنّ الأنبياء معصومون من أوّل عمرهم إلى آخره، وقد مرّ.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: بإسناده عن عليّ عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله اسمه «يسٓ»، ونحن الذين قال الله: «سلام على إِلْ يسٓ»(٣).

وعن عليّ عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: «سلام على إِلْ يسٓ» قال: ياسين محمّد،

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٠١ ـ ٥٠٢ ح ٢٠، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٨٨ ح ٤، غاية المرام للبحراني ١: ٤٧، تفسير البرهان ٤: ٦٣٤ ح ٩٠٥٩.

(٢) الصافّات (٣٧): ١٣٠.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩٩ ح ١٣، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ١٦٨ ح ٢، تفسير البرهان ٤: ٦٢٦ ح ٩٠٣٤.

ونحن آل محمّد[١].

وعن عمر بن الخطّاب أنّه كان يقرأ: «سلام على إلْ يسَ»، قال أبو عبدالرّحمٰن: آل يسَ: آل محمّد صلى الله عليه وآله[٢].

وعن ابن عبّاس في قوله عزّ وجلّ: «سلام على إلْ يسَ» قال: نحن هم آل محمّد[٣].

وأيضاً عن ابن عبّاس في قوله عزّ وجلّ: «سلام على إلْ يسَ» قال: أي على آل محمّد، وإنّما ذكر الله عزّ وجلّ أهل الخير وأبناء الأنبياء وذراريهم وإخوانهم[٤].

وجاء في عيون الأخبار في مسائل سأل عنها المأمون الرضا عليه السلام بحضرة العلماء، منها: قال الرضا عليه السلام: وأمّا الآية السابقة قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّـهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[٥] وقد علم المعاندون منهم أنّه لمّا نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله، قد عرفنا التسليم عليك، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: تقولون: «اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنّك حميد مجيد»، فهل بينكم معاشر الناس في هذا خلاف؟ قالوا: لا.

فقال المأمون: فهل عندك في الآل شيء أوضح من هذا؟ فقال أبو الحسن عليه السلام:

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩٩ ح١٣، بحار الأنوار ٢٣: ١٦٨ ح٧ عن أمالي الصدوق، معاني الأخبار: ١٢٢ ح٢ و٣ باب معنى آل ياسين، تفسير البرهان ٤: ٦٢٤ ح٩٠٢٨.

(٢) انظر: تفسير البرهان ٤: ٦٢٥ ح٩٠٣٢.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٤٩٩ ح١٦، بحار الأنوار ٢٣: ١٧٠ ح١١ عن معاني الأخبار: ١٢٣ ح٥ مع اختلاف.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٤: ٥٠٠ ح١٧.

(٥) الأحزاب (٣٣): ٥٦.

نعم، أخبروني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿**يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ**﴾[١] فمَن عنىٰ بقوله «يسَ»؟ فقال العلماء: «يسَ» محمّد صلى الله عليه وآله وآله لا يشكّ فيه أحد. فقال أبو الحسن عليه السلام: فإنّ الله أعطى محمّداً وآل محمّد من ذلك فضلاً لا يبلغ أحد كنه وصفه إلّا من عقله وذلك أنّ الله عزّ وجلّ لم يسلّم على أحد إلّا على الأنبياء فقال: ﴿**سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ**﴾[٢] و: ﴿**سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ**﴾[٣] و: ﴿**سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ**﴾[٤] ولم يقل سلام على آل نوح، ولا آل إبراهيم، ولا آل موسى وهارون، وقال: «سلام على إلْ يسَ» يعني آل محمّد صلى الله عليه وآله.

فقال المأمون: علمت أنّ في معدن النبوّة شرح هذا وبيانه[٥]. والصلاة على من أعلى الله مكانه ورفع قدره وشأنه محمّد وآله المؤمنين التابعين أنصاره وأعوانه ودليل الحقّ وبرهانه.

سورة صَ وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

١٠٣٣ ـ ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾[٦].

كلّ غير معصوم يمكن أن يقول بما يقولون من تكذيبه صلى الله عليه وآله بالضرورة، ولا

---

(١) يسَ (٣٦): ١ و٢.

(٢) الصافّات (٣٧): ٧٩.

(٣) الصافّات (٣٧): ١٠٩.

(٤) الصافّات (٣٧): ١٢٠.

(٥) الأمالي للشيخ الصدوق: ٦٢٣ ضمن حديث ١/٨٣٤ المجلس التاسع والسبعون، تحف العقول: ٤٣٣، بحار الأنوار ٢٥: ٢٢٩، ضمن حديث ٢٠ عن أمالي الصدوق وعيون أخبار الرضا عليه السلام، تفسير الصافي ٦: ٦٤ عن العيون، تفسير نور الثقلين ٤: ٣٠٠ ح٢١٣ عن العيون أيضاً، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٠٠ ح١٨.

(٦) صَ (٣٨): ١٧.

شيء من الإمام كذلك بالضرورة؛ فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام في هذه الآية: يا محمّد من تكذيبهم إيّاك، فإنّي منتقم منهم برجل منك، وهو قائمي الذي سلّطته على دماء الظلمة[1].

١٠٣٤ ـ ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾[2].

الحكمة بيّنة على الصدق في القول والفعل مع كمال قوّته في العلم والعمل، فأعطاه سبحانه له هذه مع فصل الخصام بتمييز الحقّ عن الباطل لا يشبه على السامع مع أنّة جلّ وعزّ حكم بأنّه ذو الأيد، وبأنّه أوّاب رجّاع إلى مرضاة الله لقوته في الدين، على ما قاله البيضاوي[3]، وكلّ من الجبال والطير لأجل تسبيحه رجّاع إلى التسبيح. وهذا يدلّ على عصمته صلى الله عليه وآله من أوّل العمر لامتناع خلاف ذلك بعد هذه الأخبار، فلو أمكن له قبل ذلك لزم قلب الإمكان إلى الامتناع أو جهله تعالى وكذبه سبحانه، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً؛ فدلّ على عصمة الإمام لما مرّ.

وأُيّد بما في تفسير الصافي بأنّه ورد في أخبار كثيرة أنّ أئمّتنا عليهم السلام أُعطوا الحكمة وفصل الخطاب[4].

١٠٣٥ ـ ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾[5].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٠٣ ح ١، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٢٠ ح ١٩.

(٢) صَ (٣٨): ٢٠.

(٣) أنوار التنزيل (تفسير البيضاوي) ٥: ٤٠.

(٤) تفسير الصافي ٤: ٢٩٤.

(٥) صَ (٣٨): ٢٦.

في «الألفين»: الإمام عليه السلام خليفة في الأرض، كلّ خليفة إنّما المقصود من نصبه الحكم بالحقّ في كلّ واقعة وحكم وفعل، واجتناب الباطل والهوى دائماً في أقواله وأفعاله وتروكه وأحكامه؛ لقوله تعالى في هذه الآية وهو عامّ في الكلّ، وإنّما يحصل ذلك في المعصوم[1].

وبوجه آخر: أنّ الله سبحانه قد نهى النبيّ صلى الله عليه وآله عن اتّباع الهوى ثمّ فرّع عليه الضلالة بأنّ هذه التبعيّة توجب الضلالة عن سبيل الله ثمّ علّله بأنّها لهم عذاب أليم على سبيل الغاية، وإذا كان ذلك لا يجوز للنبيّ صلى الله عليه وآله فكيف يجوز لغيره مع أنّ رأيه أقرب بالصواب؟ وذلك يستلزم نفي الاختيار وهو يستلزم ثبوت العصمة الملازمة للنصّ.

١٠٣٦ إلى ١٠٣٩ ـ ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾[2].

فيه إنكار التسوية بين المؤمنين والكافرين، ثمّ بيّن المتّقين من المؤمنين والمجرمين، فلو كان الإمام مفسداً أو فاجراً في آنٍ من الآنات فلابدّ من إمكان غيره على التقوى والصلاح، وهذا يستلزم كونه منكراً مذموماً بهذه الآية، مع ما أُكّد في العقل.

وأيضاً فيه حثّ على فعل كلّ ما هو صالح؛ لعموم الجمع المحلّى باللّام على ما في الأُصول[3]، وتحذير عن الفساد والفجور، والتحذير عن الشيء والترغيب فيه

---

(١) الألفين: ٣٤٩ الثامن والأربعون من أدلة المائة الثامنة الدالة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٢) صَ (٣٨): ٢٨.

(٣) العدّة في أُصول الفقه ١: ٢٧٦، مبادئ الوصول إلى علم الأصول: ١٢٢، قوانين الأُصول للميرزا القمّي: ٤١٧ ط. الحجريّة.

مع عدم بيانه قبيح في الحكمة، فلابدّ من البيان، وهو يتوقّف على المعصوم.

وثالث الأوجه: أنّ الإمام هو المقرِّب إلى الصلاح والتقوى، والمُبعِّد عن الفساد والفجور، ولا شيء من غير المعصوم كذلك بالإمكان؛ فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة؛ لأنّ المقدّمة الأُولى ضروريّة فالنتيجة مثلها على ما بُيِّنَ في المنطق[1].

وأُكّدت بما روي من طريق العامّة على ما في تأويل الآيات الظاهرة: عن ابن عبّاس في قوله عزّوجلّ: «أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات» عليّ وحمزة وعبيدة عليهم السلام «كالمفسدين في الأرض» عُتبة وشَيْبة والوليد «أم نجعل المتّقين» عليّ عليه السلام وأصحابه «كالفجّار» فلان وأصحابه[2].

وأُيّدت بما في تفسير الصافي: القمّي عن الصادق عليه السلام أنّه سُئل عن هذه الآية، فقال: «الذين آمنوا وعملوا الصالحات» أميرالمؤمنين وأصحابه، «كالمفسدين في الأرض» قال: حبتر وزريق وأصحابهما «أم نجعل المتّقين» أميرالمؤمنين عليه السلام «كالفجّار» حبتر ودلام وأصحابهما، وهذه الألفاظ كنايات عن الثلاثة[3].

١٠٤٠ ـ ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[4].

أمّا المعصومون الراسخون المتناوشون علوم القرآن عن مصدر الوحي أو الأعمّ منهم وغيرهم أو المراد غيرهم، الأوّل والثاني يفيدان المطلوب الأوّل، وأمّا

---

(١) انظر: الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد: ١١٢.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٠٣ ح ٢، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٧ ح ٢٠. ورواه ابن شهر آشوب في: المناقب ٢: ٣١١ إلى قوله عليه السلام: والوليد، عنه في: تفسير البرهان ٤: ٦٥٢ ح ٩٠٨٩.

(٣) تفسير الصافي ٤: ٢٩٧، وراجع: تفسير القمّي ٢: ٢٣٤، بحار الأنوار ٣١: ٦٠٢ ح ٤٥، تفسير نور الثقلين ٤: ٤٥٣ ح ٣٧.

(٤) صَ (٣٨): ٢٩.

الثاني فلاستحالة الترجيح بدون مرجّح، أمّا الثالث فلأنّه لو لم يكن معصوم بعده ليبيّن طريق التدبّر والتذكّر ويبيّن مَنْ أُولي الألباب لزم انتفاء الغرض، فكيف يكون مباركاً نفّاعاً، فإنّ كلّ واحد من الفِرق يدّعون أنّا من أُولي الألباب وأنّا مدبّرون مذكّرون، وهذا يستلزم كلّ واحد منهم كونهم ممدوحين؛ لأنّ الآية وردت مورد التمدّح وهو يقتضي كلّ آياته مع أنّ الجمع المضاف يفيد العموم[١]، ولمّا كان إجماع الكلّ على أنّ الحقّ مع واحد فلزم بيانه.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: القمّي عن الصادق عليه السلام: «ليدّبّروا آياته» أميرالمؤمنين عليه السلام والأئمّة فهم أُولو الألباب، قال: وكان أميرالمؤمنين عليه السلام يفتخر بها ويقول: ما أُعطي أحد قبلي ولا بعدي مثل ما أُعطيت[٢].

وأُيّد أيضاً بما روي في تفسير قوله تعالى: ﴿**هٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[٣] عن أبي جعفر عليه السلام يقول: إنّ عليّاً كان فيما ولّي بمنزلة سليمان بن داود إذ قال له سبحانه: «هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب»[٤].

معنى ذلك: أنّ الذي وليه أميرالمؤمنين من الإمامة والخلافة والرئاسة العامّة على الجنّ والإنس وجميع خلق الله بمنزلة ما وليه سليمان عليه السلام من الملك الموهوب والرئاسة العامّة على الجنّ والإنس والطير والوحوش وغير ذلك،

---

(١) انظر: مبادئ الوصول إلى علم الأُصول: ١٢٢، هداية المسترشدين لمحمّد تقي الرازي ٣: ٦٥٣ ط. جامعة المدرسين ـ قم.

(٢) تفسير الصافي ٤: ٢٩٧، وراجع: تفسير القمّي ٢: ٢٣٤، عنه في: تفسير الثقلين ٤: ٤٥٣ ذيل الحديث ٣٧.

(٣) صَ (٣٨): ٣٩.

(٤) بصائر الدرجات: ٤٠٥ ح٩ باب في أن ما فوض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقد فوض إلى الأئمّة عليهم السلام، عنه في: بحار الأنوار ٢٥: ٣٣٥ ح١٤.

وأميرالمؤمنين عليه السلام أُعطي ما لم يُعْطَ سليمان؛ لأنّه أُعطي كلّما أُعطي النبيّ صلى الله عليه وآله وممّا أعطاه الله ما أُعطي سليمان وغيره من الأنبياء عليهم السلام فصار ما أُعطي أميرالمؤمنين أعظم ممّا أُعطي سليمان، وقد تقدّم البحث في تأويل ﴿ **وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ** ﴾[١]، [٢].

١٠٤١ ـ ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾[٣].

أي يوسوس الشيطان إليّ بما يؤذونه قومه، أو يوسوس إليّ من يؤذيه لشدّة أذائه لأنّه تعالى قال في حقّه: ﴿ **نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾[٤] مقبل بشراشره[٥] على الله سبحانه، وإنّه تعالى قال في وصف الأنبياء بعد هذا: ﴿ **إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ** ﴾[٦] هي العصمة التي عبّر عنها بقوله هي: ﴿ **ذِكْرَى الدَّارِ** ﴾[٧] على الدوام واللزوم في ذكر أسباب الآخرة، ﴿ **وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ** ﴾[٨] فإنّ اصطفاءه تعالى لهم وحكمه بأنّهم كلّ من الأخيار وغيرها يقتضي عصمتهم من أوّل عمرهم لما مرّ بالبرهان في قوله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ** ﴾ الآية[٩]، فدلّت على

---

(١) يسٓ (٣٦): ١٢.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٠٤ ح٣، وقد تقدّم البحث عن ذلك في المصدر المذكور ص٤٨٧ ـ ص٤٩١ في تأويل الآية المباركة في الأحاديث ٢ ـ ٩.

(٣) صٓ (٣٨): ٤١.

(٤) صٓ (٣٨): ٤٤.

(٥) الشّراشِر: النفس، يقال ألقى عليه شراشره، أي نفسه، حرصاً ومحبّة. تاج العروس ٧: ١٩ «شرر».

(٦) صٓ (٣٨): ٤٦.

(٧) تتمّة الآية ٤٦.

(٨) صٓ (٣٨): ٤٧.

(٩) آل عمران (٣): ٣٣.

عصمة الإمام عليه السلام، لما مرّ.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة من خطّ الشيخ أبي جعفر الطوسي رحمه الله من كتاب مسائل البلدان، رواه بإسناده عن أبي محمّد الفضل بن شاذان، يرفعه إلى جابر بن يزيد الجعفي، عن رجل من أصحاب أميرالمؤمنين صلوات الله عليه قال: دخل سلمان رضي الله عنه على أميرالمؤمنين عليه السلام فسأله عن نفسه، فقال: يا سلمان، أنا الذي دعيت الأُمم كلّها إلى طاعتي فكفرت فعُذِّبت بالنار، وأنا خازنها عليهم، حقّاً أقول يا سلمان إنّه لا يعرفني أحدٌ حقّ معرفتي إلّا كان معي في الملأ الأعلى.

قال: دخل الحسن والحسين عليهما السلام فقال: يا سلمان، هذان شنفا[1] عرش ربّ العالمين، بهما تشرق الجنان، وأُمّهما خيرة النسوان، أخذ الله على الناس الميثاق بي، فصدق من صدق وكذّب من كذّب هو في النار، وأنا الحجّة البالغة والكلمة الباقية، وأنا سفير السفراء.

قال سلمان: يا أميرالمؤمنين، لقد وجدتك في التوراة كذلك وفي الإنجيل كذلك، بأبي أنت وأُمّي يا قتيل كوفان، والله لولا أن يقول الناس: وا شوقاه رحم الله قاتل سلمان، لقلت فيك مقالاً تشمئزّ منه النفوس؛ لأنّك حجّة الله الذي به تاب آدم، وبك أنجى يوسف من الجبّ، وأنت قصّة أيّوب، وسبب تغيير نعمة الله عليه.

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام: أتدري ما قصّة أيّوب وسبب تغيير نعمة الله عليه؟ قال: الله أعلم وأنت يا أميرالمؤمنين.

---

(١) الشَّنْف: من حُلِيّ الأُذن، وجمعه شُنوف. وقيل: هو ما يُعلَّق في أعلاها. النهاية لابن الأثير ٢: ٥٠٥ «شنف».

قال: لمّا كان عند الانبعاث للمنطق[١] شكّ أيّوب في ملكي وبكى، فقال: هذا خطب جليل وأمر جسيم، قال الله عزّ وجلّ: يا أيّوب، أتشكّ في صورة أقمته أنا، إنّي ابتليت آدم بالبلاء فوهبت له وصفحت عنه بالتسليم عليه بإمرة المؤمنين فأنت تقول خطب جليل وأمر جسيم! فوعزّتي لأُذيقنّك من عذابي أو تتوب إليّ بالطاعة لأميرالمؤمنين عليه السلام، ثمّ أدركته السعادة بي، يعني أنّه تاب إلى الله وأذعن بالطاعة لأميرالمؤمنين صلوات الله عليه وعلى ذريّته الطيّبين[٢].

١٠٤٢ ـ ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾ إلى قوله: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾[٣].

الاستدلال به على وجوه من الشكل الثاني ظاهر.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عليّ بن إبراهيم في تفسيره قال: وقوله: ﴿**هٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ**﴾ فإنّه روي في الخبر أنّ الطاغين هم الأوّلان وبنو أُميّة وفلاناً، وقوله: ﴿**وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ * هٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ**﴾ الظاهر أنّ فلاناً كناية عن العبّاس، وإنّ عليّ بن إبراهيم رحمه الله لمّا كان في زمن العبّاس كنّى عنهم عملاً بالتقيّة «بنو فلان» إذ أدخلهم النار والتحقوا بالأوّلين قبلهم فيقول المتقدّمون لهؤلاء اللّاحقين: لا مرحباً بهم إنّهم صالوا النار، فيقول لهم الآخرون: ﴿**بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ**﴾ أي أنتم الذين بدأتم بظلم آل محمّد ونحن تبعناكم. ثمّ يقول بنو أُميّة وبنو فلان: ﴿**رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ**﴾ يعنون فلاناً وفلاناً، ثمّ يقولون

---

(١) في البحار: «للنطق».

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٠٤ ح ٤، عنه في: بحار الأنوار ٢٦: ٢٩٢ ح ٥٢، تفسير البرهان ٤: ٦٧٦ ـ ٦٧٧ ح ٩١٢١.

(٣) صٓ (٣٨): ٥٥ ـ ٦٤.

وهم في النار: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ وهم شيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

والدليل على ذلك قول الصادق عليه السلام: والله إنّكم لفي النار تُطلَبون وأنتم في الجنّة تُحبَرون[1]. ثمّ قال سبحانه: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ فيما بينهم.

ثمّ قال تبارك وتعالى لنبيّه: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾[2] قال: والنبأ العظيم هو أميرالمؤمنين عليه السلام فهذا دليل على أنّ الآيات المتقدّمات نزلت في أعدائه[3].

وعن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: أهل النار يقولون: «ما لنا لا نرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار» يعنونكم ويطلبونكم فلا يرونكم في النار، لا والله لا يرون أحداً منكم في النار»[4].

وروى الصدوق بإسناده إلى سليمان الديلمي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام لأبي بصير: لقد ذكركم الله عزّ وجلّ في كتابه إذ حكى قول عدوّكم وهم في النار: «وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار، والله ما عنوا ولا أرادوا بها غيركم إذ صرتم عند أهل هذا العالم شرار الناس، وأنتم خيار الناس، وأنتم والله في النار تُطلَبون، وأنتم والله في الجنّة تُحبَرون[5].

---

(١) تُحبرون: تكرمون إكراماً يبالغ فيه. لسان العرب ٤: ١٥٨ «حبر».

(٢) صَ (٣٨): ٦٧ و٦٨.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٠٦ ح٦.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٠٧ ح٨، تفسير مجمع البيان ٨: ٣٧٦، بحار الأنوار ٢٤: ٢٦ ح ١١ عن العيّاشي، تفسير نور الثقلين ٤: ٤٦٨ ح٧٨.

(٥) فضائل الشيعة: ٦٣ ضمن حديث ١٨، عنه في: بحار الأنوار ٧: ١٧٩ ح١٧، تفسير البرهان ٤: ⇐

وفي المعنى ما رواه الشيخ ﵀ في أماليه عن أبي محمّد الفحّام، عن المنصوري، عن عمّ أبيه قال: دخل سماعة بن مهران على الصادق ﵇، فقال: يا سماعة، مَن شرّ الناس؟ قال: نحن يابن رسول الله. قال: فغضب حتّى احمرّت وجنتاه ثمّ استوى جالساً وكان متّكئاً، فقال: يا سماعة، من شرّ الناس عند الناس؟ فقلت: والله ما كذّبتك يابن رسول الله، نحن شرّ الناس عند الناس لأنّهم سمّونا كفّاراً ورافضة.

فنظر إليّ فقال: كيف بكم إذا سيق بكم إلى الجنّة وسيق بهم إلى النار فينظرون إليكم: «ما لنا لا نرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار». يا سماعة بن مهران، إنّه من أساء منكم إساءة مشينا إلى الله تعالى يوم القيامة بأقدامنا فنشفع فيه فنُشفَّع[1]، والله لا يدخل النار منكم عشرة رجال، والله لا يدخل النار منكم خمسة رجال، والله لا يدخل النار منكم ثلاثة رجال، والله لا يدخل النار منكم رجل واحد، فتنافسوا في الدرجات واكمدوا[2] أعداءكم بالورع[3].

١٠٤٣ ـ ﴿ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ ﴾ إلى قوله: ﴿ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾[4].

الاستدلال بالشكل الثاني ظاهر.

⇐ ٦٨٠ ح ٩١٢٩، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٠٧ ح ٩، وانظر: تفسير نور الثقلين ٤: ٤٦٧ ح ٧٥.

(١) في تأويل الآيات الظاهرة: «فنخلّصه».

(٢) الكمد: الحزن المكتوم، وقيل: أشدّ الحزن. لسان العرب ٣: ٣٨١ «كمد».

(٣) عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٠٧ ح ١٠، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٥٩ ح ١٠، وراجع: أمالي الطوسي: ٢٩٥ ح ٦/٥٨١ المجلس الحادي عشر، تفسير نور الثقلين ٤: ٤٦٩ ح ٧٩، تفسير البرهان ٤: ٦٨٠ ح ٩١٣٠.

(٤) صَ (٣٨): ٧٥.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل عليه رجل فقال: يا رسول الله، أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ لإبليس: «استكبرت أم كنت من العالين» مَن هم يا رسول الله الذين هم أعلى من الملائكة المقرّبين؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين كنّا في سرادق[1] العرش نسبّح الله فسبّحت الملائكة بتسبيحنا قبل أن خلق الله عزّ وجلّ آدم بألفي عام، فلمّا خلق الله عزّ وجلّ آدم أمر الملائكة أن يسجدوا ولم يأمرهم بالسجود إلّا لأجلنا، فسجدت الملائكة كلّهم أجمعون إلّا إبليس أبى أن يسجد، فقال له تبارك وتعالى: ﴿ **يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ** ﴾ أي من هؤلاء الخمسة المكتوبة أسماؤهم في سرادق العرش؛ فنحن باب الله الذي يؤتىٰ منه، بنا يهتدي المهتدون، فمن أحبّنا أحبّه الله وأسكنه جنّته، ومن أبغضنا أبغضه الله وأسكنه ناره، ولا يحبّنا إلّا من طاب مولده[2].

١٠٤٤ ـ ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ * مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[3].

تحذير فلابدّ من البيان وهو ليس إلّا ببيانه عليه السلام، وكلّ غير معصوم يمكن له

---

(١) السرادق: ما أحاط بالبناء، والجمع سرادقات، قال سيبويه جمعوه بالتاء وإن كان مذكراً حين لم يكسر. وفي التنزيل: أحاط بهم سرادقها، في صفة النار أعاذنا الله منها، قال الزجاج: صار عليهم سرادق من العذاب. والسرادق كلّ ما أحاط بشيء نحو الشقة في المضرب أو الحائط المشتمل على الشيء. قال ابن الأثير: وقد ورد في الحديث ذكر السرادق في غير موضع وهو كلّ ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء. لسان العرب ١٠: ١٥٧ «سردق».

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٠٩ ح١١، وراجع: فضائل الشيعة: ٥٠ ح٧، عنه في: بحار الأنوار ١١: ١٤٢ ح٩ وفي البحار أيضاً ٢٦: ٣٤٦ ح١٩ عن تأويل الآيات، تفسير البرهان ٤: ٦٨٣ ـ ٦٨٤ ح٩١٤٠.

(٣) صَ (٣٨): ٦٧ ـ ٦٩.

الإعراض بالضرورة، ولا شيء من الإمام كذلك بالضرورة؛ فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة، بالعكس المستوي.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: القمّي: يعني أميرالمؤمنين عليه السلام(١).

وفي البصائر عن الباقر عليه السلام: هو والله أميرالمؤمنين عليه السلام(٢).

وعن الصادق عليه السلام: النبأ الإمامة(٣).

١٠٤٥ ـ ﴿إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾(٤).

لا يختصّ بقوم لعدم ترجيح، فلابدّ أن يكون خليفته كذلك، فلو لم يكن معصوماً لأمكن صدور ضدّ الإنذار، وهو ينافي الغرض.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: عن الباقر عليه السلام في حديث المعراج، وقد مرّ صدره في أوّل سورة بني إسرائيل، قال: فلمّا انتهى إلى سدرة المنتهى تخلّف عنه جبرئيل عليه السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جبرئيل، أفي هذا الموضع تخذلني؟ قال: تقدّم أمامك، فوالله لقد بلغت مبلغاً لم يبلغه أحد من خلق الله قبلك، فرأيت نور ربّي وحال بيني وبينه السبحة. سُئل الإمام: وما السبحة؟ فأومى بوجهه إلى الأرض وبيده إلى السماء وهو يقول: جلال ربّي ـ ثلاث مرّات ـ.

قال: يا محمّد، قلت: لبّيك يا ربّ. قال: فيم اختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: سبحانك لا علم لي إلّا ما علّمتني. قال: فوضع يده ـ أي يد القدرة ـ بين كتفي

---

(١) تفسير الصافي ٤: ٣٠٨، وراجع: تفسير القمّي ٢: ٢٤٣.

(٢) بصائر الدرجات: ٩٧ ضمن حديث ٣ باب النوادر من الأبواب في الولاية، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٣٠٧.

(٣) تفسير الصافي ٤: ٣٠٨.

(٤) صَ (٣٨): ٧٠.

فوجدت بردها بين ثديي. قال: فلم يسألني عمّا مضى ولا عمّا بقي إلّا علمته، فقال: يا محمّد، فيم اختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: في الكفّارات والدرجات والحسنات، فقال لي: يا محمّد، قد انقطع أكلك[1] وانقضت نبوّتك، فمن وصيّك؟ فقلت: قد بلوت خلقك فلم أر أحداً من خلقك أطوع لي من عليّ. فقال: ولي يا محمّد. فقلت: يا ربّ، إنّي قد بلوت خلقك فلم أر أحداً أشدّ لي حبّاً من عليّ بن أبي طالب. قال: ولي يا محمّد، فبشّره بأنّه راية الهدى وإمام أوليائي ونور من أطاعني والكلمة الباقية التي ألزمتها، مَنْ أحبّه فقد أحبّني ومَنْ أبغضه فقد أبغضني مع أنّي أختصّه بما لم أخصّ به أحداً. فقلت: يا ربّ، أخي وصاحبي ووزيري ووارثي. فقال: إنّه أمر قد سبق أنّه مبتلى ومبتلى به، مع أنّي قد نحلته ونحلته ونحلته أربعة أشياء أخذها[2] بيده ولا يفصح بها عقدها[3].

وفي المجمع عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: قال لي ربّي: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ فقلت: لا. قال: اختصموا في الكفّارات والدرجات؛ فأمّا الكفّارات: فإسباغ[4] الوضوء في السبرات[5] ونقل الأقدام إلى الجمعات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة. وأمّا الدرجات: فإفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام[6].

وفي الخصال بنحو آخر قريب منه[7].

---

(١) في بعض المصادر: «أجلك».

(٢) في المصدر: «عقدها».

(٣) تفسير القمّي ٢: ٢٤٣، عنه في: بحار الأنوار ١٧: ٣٧٣ ح ٧٩، تفسير الصافي ٤: ٣٠٩، تفسير البرهان ٤: ٦٨١ ـ ٦٨٢ ح ٩١٣٥، تفسير نور الثقلين ٤: ٤٦٩ ح ٨٤.

(٤) إسباغ الوضوء: المبالغة فيه وإتمامه. لسان العرب ٨: ٤٣٣ «سبغ».

(٥) السبرات جمع السبرة: الغداة الباردة. لسان العرب ٤: ٣٤١ «سبر».

(٦) تفسير مجمع البيان ٨: ٣٧٧، عنه في: بحار الأنوار ١٨: ٣٧٥، تفسير الصافي ٦: ٢٤٥.

(٧) الخصال: ٨٥ ذيل الحديث ١٢ باب ثلاث درجات وثلاث كفّارات، وثلاث موبقات، وثلاث منجيات، وعنه في: تفسير الصافي ٦: ٢٤٥.

١٠٤٦ ـ ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِى إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[١].

الاستدلال بالشكل الثاني ظاهر.

وأُيّد بما رواه في تأويل الآيات الظاهرة: مرفوعاً إلى ابن جميع عن أبي عبدالله عليه السلام، قال: سألته عن إبليس وقوله: «ربِّ فأنظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنّك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم» أيّ يوم هو؟ قال: يا وهب، أتحسب أنّه يوم يبعث الله الناس؟ لا، ولكن الله عزّ وجلّ أنظره إلى يوم يبعث قائمنا فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه، فذلك اليوم هو الوقت المعلوم[٢].

١٠٤٧ ـ ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٣].

أي الذين أخلصهم الله بإيجاد، جعل وصف العصمة فيهم في سجيّتهم أو أخلصوا قلبهم لله بتلك الاستقامة المجعولة فيهم على اختلاف القراءَتين، وبالجملة عموم الآية تدلّ على أنّ ليس للشيطان وعساكره يد ولا تسلّط على المخلصين على ما دلّ عليه هذا التصديق، وقوله: ليس له عليهم سلطان وذلك يستلزم عصمة هؤلاء فإنّه لو صدر عنهم الخطيئة لكان له عليهم نحو سلطنة يرتفع الإخلاص عنهم، وهو خلاف حقيقة المستفاد من الآية، وإنّه عليه السلام خصّ نفي سلطنته بهؤلاء والشيطان أيضاً نفى الغواية والقدرة عليهم على نحو الخصوص، ولا ريب أنّ سلب هذا عن البعض دون البعض لابدّ له من خصوصيّة بها حصل الترجيح بهؤلاء دون غيرهم؛ لأنّ التفضيل لا يجوز بدون استحقاق، سواء كان في

---

(١) صَ (٣٨): ٧٩ ـ ٨١.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٠٩ ح ١٢، عنه في: بحار الأنوار ٦٠: ٢٢١ ح ٦٣.

(٣) صَ (٣٨): ٨٢ و ٨٣.

الأُمور الدنيويّة أو الأُخرويّة على ما برهنت عليه في علم الكلام، وقد أثبتنا فيه أنّ مجرّد الإرادة ليس مرجّحاً، بل هو مع استعداد المواد على حسب ما تقتضيه الحكمة والعناية، وتلك المزيّة ليست إلّا بالعصمة.

وأيضاً لو أغمضنا عن هذا قلنا: نقول إنّ الإمام عليه السلام ليس من الذين له عليهم إمكان الغواية؛ لأنّ محض فعليّتها غير معتبر هاهنا بالاتفاق، أو من الذين ليس عليهم ذلك، لا سبيل على الأوّل لاستحالة ترجيح المساوي، فكيف ترجيح المرجوح! فثبت كونه من المخلصين الذين ليس له عليهم إمكان غواية.

١٠٤٨ ـ ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾(١).

كون القرآن أو النبيّ صلى الله عليه وآله ذكراً وعظة للعالمين لا يتمّ [إلّا] بوجود معصوم بعده صلى الله عليه وآله لإمكان خلافها من غيره، وهو يستلزم إمكان كونه غير ذكر وعظة، والحكم به هو الحكم بغير ما أنزل الله سبحانه، فالذين قالوا ذلك فأُولئك هم الظالمون، فإنّ الواجب الحكم بما حكم الله في محكم كتابه والإمكان ينافيه.

لا يقال: إنّ الإمكان بالذات لا ينافي الواجب بالغير.

لأنّا نقول: المراد بالواجب هنا هو الواجب بالذات؛ لأنّه جلّ وعزّ إذا حكم بحكم فهو إخبار عن علمه بما هو الواضح، فيجب كونه كذلك؛ لأنّه لو أمكن خلافه لزم إمكان جهله وكذبه وهو الممتنع بالامتناع الذاتي؛ فيلزم اجتماع الوجوب والإمكان الذاتيّين واستحالته ظاهرة، وهذا على جهة البرهان أو الإلزام؛ فتأمّل.

---

(١) صَ (٣٨): ٨٦ ـ ٨٨.

وأُيّد بما في [كتاب] الكليني عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال: ذاك أمير المؤمنين «ولتعلمنّ نبأه بعد حين» قال: عند خروج القائم صلوات الله عليه[١].

يعني أنّ ذكراً للعالمين أميرالمؤمنين «ونبأه» أي خبره وشأنه وفضله، وأنّه حجّة الله، هو وولده المعصومون على العالمين إذا قام القائم من ولده بالسيف، أي ذلك الأوان تعلمون نبأه بالمشاهدة والعيان[٢].

وعلى تقدير كون المراد بالذكر القرآن أو النبيّ صلى الله عليه وآله فيستلزم ما في الخبر؛ فتأمّل.

سورة الزمر وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

١٠٤٩ ـ ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾[٣].

عموم النفي يقتضي أنّه سبحانه لا يرضى عن الذي كفر نعمته بنوع من التلازم على نحو العموم؛ لأنّ الفعل نكرة والنكرة المنفية تفيد العموم[٤]، وأنّ عباده جمع مضاف يفيده أيضاً على ما ثبت في الأُصول[٥]، واللّام في «الكفر» إن قلنا بأنّه للعموم بناء على أنّه إذا أُطلق فهو المتبادر، فهو المطلوب. وإلّا فنقول: إنّه أيضاً عامّ بقرينة ما علّق تعالى الرضا على الشكر ويقتضيه الكفران لما أثبتنا أنّ الكفر

---

(١) الكافي ٨: ٢٨٧ ح ٤٣٢، عنه في: بحار الأنوار ٥١: ٦٢ ح ٦٢، تفسير نور الثقلين ٤: ٤٧٤ ح ١٠٢.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥١٠ ح ١٣.

(٣) الزمر (٣٩): ٧.

(٤) مبادئ الوصول إلى علم الأُصول: ١٢٢.

(٥) مبادئ الوصول إلى علم الأُصول: ١٢٢.

ومثله من الأعدام والشكر ومثله وجوديّ، وإن قلنا بالتضاد فنقول نفي الشكر يستلزم نفي الرضا بمفهوم الشرط وهو حجّة عند المعظم[1]، فلو كان المراد بالكفران غير عدم الشكر لزم التنافي بين المنطوق والمفهوم؛ فتأمّل.

وإذا عرفت هذا فنقول: كلّ إمام رضي الله عنه بالضرورة، ولا شيء من الكفر رضي الله عنه ما دام مكفراً، فلا شيء من الإمام بمكفر بالضرورة.

أمّا الصغرى؛ فلأنّ الإمام يدعو الناس إلى ما يرضى الله عنهم به ويحصل به مرتبة الرضا والزلفى، وكلّ من ليس له هذه المرتبة لا يحسن من الحكيم نصبه والرضا به لدعاء الناس إلى طريق الشكر والرضوان، وباتّباعه يحصل لهم هذه المرتبة قطعاً فلا يمكن أن ينصب الله تعالى مَن لم يرضَ الله عنه بضعفه من تحصيلها لغيره، ولأنّ الإمام إمّا شاكر غير مكفر برضى الله دائماً، أو مكفر غير شاكر لا يرضى عنه دائماً، أو كان كذلك في وقت وغيره في وقت وفي بعض الأوقات، والثاني محال وإلّا لاستحال نصبه، والثالث أيضاً محال؛ لأنّه يعذر المكلّف في ترك اتّباعه لأنّ كلّ من يفرض لا يأمن أن يكون مضلّاً فيه بالكفران ولازمه، والرابع أيضاً محال وإلّا لخلا وقت عن اللطف وهو محال؛ فتعيّن الأوّل.

وأمّا الكبرى؛ فبهذه الآية، فنجعل هذه النتيجة كبرى لقولنا كلّ غير معصوم مكفر غير مرضيّ عند الله بالإمكان، فالنتيجة لا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة، وهو المطلوب.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: في المحاسن مرفوعاً قال: الكفر هاهنا الخلاف،

---

(١) قال الشيخ البهائي في: زبدة الأصول: ١٥٠: مفهوم الشرط حجّة عند الأكثر وعليه المحقّق والعلّامة، خلافاً للمرتضى وموافقيه.

والشكر الولاية والمعرفة[١].

١٠٥٠ ـ ﴿وَإِذَا مَسَّ الإنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾[٢].

كلّ غير معصوم يمكن له هذه الصفة بالضرورة، ولا شيء من الإمام له هذه الصفة بالضرورة؛ فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة، ينتج لا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة، وهو المطلوب.

وأُيّد بما في الكافي: سُئل أبو عبدالله عليه السلام عن هذه الآية، قال: نزلت في أبي الفصيل، وذلك أنّه كان رسول الله صلى الله عليه وآله عنده ساحر «فإذا مسّه الضرّ» يعني السقم «دعا ربّه منيباً إليه» يعني تائباً إليه من قوله في رسول الله، «فإذا خوّله نعمة منه» يعني: العافية «نسي ما كان يدعو إليه من قبل» يعني التوبة ممّا كان يقول في رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّه ساحر ولذلك قال له عزّ وجلّ: «قل تمتّع بكفرك قليلاً إنّك مِن أصحاب النار» يعني: بإمرتك على الناس بغير حقّ من الله ومن رسول الله.

ثمّ قال أبو عبدالله: ثمّ إنّه سبحانه عطف القول على عليّ عليه السلام يخبر بحاله وفضله عنده، فقال: **﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾** أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله بل يقولون إنّه ساحر كذّاب **﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾**[٣] وهم شيعتنا.

---

(١) تفسير الصافي ٤: ٣١٥، وراجع: المحاسن ١: ١٤٩ ح٦٥ باب ١٩ المعرفة ـ ط. دار الكتب الإسلاميّة ـ طهران.

(٢) الزمر (٣٩): ٨.

(٣) الزمر (٣٩): ٩.

ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام: هذا تأويله يا عمّار[١].

ويؤيّده أنّ قوله تعالى «أمّن هو قانت آناء الليل» الآية، في أميرالمؤمنين صلوات الله عليه وأنّ المعنيّ بها ما رواه أبو محمّد الحسن بن الحسن الديلمي رحمه الله عن رجاله مسنداً عن عمّار الساباطي عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ** ﴾ قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب[٢].

أخبر الله سبحانه بفضله وعبادته وعلمه وعمله وعظيم منزلته عنده. ثمّ قال سبحانه مخبراً عن علمه وعلم أولاده وجهل أعدائه وأضداده، وأنّ شيعتهم أُولو الألباب، فقال عزّ وجلّ: ﴿ **هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ** ﴾ قال: نحن الذين يعلمون وعدوّنا لا يعلمون، وشيعتنا أُولو الألباب[٣].

١٠٥١ ـ ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ﴾[٤].

الإمام داعي إلى الإنابة وزاجر عن عبادة الطاغوت وعبادة الشيطان وعن كلّ طغيان بالضرورة؛ لأنّه وضع لذلك، ولأنّ الله سبحانه أمر بإطاعته في كلّ الأحوال والأشخاص فلابدّ أن يكون داعياً إليه، زاجراً عن خلافه، وكلّ غير معصوم لا يمكن كذلك بالإمكان، فلا شيء من الإمام بغير معصوم.

---

(١) الكافي ٨: ٢٠٤ ح٢٤٦، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١٢١ ح٨، تفسير نور الثقلين ٤: ٤٧٨ ح١٦، تفسير البرهان ٤: ٦٩٦ ح٩١٦٥، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥١١ ح١.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥١٢ ح٢، وراجع: تفسير البرهان ٤: ٦٩٩ ح٩١٨١.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥١٢ ح٢ و٣.

(٤) الزمر (٣٩): ١٧.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي عبدالله عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها» ومن أطاع جبّاراً فقد عبده[١].

ويؤيّده ما تقدّم في أوّل الكتاب[٢]: أنّ الطاغوت من أسماء أعدائهم، وأنّ أولياءهم الذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها، وهم المنيبون إلى الله، ولهم البشرى فهم عباد الله[٣].

١٠٥٢ ـ ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾[٤].

في الألفين: وجه الاستدلال أنّ كثيراً من آيات القرآن والأحاديث مجملة وقد اختلفت الآراء في الأحسن منها اختلافاً عظيماً، وليس تقليد أحد المجتهدين أولى من العكس، والجمع بين الكلّ محال، والترك يستلزم العقاب، ولابدّ من شخص يفيد قوله اليقين في كلّ زمان بحيث يأخذون أهل ذلك الزمان من قوله، ولا يفيد إلّا قول المعصوم، فيجب ثبوت المعصوم[٥].

وأُيّد بما في الكافي عن الصادق عليه السلام قال: هم المسلِّمون لآل محمّد، الذين إذا سمعوا الحديث لم يزيدوا فيه ولم ينقصوا منه وجاؤوا به كما سمعوه[٦].

١٠٥٣ ـ ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِن رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ

---

(١) عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٦١ ح ٢٠.
(٢) راجع: بداية كتاب تأويل الآيات الظاهرة ح ٢ من مقدمة الكتاب ص ١٩.
(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥١٣ رقم ٦.
(٤) الزمر (٣٩): ١٧ ـ ١٨.
(٥) الألفين: ٣٩٨ الثامن والستون من أدلّة المائة التاسعة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.
(٦) الكافي ١: ٣٩٢ ح ٨ كتاب الحجّة ـ باب التسليم وفضل المسلمين، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥١٣ ح ٧، بحار الأنوار ٢: ١٥٨ ح ١ عن الاختصاص.

قُلُوبُهُم مِن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِى ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[١].

الإمام من الطائفة الذين شرح الله صدورهم بتنويره أو من الذين تقسوا قلوبهم عن ذكر الله، لا سبيل إلى الثاني مع وجود الأوّل أو إمكانه؛ لاستحالة الترجيح من دون مرجّح، فثبت أنّه من الطائفة الأُولى، فإن كانوا من المعصومين فثبت المطلوب؛ لاستحالة نصب غير المعصوم مع إمكانه وقدرته تعالى واحتياج الموادّ إليه.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: القمّي قال: نزلت في أميرالمؤمنين عليه السلام[٢].

وأُكّد بما في طريق العامّة عن الواحدي في أسباب النزول قال: قال عطاء في تفسيره: إنّها نزلت في عليّ وحمزة وما بعده في أبي لهب وولده[٣].

١٠٥٤و١٠٥٥ـ ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٤].

حاصله يرجع إلى نفي التسوية بين المعصوم الذي هو لا يمكن أن يشرك وبين غيره الذي يمكن أن يشرك، فتمّ بالشكل الثاني.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: معناه: أنّ هذا مثل ضربه الله سبحانه للمشرك والمؤمن، فمثل المشرك كمثل الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون، يعني مختلفون متشاجرون؛ لأنّه يعبد آلهة مختلفة من صنم ووثن ونجم وقمر وشمس

---

(١) الزمر (٣٩): ٢٢.

(٢) تفسير الصافي ٤: ٣١٩، وراجع: تفسير القمّي ٢: ٢٤٨، عنه في: تفسير البرهان ٤: ٧٠٦ ح ٩٢٠٠.

(٣) عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥١٣، وراجع: أسباب النزول للواحدي: ٢٠٥، وأخرجه في: البحار ٣٥: ٣٩٦ عن مناقب ابن شهر آشوب عن الواحدي.

(٤) الزمر (٣٩): ٢٩.

وغير ذلك من الآلهة، وكلّ واحد من هذه الآلهة يأمره وينهاه ويريده لنفسه دون غيره، ويكل كلّ منهم أمر ذلك الرجل إلى غيره فيبقى خالياً من المنافع، ضالاًّ عن الهدى، وهذا مثل ضربه الله لأعداء أهل البيت عليهم السلام لما يأتي بيانه.

وأمّا مثل المؤمن السالم من الشرك الذي لا يعبد إلّا إلهاً واحداً ـ وهو الله تعالى ـ ويتّبع رجلاً واحداً ـ وهو رسول الله صلى الله عليه وآله ـ فذلك أميرالمؤمنين عليه السلام على ما ذكره عليّ بن إبراهيم رحمه الله، قال: قوله عزّ وجلّ: «ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون» فإنّ هذا المثل لأعداء أميرالمؤمنين عليه السلام، والشركاء المتشاكسون: أعداؤه الذين ظلموه وغصبوا حقّه لقوله «شركاء متشاكسون» أي متباغضون له. ثمّ قال: «رجلاً سلماً لرجل» يعني: أميرالمؤمنين عليه السلام، لرجل يعني: رسول الله صلى الله عليه وآله «هل يستويان مثلاً بل أكثرهم لا يعلمون»[١].

وعن محمّد بن الحنفيّة عن أبيه صلوات الله عليه في قول الله عزّ وجلّ: «رجلاً سلماً لرجل» أنا ذلك الرجل السلم لرسول الله صلى الله عليه وآله[٢].

وعن حمران قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قول الله عزّ وجلّ: «وضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً» هو عليّ عليه السلام «لرجل» هو النبيّ صلى الله عليه وآله وشركاء متشاكسون أي مختلفون، وأصحاب عليّ عليه السلام مجتمعون على ولايته[٣].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: «ورجلاً سلماً لرجل»

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥١٢ ح٩، وانظر: تفسير علي بن إبراهيم ٢: ٢٤٩.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥١٥ ح١٠، وانظر: المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٢٩٩، بحار الأنوار ٢٤: ١٦١ ح١٠، تفسير الصافي ٤: ٣٢١ عن المجمع.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥١٥ ح١١، عنه في: تفسير البرهان ٤: ٨٠٧ ح٩٢١٠.

قال: الرجل السلم[1] لرجل يعني أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام وشيعته[2].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قوله عزّ وجلّ: «ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون» أمّا الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون فلان الأوّل يجمع المتفرّقون ولايته وهم في ذلك يلعن بعضهم بعضاً ويتبرّأ بعضهم من بعض، وأمّا الرجل السلم فإنّه أميرالمؤمنين[3] حقّاً وشيعته[4]. أي كلّ رجل من شيعته سالم لرجل وهو عليّ عليه السلام بغير مشارك له في ولايته ومحبّته وطاعته، وكذلك لذريّته وعترته.

رزقنا الله الجنّة بشفاعتهم وشفاعته وحشرنا في زمرتهم وزمرته[5].

١٠٥٦ و١٠٥٧ ـ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ * وَالَّذِى جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[6].

كلّ غير معصوم يمكن أن يكذب على الله ويكذّب بالصدق بالضرورة، ولا شيء من الإمام كذلك بالضرورة؛ فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة.

وأيضاً كلّ إمام جاء بالصدق وصدّق بالصدق؛ لأنّه تعالى أمر بطاعته فلو لم يكن صادقاً مصدّقاً به لزم كونه مكذّباً بالله تعالى والرسول، فإن كان تعالى رضي بذلك لزم محالات لا يحتاج إلى بيانها، وكلّ من جاء بالصدق وصدّق به

---

(١) في المصدر: «الرجل السالم لرجل علي عليه السلام وشيعته».

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥١٥ ح١٢، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١٦٠ ح٨، تفسير البرهان ٤: ٧٠٨ ح٩٢١١.

(٣) في الكافي: «فأما رجل سلم لرجل فإنّه الأوّل» بدل «وأما السلم لرجل فإنّه أميرالمؤمنين عليه السلام».

(٤) الكافي ٨: ٢٢٤ ح٢٨٣، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١٦٠ ح٩.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥١٥ ح١٣.

(٦) الزمر (٣٩): ٣٢ـ٣٣.

يكون معصوماً؛ لأنّه لو أخطأ لصدق عليه أنّه غير جاء بالصدق وغير مصدّق به في الواقع، هذا خلف؛ فكلّ إمام معصوم، وهو المطلوب.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: معناه: فمن أظلم ممّن كذب على الله ـ بأن ادّعى له ولداً وشريكاً ـ وكذّب بالصدق إذ جاءه، وهو قول النبيّ صلى الله عليه وآله في عليّ عليه السلام، على ما نقله ابن مردويه عن الجمهور بإسناد مرفوع إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنّه قال: الذي كذّب بالصدق هو الذي ردّ قول رسول الله صلى الله عليه وآله في عليّ عليه السلام[1].

ويؤيّده ما ذكره الشيخ في أماليه عن عليّ عليه السلام في قوله: «فمن أظلم ممّن كذب على الله وكذّب بالصدق إذ جاءه» قال: الصدق ولايتنا أهل البيت[2].

وأمّا قوله: «والذي جاء بالصدق وصدّق به» قال أبو عليّ الطبرسي قدّس الله روحه: إنّ الذي جاء بالصدق محمّد صلى الله عليه وآله، وصدّق به عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ عن مجاهد، ورواه الضحّاك عن ابن عبّاس، وهو المروي عن أئمّة الهدى من آل محمّد صلى الله عليه وآله[3].

ويؤيّده ما ذكره عليّ بن إبراهيم قال: قوله: «والذي جاء بالصدق» يعني: رسول الله صلى الله عليه وآله «وصدّق به» يعني: أميرالمؤمنين عليه السلام[4].

عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال أبو عبدالله في قول الله عزّ وجلّ: «والذي جاء

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥١٦ ح ١٤، أخرجه البحراني في: تفسير البرهان ٤: ٧١٠ ح ٩٢١٩ من طريق غيرنا عن ابن مردويه.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي: ٣٦٤ ح ١٧/٧٦٦ المجلس الثالث عشر، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥١٦ ح ١٥، بحار الأنوار ٢٤: ٣٧ ح ١١، ورواه أيضاً الإربلي في: كشف الغمّة ٢: ٢٥.

(٣) تفسير مجمع البيان ٨: ٤٠٠، عنه في: بحار الأنوار ٣٥: ٤١١ ح ٨، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥١٦ ح ١٦، تفسير البرهان ٤: ٧١١ ح ٩٢٢٦، تفسير نور الثقلين ٤: ٤٨٦ ح ٥١.

(٤) تفسير القمّي ٢: ١٤٩، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥١٧ ح ١٧، تفسير الصافي ٤: ٣٢٢.

بالصدق وصدّق به» قال: الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وصدّق به عليّ بن أبي طالب عليه السلام[١].

١٠٥٨ ـ ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُضِلٍّ﴾[٢].

ومن يضلل الله بعدم خلق الهداية فيه أو عدم إعطاء لطف زائد على ما هو شرط التكليف على ما قيل[٣]، فنقول: كلّ غير معصوم كذلك بالفعل، ولا شيء من الإمام كذلك بالضرورة؛ فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة[٤].

فإن قلت: هذه شرطيّة والشرطيّة لا تستلزم وقوع الطرفين كقوله: **﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾**[٥] مع عدم وقوع أحدهما، وأيضاً المقدّم هو من يضلل الله، وغير المعصوم لا يلزم بإضلال الله تعالى؛ لأنّه أعمّ من إضلاله تعالى، واستلزام الخاصّ ـ لما مرّ ـ لا يستلزم استلزام العام إيّاه.

قلت عن الأوّل: المحذور الضلال، وهو ممكن الوقوع من غير المعصوم بالفعل واقع منه في الجملة، أمّا صدور الإضلال من الله عند الإماميّة والمعتزلة محال، وأمّا عند أهل السنّة فجائز واقع فيكون المقدّم عندهم واقعاً، وأمّا عند المعتزلة فالضلال هو المحذور مطلقاً فإنّه هو المستلزم للتالي وهو الجواب عن الثاني؛ فتأمّل تعرف[٦].

١٠٥٩ ـ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥١٧ ح١٨، عنه في: تفسير البرهان ٤: ٧١٠ ح٩٢٢٢.

(٢) الزمر (٣٩): ٣٦ـ٣٧.

(٣) القائل هو العلّامة الحلّي في الألفين.

(٤) الألفين: ٤١٧ التاسع من أدلّة المائة العاشرة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٥) الأنبياء (٢١): ٢٢.

(٦) الألفين: ٤١٧ ذيل التاسع من أدلّة المائة العاشرة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام، وانظر أيضاً: نهج الحق وكشف الصدق: ٧٥، مقالات الإسلاميّين: ٢٦٢.

الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[١].

كلّ غير معصوم يمكن أن يكون له هذه الصفة المذكورة، ولا شيء من الإمام له هذه الصفة بالضرورة؛ فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن حنان بن سدير عن أبيه قال: سمعت صامتاً بيّاع الهروي وقد سأل أبا جعفر عن المرجئة، فقال: صلّ معهم واشهد جنائزهم، وعُد مرضاهم، وإذا ماتوا فلا تستغفر لهم، فإنّا إذا ذُكِرَنا عندهم اشمأزّت قلوبهم، وإذا ذُكِر من دوننا إذا هم يستبشرون[٢].

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية، فقال: إذا ذكر الله وحده (بطاعة من أمر الله بطاعته من آل محمّد صلى الله عليه وآله) اشمأزّت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة، وإذا ذكر الذين لم يأمر الله بطاعتهم إذا هم يستبشرون[٣].

١٠٦٠ ـ ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾[٤].

هؤلاء الذين يغفر الله ذنوبهم بعدم القنوط، لابدّ أن يكونوا معتقدين بالإمام وما سواه بأنّه أُصول الديانات؛ ليستعدّوا بذلك الغفران، وإلّا لما فرّق بينهم وبين الذين كفروا وظلموا في أوقات دهرهم، فلو كان مخطئاً لكان الاعتقاد بالمخطئ من جهة أخطائه واجباً وسبباً لحطّ الذنوب واستحالته ظاهرة.

---

(١) الزمر (٣٩): ٤٥.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥١٧ ح١٩، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٦٢ ح٢١، تفسير البرهان ٤: ٧١٤ ح٩٢٣٧.

(٣) الكافي ٨: ٣٠٤ ح٤٧١، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٦٨ ح٣٩، تفسير الصافي ٤: ٣٢٤، تفسير نور الثقلين ٤: ٤٩٠ ح٦٦، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥١٧ ح٢٠.

(٤) الزمر (٣٩): ٥٣.

وبوجه آخر: الإمام إمّا أن يكون مذنباً كهؤلاء المذكورين في الآية أو غير مذنب أصلاً؛ لا يجوز الأوّل لأنّ الإمام قوله حجّة ولا شيء من المذنب قوله حجّة. أمّا الصغرى؛ فلأنّ الإمامة مبنيّة على ذلك وإلّا لم ينتظم أمر الجهاد وإلّا لانتفت فائدة الإمام. وأمّا الكبرى؛ فلقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ** ﴾[١]، فلو كان الإمام من هؤلاء المسرفين لزم أمره سبحانه بإطاعة المسرف، وقد نهى عنه؛ فيلزم اجتماع الضدّين أو النقيضين أو خروج الواجب عن كونه واجباً.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: القمّي قال: نزلت في شيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام خاصّة[٢].

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: لقد ذكركم الله في كتابه إذ يقول: «يا عبادي» الآية، قال: والله ما أراد بهذا غيركم[٣].

وفي المعاني والقمّي عن الباقر عليه السلام قال: في شيعة ولد فاطمة صلوات الله عليها أنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية خاصّة[٤].

وفي المحاسن عن الصادق عليه السلام: ما على ملّة إبراهيم [أحد][٥] غيركم، وما يقبل إلّا منكم، ولا يغفر الذنوب إلّا لكم[٦].

---

(١) النساء (٤): ٥٩.

(٢) تفسير الصافي ٤: ٣٢٥، وانظر: تفسير القمّي ٢: ٢٥٠.

(٣) الكافي ٨: ٣٥ ح٦.

(٤) معاني الأخبار: ١٠٧ ح٤، وراجع: تفسير القمّي ٢: ٢٥٠، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٨٠ ح١٦ وفي تفسير البرهان ٤: ٧١٦ ح٩٢٤١ عن القمّي.

(٥) ما بين المعقوفتين أضفناه من المصدر.

(٦) المحاسن ١: ١٤٧ ح٥٦ باب ١٦ ما على ملّة إبراهيم غيركم، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٣٢٥.

وفي تأويل الآيات الظاهرة عنه عليه السلام: والله ما أراد بهذا غيركم، فقال لأبي بصير: يا أبا محمّد، فهل سررتك؟ فقال: نعم[١].

وعنه عليه السلام لأبي بصير في هذه الآية، فقال: إنّ الله يغفر لكم جميعاً الذنوب. قال: فقلت: ليس هكذا نقرأ، فقال عليه السلام: يا أبا محمّد، فإذا غفر الذنوب جميعاً فلمن يعذّب! والله ما عنى من عباده غيرنا وغير شيعتنا، وما نزلت إلّا هكذا: إنّ الله يغفر لكم جميعاً الذنوب[٢].

١٠٦١ ـ ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾[٣].

فيه تحذير عن التفريط في طاعة الله، فلو لم يبيّن الطاعة والمعصية لما تمّت الحجّة والفائدة، فيجب بيانه وهو ليس إلّا بمعصوم هو الإمام عليه السلام، فمعناه أي اتّقوا واحذروا يوم القيامة «أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرّطت» أي قصّرت بالتضييع والإهمال فيما يجب علَيّ فعله «في جنب الله« أي قرب الله وجواره أو في طاعته أو الوسائل إليه «وإن كنت من الساخرين» أي من المستهزئين بالنبيّ وآله صلوات الله عليهم، أو بالقرآن وبالمؤمنين.

وأُيّد بما في الكافي: عن الكاظم عليه السلام في هذه الآية، قال: جنب الله أميرالمؤمنين، وكذلك من كان بعده من الأوصياء بالمكان الرفيع إلى أن ينتهي

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥١٩ ح٢٢، ورواه الكليني في: الكافي ٨: ٣٥ ضمن حديث ٦، والمجلسي في: البحار ٢٤: ٢٦٠ ح١٢ عن تأويل الآيات، والصدوق في: فضائل الشيعة: ٢٣ ضمن الحديث السابع عشر ط. منشورات عابدي ـ طهران.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥١٩ ح٢٣، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٦٠ ح١٣، تفسير البرهان ٤: ٧١٦ ح٩٢٤٤.

(٣) الزمر (٣٩): ٥٦.

الأمر إلى آخرهم[١].

وفي تفسير الصافي: في الإكمال والعيّاشي عن الباقر عليه السلام: نحن جنب الله[٢].

وفي المناقب عنه وعن أبيه صلى الله عليه وآله في هذه الآية: جنب الله عليّ وهو حجّة الله على الخلق إلى يوم القيامة[٣].

وعن الرضا عليه السلام قال: في ولاية عليّ عليه السلام[٤].

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام: أنا جنب الله[٥].

وفي تأويل الآيات الظاهرة: عن الصادق في هذه الآية قال: والله خلقنا من نور جنب الله، وذلك قول الكافر إذا استقرّت به الدار: «يا حسرتا على ما فرّطت في جنب الله».

يعني: ولاية محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله[٦].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: أنا جنب الله، وأنا حسرة الناس يوم القيامة[٧].

---

(١) الكافي ١: ١٤٥ ح٩ كتاب التوحيد ـ باب النوادر، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٣٢٦، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٢٠ ح٢٦، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١٩٣ ح١٠، ورواه الصفّار في: بصائر الدرجات: ٨٤ ح١٢ باب ٤ في الأئمّة من آل محمّد صلى الله عليه وآله أنّهم وجه الله.

(٢) تفسير الصافي ٤: ٣٢٦، وراجع: كمال الدين: ٢٠٦ ح ٢٠، عنه في: تفسير نور الثقلين ٤: ٤٩٤ ح٨٣، ورواه في: تفسير نور الثقلين أيضاً ٤: ٤٩٦ ح٩٣ عن العيّاشي.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٦٤، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٣٢٦، بحار الأنوار ٣٩: ٨٨.

(٤) تفسير الصافي ٤: ٣٢٦.

(٥) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٦٥، بحار الأنوار ٢٤: ١٩١ ح٥. وقال الشيخ الصدوق في: التوحيد: ١٦٥: فمعنى قول أميرالمؤمنين عليه السلام: أنا جنب الله، أي أنا الذي ولايتي طاعة الله عزّوجلّ.

(٦) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٢٠ ـ ٥٢١ ح٢٧، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١٩٢ ح٩.

(٧) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٢٠ ح٢٥، عنه في: بحار الأنوار ٣٦: ١٥٠ ح١٢٨، وانظر ما ذكره ⇐

١٠٦٢ ـ ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[١].

كلّ غير معصوم يكذب على الله بالفعل، ولا شيء من الإمام يكذب على الله بالضرورة؛ فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة.

وأيّد بما في تفسير الصافي: القمّي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية، قال: من ادّعى أنّه إمام وليس بإمام. قيل: وإن كان علويّاً فاطميّاً؟ قال: وإن كان علويّاً فاطميّاً[٢].

وفي الكافي والعيّاشي مثله[٣].

وفي تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي عبدالله عليه السلام يقول: من حدّث عنّا بحديث فنحن سائلوه عنه يوماً؛ فإن صدق علينا فإنّما يصدق على الله وعلى رسوله، وإن كذب علينا فإنّما يكذب على الله ورسوله؛ لأنّا إذا حدّثنا لا نقول: قال فلان وفلان وإنّما نقول قال الله وقال رسوله، ثمّ تلا هذه الآية، ثمّ أشار خيثمة إلى أُذنيه وقال: صمّتا إن لم أكن سمعته[٤].

١٠٦٣ ـ ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

⇐ العلّامة المجلسي في ذيل الحديث في بيان المراد بالجنب بالإضافة إلى ما تقدّم الإشارة إليه في: توحيد الصدوق.

(١) الزمر (٣٩): ٦٠.

(٢) تفسير الصافي ٤: ٣٢٧، وراجع: تفسير القمّي ٢: ٢٥١.

(٣) الكافي ١: ٣٧٢ ح ١ و ٢ كتاب الحجّة ـ باب من ادّعى الإمامة وليس لها بأهل، وعنه في: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٢٢ ح ٣١، وفي تفسير الصافي ٤: ٣٢٧ عن العيّاشي والكافي.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٢١ ح ٣٠ أخرجه عن العيّاشي، بحار الأنوار ٧: ١٦٠ عن العيّاشي أيضاً. ولكن لم نجده في: تفسير العيّاشي المطبوع.

وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[١].

الاستدلال بذلك بالشكل الثاني ظاهر.

وفي تفسير الصافي: القمّي: هذه مخاطبة للنبيّ والمعنى لأُمّته، وهو ما قال الصاق عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ بعث نبيّه بإيّاك أعني واسمعي يا جارة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾[٢] وقد علم أنّ نبيّه يعبده ويشكره ولكن استعبد نبيّه بالدعاء إليه تأديباً لأُمّته[٣].

وعن الباقر عليه السلام أنّه سُئِل عن هذه الآية فقال: تفسيرها: لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية عليّ من بعدك ليحبطنّ عملك ولتكوننّ من الخاسرين[٤].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام يعني إن أشرك في الولاية غيره، قال: «بل الله فاعبد وكن من الشاكرين» يعني بل الله فاعبد بالطاعة، وكن من الشاكرين أن عضدتك بأخيك وابن عمّك[٥].

وفي تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي موسى المشرقاني قال: كنت عنده وحضره قوم من الكوفيّين فسألوه عن قول الله عزّ وجلّ: «لئن أشركت ليحبطنّ عملك»، فقال: ليس حيث يذهبون[٦]، إنّ الله عزّ وجلّ حيث أوحى إلى نبيّه صلى الله عليه وآله

---

(١) الزمر (٣٩): ٦٥.

(٢) الزمر (٣٩): ٦٦.

(٣) تفسير الصافي ٤: ٣٢٨، وراجع: تفسير القمّي ٢: ٢٥١.

(٤) تفسير الصافي ٤: ٣٢٨، وروي أيضاً في: تفسير القمّي ٢: ٢٥١، وعنه في: بحار الأنوار ١٧: ٨٤ ذيل الحديث ٩، تفسير نور الثقلين ٤: ٤٩٨ ح ١٠٥.

(٥) الكافي ١: ٤٢٧ ح ٧٦ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٨٠ ح ٦٩، تفسير الصافي ٤: ٣٢٨، تفسير نور الثقلين ٤: ٤٩٨ ح ١٠٣.

(٦) في البحار: «تذهبون».

أن يقيم عليّاً عليه السلام للناس عَلَماً اندسّ إليه معاذ بن جبل فقال: أشرك في ولايته[١]؛ حتّى يسكن الناس إلى قولك ويصدّقوك، فلمّا أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ**﴾[٢] شكا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جبرئيل عليه السلام فقال: إنّ الناس يكذّبوني ولا يقبلون منّي، فأنزل الله عزّ وجلّ: «لئن أشركت» الآية[٣].

١٠٦٤ ـ ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٤].

بيان الاستدلال: أنّه لو كان لم ينصّ بإمام معصوم لكلّ فرقة فلهم الحجّة، فالحقّ حينئذٍ عدم العذاب على ما تركوا من أوامر الله وارتكبوا من نواهيه، لكن الله تمّ الحجّة بالإجماع والنصّ؛ فيجب نصبه.

وأُيّد بما في تفسير عليّ بن إبراهيم، قال: يعني كلّ نبيّ مع أُمّته والشهداء الأئمّة، والدليل على أنّهم الأئمّة قوله تعالى في سورة الحجّ: ﴿**لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾[٥].[٦]

١٠٦٥ ـ ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[٧].

الإمام داع إلى هذا بالضرورة، ولا شيء من غير المعصوم داع إلى هذا الموجب

---

(١) في المصدر زيادة: الأوّل والثاني.

(٢) المائدة (٥): ٦٧.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٢٢ ح ٣٢، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٦٢ ح ٢٢.

(٤) الزمر (٣٩): ٦٩.

(٥) الحجّ (٢٢): ٧٨.

(٦) انظر: تفسير القمّي ٢: ٢٥٣، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٢٣ ح ٣٥، تفسير البرهان ٤: ٧٣٥ ح ٩٢٩٥.

(٧) الزمر (٣٩): ٧٣.

بالإمكان؛ فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة.

والمعنى: طبتم أي طهرتم من دنس المعاصي والكدورات الجسماني بتقليد أنفاس الشهواني بسيوف العقلاني ولذلك طابت مواليدكم ونتائجكم، وبالتالي استحقتم هذه المرتبة بطيب الولادة، ولأنّه لا يدخل الجنّة إلّا طيّب المولد، وأنّ أعداءكم ليس لهم طيب الولادة على ما في الأخبار المستفيضة فلن يدخلوها.

وأُيّد هذا بما رواه في تأويل الآيات الظاهرة: عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: فلاناً وفلاناً غصبوا حقّنا واشتروا به الإماء وتزوّجوا به النساء، ألا وإنّا قد جعلنا شيعتنا من ذلك في حلّ لتطيب مواليدهم(١).

وفي الخصال: عن الصادق عن أبيه عن جدّه عن عليّ عليهم السلام قال: إنّ للجنّة ثمانية أبواب: باب يدخل منه النبيّون والصدّيقون، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون، وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبّونا. فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول: ربِّ سلِّم شيعتي ومحبّي وأنصاري وأوليائي ومن تولّاني في دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أُجيبت دعوتك وشُفِّعْتَ في شيعتك، ويشفع كلّ رجل من شيعتي ومن تولّاني ونصرني وحارب من حاربني بقول أو فعل في سبعين ألفاً من جيرانه وأقربائه، وباب يدخل منه سائر المسلمين ممّن يشهد أن لا إله إلّا الله ولم يكن في قلبه مثقال ذرّة من بغضنا أهل البيت عليهم السلام(٢).

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٢٤ ح٣٦، تفسير نور الثقلين ٤: ٥٠٧ ح١٤١ عن تفسير علي بن إبراهيم.

(٢) الخصال: ٤٠٨ ح٦، عنه في: بحار الأنوار ٨: ٣٩ ح١٩، تفسير الصافي ٤: ٣٣٢، تفسير نور الثقلين ٤: ٥٠٥ ح١٢٩.

وأُيّد أيضاً بما روي في تفسير قوله تعالى بعد هذه الآية قال: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾[1] عن الكراجكي رحمه الله في كنز الفوائد بإسناده عن رجاله مرفوعاً إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة يقبل قوم على نجائب[2] من نور ينادون بأعلى أصواتهم: الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا أرضه نتبوّأ من الجنّة حيث نشاء. قال: فيقول الخلائق: هذه زمرة الأنبياء، فإذا النداء من قِبَل الله عزّ وجلّ: هؤلاء شيعة عليّ بن أبي طالب فهو صفوتي من عبادي وخيرتي من بريّتي. فيقول الخلائق: إلهنا وسيّدنا، بما نالوا هذه الدرجة؟ فإذا النداء من الله: تختّمهم في اليمين، وصلاتهم إحدى وخمسين، وإطعامهم المسكين، وتعفيرهم الجبين، وجهرهم ببسم الله الرّحمٰن الرّحيم[3].

وقوله: ﴿**وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[4].

وتأويله ورد من طريق العامّة في أحاديث عليّ بن الجعد، عن قتادة، عن أنس ابن مالك في تفسير قوله تعالى: «وترى الملائكة حافّين من حول العرش يسبّحون بحمد ربّهم» قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا كانت ليله المعراج نظرت

---

(١) الزمر (٣٨): ٧٤.

(٢) النجائب: جمع نجيبة، تأنيث النجيب وهو الفاضل من كلّ حيوان. وقد نجب نجابة، إذا كان فاضلاً نفيساً في نوعه. النهاية في غريب الحديث والأثر ٥: ١٧ «نجب».

(٣) عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٢٤ ح٣٨ وكذلك في: بحار الأنوار ٣٦: ٦٩ ح١٦، ولكن لم نجده في المطبوع من المصدر المذكور (كنز الفوائد للكراجكي)، ورواه أيضاً المحدّث البحراني في: الحدائق الناضرة ٨: ١٨١ في بحث البسملة في الصلاة.

(٤) الزمر (٣٩): ٧٥.

تحت العرش أمامي فإذا أنا بعليّ بن أبي طالب قائم أمامي تحت العرش يسبّح الله ويقدّسه، فقلت: يا جبرئيل، سبقني عليّ بن أبي طالب إلى هاهنا؟ قال: لا ولكنّي أُخبرك يا محمّد أنّ الله عزّ وجلّ يكثر الثناء والصلاة على عليّ بن أبي طالب من فوق عرشه فاشتاق العرش إلى رؤية عليّ فخلق الله هذا الملك على صورة عليّ ابن أبي طالب تحت العرش فيسكن شوقه، وجعل الله سبحانه تسبيح هذا الملك وتقديسه وتمجيده لشيعة أهل بيتك يا محمّد[(١)].

فعلى محمّد وأهل بيته أفضل الصلاة وأكمل التسليم، ما نسمت هبوب، وهبّت نسيم.

سورة غافر وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

١٠٦٦ ـ ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[(٢)].

الإمام عليه السلام نُصب ليعرِّفهم ما يحترزون من عذاب الجحيم وما يحصلون به التوبة بطريق النجاة والغفران بالضرورة، ولا شيء من غير المعصوم يفعل ذلك بالإمكان؛ فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن الأصبغ بن نباتة قال: إنّ عليّاً عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أُنزل عليه فضلي من السماء وهي هذه الآية: «الذين يحملون

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٢٥ ح ٤٠، وراجع: نهج الإيمان لابن جبر: ٦٣٤، المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٧٣، بحار الأنوار ٣٩: ٩٧ ح ٩.

(٢) غافر (٤٠): ٧.

العرش» الآية، وما في الأرض يومئذٍ مؤمن غير رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا وهو قوله صلى الله عليه وآله: لقد استغفرت لي الملائكة قبل جميع الناس من أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله[1] سبع سنين وثمانية أشهر[2].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال عليّ عليه السلام: لقد مكثت الملائكة سبع سنين وأشهر لا يستغفرون إلّا لرسول الله صلى الله عليه وآله ولي، وفينا نزلت هذه الآيات: «الذين يحملون العرش ومن حوله» إلى قوله تعالى: «إنّك أنت العزيز الحكيم»، فقال قوم من المنافقين: مَنْ أبو عليّ وذريّته الذي أُنزلت فيه هذه الآية؟ فقال عليّ عليه السلام: سبحان الله، أما من آبائنا إبراهيم وإسماعيل، هؤلاء آباؤنا[3].

وعن عبد الرّحمٰن عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ سبع سنين لأنّا كنّا نصلّي وليس معنا أحد غيرنا[4].

وعن أبي بصير قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا أبا محمّد، إنّ لله ملائكة تسقط الذنوب عن ظهر شيعتنا كما تسقط الريح الورق من الشجر أوان سقوطه، وذلك قوله عزّ وجلّ: «ويستغفرون للذين آمنوا» واستغفارهم والله لكم دون هذا الخلق، يا أبا محمّد فهل سررتك؟ قال: فقلت: نعم[5].

---

(١) في المصدر ـ هنا ـ وضع بين معقوفتين: «وأنا ابن» نقلاً عن بعض النسخ.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٢٦ ح ١، وانظر: تفسير البرهان ٤: ٧٤٦ ح ٩٣١٥.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٢٦ ح ٢، وراجع: تفسير البرهان ٤: ٧٤٦ ح ٩٣١٦، بحار الأنوار ٢٤: ٢٠٩ ح ٣.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٢٧ ح ٣ وراجع: مناقب الإمام علي عليه السلام لابن سليمان الكوفي ١: ٢٨٦ ط. مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة، المناقب لابن شهر آشوب ١: ٢٩٨، العمدة لابن البطريق: ٦٥ ح ٧٨، بحار الأنوار ٢٤: ٢٠٩ ح ٤، ينابيع المودّة ١: ١٩٦ ح ٢٣.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٢٨ ح ٤، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٠٩ ح ٥، تفسير البرهان ٤: ٧٤٧ ح ٩٣١٩، ورواه الصدوق في: فضائل الشيعة: ٢٢.

وفي حديث آخر بالإسناد المذكور وذاك قوله عزّ وجلّ: «ويستغفرون للذين آمنوا» إلى قوله عزّ وجلّ: «عذاب الجحيم» فسبيل الله عليّ عليه السلام والذين آمنوا أنتم ما أراد غيركم[١].

وذكر عليّ بن إبراهيم رحمه الله في تفسيره في ذكر الملائكة قال: حدّثني أبي، عن سليمان المنقري، عن حمّاد بن عيسى، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه سُئِل: الملائكة أكثر أم بنو آدم؟ فقال: والذي نفسي بيده لملائكة الله في السماوات أكثر من عدد التراب في الأرض، وما في السماء موضع قدم إلّا وفيه ملك يسبّحه ويقدّسه، ولا شجرة ولا عودة إلّا وفيها ملك موكّل يأتي في كلّ يوم بعملها والله أعلم بها، وما منهم أحد إلّا يتقرّب إلى الله [بولايتنا] أهل [البيت] ويستغفر لمحبّينا ويلعن أعداءنا ويسأل الله أن يرسل العذاب عليهم إرسالاً[٢].

ومن التأويل: وروي عن عمرو بن شمر، عن جابر بن يزيد قال: قال أبو جعفر عليه السلام: قول الله عزّ وجلّ: ﴿**وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ**﴾[٣] يعني بني أُميّة الذين كفروا وهم أصحاب النار، ثمّ قال: «الذين يحملون العرش» يعني الرسول والأوصياء من بعده عليهم السلام يحملون علم الله عزّوجلّ، ثمّ قال: «ومن حوله» يعني الملائكة «يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون للذين آمنوا» وهم شيعة آل محمّد صلى الله عليه وآله «يقولون ربّنا وسعت كلّ شيء رحمةً وعلماً

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٢٨ ح ٥، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢١٠ ح٦، تفسير البرهان ٤: ٧٤٧ ح ٩٣١٩.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٢٨ ح٦، وراجع: تفسير القمّي ٢: ٢٥٥، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢١٠ ح٧، تفسير البرهان ٤: ٧٤٧ ح ٩٣٢٠.

(٣) غافر (٤٠): ٦.

فاغفر للذين تابوا» من ولاية هؤلاء وبني أُميّة «واتّبعوا سبيلك» وهو أميرالمؤمنين «وقهم عذاب الجحيم» ﴿ **رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ** ﴾[١] والسيّئات بنو أُميّة وغيرهم وشيعتهم، ثمّ قال: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ يعني بني أُميّة ﴿ **يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ** ﴾[٢]. ثمّ قال: ﴿ **ذٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِىَ اللَّهُ** ﴾ بولاية عليّ ﴿ **وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ** ﴾ يعني بعليّ ﴿ **تُؤْمِنُوا** ﴾ أي إذا ذكر إمام غيره تؤمنوا به ﴿ **فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِىِّ الْكَبِيرِ** ﴾[٣].[٤]

وعن أبي جعفر عليه‌السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿ **ذٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِىَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ** ﴾ بأنّ لعليّ ولاية ـ وإن يشرك به ـ من ليست له ولاية ﴿ **تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِىِّ الْكَبِيرِ** ﴾.[٥]

وعن أبي عبدالله عليه‌السلام في قوله تعالى: ﴿ **قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ** ﴾[٦] فقال: فأجابهم الله تعالى: ﴿ **ذٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِىَ اللَّهُ وَحْدَهُ** ﴾ وأهل الولاية ﴿ **كَفَرْتُمْ** ﴾ بأنّه كانت لهم ولاية ﴿ **وَإِن يُشْرَكْ بِهِ** ﴾ من ليست لهم ولاية ﴿ **تُؤْمِنُوا** ﴾ بأنّ لهم ولاية ﴿ **فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِىِّ الْكَبِيرِ** ﴾.[٧]

---

(١) غافر (٤٠): ٨ـ٩.

(٢) غافر (٤٠): ١٠.

(٣) غافر (٤٠): ١٢.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٢٨ـ٥٢٩ ح٧، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٦٣ ح٢٣.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٣٠ ح١١، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٦٤ ح٢٤.

(٦) غافر (٤٠): ١١.

(٧) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٣١ ح١٢، عنه: في بحار الأنوار ٢٣: ٣٦٤ ح٢٥، تفسير البرهان ٤: ٧٥٠ ح٩٣٣١.

وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «الذين يحملون العرش» الآية، قال: يعني الملائكة «يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون للذين آمنوا» يعني شيعة محمّد وآل محمّد «ربّنا وسعت كلّ شيء رحمةً وعلماً فاغفر للذين تابوا» من ولاية الطواغيت الثلاثة ومن بني أُميّة «واتّبعوا سبيلك» يعني ولاية عليّ وهو السبيل(١).

١٠٦٧ ـ ﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ﴾(٢).

إنّه تعالى علّق الرحمة على تقوى السيّئات، وغير المعصوم بالفعل لا يستحقّ الرحمة؛ لأنّه فاعل السيّئة فهو مستحقّ للعقاب فلا يجب رحمته، ولا شيء من غير المعصوم بمتّق، والإمام إنّما نُصِبَ للدعوة إلى التقوى وترك السيّئات والحمل إلى الطاعات فلا يمكن أن يكون غير متّق فلا يمكن أن يكون غير معصوم، ولأنّه قام مقام النبيّ صلى الله عليه وآله والنبيّ رحمة لما قال تعالى ذلك في حقّه من قام مقامه يقتضيه التسوية فلو صدر عنه السيّئة لتنافى بين هذا وذاك.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: القمّي: «الذين يحملون العرش» يعني رسول الله صلى الله عليه وآله والأوصياء من بعده عليهم السلام يحملون علم الله «ومن حوله» يعني الملائكة «للذين آمنوا» يعني شيعة آل محمّد «للذين تابوا» من ولاية فلان وفلان وبني أُميّة «واتّبعوا سبيلك» أي ولاية وليّ الله «ومن صلح» يعني: من تولّى عليّاً فذلك صلاحهم «فقد رحمته» يعني يوم القيامة «وذلك هو الفوز العظيم» لمن نجّاه الله من هؤلاء من ولاية فلان وفلان(٣).

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٣١ ح١٣، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٦٤ ح٢٦، تفسير البرهان ٤: ٧٤٩ ح٩٣٢٦.

(٢) غافر (٤٠): ٩.

(٣) تفسير الصافي ٤: ٣٣٥، وراجع: تفسير القمّي ٢: ٢٥٥، وعنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٨٩ ح٥.

١٠٦٨ ـ ﴿ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ﴾[١].

الاستدلال به على طريق الشكل الثاني ظاهر.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: القمّي عن الصادق عليه السلام يقول: «إذا ذكر الله وحده» بولاية من أمر الله تعالى بولايته «كفرتم وإن يشرك به» من ليست له ولاية تؤمنون بأنّ له ولاية[٢].

وفي الكافي: «إذا دُعي الله وحده» وأهل الولاية «كفرتم»[٣].

١٠٦٩ ـ ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾[٤].

في الألفين: المأمور به مراد على ما ثبت في الأُصول[٥] وأمّا كلام الأشاعرة[٦] فقد أبطلناه في كتبنا الأُصوليّة[٧]، فمحال أن يأمر بطاعة غير المعصوم؛ لأنّه قد يأمر بالظلم للعباد، والإمام أمر الله بطاعته؛ فلا شيء من غير المعصوم بإمام[٨].

١٠٧٠ ـ إلى ١٠٧٣ ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾[٩].

وهذا مثل قوله تعالى: **﴿ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ ﴾**[١٠]، واستدلّ العلّامة في

---

(١) غافر (٤٠): ١٢.

(٢) تفسير الصافي ٤: ٣٣٦، وراجع: تفسير القمّي ٢: ٢٥٦، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٥٧ ح٧.

(٣) الكافي ١: ٥٢١ ح٤٦ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٣٣٦.

(٤) غافر (٤٠): ٣١.

(٥) انظر: الذريعة إلى أُصول الشريعة ١: ٤١ و٥٢، العدّة في أُصول الفقه ١: ١٧٠.

(٦) راجع: هامش المصدر في توضيح ذلك، وراجع: المعتمد في أُصول الفقه ١: ٥٠ ـ ٥١، شرح اللمع ١: ٢٠٦، المنخول: ١٠٤ ـ ١٠٨، ميزان الأُصول ١: ٢٠٥ ـ ٢١٣.

(٧) انظر: تهذيب الوصول إلى علم الأُصول: ٩٤، ٩٥.

(٨) الألفين: ١١٦ الحادي عشر من أدلّة المائة الثانية الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٩) غافر (٤٠): ٣٣.

(١٠) الأعراف (٧): ١٨٦.

كتابه الألفين بهذه بأوجه:

الأوّل: يتوقّف على مقدّمات:

الأُولى: أنّ عدم المعلول لعدم علّته، فعدم العلّة هي علّة العدم.

الثانية: أنّ الوهم هو سبب الضلال؛ لأنّه هو الذي يعارض العقل في كثير من المقدّمات وغلبة الشهوات وسببها البعيد القوّة الشهوانيّة، فخلق الله تعالى العقل للمكلّف بحيث يتمكّن المكلّف من إبطال قضايا الوهم الباطلة ومقتضى الشهوات والقوى الغضبيّة، ثمّ قد نراها في كثير من الناس يقهر عقله ويذعن لها بالطاعة أكثر، وإذا قايسنا المطيع للقوّة الشهويّة والغضبيّة والوهميّة المرجّح لها على القوّة العقليّة إلى مرجّح القوّة العقليّة، وجدنا الأوّل أكثر من الثاني بأضعاف مضاعفة، وكلّ ذلك سبب عدم العصمة، فلو لم يوجد رئيس معصوم يردع المطيع لقوّته الشهويّة، ويلزم كلّ مكلّف في كلّ وقت بالحقّ؛ لزم الضلال.

الثالثة: أنّ ﴿**هَادِىَ**﴾ نكرة دخل النفي عليها، فيلزم عمومها[1] فينتفي كلّ هاد.

الرابعة: قوله ﴿**يُضْلِلِ**﴾ نكرة في معرض إثبات فلا يعمّ؛ فيلزم أنّه تعالى إن أضلّ مطلقاً لم يكن له هادٍ ولا نبيّ ولا إمام ولا غيره.

الخامسة: قد بيّنّا[2] أنّ المعصوم من فعله وهو سبب ركوب طريق الصواب والصحّة، فلو لم يوجده الله تعالى كان الله تعالى سبباً لعدم المعصوم، وعدم المعصوم هو سبب الضلال، فيلزم أن يكون الله تعالى سبباً للضلال، تعالى الله وتقدّس عن ذلك.

إذا تقرّر ذلك فنقول: لو لم يكن المعصوم موجوداً في كلّ زمان وعصر بحيث

---

(١) العدّة في أُصول الفقه ١: ٢٧٥، مبادئ الوصول إلى علم الأُصول: ١٢٢.

(٢) بيّنه (العلّامة) في الدليل السادس والخمسين من هذه المائة (التاسعة).

لا يخلو وقت منه لزم ضلال المكلّفين لتحقّق علّة الضلال لهم، ويكون المضلّ هو الله تعالى، فيلزم أن لا يكون لهم هادٍ، فيلزم انتفاء فائدة البعثة وإمامة غير المعصوم، ويلزم أن لا يكون غير المعصوم إماماً، فتبطل إمامة غير المعصوم، وهو المطلوب[١].

الثاني: عدم عصمة الإمام ملزوم للمحال وهو كلّ ما هو ملزوم للمحال فهو محال؛ فعدم عصمة الإمام محال. أمّا بيان الملازمة فلأنّا قد بيّنّا في الدليل المتقدّم أنّه متى خلا الزمان من المعصوم بحيث لم يكن معصوماً أصلاً لزم صدور ذنب من كلّ واحد من المكلّفين، فيكون ضالاً وقد أضلّه الله، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، ومتى أضلّه الله لم يهده لصدق لا شيء من هادٍ له؛ لما تقدّم من عموم نفي «فما له من هادٍ» فلو هداه الله في كلّ وقت لكان له هاد، الموجبة الجزئيّة تناقض السالبة الكليّة[٢]، وقد صدقت السالبة الكليّة، فتكذب الموجبة الجزئيّة، فلا يهتدي بالنبيّ، ولا الإمام يهديه، فتنتفي فائدة البعثة وفائدة نصب الإمام، وهذا محال. وأمّا استحالة كلّ ما استلزم المحال فظاهر[٣].

الثالث: كلّ ما انتفى المعصوم انتفى الإمام مطلقاً، ونفي الإمام مطلقاً لا يجوز، فنفي المعصوم لا يجوز. أمّا الملازمة فلأنّا قد بيّنّا[٤] فيما تقدّم أنّ نفي المعصوم يستلزم إضلال الله تعالى لمن يعمل ذنباً فإن لم يوجد من يعمل ذنباً أصلاً ثبت المعصوم، وهو المطلوب. وإن وجد فالله قد أضلّه فينتفي عنه كلّ هاد له لما تقدّم

---

(١) الألفين: ٣٩١ الثامن والخمسون من أدلّة المائة التاسعة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٢) انظر: الجوهر النضيد: ٧٥، القواعد الجلية في شرح الرسالة الشمسية: ٢٩٣.

(٣) الألفين: ٣٩٢ التاسع والخمسون من أدلّة المائة التاسعة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٤) بيّنه في المقدّمة الخامسة من الدليل الثامن والخمسين وفي الدليل التاسع والخمسين من هذه المائة (التاسعة).

من عموم قوله «فما له من هاد» في زمان من الأزمنة، بل ينتفي عنه دائماً؛ لأنّ له نكرة ورد عليها النفي، وكلّ نكرة ورد عليه النفي فهي للعموم[١] فتعمّ في الأزمان والأشخاص. وأمّا استحالة اللازم فلما بيّنّا من وجوب نصب الإمام أمّا عندنا فعقلاً، وأمّا عند أهل السنّة فشرعاً، وبالجملة فقد تقدّم البرهان على استحالته[٢].

١٠٧٤ ـ ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ * يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[٣].

عموم النفي يقتضي نفي نفع معذرة كلّ ظالم؛ وذلك ليس إلّا لإتمام حجّة الله عليهم في جميع التكاليف، ولو لم يكن الإمام معصوماً لما تمّ، هذا خلف، فيجب عصمته.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن عليّ بن إبراهيم في تفسيره فقال: والأشهاد الأئمّة عليهم السلام[٤].

ومعنى ذلك: أنّ الأشهاد جمع شاهد وهم الذين يشهدون بالحقّ على الخلق؛ المحقّين والمبطلين، وهم الأئمّة عليهم السلام لأنّهم الشهداء على الناس يوم القيامة، بدليل قوله تعالى: ﴿**لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾[٥] فإذا كانوا هم الشهداء على الناس فهل ينفع الظالمين معذرتهم في ظلمهم لهم أم لا وهو الحقّ[٦].

---

(١) العدّة في أُصول الفقه ١: ٢٧٥.

(٢) الألفين: ٣٩٢ الستّون من أدلّة المائة التاسعة الدالّة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٣) غافر (٤٠): ٥١ و٥٢.

(٤) تفسير القمّي ٢: ٢٨٩، عنه في: تفسير البرهان ٤: ٧٦٤ ح ٩٣٧٢.

(٥) البقرة (٢): ١٤٣.

(٦) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٣٢ ح ١٥.

١٠٧٥ ـ ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[١].

الاستدلال به على طريق الشكل الثاني ظاهر.

ويُعضد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي عبدالله عليه السلام يقول: إنّ الله عزّوجلّ لم يكلنا إلى أنفسنا ولو وكلنا إلى أنفسنا لكنّا كبعض الناس، ولكن نحن الذين قال الله عزّ وجلّ لنا: «ادعوني أستجب لكم»[٢].

١٠٧٦ ـ ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾[٣].

الاستدلال به بالشكل الثاني ظاهر.

ويُعضد بما في تفسير عليّ بن إبراهيم قال: ذلك إذا قام القائم عليه السلام في الرجعة[٤].

سورة فصّلت وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

١٠٧٧ ـ ﴿حم * تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[٥].

تبيين الحلال والحرام والأحكام والسنن يتوقّف على العلم به؛ لأنّه لو لم يعلم لما كان مفصّلاً ولما تمّ غاية إنزاله من كونه بشيراً ونذيراً، ولسوّى بين المعرضين

---

(١) غافر (٤٠): ٦٠.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٣٢ ح١٦، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣١٠ ح١٤.

(٣) غافر (٤٠): ٨٤.

(٤) لم نجده في: تفسير القمّي، ولكن حكاه عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٣٢ ح١٨.

(٥) فصّلت (٤١): ١ ـ ٤.

عنه وغيرهم، وعدم العمل به بفقد السبب والعلم حقّه ليس إلّا بالمعصوم بعده صلى الله عليه وآله.

ويُعضد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن محمّد بن العبّاس بإسناده إلى الحسن بن عليّ بن أحمد العلوي قال: بلغني عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال لداود الرقّي: أيّكم ينال السماء؟ فوالله إنّ أرواحنا وأرواح النبيّين لتنال[1] العرش كلّ ليلة جمعةٍ. يا داود، قرأني[2] محمّد بن عليّ عليه السلام حم السجدة حتّى بلغ «فهم لا يسمعون» ثمّ قال: نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله بأنّ الإمام بعده عليّ بن أبي طالب عليه السلام ثمّ قرأ: «حمٓ * تنزيل من الرّحمٰن الرّحيم * كتاب فصّلت آياته قرآناً عربيّاً لقوم يعلمون» حتّى بلغ «فأعرض أكثرهم ـ عن ولاية علي ـ فهم لا يسمعون» ﴿**وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ**﴾[3].[4]

١٠٧٨ـ ﴿**وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ**﴾[5].

كلّ غير معصوم يمكن أن يكون كذلك بالضرورة، ولا شيء من الإمام كذلك بالضرورة، ولا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة.

وهو المعتضد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن محمّد بن العبّاس رحمه الله بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال وقد تلا هذه الآية لأبان بن تغلب: يا أبان، هل ترى الله طلب من المشركين زكاة أموالهم، وهم يعبدون معه إلهاً غيره؟! قال: قلت: فمن

---

(١) في المخطوط: «لتناول» وما أثبتناه من المصدر والبحار وتفسير البرهان.

(٢) في المصدر: «قرأ أبي» وفي هامشه عن بعض النسخ كما في المتن.

(٣) فصّلت (٤١): ٥.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٣٣ ح١، عنه في: بحار الأنوار ٢٦: ٩٧ ح٣٦، تفسير البرهان ٤: ٧٧٨ ح٩٤٠٢.

(٥) فصّلت (٤١): ٦ـ٧.

هم؟ قال: ويلٌ للمشركين الذين أشركوا بالإمام الأوّل، ولم يردّوا إلى الآخر ما قال فيه الأوّل، وهم به كافرون[١].

وفي تفسير الصافي: قيل للصادق عليه السلام: «جعلت فداك، فسّره لي، فقال: ويلٌ للمشركين أشركوا بالإمام الأوّل وهم بالأئمّة الآخرين كافرون، إنّما دعا الله العباد إلى الإيمان به فإذا آمنوا بالله وبرسوله افترض عليهم الفرائض[٢].

فالمعنيّ بالزكاة المعنى اللغوي، وهو تزكية النفس وطهارتها من الشرك المشار إليه، وقد وصف الله تعالى المشركين بالنجاسة، يقول: ﴿**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ**﴾[٣]، ومن أشرك بالإمام فقد أشرك بالنبيّ لقضيّة التسوية، ومن أشرك بالنبيّ فقد أشرك بالله، والزكاة المصطلح ممكن؛ لأنّ المشرك بالإمام زكاته كلا زكاة؛ فتأمّل.

١٠٧٩ ـ ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَٰلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾[٤].

كلّ غير معصوم متّصف بهذه الصفات بالإمكان، ولا شيء من الإمام بمتّصف بهذه الصفات بالضرورة؛ فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن محمّد بن العبّاس بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال الله عزّ وجلّ: «فلنذيقنّ الذين كفروا» بتركهم ولاية عليّ «عذاباً شديداً في الدنيا ولنجزينّهم أسوأ الذي كانوا يعملون» في الآخرة «ذلك

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٣٤ ح٢، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣٠٤ ح١٧، تفسير البرهان ٤: ٧٧٩ ح٩٤٠٥.

(٢) تفسير الصافي ٤: ٣٥٣، وراجع: تفسير القمّي ٢: ٢٦٢.

(٣) التوبة (٩): ٢٨.

(٤) فصّلت (٤١): ٢٧ و٢٨.

جزاء أعداء الله النار» الآية، والآيات الأئمّة عليهم السلام[١].

١٠٨٠ ـ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ ﴾[٢].

الاستدلال به يتوقّف على مقدّمة، وهي أنّ الفعل ـ أعني «أضلّانا» ـ في معرض الإثبات فهو لنفي العموم[٣] فيكفي الإطلاق.

وإذا عرفت ذلك فنقول: الإمام هو الذي أوجب الله تعالى اتّباعه في أمره ونهيه أيضاً في آية أُولو الأمر وهو مقدّمة إجماعيّة، وكلّ غير معصوم مضلّ بالفعل، فلو جاز عليه الخطأ لجاز صدور الإضلال عنه بالضرورة، وهذا مستلزم لجواز كونه من الإنس الذي حذّر عنه في هذه الآية فلا أقلّ يجوز ترك اتّباعه، وبذلك جاز الحكم وخروج الواجب عن كونه واجباً، واستحالته ظاهرة، فيجب عصمته.

وأُيّد بما في [كتاب] الكليني عن أبي عبدالله عليه السلام في هذه الآية قال: هما. ثمّ قال: وكان فلان شيطاناً[٤].

وعنه عليه السلام لسورة بن كليب: يا سورة، هما والله هما ـ يقولها ثلاثاً ـ والله يا سورة إنّا لخزّان علم الله في السماء، وخزّان علم الله في الأرض[٥].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٣٥ ح ٤ عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٣٦٥ ح ٢٨، تفسير البرهان ٤: ٧٨٣ ح ٩٤١٦.

(٢) فصّلت (٤١): ٢٩.

(٣) انظر: هداية المسترشدين لمحمّد تقي الأصفهاني ٣: ٣٢ ط. مؤسّسة النشر الإسلامي ـ قم، وراجع: تمهيد القواعد للشهيد الثاني: ١٥٨، ولاحظ: مناقشة مصنّف الكتاب لذلك.

(٤) الكافي ٨: ٣٣٤ ح ٥٢٣، عنه في: بحار الأنوار ٣٠: ٢٧٠ ح ١٣٩، تفسير الصافي ٤: ٣٥٨، تفسير نور الثقلين ٤: ٥٤٥ ح ٣٣، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٣٥ ح ٥، تفسير البرهان ٤: ٧٨٦ ح ٩٤٢٤.

(٥) الكافي ٨: ٣٣٤ ح ٥٢٤، عنه في: بحار الأنوار ٣٠: ٢٧١ ح ١٤٠، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٣٥ ح ٦.

وتوجيه التأويل: أرنا اللّذَينِ أضلّانا هما المضلّان من الجنّ والإنس، يعني أنّهما ولدا بشرك الشيطان، وللأُنس ترك التسمية أي بأنّ ولد الزنا خلق من ماء الزاني الشيطان، ولكلّ منهما تأييد في الآيات والأخبار، والمراد بتحت الأقدام في العرصات حين حساب الخلائق لما دلّ عليه الأخبار الواردة في الكافي. وقيل: إنّهما المضلّان اللذان أضلّا الخلق من الجنّ والإنس(١).

وقوله: «من الجنّ والإنس» أي ومن اتّبعهما من الجنّ والإنس، قال: «نجعلهما تحت أقدامنا» فالضمير راجع فيه إليهما «ليكونا من الأسفلين»، لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾(٢) وقوله: «وكان فلان شيطاناً» يعني الثاني يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿**يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِى وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا**﴾(٣) فالشيطان هنا هو فلان المضلّ وهو الثاني، والإنسان هو الأوّل. وقد تقدّم تأويل هذه الآيات في سورة الفرقان(٤).

وذكر ابن قولويه في كامل الزيارات شيئاً في هذا المعنى في حديث طويل يأتي في آخر الكتاب وهو: فيؤتيان هو وصاحبه فيُضرَبان بسياط من نار لو وقع سوط منها على البحار لغلت من مشرقها إلى مغربها، ولو وضع على جبال الدنيا لذابت حتّى تصير رماداً، فيُضرَبان بها، ثمّ يجثو أميرالمؤمنين عليه‌السلام بين يدي الله للخصومة مع الرابع، ويدخل الثلاثة في جُبّ فيطبق عليهم لا يراهم أحد ولا يرون

---

(١) القائل هو شرف الدين الحسيني في: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٣٥ ذيل الحديث ٦.

(٢) النساء (٤): ١٤٥.

(٣) الفرقان (٢٥): ٢٨ و ٢٩.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٣٥ ذيل الحديث ٦، وراجع: المصدر المذكور ١: ٣٧٣ ـ ٣٧٥.

أحداً، فيقول الذين كانوا في ولايتهم: «ربّنا أرنا اللَّذَينِ أضلّانا من الجنّ والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين»[1].

ويدلّ على أنّهما المضلّان اللَّذَين أضلّانا من الإنس والجنّ وأنّ فلاناً عدوّ آل محمّد عليهم السلام قوله تعالى عقيب ذلك: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾ على ولاية آل محمّد ولم يوالوا أعداءهم ﴿**تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ**﴾ كما يأتي بيانه.

١٠٨١ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[2].[3]

كونهم على الاستقامة بحيث صاروا بها مستحقّين لتلك الزلفى ليس إلّا بما امتثلوا بأوامره ونواهيه وبما مراد الله ورسوله وأُولو الأمر، والعلم بها ليس إلّا بعصمة أُولي الأمر كيف ولو كان غيره لزم تجويز أُولي الأمر لكلّ من ادّعى هذا مع اتصافه بالعدالة الظاهرة؛ وإن لم يكن مستقيماً في الواقع.

ويُعضد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي جعفر عليه السلام: «إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا» يقول: استكملوا طاعة الله ورسوله وولاية آل محمّد صلى الله عليه وآله ثمّ استقاموا عليها «تتنزّل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة التي كنتم توعدون» فأُولئك هم الذين إذا فزعوا يوم القيامة حين يُبعَثون تتلقّاهم الملائكة ويقولون لهم: لا تخافوا ولا تحزنوا نحن الذين كنّا معكم في الحياة الدنيا لا نفارقكم حتّى تدخلوا الجنّة «وأبشروا بالجنّة التي كنتم توعدون»[4].

---

(١) كامل الزيارات: ٥٥١ ضمن الحديث ٨٤٠ باب النوادر من الزيارات، عنه في: بحار الأنوار ٢٨: ٦٤ ضمن حديث ٢٤.

(٢) فصّلت (٤١): ٣٠.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٣٦ ح٧.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٣٧ ح٨، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٥ ح١.

وعن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا» الأئمّة واحداً بعد واحد[١].

وعن أبي بصير قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا»، قال: هو والله ما أنتم عليه ﴿**وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَاءً غَدَقًا**﴾[٢].

قلت: متى تتنزّل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة؟ فقال: عند الموت ويوم القيامة، معناه عند الموت في الدنيا، ويوم القيامة في الآخرة[٣].

ويؤيّده ما ذكره في تفسير الإمام العسكري عليه السلام، قال الإمام عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يزال المؤمن خائفاً من سوء العاقبة، لا يتيقّن الوصول إلى رضوان الله حتّى يكون وقت نزع روحه وظهور ملك الموت له، وذلك أنّ ملك الموت يرد على المؤمن وهو في شدّة علّته وعظيم ضيق صدره بما يخلفه من أمواله وعياله[٤]، وما هو[٥] عليه من اضطراب أحواله في معامليه وعياله، وقد

---

(١) الكافي ١: ٤٢٠ ح ٤٠ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، بحار الأنوار ٢٤: ٢١ ح ٤٠ عن المناقب، تفسير الصافي ٤: ٣٥٩، تفسير نور الثقلين ٤: ٥٤٦ ح ٣٧، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٣٧ ح ٩.

(٢) الجنّ (٧٢): ١٦.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٣٧ ح ١٠، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٦ ح ٣. ورواه الطبرسي مختصراً في: مجمع البيان ١٠: ١٥١ عن تفسير أهل البيت عليهم السلام، عنه في: تفسير نور الثقلين ٥: ٤٣٨.

(٤) عياله: لم يرد في المصدر.

(٥) في المصدر: ولما هو.

بقيت في نفسه حزازتها وانقطع[1] دون أمانيه فلم ينلها، فيقول له ملك الموت: ما لك تتجرّع[2] غصصك؟ فيقول: لاضطراب أحوالي واقتطاعي[3] دون آمالي. فيقول له ملك الموت: وهل يجزع عاقل من فقد درهم زائف وقد اعتاض بألف ألف ضعف الدنيا؟ فيقول: لا. فيقول له ملك الموت: فانظر فوقك، فينظر فيرى درجات الجنان وقصورها التي تقصر دونها الأماني، فيقول له ملك الموت: هذه منازلك ونعمك وأموالك وعيالك ومن كان من ذريّتك صالحاً فهم هناك معك، أفترضى به بدلاً ممّا هاهنا؟ فيقول: بلى والله. ثمّ يقول له ملك الموت: انظر، فينظر فيرى محمّداً وعليّاً والطيّبين من آلهما في أعلا علّيّين ، فيقول له: أوتراهم هؤلاء سادتك وأئمّتك هم هناك جُلّاسك وأُنّاسك، أفترضى بهم بدلاً ممّا تفارق هاهنا؟ فيقول: بلى وربّي، فذلك ما قال الله تعالى: «إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا» فما أمامكم من الأموال فقد كفيتموها ولا تحزنوا على ما تخلفونه من الذراري والعيال والأموال، فهذا الذي شاهدتموه في الجنان بدلاً منهم، «وأبشروا بالجنّة التي كنتم توعدون» هذه منازلكم، وهؤلاء أُنّاسكم وجُلّاسكم ونحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون، نُزُلاً من غفورٍ رحيم»[4].

وفي البصائر: عن الباقر عليه السلام أنّه قيل له: يبلغنا أنّ الملائكة تتنزّل عليكم؟ قال:

---

(١) في المصدر: «واقتطع».

(٢) في المصدر: «تجرع».

(٣) في المصدر: «اقتطاعك لي».

(٤) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٣٩ ح١١٧، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٣٥٩، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٣٨ـ٥٣٩ ح١١، بحار الأنوار ٦: ١٧٦ ح٢، تفسير البرهان ٤: ٧٨٨ـ٧٨٩ ح٩٤٣٦.

إي والله لتنزل علينا فتطأ فرشنا، أما تقرأ كتاب الله: «إنّ الذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا»[١].

وفي الكافي: عنه عليه السلام عن أبيه عليه السلام في حديث ليلة القدر، قال: زعم ابن عبّاس أنّه من الذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا، فقلت: هل رأيت الملائكة يابن عبّاس تخبرك بولايتها لك في الدنيا والآخرة مع الأمن من الخوف والحزن؟ قال: فقال: إنّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[٢] وقد دخل في هذا جميع الأُمّة، فاستضحكت. ثمّ قلت: صدقت يابن عبّاس. وصلّى الله على آله الأطهار[٣].

١٠٨٢ ـ ﴿وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾[٤].

بيان الاستدلال بها يتوقّف على مقدّمات:

الأُولى: أنّ الأحسن مع إمكانه أرجح من الحسن لما أمر الله تعالى بقوله: «ادفع» أي السيّئة حيث اعترضك بالتي هي أحسن، فإذا كان أرجح من الحسن فبالأولى أحسن من غير الحسن، وبالتلازم يلزم كون الحسنة أرجح من غيرها. ولو أُريد بالآية أنّ الحسنة أحسن من السيّئة ليلزم إبطال ترجيح المرجوح، لكن الأوّل أولى.

---

(١) بصائر الدرجات: ١١١ ح٣ باب ١٧ في الأئمّة وأنّ الملائكة تدخل منازلهم، عنه في: بحار الأنوار ٢٦: ٣٥٢ ح٥، تفسير الصافي ٤: ٣٦٠، تفسير نور الثقلين ٤: ٥٤٦ ح٣٦.

(٢) الحجرات (٤٩): ١٠.

(٣) الكافي ١: ٢٤٧ ح٢ كتاب الحجّة ـ باب في شأن إنّا أنزلناه في ليلة القدر وتفسيرها، عنه في: بحار الأنوار ٤٢: ١٥٨ ح٢٧، تفسير الصافي ٤: ٣٦٠، تفسير نور الثقلين ٤: ٥٤٦ ح٣٨.

(٤) فصّلت (٤١): ٣٤.

الثانية: أنّ صحّة الأمر يستلزم علم المأمور به؛ لاستحالة تكليف الغافل، فلابدّ أن يعلم المعني بالحسنة والسيّئة والأحسن، وهذا على القول بكون الحُسن والقبح شرعيّين كأهل السنّة[1] ظاهر، أمّا على القول بكونهما عقليّين كما عند الشيعة[2] فهو أيضاً تامّ لأنّهم لم يقولوا على الإطلاق والعموم، بل يحتاج في البعض إلى نصّ الشارع وبيانه.

الثالثة: أنّ المبرهن في العلم الإلهي كمال علمه وقدرته.

الرابعة: أنّ العصمة للإمام أمر من الأُمور الإمكانيّة، بل الضرورة تحكم بأنّ عصمة الإمام أولى وأرجح من خطائه على ما نصّ عليه في الآية، وأنّ واجب العصمة أحسن وأرجح بالاختيار من جائزها.

فإذا عرفت ذلك فنقول: لو رضي الله تعالى بإمامة المخطي لزم إمّا ترجيح المرجوح ويبطله المقدّمة الأُولى، أو عدم علمه وقدرته ويبطله المقدّمة الثالثة، أو عدم إمكان عصمة الإمام في نفسه واستحالته ظاهرة من المقدّمة الرابعة، فلزم من ذلك أنّه ينصبه تعالى، ولولم ينصّ؛ لزم تكليف الغافل فيجب عصمته، لما عرفت.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: لمّا نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله «ادفع بالتي» الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أُمرت بالتقيّة، فسار بها عشراً حتّى أُمر أن يصدع بما أُمر، وأمر بها عليّ فسار بها حتّى أُمر أن يصدع بها، ثمّ أمر الأئمّة بعضهم بعضاً فساروا بها فإذا قام قائمنا سقطت التقيّة

---

(١) انظر: المواقف للإيجي ٣: ٢٦١ المقصد الخامس في الحسن والقبح، ط. دار الجبل ـ بيروت، شرح المواقف للجرجاني ٨: ١٩٤ ط. مطبعة السعادة ـ مصر.

(٢) انظر: الوافية للفاضل التوني: ١٧١ القسم الأوّل من الأدلّة العقليّة فيما يستقل بحكمه العقل.

وجرّد السيف، ولم يأخذ من الناس ولم يعطهم إلّا بالسيف[١].

وفي حديث آخر قال عليه السلام: نحن الحسنة، وبنو أُميّة السيّئة[٢].

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم رحمه الله عن أبي جعفر عليه السلام: إنّ الحسنة التقيّة والسيّئة الإذاعة[٣].

١٠٨٣ ـ ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾[٤].

كما اختلف في القرآن، وهو تسلية للنبيّ صلى الله عليه وآله، وحاصله: اختلف قوم موسى في الذي أُنزل إليه مع إتمام الحجّة عليهم بنصّ الوصيّ بعده، فكذا في النبيّ صلى الله عليه وآله لأنّ الحكمة في ذلك في السلف والخلف واحد، وهذا إن كان خطابيّاً إلّا أنّه يؤيّد لما نقول: إنّ المراد بالشكّ أعمّ من الظنّ للنهي عنه في كثير من الآيات، فيستفيد منه المذمّة للشكّاك، فارتفاعهما ضروريّ، فلو لم يكن معصوماً بيّن طريق العلم، لزم المذمّة والتحذير من الحكيم، فيجب.

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام قال: اختلفوا كما اختلفت هذه الأُمّة في الكتاب، وسيختلفون في الكتاب الذي مع القائم عليه السلام الذي يأتيهم به؛ حتّى ينكره ناس كثير فيقدّمهم فيضرب أعناقهم[٥].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٤٠ ح١٣، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٤٧ ح ٢١، تفسير البرهان ٤: ٧٩١ ح٩٤٤٢.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٤٠ ح ١٤، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٤٧ ح ٢٠، تفسير البرهان ٤: ٧٩١ ح٩٤٤٣.

(٣) لم نجده في: تفسير القمّي، نعم رواه الكليني في: الكافي ٢: ٢١٨ ح٦ كتاب الإيمان والكفر ـ باب التقيّة.

(٤) فصّلت (٤١): ٤٥.

(٥) الكافي ٨: ٢٨٧ ح ٤٣٢، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣١٣ ح١٨، تفسير الصافي ٤: ٣٦٣، تفسير نور الثقلين ٢: ٤٠٠ ح٢٢٧، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٤٠ ح١٦.

وأُيّد بما في تفسير ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[١] في الكافي عن الصادق عليه السلام قال: نريهم في أنفسهم المسخ، ونريهم في الآفاق انتقاض الآفاق عليهم فيرون قدرة الله عزّ وجلّ في أنفسهم وفي الآفاق، وقيل: «حتّى يتبيّن أنّه الحقّ» أنّه خروج القائم هو الحقّ من عند الله عزّ وجلّ يراه الخلق لابدّ منه[٢].

وفي رواية: خسف، ومسخ، وقذف. سُئل: «حتّى يتبيّن»؟ قال: دع ذا، ذاك قيام القائم عليه السلام[٣].

سورة الشورى (حمٓعٓسٓقٓ) وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

١٠٨٤ ـ ﴿حمٓ * عٓسٓقٓ﴾[٤].

إن كان متشابهاً على ما اعترف به الخصوم أكثرهم، فقد عرفت الاستدلال به فيما مضى، وإلّا فبما في الطرائف عن الثعلبي ـ وهو من أعيان مفسّريهم ـ في تفسير «حمٓ * عٓسٓقٓ» قال: «سين» سناء المهدي عليه السلام، والقاف [قوّة عيسى] حين ينزل فيقتل النصارى ويخرب البيع[٥].

وفي تأويل الآيات الظاهرة: عن ابن عبّاس قال: «حمٓ» اسم من أسماء الله

---

(١) فصّلت (٤١): ٥٣.

(٢) الكافي ٨: ٣٨١ ح ٥٧٥، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٣٦٥، تفسير نور الثقلين ٤: ٥٥٦ ح ٧٥، بحار الأنوار ٥١: ٦٢ ح ٦٣.

(٣) الكافي ٨: ١٦٦ ح ١٨١، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٣٦٥، بحار الأنوار ٥٢: ٣٠٣ ح ٧١.

(٤) الشورى (٤٢): ١ و ٢.

(٥) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٧٦ ح ٢٧٦، ورواه المجلسي في: البحار ٣٦: ٣٦٧ عن الثعلبي، وراجع: الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) ٨: ٣٠٣.

عزّوجلّ و«عَسَقَ» علم عليّ بفسق كلّ جماعة ونفاق كلّ فرقة[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام، قال: «حمٓ» حتم، و«عين» عذاب، و«سين» سنون كسِنِي يوسف، و«قاف» قذف وخسف ومسخ يكون في آخر الزمان بالسفياني وأصحابه، وناس من كلب ثلاثون ألف ألف يخرجون معه، وذلك حين يخرج القائم عليه السلام بمكّة وهو مهدي هذه الأُمّة[٢].

وفي تفسير الصافي: في المعاني عن الصادق عليه السلام: معناه: الحكيم[٣]، المثيب، العليم، السميع، القادر، القوي[٤].

والقمّي: عن الباقر عليه السلام: هو حروف من اسم الله الأعظم المقطوع يؤلّفه الرسول صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام فيكون الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب[٥].

وعنه عليه السلام: «عَسَقَ» عدد سني القائم عليه السلام، و«قاف» جبل محيط بالدنيا من زمرّد خضراء، فخضرة السماء من ذلك الجبل، وعلم كلّ شيء في «عسق»[٦].

١٠٨٥ ـ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِى رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[٧].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٤٢، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣٧٣ ح٩٩، تفسير البرهان ٤: ٨٠٣ ح٩٤٦٦.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٤٢ ح٣، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣٧٣ ح١٠٠، تفسير البرهان ٤: ٨٠٤ ح٩٤٦٧.

(٣) في معاني الأخبار والبحار: «الحليم».

(٤) تفسير الصافي ٤: ٣٦٦، وراجع: معاني الأخبار: ٢٢ ح١ باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن، بحار الأنوار ٨٩: ٣٧٤ ضمن حديث ١ عن تفسير الإمام العسكري عليه السلام ومعاني الأخبار، تفسير نور الثقلين ٤: ٥٥٧ ح٣ عن معاني الأخبار.

(٥) تفسير القمي ٢: ٢٦٧، عنه في: بحار الأنوار ٨٩: ٣٧٦ ح٥، تفسير الصافي ٤: ٣٦٦، تفسير نور الثقلين ٤: ٥٥٧ ح٤.

(٦) تفسير القمي ٢: ٢٦٨، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٢٦٦، بحار الأنوار ٥٢: ٢٧٩ ح٤، تفسير نور الثقلين ٤: ٥٥٧ ذيل الحديث ٤.

(٧) الشورى (٤٢): ٨.

المعنى: لو شاء الله لجعلهم أُمّة واحدة أي على طريق الهداية وكونهم مهتدين بحيث لا تنصرم الهداية عنهم، مثل الملائكة بلا طباع ولا جعل لهم القوى الشهوانيّة ومقتضيات الناسوتيّة لقدرته عليه لإمكان العصمة، أو المراد أنّه لو شاء تعالى لجعل كلّ الخلائق على معرفة الإمام بحيث لا يشكّون فيه على نحو الإجبار، ولكن العناية تقتضي جعل العصمة والرحمة الدائمة أو عرفانها لبعض من يشاء، ولولا ذلك لكان الخسران المبين، والله وليّ الإمام؛ لأنّه قال: ﴿ **وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[1] والإمام منهم، ولأنّه أمر بطاعته فكان وليّه وناصره في ذلك، والظالم الأولى بهذه الآية على العموم في الموضوع والمحمول، وكلّ من هو الأولى له ليس بإمام؛ فالظالم على العموم ليس بإمام هو وذاك ملازم العصمة؛ لأنّ كلّ من صدر منه ذنباً مّا في وقتٍ مّا ظالم عرفاً ولغة، فلو كان من الإمام في وقت كونه إماماً صدق عليه أنّه ظالم، وقد عرفت أنّ الظالم على العموم ليس بإمام وهو دائمة أو ضروريّة، وعلى كلا التقديرين نقيض المطلقة.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن جعفر بن محمّد عليه السلام في هذه الآية قال: الرحمة ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام[2].

١٠٨٦ـ ﴿ شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا ﴾ إلى قوله: ﴿ **اللَّهُ يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ** ﴾[3].

اعلم أنّ ممّا أوحى الله تعالى إلى هؤلاء الأنبياء الحكم بالوصاية والخلافة

---

(١) آل عمران (٣): ٦٨.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٤٣ ح ٤، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٦٦ ح ٥٢، تفسير البرهان ٤: ٨٠٨ ح ٩٤٧٤.

(٣) الشورى (٤٢): ١٣.

فيجري في نبيّنا وذلك قوله: «يجتبي إليه من يشاء» يدلّ على أنّه لأمر الخلافة والرسالة يختار من يشاء ليس لغيره فيه دخل، واصطفاء الله تعالى لا يجوز مبنيّاً على هذا الخطأ؛ لاستحالته فلابدّ من عصمته، فلو صدق على الإمام أنّه فيمن يجتبيه الله من بين خلقه، فلابدّ من عصمته، وإلّا فليس بإمام، والأمر بالإقامة والنهي عن التفرّق على العموم يقتضي طريقاً به يحصل الاجتماع والإقامة وليس إلّا بالعلم بما يقوله الإمام حقّاً، وهو يتوقّف على عصمته، وإذا اعتقد الإمامة بعصمة الإمام لأجمعوا عليه ولا يتفرّقوا، ومع عدم ذلك تفرّقت الأُمّة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله بهذه الفرق الكثيرة.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: القمّي: وهم الأئمّة الذين اختارهم واجتباهم[١].

وعن الصادق عليه السلام: «أن أقيموا الدين» قال: الإمام «ولا تتفرّقوا فيه» كناية عن أمير المؤمنين عليه السلام «ما تدعوهم إليه» من ولاية عليّ «من يشاء» كناية عن عليّ عليه السلام[٢].

وفي الكافي عن الرضا عليه السلام: نحن الذين، شرع الله لنا دينه فقال في كتابه: «شرع لكم» يا آل محمّد «من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك» يا محمّد «وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى» وقد علمنا وبلّغنا علم ما علمنا واستودعنا علمهم، نحن ورثة أُولي العزم من الرسل «أن أقيموا الدين» يا آل محمّد «ولا تتفرّقوا فيه» وكونوا على جماعة «كبر على المشركين» من أشرك بولاية عليّ «ما تدعوهم إليه» من ولاية عليّ «إنّ الله» يا محمّد «يهدي إليه من ينيب» من يجيبك إلى ولاية عليّ عليه السلام[٣].

---

(١) تفسير الصافي ٤: ٣٦٨، تفسير القمي ٢: ٢٧٣، عنه في: بحار الأنوار ٦٤: ٦٨.

(٢) تفسير الصافي ٤: ٣٦٨، تفسير نور الثقلين ٤: ٥٦٧ ح ٤٥، بحار الأنوار ٦٤: ٤٨، وراجع: تفسير عليّ بن إبراهيم ٢: ٢٧٤.

(٣) الكافي ١: ٢٢٤ ح ١ كتاب الحجّة ـ باب أنّ الأئمة عليهم السلام ورثوا علم النبي صلى الله عليه وآله وجميع الأنبياء والأوصياء، وراجع: تفسير القمي ٢: ١٠٥، تفسير الصافي ٤: ٣٦٨ عن الكافي.

وفي البصائر عن السجّاد مثله[١].

وفي الكافي عنه عليه السلام: «كبر على المشركين» بولاية عليّ «ما تدعوهم إليه» يا محمّد من ولاية عليّ عليه السلام. هكذا في الكتاب مخطوطة[٢].

١٠٨٧ ـ ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾[٣].

في «الألفين»: إنّه تعالى بعباده في غاية اللطف والرحمة، والإمام المعصوم طريق أمنٍ للمكلّف من الخوف، والإمام غير المعصوم طريق خوف، وهو ظاهر. فلا يناسب نصب الإمام غير المعصوم لطف الله ورحمته وإرادته إسلامهم وهدايتهم، والمناسب للّطف والرحمة الإمام المعصوم، فتعيّن نصبه[٤].

وأُيّد بما في الكافي عن الصادق: قيل له: «الله لطيف بعباده يرزق من يشاء» قال: ولاية أميرالمؤمنين عليه السلام. قيل: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ**﴾ قال: معرفة أميرالمؤمنين والأئمّة عليهم السلام. قيل: ﴿**نَزِدْ لَهُ فِى حَرْثِهِ**﴾، قال: نزيده منها يستوفي نصيبه من دولتهم ﴿**وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِى الآخِرَةِ مِن نَصِيبٍ**﴾[٥] قال: ليس له من دولة الحقّ مع الإمام نصيب[٦].

١٠٨٨ ـ إلى ١٠٩٣ ﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَىٰ﴾[٧].

---

(١) بصائر الدرجات: ١٤٠ ح ٤ باب في الأئمة ورثوا علم أولي العزم، عنه في: بحار الأنوار ٢٦: ١٤٣ ضمن حديث ١٦.

(٢) الكافي ١: ٤١٨ ح ٣٢ كتاب الحجة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية.

(٣) الشورى (٤٢): ١٩.

(٤) الألفين: ٣١٣ التاسع والتسعون من أدلّة المائة السابعة الدالة على وجوب عصمة الإمام عليه السلام.

(٥) الشورى (٤٢): ٢٠.

(٦) الكافي ١: ٤٣٦ ضمن حديث ٩٢ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣٤٩ ح ٦٠، تفسير الصافي ٤: ٣٧١.

(٧) الشورى (٤٢): ٢٣.

وجه الاستدلال: أنّ النبوّة من عظائم الأُمور وأعلاها درجة وأرفعها شأناً بعد الأُلوهيّة، وهذه مقدّمة ضروريّة لا يحتاج إلى بيانها، فكذا الآثار المترتبة عليها والانتفاعات المتعلّقة بها، فلابدّ أن يكون الأجر الذي في مقابلها أعظم وأولى بالنسبة إلى غيرها فيكون المودّة في القربى أعظم وأولى بعد النبوّة، وذاك دليل باهر على تفضيل أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله على غيرهم فيكون أولى بأمر الإمامة؛ لبطلان تفضيل المفضول.

وأيضاً: أنّ الأمر يفيد الوجوب على ما تقرّر في الأُصول[1]، فبالتلازم يثبت إيجاب المأمور به، أعني المودّة في القربى، فلو صدر عنهم الخطأ في وقتٍ مّا لزم إمّا كون المخطي والظالم محبوباً له تعالى؛ لأنّ كلّ ما أمر به محبوبه وهو غير جائز لأنّ الله سبحانه قال: ﴿ **لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾[2] وقد ذمّ الخاطئين في مواضع عديدة فيلزم كون المخطي غير مذموم وهو الحكم بالنقيضين أو عدم رجحان مودّتهم وهو خلاف ما نصّ عليه في هذه الآية؛ لأنّ الأمر أقلّ مراتبه الرجحان، فإذا ثبت عدم جواز الخطأ عليهم في وقتٍ من الأوقات ثبت نفيه بالكليّة ضرورة ارتفاع المقيّد بارتفاع مطلقه، وهذه هي العصمة.

وانّ الآية تقتضي رجحان محبّة عليّ عليه السلام، فلو صدر عنه الخطأ لزم ترك المودّة لما قال تعالى: ﴿ **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾[3].

---

(١) راجع: عدّة الأصول للشيخ الطوسي ١: ١٥٧ في بحث الأوامر، قوانين الأُصول للميرزا القمي: ٨٢ ط. الحجرية البحث عن الأمر، هداية المسترشدين لمحمد تقي الرازي ١: ٥٩٢ ط. جامعة المدرسين ـ قم. في أن لفظ الأمر هل يفيد الوجوب وضعاً أو لا؟، الوافية في أُصول الفقه للفاضل التوني: ٦٧ بحث الأوامر.

(٢) آل عمران (٣): ٥٧ وغيرها.

(٣) المجادلة (٥٨): ٢٢.

وأيضاً أنّ الله سبحانه حصر الأجر في المودّة فلو كان غيرها أعلا وأرفع لزم ذكره في مقابل هذا الأمر العظيم؛ لاستحالة الترجيح من غير مرجّح، الرجحان ليس بسبب مجرّد القرابة لما ترى من قرابة بعض الأنبياء، كيف وأنّه سبحانه أبغض الذين حرّفوا أوامره ونواهيه وتركوها، فلو كان مجرّد القرابة هي السبب، لذلك، لزم اجتماع الضدّين أو النقيضين ولزوم كون ذلك مقابلاً لآثار النبوّة؛ فثبت أنّ ممّا به الرجحان أمر غير مشترك، وهو ليس إلّا وصف العصمة، وإنّما عبّر تعالى عنه بوصف القرابة لما علم تعالى أنّهم جعلوا على وصف العصمة فعرّفهم بوصف القرابة.

وأيضاً أنّه جلّ وعزّ علّق محبّته على الإطاعة فقال: ﴿**إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾[1] فلو صدر عنهم خطأ وخلاف إطاعة لزم نفي المودّة، وهو خلاف ما قال تعالى في حقّهم في هذه الآية.

وخامس الأوجه: أنّ الله تعالى أمر بإيجاب مودّة القربى فلو لم يفهم بوصفٍ ورسمٍ لا أقلّ لزم التكليف بما لا طاقة لهم، وقد بيّن استحالته، فيجب التنصيص عليهم بأسمائهم وأوصافهم المختصّة؛ لأنّه قد عرفت أنّ مجرّد القرابة لا يقتضي هذا، بل بعض أقرباء نبيّنا صلى الله عليه وآله يرى فيهم ما يقتضي ضدّه وهو قرينة على أنّ اللّام في القربى للعهد[2] والتنصيص بالرسم في القرآن إلى أقرب أقربائه ـ حسب المروي في تفسيرها ـ وهو كثير مثل: آية التطهير، وآية المباهلة، وآية أُولي الأمر، وغيرها ممّا ذكرناه على أنّه لمّا كان من الذي اهتمّ به لم يكتف بتلك الرسوم

---

(١) آل عمران (٣): ٣١.

(٢) توجد هنا كلمة غير واضحة في المخطوط.

فصرّح به تنصيص الأسامي على قول الرسول صلى الله عليه وآله.

وأُكّد ذلك بما رواه العامّة في الطرائف عن أحمد بن حنبل في مسنده بإسناده إلى سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: لمّا نزل قوله تعالى: «قل لا أسألكم» الآية، قال: يا رسول الله، من قرابتك الذين وجبت مودّتهم؟ قال: عليّ وفاطمة وابناهما[١].

ورواه الثعلبي[٢] في تفسير هذه الآية بهذه الألفاظ والمعنى.

وروى البخاري في صحيحه في الجزء السادس على حدّ كرّاسين ونصف من أوّله من النسخة المنقول منها قوله تعالى: «قل لا أسألكم عليه أجراً» الآية، بإسناده إلى طاووس عن ابن عبّاس أنّه سُئل عن قوله تعالى «قل لا أسألكم» الآية، قال سعيد بن جبير: القربى آل محمّد صلوات الله عليهم، الخبر[٣].

وروى مسلم في صحيحه في الجزء الخامس على حدّ كرّاسين من أوّله من النسخة المشار إليها في تفسير هذه الآية، قال: وسُئل ابن عبّاس عن هذه الآية، فقال ابن جبير: قربى آل محمّد صلى الله عليه وآله، الخبر[٤].

وأُيّد في أخبارنا، منها ما في تأويل الآيات الظاهرة: عن عليّ بن جعفر، عن

---

(١) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١١٢ ح١٦٧، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٦٦٩ ح١١٤١، ورواه الطبري في: ذخائر العقبى: ٢٥ عن أحمد، والهيثمي في: مجمع الزوائد ٧: ١٠٣، والحسكاني في: شواهد التنزيل ٢: ١٣٠ ح٨٢٢.

(٢) الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) ٨: ٣٧.

(٣) صحيح البخاري ٤: ١٥٤ باب المناقب ط. دارالفكر، عنه ابن طاووس في: الطرائف: ١١٢ ح١٦٨.

(٤) حكاه عنه: ابن طاووس في: الطرائف: ١١٣ ـ ١١٤ ح١٦٩، وابن البطريق في: العمدة: ٤٩ ح٤٠، ولم نعثر عليه في المطبوع من صحيح مسلم.

الحسين بن يزيد، عن الحسن بن يزيد، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام قال: خطب الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام حين قُتِل عليّ عليه السلام ثمّ قال: وأنا من أهل بيت افترض الله مودّتهم على كلّ مسلم حيث قال: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى ومن يقترف حسنةً نزد له فيها حسناً» فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت[1].

وعن الحسين بن عليّ صلوات الله عليه في قوله عزّ وجلّ: «قل لا أسألكم عليه» الآية، قال: وإنّ القرابة التي مَنّ الله بصلتها وعظّم من حقّها وجعل الخير فيها قرابتنا أهل البيت الذين أوجب حقّنا على كلّ مسلم[2].

وعن ابن عبّاس قال: لمّا أنزل الله «قل لا أسألكم» الآية، قالوا: يا رسول الله، مَن هؤلاء الذين أُمرنا بمودّتهم؟ قال: عليّ وفاطمة وولدهما[3].

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنه قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حين قدم المدينة واستحكم الإسلام قالت الأنصار فيما بينهم: نأتي رسول الله فنقول له: إنّه تعروك أُمور فهذه أموالنا تحكم[4] فيها من غير حرج ولا محظور، فأتوه في ذلك، فنزلت: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربى» فأقرأها عليهم وقال: تودّون قرابتي من

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٤٥ ح٨، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٢٥١ ح٢٦، ورواه الإربلي في: كشف الغمة ٢: ١٦٩، والقندوزي في: ينابيع المودّة ٢: ٢١٢، والبحراني في: تفسير البرهان ٤: ٨١٩ ـ ٨٢٠ ح ٩٥٠١. وروى الحاكم الحسكاني في: شواهد التنزيل ٢: ١٤٧ ـ ١٥٠ عدّة أحاديث بهذا المضمون.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٤٥ ح٩، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٢٥١ ح٢٧، تفسير البرهان ٤: ٨٢٠ ح٩٥٠٢.

(٣) تفسير مجمع البيان ٩: ٤٨، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٤٥ ح ١٠، وراجع: بحار الأنوار ٢٣: ٢٣٠.

(٤) في البحار: «فاحكم».

بعدي، فخرجوا من عنده مسلّمين لقوله، فقال المنافقون: إنّ هذا لشيء افتراه في مجلسه أراد أن يذلّنا لقرابته من بعده، فنزل قوله: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا**﴾[١]، فأرسل إليهم فتلاها عليهم فبكوا واشتدّ عليهم الأمر، فأنزل الله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾[٢] فأرسل في أثرهم فبشّرهم، ثمّ قال سبحانه: ﴿**وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾[٣] وهم الذين سلّموا لقوله[٤].

ومعنى اقتراف الحسنة: أنّه من يفعل طاعة يريد الله سبحانه في تلك الطاعة حسناً، يوجب ثواباً حسناً[٥].

وذكر أبو حمزة الثمالي عن السدّي أنّه قال: اقتراف الحسنة المودّة لآل محمّد صلى الله عليه وآله[٦].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا**﴾[٧] قال: الاقتراف التسليم لنا، والصدق علينا، وألّا يكذب علينا[٨].

---

(١) الشورى (٤٢): ٢٤.

(٢) الشورى (٤٢): ٢٥.

(٣) الشورى (٤٢): ٢٦.

(٤) تفسير مجمع البيان ٩: ٤٩، عنه في: تفسير نور الثقلين ٤: ٥٧٨ ح ٨٤، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٤٦ ح ١١، بحار الأنوار ٢٣: ٢٣١، تفسير الصافي ٦: ٣٦٩، تفسير البرهان ٤: ٨٢٢ ح ٩٥٠٧.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٤٦ ذيل الحديث ١١، وراجع: تفسير مجمع البيان ٩: ٤٩.

(٦) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٤٦ ح ١٢، وانظر: مجمع البيان ٩: ٤٩، عنه في: تفسير البرهان ٤: ٨٢٢ ح ٩٥٠٨.

(٧) الشورى (٤٢): ٢٣.

(٨) بصائر الدرجات: ٥٤١ ح ٦ و ٧، الكافي ١: ٣٩١ ح ٤ كتاب العقل والجهل ـ باب التسليم وفضل المسلمين، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٣٧٤، بحار الأنوار ٢٣: ٢٤٨ ذيل الحديث ٢١ عن تفسير فرات الكوفي، تفسير نور الثقلين ٤: ٥٧٦ ح ٨٠، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٤٦ ـ ٥٤٧ ح ١٣.

وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «ومن يقترف حسنة نـزد له فـيها حسنا» قال: من تولّى الأوصياء من آل محمّد واتّبع آثارهم فذلك نزيده ولاية من مضى من النبيّين والمؤمنين الأوّلين حتّى تصل ولايتهم إلى آدم وهـو قـول الله عزّوجلّ: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ**﴾[(١)] يدخله الجنّة وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿**قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ**﴾[(٢)] يقول: أجر المودّة الذي لم أسألكم غيره فهو لكم تهتدون به وتنجون من عذاب يـوم القـيامة. وقـال لأعـداء الله أوليـاء الشيطان أهل التكذيب والإنكار... ﴿**قُلْ مٰا أَسْأَلُكُمْ عَـلَيْهِ مِـنْ أَجْـرٍ وَمٰـا أَنَـا مِـنَ الْمُتَكَلِّفِينَ**﴾[(٣)] يقول: متكلّفاً أن أسألكم ما لستم بأهله، فقال المنافقون عند ذلك بعضهم لبعض: ما يكفي محمّداً [أن يكون][(٤)] قهرنا عشرين سنة حتى يُريد أن يحمّل أهل بيته على رقابنا، فقالوا: مـا أنـزل الله هـذا ومـا هـو إلّا شـيء تـقوّله وافتراه[(٥)]، يريد أن يرفع أهل بيته على رقابنا و إن قُتل محمّد أو مات لننزعنّها من أهل بيته، ثمّ لا نعيدها لهم أبداً، و أراد الله عزّوجلّ ذكره أن يُعلِم نبيه صلى الله عليه وآله الذي أخفوا في صدورهم وأسرّوا به، فقال عزّوجلّ في كتابه: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللّٰهُ يَخْتِمْ عَلىٰ قَلْبِكَ**﴾[(٦)] يقول: لو شئت حبست عنك الوحي فلم تتكلّم بفضل أهل بيتك ولا بمودّتهم وقد قال الله عزّوجلّ: ﴿**وَيَمْحُ اللّٰهُ الْبَاطِلَ**

---

(١) النمل (٢٧): ٨٩.

(٢) سبأ (٣٤): ٤٧.

(٣) صٓ (٣٨): ٨٦.

(٤) ما بين العضادتين من الكافي.

(٥) في المصادر التي سنذكرها في تخريج الرواية: «يتقوّله» بدل «تقوّله وافتراه»، ولكن في هامش تأويل الآيات عن بعض النسخ كما في المتن.

(٦) الشورى (٤٢): ٢٤.

﴿وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمٰاتِهِ﴾[1] يقول: يحقّ لأهل بيتك الولاية ﴿واللهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ يقول: عليم بما ألقوه في صدورهم من العداوة والظلم بعدك لآلك، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هٰذا إِلّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾[2].[3]

وقال أبو علي الطبرسي رحمه الله: عن كتاب شواهد التنزيل مرفوعاً إلى أبي أُمامة الباهلي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتّى، وخلقت أنا وعلي من شجرةٍ واحدةٍ، أنا أصلها وعليّ فرعها، [وفاطمة لقاحُها][4]، والحسن والحسين ثمارها، وأشياعنا أوراقها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا، ومن زاغ عنها هوى، ولو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف ألف عام ثمّ ألف عام؛ حتّى يصير كالشنّ[5] البالي، ثمّ لم يُدرك محبتنا، أكبّه الله على منخريه في النار. ثمّ تلا: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ﴾[6].[7]

ولا شكّ أنّ مودّتهم أجر الرسالة، وأجرها عظيم، ومودتهم كذلك عظيمة، وكلّ الأنبياء عليهم السلام جعلوا أجرهم في تبليغ الرسالة على الله إلّا نبينا صلى الله عليه وآله فإنّه جعل أجره

---

(١) الشورى (٤٢): ٢٤.

(٢) الأنبياء (٢١): ٣.

(٣) الكافي ٨: ٣٧٩ ح ٥٧٤، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٤٧ ـ ٥٤٨ ح ١٤، بحار الأنوار ٢٣: ٢٥٢ ح ٣٢ و ٢٤: ١٧٥ ح ٤، تفسير البرهان ٤: ٨١٦ـ٨١٧ ح ٩٤٩٦.

(٤) ما بين المعقوفتين من المصدر وتفسير البرهان.

(٥) الشَّنّ: الخَلَقُ من كلِّ آنية صُنِعت من جلد، الجمع شِنان بالكسر، تاج العروس ١٨: ٣٢٧ «شنن».

(٦) الشورى (٤٢): ٢٣.

(٧) تفسير مجمع البيان ٩: ٤٨، وراجع: شواهد التنزيل ٢: ١٤١ ح ٨٣٧، تفسير البرهان ٤: ٨٢٣ ح ٩٥١٣، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٤٨ ح ١٥، بحار الأنوار ٢٣: ٢٣٠.

مودّة قرابته، وقد جاء في مودّتهم فضل كثير(١).

ما روي عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال: إني شافع يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاؤوا بذنوب أهل الدنيا: رجل نصر ذرّيتي، ورجل بذل ماله لذرّيتي عند الضيق، ورجل أحبّ ذرّيتي باللسان والقلب، ورجل سعى في حوائج ذرّيتي إذا طردوا وشرّدوا(٢).

وروي عن الصادق عليه السلام انّه قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أيها الخلائق أنصتوا، فإنّ محمّداً صلى الله عليه وآله يتكلّم، فتنصت الخلائق، فيقوم النبيّ صلى الله عليه وآله فيقول: يا معشر الخلائق من له عندي يد أو منّة أو معروف فليقم حتّى أكافيه. فيقولون: بآبائنا وأمّهاتنا، وأيّ يدٍ أو منّة أو معروف لنا، بل اليد والمنّة والمعروف لله ولرسوله على جميع الخلائق. فيقول: من آوى أحداً من أهل بيتي، أو برّهم، أو كساهم من عرى، أو أشبع جائعهم، فليقم حتّى أُكافيه. فيقوم أُناس قد فعلوا ذلك.

فيأتي النداء من عند الله: «يا محمّد يا حبيبي قد جعلت مكافأتهم إليك فأسكنهم من الجنّة حيث شئت» فيسكنهم معه في الوسيلة(٣) حيث لا يحجبون عن محمد وأهل بيته عليهم السلام(٤).

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٤٨ ذيل الحديث ١٥.

(٢) الكافي ٤: ٦٠ ح ٩ كتاب الزكاة ـ باب الصدقة لبني هاشم ومواليهم وصلتهم، تهذيب الأحكام ٤: ١١١ ح ٣٢٤ في الزيادات في الزكاة، ورواه المفيد مرسلاً في المقنعة: ٢٦٧، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٤٨ ح ١٦، وسائل الشيعة ١٦: ٣٣٢ ح ٢ الباب ١٧ تأكد استحباب اصطناع المعروف إلى العلويين والسادات من أبواب فعل المعروف.

(٣) ورد في معاني الأخبار: ١١٦ ح ١ في باب معنى الوسيلة ـ في حديث طويل ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (الوسيلة) هي درجتي في الجنّة، وهي ألف مرقاة... إلخ.

(٤) من لا يحضره الفقيه ٢: ٦٥ ح ١٧٢٧، عنه في: الوسائل ١٦: ٣٣٣ ح ٣ باب ١٧ تأكد استحباب ⇐

وفي المجمع عن ابن عبّاس قال: قال: لما نزلت هذه الآيـة: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[١] الآية قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودتهم؟ قال: علي وفاطمة وولدهما[٢].

وعن علي عليه السلام قال: «فينا في آل حم، آية لا يحفظ مودّتنا إلّا كلّ مؤمن، ثمّ قرأ هذه الآية[٣].

وفي الخصال: عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من لم يحب عترتي فهو لإحدى ثلاث: إمّا منافق، و إمّا لزنيّة، وإمّا حملت أُمّه به في غير طهر[٤].

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾[٥] الإمام يردع عمّا يوجب الكذب والختم[٦] والباطل، ويدعو إلى الحق بالضرورة، لا شيء من غير المعصوم كذلك بالإمكان فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالظاهر وإحقاق الحق بالكلمات فلا يتم إلّا بعصمة الإمام بعده عليه السلام، المراد بالكلمات: إمّا الأئمّة عليهم السلام، أو ما كان الإمام بها يدعو إلى الحق. فإحقاق الحق يتوقّف عليها. وعلى أيّ تقدير فالحق وما يتوقّف

⇐ المعروف إلى العلويين والسادات من أبواب فعل المعروف، وراجع: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٤٩ ح١٧.

(١) الشورى (٤٢): ٢٣.

(٢) تفسير مجمع البيان ٩: ٤٨.

(٣) تفسير مجمع البيان ٩: ٤٩، تفسير الصافي ٤: ٣٧٣، تفسير البرهان ٤: ٨٢٣ ح٩٥١٤، بحار الأنوار ٢٣: ٢٣٠.

(٤) الخصال ١: ١١٠ ح٨٢، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٣٧٤، بحار الأنوار ٢٧: ١٤٧ ح٨، تفسير نور الثقلين ٤: ٥٧٦ ح٧٩.

(٥) الشورى (٤٢): ٢٤.

(٦) أيّ الختم على القلب.

عليه الحق محبوبه، فلابدّ من مودّته بغيره، وذاك قرينة على أنّ ما مر من العصمة في القربى وأنّه يحب تلك المودّة كما يجب مودّة الحق وما يؤدّي إليه.

ويُعضده بما في الكافي عن الباقر والصادق عليهما السلام يقول: لو شئت حبست عنك الوحي فلم تكلّم بفضل أهل بيتك ولا بمودّتهم، وقد قال الله عزّوجلّ ﴿ **يَمْحُ اللّٰهُ الْبٰاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمٰاتِهِ** ﴾[١] إنّه يقول الحق لأهل بيتك الولاية ﴿ **إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ** ﴾[٢] يقول ممّا ألقوه في صدورهم من العداوة لأهل بيتك والظلم بعدك[٣].

والقمّي عنه عليه السلام قال: جاءت الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: إنا قد آوينا ونصرنا فخذ طائفة من أموالنا فاستعن بها على ما نابك، فأنزل الله عزّوجلّ: ﴿ **قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا** ﴾[٤] يعني على النبوة ﴿ **إِلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ** ﴾[٥] يعني: في أهل بيته ، ثمّ قال: ألا ترى أنّ الرجل يكون له صديق، و في نفس ذلك الرجل شيء على أهل بيته، فلا يسلم صدره، فأراد الله عزّوجلّ أن لا يكون في نفس رسول الله شيء على أمته ففرض عليهم المودّة في القربى، فإن أخذوا أخذوا مفروضاً، و إن تركوا تركوا مفروضاً. قال: فانصرفوا من عنده وبعضهم يقول: عرضنا عليه أموالنا، فقال: قاتلوا عن أهل بيتي من بعدي، وقالت طائفة: ما قال هذا رسول الله وجحدوه، قالوا: كما حكى الله عزّوجلّ: ﴿ **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا** ﴾[٦] فقال الله : ﴿ **فَإِنْ يَشَإِ اللّٰهُ يَخْتِمْ عَلىٰ**

---

(١) الشورى (٤٢): ٢٤.

(٢) الشورى (٤٢): ٢٤.

(٣) الكافي ٨: ٣٧٩ ـ ٣٨٠ ضمن حديث ٥٧٤، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٣٧٤.

(٤) الشورى (٤٢): ٢٣.

(٥) الشورى (٤٢): ٢٣.

(٦) الشورى (٤٢): ٢٤.

قَلْبِكَ ﴾[١] قال لو افتريت: ﴿ وَيَمْحُوا اللّهُ الْبَاطِلَ ﴾[٢] يعني يبطله ﴿ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾[٣] يعني بالأئمة والقائم من آل محمد عليهم السلام[٤]. وأيضاً أكّد هذا بما نقوله إنّه تعالى قال بالأئمّة ﴿ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾[٥] لأنّه يعرف طرق التوبة وما فيه التوبة وما يقبل التوبة بهم ﴿ وَيَعْفُواْ عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾[٦] بمودّتهم والاعتقاد بهم ﴿ وَيَعْلَمُ ـ الله ـ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[٧].

في العيون عن سيّد الشهداء عليه السلام قال: اجتمع المهاجرون والأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إن لك يا رسول الله مؤونة في نفقتك وفيمن يأتيك من الوفود وهذه أموالنا مع دمائنا فاحكم فيها بارّاً مأجوراً أعط ما شئت وأمسك ما شئت من غير حرج، قال: فأنزل الله عزّوجلّ عليه الروح فقال: يا محمد ﴿ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبىٰ ﴾[٨] يعني أن تودّوا قرابتي من بعدي فخرجوا فقال المنافقون: ما حمل رسول الله صلى الله عليه وآله على ترك ما عرضنا عليه إلا ليحثّنا على قرابته من بعده إن هو إلا شيء افتراه في مجلسه وكان ذلك من قولهم عظيماً، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ اللّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[٩] فبعث

---

(١) الشورى (٤٢): ٢٤.
(٢) الشورى (٤٢): ٢٤.
(٣) الشورى (٤٢): ٢٤.
(٤) تفسير القمي ٢: ٢٧٥.
(٥) الشورى (٤٢): ٢٥.
(٦) الشورى (٤٢): ٢٥.
(٧) الشورى (٤٢): ٢٥.
(٨) الشورى (٤٢): ٢٣.
(٩) الأحقاف (٤٦): ٨.

عليهم النبي صلى الله عليه وآله فقال: هل من حدث؟ فقالوا: إي والله يا رسول الله، لقد قال بعضنا كلاماً غليظاً كرهناه، فتلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله الآية فبكوا واشتدّ بكاؤهم فأنزل الله عزّوجلّ: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾[1].[2]

وأكّد أيضاً بما قال تعالى بعد هذا: ﴿**وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ**﴾[3] فإن استجابة الدعاء والشفاعة العظمى والنجاة من مهاوي السفلى ليس إلّا بالعلم بمراده سبحانه والعمل بأوامره ونواهيه على نحو العموم، على ما ترىٰ من الجمع المحلّى باللام[4]، وهو ليس إلّا بالمعصوم، والزيادة على هذا من الأجر والاستخلاص من الدركات للمستحقّين لذلك ليس إلّا باعتقادهم الجازم بمحمّد عليهم السلام وآله الطيّبين؛ لأن كلاً من هؤلاء فضله ورحمته على العالمين، فلذلك يجب مودّتهم وطاعتهم والتبرّي من أعدائهم الكافرين الموصوفين بعذاب شديد، وهذا هو المؤيّد.

جاء في المجمع عن ابن عبّاس: إن رسول الله صلى الله عليه وآله حين قدم المدينة واستحكم الإسلام قالت الأنصار فيما بينها: نأتي رسول الله صلى الله عليه وآله فنقول له: إن يعروك أُمور فهذه أموالنا تحكم فيها من غير حرج ولا محظور عليك. فأتوه في ذلك فنزلت:

---

(١) الشورى (٤٢): ٢٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ضمن حديث ١ باب ٢٣ ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع المأمون في الفرق بين العترة والأُمة، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٣٧٥، بحار الأنوار ٢٥: ٢٢٨.

(٣) الشورى (٤٢): ٢٦.

(٤) وقد ورد في الأُصول أنّ الجمع المحلّى باللام يفيد العموم، راجع: مبادئ الوصول إلى علم الأُصول ١: ١٢٢، العدّة في أُصول الفقه ١: ٢٧٥.

﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبىٰ﴾(١) فاقرأها عليهم وقال: تودّون قرابتي من بعدي فخرجوا عنده مسلمين لقوله فقال المنافقون: إن هذا الشيء افتراه في مجلسه أراد أن يذلّلنا لقرابته من بعده فنزلت: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرىٰ عَلَى اللّهِ كَذِبًا﴾(٢) فأرسل إليهم فتلاها عليهم، فبكوا واشتدّ عليهم، فأنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ﴾(٣) الآية، فأرسل في إثرهم فبشرهم وقال: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٤) وهم الذين سلموا لقوله(٥).

وعن النبيّ ﷺ قال: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾: الشفاعة لمن وجبت النار ممّن أحسن إليهم في الدنيا»(٦).

إنّه لا يحبّ الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل، غير المعصوم بالفعل ظالم بالفعل، ولا شيء من الظالم بالفعل محبوبه تعالى بالضرورة، فلا شيء من غير المعصوم محبوبه تعالى بالضرورة. أمّا الصغرى؛ فلأنّ النطقيّات الكثيرة دالّة على أنّ مرتكب الصغيرة ظالم، واللغة تنادي بذلك؛ لأن فيه مطلق النقص. وأمّا الكبرى فبهذه الآية؛ لأنّ الظالمين جمع محلّى باللام وهو يفيد العموم(٧). فالكبرى داخلة فيه بلا خلاف، فإنّ الخلاف ليس في الفعليّة، بل في غيره، وكلّ من لا يحبه الله فهو غير متّبع؛ لقوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ

(١) الشورى (٤٢): ٢٣.
(٢) الأحقاف (٤٦): ٨.
(٣) الشورى (٤٢): ٢٥.
(٤) الشورى (٤٢): ٢٥.
(٥) تفسير مجمع البيان ٩: ٤٩، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٣٧٦.
(٦) تفسير مجمع البيان ٩: ٥١، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٣٧٦.
(٧) العدّة في أُصول الفقه ١: ٢٧٥، مبادئ الوصول إلى علم الأُصول: ١٢٢.

اللَّهُ﴾[١] جعل أتباعه موجباً لمحبّة الله، وإلّا لم يتم الغرض، وينعكس بعكس النقيض، ويلزم كلّ من لا يحبه الله فهو غير متبع للنبي صلى الله عليه وآله؛ لأن نفي اللازم يستلزم نفي الملزوم، وهما ينتجان: غير المعصوم غير متّبع للنبي صلى الله عليه وآله في الجملة، بل يخالفه بالفعل، وكلّ من اتّبع غير متّبع النبي صلى الله عليه وآله في الجملة، بل هو مخالف له بالفعل في الجملة، وهو غير متّبع للنبي صلى الله عليه وآله في الجملة، بل مخالف للنبي صلى الله عليه وآله في الجملة.

فيكون اتّباع غير المعصوم قبيحاً في الجملة، فكلّ ما لا يعلمه المكلّف فاتّباعه فيه يحتمله ذلك فيجب الاحتراز عنه، والإمام لا يجوز أن يكون كذلك للأمر باتباع ما في الكتاب، ولو لم يكن لانتفت فائدة نصبه ولزم إفحامه، وفي ذلك كلّه نقض الغرض، وهو على الله تعالى محال، فيستحيل أن يكون الإمام غير معصوم.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: «ولمن انتصر بعد ظلمه» الآية، قال: ذاك القائم إذا قام انتصر من بني أُميّة ومن المكذّبين والنصّاب[٢].

وفي تفسير الصافي بعد «والنصّاب»: هو وأصحابه وهو قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ**﴾ الآية[٣]، ﴿**وَتَرَى الظَّالِمِينَ**﴾ آل محمّد حقّهم ﴿**لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ**﴾ وعليّ هو العذاب في هذا الوجه ﴿**يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِن**

---

(١) آل عمران (٣): ٣١.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٤٩ ـ ٥٥٠ ح١٨، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٢٩ ح٢٩. ورواه القمي في: تفسيره ٢: ٢٧٨ وروي أيضاً في: تفسير فرات الكوفي: ٣٩٩ ح٥٣٢، تفسير الصافي ٤: ٤٨٠، تفسير البرهان ٤: ٨٢٩ ح٩٥٣٨.

(٣) الشورى (٤٢): ٤٢.

سَبِيلٍ ﴾ فنوالي علياً ﴿ **وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ** ﴾ لعليّ ﴿ **يَنظُرُونَ** ﴾ إلى عليّ ﴿ **مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ يعني: آل محمّد وشيعتهم ﴿ **أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ** ﴾ آل محمّد حقّهم ﴿ **فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ** ﴾[1] قال: والله يعني النصّاب الذين [نصبوا] العداوة لأميرالمؤمنين وذريّته والمكذّبين[2].

ولعلّ الوجه في قوله عليه السلام «إنّ عليّاً هو العذاب»[3] أنّه قسيم الجنّة والنار[4].

وعن أبي جعفر عليه السلام: «من طرفٍ خفي» يعني إلى القائم عليه السلام[5]. ولا منافاة.

١٠٩٤ ـ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[6].

المراد بالنور إمّا الإمام أو ما كان وسيلة يدعو إلى الصراط المستقيم أو الأعمّ، وعلى أيّ تقدير يلزم عصمته، وأنّ قوله تعالى: «أوحينا إليك روحاً» وقوله: «إنّك لتهدي إلى صراط مستقيم» يدلّ على عصمة النبيّ صلى الله عليه وآله، فكذا من قام مقامه يقتضيه التسوية كما مرّ غير مرّة، وقد مرّ في سورة الحمد أنّ المراد بالصراط المستقيم الإمام، فالمراد: إنّك لتهدي إلى الإمام بالنصّ عليه، كما في يوم الغدير.

---

(١) الشورى (٤٢): ٤٤ ـ ٤٥.

(٢) تفسير الصافي ٤: ٣٨٠.

(٣) راجع: تفسير القمي ٢: ٢٧٨.

(٤) يعني أنّه سبب العذاب، لأنّه قسيم الجنّة والنار. راجع: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٥٠، تفسير البرهان ٤: ٨٢٩ ح ٩٥٣٩.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٥٠ ح ٢٠، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ح ٣٢، تفسير البرهان ٤: ٨٢٩ ح ٩٥٤٠.

(٦) الشورى (٤٢): ٥٢.

ويُعضد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي عبدالله عليه السلام حين سُئل عن هذه الآية، قال: أبا محمّد، الروح خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدّده، وهو مع الأئمّة يُخبرهم ويسدّدهم[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا» قال: ذاك عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وفي قوله: «إنّك لتهدي إلى صراط مستقيم» قال: إلى ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٢].

وعلىٰ ذريّته الأئمّة الكرام والصفوة من الأنام وخيرة الملك العلّام، مفضّلين على كلّ بالسلام، سلام دائم مستمرّ الدوام، وعلى مرّ الشهور والأعوام، لا يقدر عليه بالمداد والأقلام، ما سبّح الرعد والغمام، ونسخ الضياء الظلام.

سورة الزخرف وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام

١٠٩٥ ـ ﴿إِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾[٣].

بيان الاستدلال: أنّه قد اشتهر بين أهل العلم وتواتر عنه عليه السلام تسمية الفاتحة بأُمّ الكتاب[٤]، بحيث لا خلاف في ذلك بين أهل التفسير والآداب، وقد مرّ أيضاً في تفسير الفاتحة أنّ المراد بالصراط المستقيم الإمام عليه السلام أو ما يلزمه، وقد ذكرنا فيه ما روي من طرق العامّة والخاصّة أنّ المراد به أميرالمؤمنين عليه السلام، فالمرجع في «إنّه»

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٥١ ح ٢١، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣١٨ ح ٢٥، وانظر: بصائر الدرجات: ٤٧٥ الأحاديث ٣ و ٤ و ٥ باب الروح التي قال الله تعالى في كتابه، تفسير البرهان ٤: ٨٣٧ ح ٩٥٥٥، أيضاً في: تفسير البرهان ٤: ٨٣٨ ح ٩٥٥٦.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٥١ ح ٢٢، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٤ ح ٥٤، وراجع: تفسير القمي ٢: ٢٨٠، تفسير البرهان ٤: ٨٣٨ ح ٩٥٥٦.

(٣) الزخرف (٤٣): ٤.

(٤) انظر: الكافي ٦: ٢٢٤ ح ٢.

هو أميرالمؤمنين عليه السلام فالمراد بـ«علي» إمّا المعنى العلمي واللغوي، وقد قيل إنّ المرجع عليّ عليه السلام لكثرة مثل ذلك في القرآن، ويُسمّى ذلك التفات مثل قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[١].

ولنا أيضاً أن نقول: إنّ المرجع وإن لم يذكر صريحاً وحقيقة، لكن يكفي في ذلك على نحو غير الصراحة مثل ﴿ لأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ ﴾[٢] بيانه أنّه لمّا قال تعالى ﴿حمٓ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[٣] لزمه وجود إمام معصوم؛ لأنّه قد مرّ أنّ تلك الحروف التي في أوائل السور من المتشابهات التي لا يعلمها إلّا الراسخون في العلوم، والراسخ هو المعصوم، والإمام منهم بلا خلاف.

وقد مرّ أيضاً أنّ في قوله تعالى «لعلّكم تعقلون» حثّ على العلم به بحيث يترتّب فائدته وهو العمل، وذلك ليس إلّا ببيان المعصوم لما مرّ غير مرّة أنّ مع أنّ الشأن والاستخدام ممكن وإسناد الحكيم إلى الإنسان والملك أولى بالحقيقة على أنّ كون القرآن حكمته على نحو الظهور والفائدة ليس إلّا بإمام معصوم.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: في المعاني عن الصادق عليه السلام: هو أميرالمؤمنين عليه السلام في «أُمّ الكتاب» يعني الفاتحة فإنّه مكتوب فيها في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[٤] قال: الصراط المستقيم هو أميرالمؤمنين عليه السلام ومعرفته[٥].

---

(١) الأحزاب (٣٣): ٣٣.

(٢) النساء (٤): ١١.

(٣) الزخرف (٤٣): ١ـ٣.

(٤) الفاتحة (١): ٦.

(٥) تفسير الصافي ٤: ٣٨٤، وراجع: معاني الأخبار: ٣٢ ح٣ باب معنى الصراط.

والقمّي ما في معناه(١).

وفي تأويل الآيات الظاهرة: عنه عليه السلام: هو أميرالمؤمنين عليه السلام(٢).

وعنه عليه السلام: قال أبي وقد تلا هذه الآية «وإنّه في أُمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم» قال: عليّ بن أبي طالب عليه السلام(٣).

وروي عنه عليه السلام أنّه سُئل: أين ذكر عليّ عليه السلام في أُمّ الكتاب؟ فقال: في قوله سبحانه تعالى: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾(٤) وهو عليّ عليه السلام(٥).

وعن الأصبغ بن نباتة قال: خرجنا مع أميرالمؤمنين صلوات الله عليه حتّى انتهينا إلى صعصعة بن صوحان فإذا هو على فراشه، فلمّا رأى عليّاً عليه السلام خفّ له، فقال له عليّ: لا تتّخذنّ زيارتنا إيّاك فخراً على قومك. قال: لا يا أميرالمؤمنين ولكن ذخراً وأجراً. فقال له: والله ما كنت علمتك إلّا خفيف المؤونة، كثير المعونة. وقال صعصعة: وأنت والله يا أميرالمؤمنين إنّك ما علمتك إلّا باللّه لعليم، وإنّ الله في عينك لعظيم، وإنّك في كتاب الله لعليّ حكيم، وإنّك بالمؤمنين رؤوف رحيم(٦).

---

(١) تفسير القمي ١: ٢٨، وراجع: تفسير الصافي ٤: ٣٨٤.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٥٢ ح١، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٢١٠ ح١٦، تفسير البرهان ٤: ٨٤٥ ح٩٥٦٤ عن القمي.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٥٢ ح٢، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٢١٠ ح١٧، تفسير البرهان ٤: ٨٤٦ ح٩٥٦٦.

(٤) الفاتحة(١): ٦.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٥٢ ح٣، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٢١١ ح١٨، تفسير البرهان ٤: ٨٤٦ ح٩٥٦٧.

(٦) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٥٣ ح٤، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ٢١١ ح١٩. وانظر: الغارات ٢: ٨٩٣، تفسير البرهان ٤: ٨٤٦ ح٩٥٦٨.

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: لمّا صُرِع زيد بن صوحان يوم الجمل جاء أمير المؤمنين عليه السلام حتّى جلس عند رأسه، فقال: رحمك الله يا زيد قد كنت خفيف المؤونة عظيم المعونة. فرفع رأسه إليه فقال: وأنت جزاك الله يا أمير المؤمنين فوالله ما علمتك إلّا باللّه عليماً، وفي أُمّ الكتاب عليّاً حكيماً، وأنّ الله في صدرك عظيماً[1].

وجاء في دعاء يوم الغدير: «وأشهد أنّه الإمام الهادي الرشيد، أمير المؤمنين الذي [ذكرت] في كتابك فإنّك قلت: وإنّه في أُمّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم»[2].

ونقل: قد مرّ ما ورد في طرق العامّة والخاصّة عن عليّ عليه السلام: أنا حاء الحواميم، وطاء الطواسيم، وأنا اللوح المحفوظ، وأنا الكتاب المبين، وأنا كلام الله الناطق[3].

وعلى هذا الإيجاز في إرجاع الضمير، وحينئذٍ يكون قرآناً منصوباً على نزع الجار فإنّ «جعل» جاء بمعنى أوجد كقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**﴾[4] يتعدّى إلى مفعول واحد أي أوجد ذكره في القرآن فيكون عربيّاً منصوباً على الحاليّة أو يكون على كونه مفعولاً ثانياً لجعل أي صيّرناه في القرآن منسوباً إلى العرب.

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٥٣ ح٥، عنه في: تفسير البرهان ٤: ٨٤٦ ح٩٥٦٩، بحار الأنوار ٢٣: ٢١١ ح٢٠. وراجع أيضاً: اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ١: ٢٨٤ رقم ١١٩ ط. مؤسسة آل البيت عليهم السلام، وعنه ـ مختصراً ـ التفريشي في: نقد الرجال ٢: ٢٨٦ ترجمة رقم ٢١٣٧ (ترجمة زيد ابن صوحان).

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٥٣ ح٦، وراجع: مناقب ابن شهر آشوب ٢: ٣٠٢، بحار الأنوار ٣٥: ٥٨ ح١٢ عن التهذيب والمصباح. وانظر: المصباح للكفعمي: ٦٨٢ ط. مؤسسة الأعلمي - بيروت، تفسير البرهان ٤: ٨٤٦ ح٩٥٧٠.

(٣) راجع: تعليقتنا في الجزء الأوّل ص٥٦ وص٥٧ من إثبات الإمامة حول كلام الإمام علي عليه السلام المذكور في المتن وذكرنا هناك ما يتعلق بهذه الخطبة، فراجع.

(٤) الأنعام (٦): ١.

ويحتمل أن يكون المراد بأُمّ الكتاب اللوح بما جاء في الطريقين أنّ اسمه مثبت في اللوح، فإنّ نورهما قبل خلق الخلق بألفي عام، وقد مرّ.

١٠٩٦ ـ ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ * وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَا لَهُم بِذٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[1].

فيه ذمّ وتعيير على من جعل مناط الأحكام الإلهيّة الظنّ وعدم العلم بتعطيل أسباب العلم بما في أنفسهم من عدم التخلية والتحلية، وعلى من لم يعمل بمقتضىٰ ما علم بتغليب الشهوانيّة على مقتضيات العقلانيّة! ولا ريب أنّ قول غير المعصوم من حيث هو لا يفيد إلّا الظنّ، فلو كان الإمام غير معصوم لزم له تلك المذمّة ولمن اتّبعه فلم يجزم، وقد أوجب الله سبحانه نقيضه في آية أُولو الأمر، هذا خلف؛ فيجب عصمته.

وأُيّد بما في تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي عبدالله عليه‌السلام قال: أمر رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله أبا بكر وعمر وعليّاً عليه‌السلام أن يمضوا إلى الكهف والرقيم فيسبغ أبو بكر الوضوء ويصفّ قدميه ويصلّي ركعتين وينادي ثلاثاً، فإن أجابوه وإلّا فليقل مثل ذلك عمر، فإن أجابوه وإلّا فليقل مثل ذلك عليّ عليه‌السلام، فمضوا وفعلوا ما أمرهم به رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله فلم يجيبوا أبابكر ولا عمر، فقام عليّ عليه‌السلام وفعل ذلك فأجابوه وقالوا: لبّيك لبّيك ـ ثلاثاً ـ فقال لهم: ما لكم لم تجيبوا الصوت الأوّل والثاني وأجبتم الثالث؟ فقالوا: إنّا أُمرنا أن لا نجيب إلّا نبيّاً أو وصيّ نبيّ، ثمّ انصرفوا إلى النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله فسألهم ما فعلوا فأخبروه، فأخرج رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله صحيفة حمراء فقال: اكتبوا شهادتكم بخطوطكم فيها بما رأيتم وسمعتم، فأنزل الله عزّ وجلّ: «ستكتب شهادتهم

---

(١) الزخرف (٤٣): ١٩ ـ ٢٠.

ويُسئلون» يوم القيامة[١].

وعن أبي بصير قال: ذكر أبو جعفر عليه السلام الكتاب الذي تعاقدوا عليه في الكعبة وأشهدوا فيه وختموا[٢] عليه بخواتيمهم، فقال: يا أبا محمّد، إنّ الله أخبر نبيّه بما يصنعونه قبل أن يكتبوه وأنزل الله فيه كتاباً. قلت: أنزل الله فيه كتاباً؟ قال: نعم، ألم تسمع قوله تعالى: «ستكتب شهادتهم ويُسئلون»[٣].

١٠٩٧ ـ ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ﴾[٤].

أي ذريّة إبراهيم فيكون فيهم أبداً من يوحّد الله ويدعو إلى توحيده ويكون رأساً للخلائق؛ لعلّهم يرجعون إلى مرضي الله سبحانه عن الشرك والبطالة. ولا يخفى أنّ بعد جعله سبحانه وحكمه تعالى ببقاء هذا قبل إيجاد من جعلت فيه هذه الكلمة باقية لا يجوز عليه الشرك، وهو ظاهر. فإذا لم يجز عليه الشرك، فيجب كونه باقياً على التوحيد إلى مدّة عمره.

ثمّ إذا أفنى المحل قام هذا الأمر بإيجاده في محلّ آخر ليكون باقياً، فلا انتقال لو آحلناه ولا قائل بأن يجوز بغير معصوم ارتكاب ما سوى الشرك من الذنوب ولا يجوز له الشرك، بل كلّ من قال بعدم العصمة قال بجواز صدور كلّ ذنب منه، ومن قال بالعصمة لا يقول بالتفصيل؛ سيّما في ما نحن فيه.

وأيضاً كلّ من قال بعصمة شخص من أوّل عمره إلى آخره قال بعصمة الإمام

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٥٤ ح٧، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣١٩ ح٢٦، تفسير البرهان ٤: ٨٥١ ح٩٥٨١.

(٢) في المخطوط: «اجتمعوا» وما أثبتناه من المصدر.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٥٥ ح٩، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٣١٩ ح٢٧، تفسير البرهان ٤: ٨٥١ ـ ٨٥٢ ح٩٥٨٢.

(٤) الزخرف (٤٣): ٢٨.

لما عرفت، فالتفصيل في الموضعين قول لا يقول به أحد من الأُمم، وبذلك ثبت وجود معصوم في كلّ دهر وعصر؛ ليكون حجّة داعياً لغيرهم إلى هذا ليرجعوا وتصير الكلمة باقية، وهذا هو المطلوب؛ فتأمّل.

ويؤيّده ما في تفسير الصافي: في الإكمال عن السجّاد عليه السلام قال: فينا نزلت هذه الآية: «وجعلها كلمة باقية في عقبه» والإمامة في عقب الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة[1].

وفي العلل عن الباقر عليه السلام، وفي المعاني والمناقب والمجمع عن الصادق عليه السلام مثله[2].

وفي الاحتجاج عن النبيّ صلى الله عليه وآله في خطبة الغدير: معاشر الناس، القرآن يعرِّفكم أنّ الأئمّة من بعده ولده، وعرّفتكم أنّه منّي وأنا منه، حيث يقول الله عزّ وجلّ: «وجعلها كلمة باقية في عقبه»، وقلت: «لن تضلّوا ما إن تمسّكتم بهما»[3].

وفي المناقب أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سُئل عن هذه الآية فقال: الإمامة في عقب الحسين عليه السلام تخرج من صلبه تسعة من الأئمّة، منهم مهديّ هذه الأُمّة[4].

والقمّي: «لعلّهم يرجعون» يعني الأئمّة يرجعون إلى الدنيا[5].

وفي تأويل الآيات الظاهرة: بإسناده عن مسلم بن قيس، قال: خرج علينا عليّ

---

(١) تفسير الصافي ٤: ٣٨٧، وراجع: كمال الدين وتمام النعمة: ٣٢٣ ضمن حديث ٨.

(٢) عنهم في: تفسير الصافي ٤: ٣٨٧، وانظر: علل الشرائع ١: ٢٠٧ ح٦، معاني الأخبار: ١٣٢ ح١ باب معنى الكلمة الباقية في عقب إبراهيم عليه السلام، المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٢٠٦، تفسير مجمع البيان ١: ٣٧٥.

(٣) الاحتجاج ١: ٨٢، وعنه في: بحار الأنوار ٣٧: ٢١٥، تفسير الصافي ٤: ٣٨٨.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ٣: ٢٠٦.

(٥) تفسير القمي ٢: ٢٨٣.

ابن أبي طالب عليه السلام ونحن في المسجد فاحتوشناه، فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عمّا في القرآن علم الأوّلين والآخرين، لم يدع لقائل مقالاً ولا يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم، وليسوا بواحد، ورسول الله صلى الله عليه وآله كان واحداً منهم علّمه الله سبحانه إيّاه، وعلّمنيه رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ لا يزال في عقبه إلى يوم القيامة يوم تقوم الساعة، ثمّ قرأ: ﴿**وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ**﴾[1] فأنا من رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى إلّا النبوّة في عقبنا إلى أن تقوم الساعة، ثمّ قرأ: «وجعلها كلمة باقية في عقبه». ثمّ قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله عقب إبراهيم.

ونحن أهل البيت عليهم السلام عقب إبراهيم، وعقب محمّد صلى الله عليه وآله[2].

وعن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال: إنّها في الحسين عليه السلام فلم يزل هذا الأمر ـ منذ أفضى إلى الحسين عليه السلام ـ ينتقل من والد إلى ولد لا يرجع إلى أخ ولا إلى عمّ، ولا يعلم أحد منهم خرج من الدنيا إلّا وله ولد، وإنّ عبدالله بن جعفر خرج من الدنيا ولا ولد له، ولم يمكث بين ظهراني أصحابه إلّا شهراً[3].

وعن الشيخ محمّد بن بابويه رحمه الله في «كتاب النبوّة» بإسناده إلى المفضّل بن عمر قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: يابن رسول الله، أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: «وجعلها كلمة باقية في عقبه»، قال: يعني بذلك الإمامة، وجعلها الله في عقب

---

(١) البقرة (٢): ٢٤٨.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٥٥ ح ١٠، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ١٧٩ ح ١١، تفسير البرهان ٤: ٨٥٤ ح ٩٥٨٩.

(٣) علل الشرائع ١: ٢٠٧ ح ٦ العلّة من أجلها صارت الإمامة في ولد الحسين عليه السلام، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٥٦ ح ١١، بحار الأنوار ٢٤: ١٧٩ ح ١٢، تفسير نور الثقلين ٤: ٥٩٧ ح ٢٣، تفسير البرهان ٤: ٨٥٤ ح ٩٥٩٠.

الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة.

فقلت: يابن رسول الله، أخبرني كيف صارت الإمامة في ولد الحسين دون الحسن عليه السلام وهما ولدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطاه وسيّدا شباب أهل الجنّة؟ فقال عليه السلام: يا مفضّل، إنّ موسى وهارون نبيّان مرسلان أخوان، فجعل الله النبوّة في صلب هارون [دون صلب موسىٰ][1] ولم يكن لأحد أن يقول: لم فعل ذلك، وكذلك الإمامة وهي خلافة الله عزّ وجلّ. وليس لأحد أن يقول: لم جعلها في صلب الحسين دون الحسن عليه السلام؛ لأنّ الله عزّ وجلّ الحكيم في أفعاله لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون[2].

١٠٩٨ ـ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾[3].

لا شيء من الإمام له هذه الصفة بالضرورة، وكلّ غير معصوم له هذه الصفة بالإمكان؛ فلا شيء من الإمام بغير معصوم بالضرورة.

وأُيّد بما في تفسير الصافي: القمّي عن الباقر عليه السلام: نزلت هاتان الآيتان هكذا: حتّى إذا جاءنا ـ يعني فلاناً وفلاناً ـ يقول أحدهما لصاحبه حين يراه: يا ليت بيني وبينك بُعدَ المشرقين فبئس القرين. فقال الله لنبيّه: قل لفلان وفلان وأتباعهما: لن

---

(١) ما بين المعقوفتين من المعاني والخصال وكمال الدين.

(٢) عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٥٦ ح ١٢، ورواه الصدوق في: الخصال: ٣٠٥ ح ٨٤ وكمال الدين: ٣٥٩ ح ٥٧ ومعاني الأخبار: ١٢٦ ح ١ باب معنى الكلمات التي ابتلى إبراهيم ربّه بهن فأتمّهنّ، وراجع أيضاً: بحار الأنوار ٢٥: ٢٦٠ ح ٢٥، تفسير البرهان ٤: ٨٥٤ ح ٩٥٩١ عن كتاب النبوة، تفسير نور الثقلين ٣: ٤٢٠ ح ٣٦ عن الخصال.

(٣) الزخرف (٤٣): ٣٨ و ٣٩.

ينفعكم اليوم إذ ظلمتم آل محمّد حقّهم أنّكم في العذاب مشتركون[١].

وفي تأويل الآيات الظاهرة: عن أبي جعفر عليه السلام قال: ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم آل محمّد حقّهم أنّكم في العذاب مشتركون[٢].

وهذا جواب لمن تقدّم ذكرهم أمام هذه الآية، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ** ﴾ فقال لهم عقيب ذلك: ﴿ **وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ** ﴾ آل محمّد حقّهم ﴿ **أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ** ﴾[٣] التابع والمتبوع وأُصول الظلم والفروع[٤].

١٠٩٩ ـ ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴾[٥].

الاستدلال به على طريق الشكل الثاني ظاهر.

وما في تأويل الآيات الظاهرة: معناه إذا ذهبنا بك وتوفّيناك «فإنّا منهم منتقمون» من أُمّتك من بعدك؛ لأنّ الله سبحانه أمن أُمّته من عذاب الاستئصال لقوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ** ﴾[٦] ولمّا آمنهم من الانتقام في حياته. توعّدهم بالانتقام بعد وفاته على يد وصيّه؛ لأنّه قال له: يا عليّ، إنّك تقاتل على

---

(١) تفسير الصافي ٤: ٣٩٢، وراجع: تفسير القمي ٢: ٢٨٦.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٥٧ ح١٣، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٣٠ ح٣٣، تفسير البرهان ٤: ٨٦٢ ـ ٨٦٣ ح٩٦٠٥.

(٣) الزخرف (٤٣): ٣٦ ـ ٣٩.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٥٧ ذيل الحديث ١٣.

(٥) الزخرف (٤٣): ٤١.

(٦) الأنفال (٨): ٣٣.

التأويل كما قاتلت على التنزيل، وإنّك تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين[١].

وقد ورد في تأويل ذلك أخبار، منها: ما حكاه أبو عليّ الطبرسي رحمه الله قال: روي عن جابر بن عبدالله أنّه قال: إنّي لأدناهم من رسول الله صلى الله عليه وآله في حجّة الوداع بمنى، إذ قال: لألفينكم[٢] ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ولأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنّي في الكتيبة التي تضاربكم، ثمّ التفت إلى خلفه وقال: أو عليّ أو عليّ ـ ثلاث مرّات ـ فرأينا أنّ جبرئيل قد غمزه، فأنزل الله سبحانه في أثر ذلك: «فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون» يعني بعليّ بن أبي طالب عليه السلام[٣].

ومنها: ما رواه عن حذيفة بن اليمان قال: قوله تعالى: «فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون» يعني بعليّ بن أبي طالب عليه السلام[٤].

وعن يحيى بن حسن بن فرات بإسناده إلى حرب بن أبي الأسود الدؤلي عن عمّه أنّه قال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا نزلت «فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون» أي بعليّ ابن أبي طالب عليه السلام؛ كذلك حدّثني جبرئيل[٥].

وعن عدي بن ثابت قال: سمعت ابن عبّاس يقول: ما حسدت قريش عليّاً عليه السلام

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٥٧ ـ ٥٥٨ ح ١٤.

(٢) في تفسير مجمع البيان «لا ألفينكم» وفي الأمالي: «لا عرفتكم».

(٣) تفسير مجمع البيان ٩: ٨٣، عنه في: تفسير الصافي ٤: ٣٩٢، تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٥٨ ح ١٥، ورواه الشيخ الطوسي في: أماليه: ٣٩٣ ح ١١/٧٦٠ المجلس الثالث عشر. عنه في: بحار الأنوار ٣٢: ٢٩١ ح ٢٤٤.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٥٨ ـ ٥٥٩ ح١٦، عنه في: بحار الأنوار ٣٢: ٣١٢ ح ٢٧٧. ورواه أيضاً القندوزي في: ينابيع المودّة ١: ٢٩٣ ح ١ (الباب السادس والعشرون).

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٥٩ ح١٧، عنه في: بحار الأنوار ٣٢: ٣١٢ ح٢٧٨.

بشيء ممّا سبق له أشدّ ممّا وجدت يوماً ونحن عند رسول الله ﷺ فقال: كيف أنتم معشر قريش لو قد كفرتم من بعدي فرأيتموني في كتيبة أضرب وجوهكم بالسيف؟ فهبط جبرئيل فقال: قل إن شاء الله أو علي، فقال: إن شاء الله أو علي[١].

وعن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: «فإنّا منهم منتقمون»، قال الله: أنتقم بعلي يوم البصرة، وهو الذي وعد الله ورسوله[٢].

وعن محمّد بن الربيع قال: قرأت على يوسف الأزرق حتّى انتهيت في الزخرف: «فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم منتقمون» وقال: يا محمّد أمسك، فأمسكت، فقال يوسف: قرأت على الأعمش فلمّا انتهيت إلى هذه الآية قال: يا يوسف، أتدري فيمن نزلت؟ قال: الله أعلم، قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام «فإمّا نذهبنّ بك فإنّا منهم ـ بعليٍّ ـ منتقمون» مُحِيت[٣] والله

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٥٩ ح١٨، عنه في: بحار الأنوار ٣٢: ٣١٢ ح٢٧٩. ورواه أيضاً البحراني في: غاية المرام ٤: ١٤١ ح٤.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥١٩ ـ ٥٦٠، عنه في: بحار الأنوار ٣٢: ٣١٣ ح٢٨٠، تفسير البرهان ٤: ٨٦٤ ح٩٦١١.

(٣) نرى من الضروري الإشارة ـ ولو مختصراً ـ إلى موقف علماء الطائفة الإماميّة وأتباع أهل البيت عليهم السلام حول عدم تحريف القرآن الكريم وأنّ الكتاب الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبيّ الأعظم ﷺ. ولقد صرّح به الكثير من علمائهم، واعتبروا صيانة الكتاب العزيز وسلامته من التحريف جزء من معتقداتهم، بل ادّعى بعضهم الإجماع على ذلك. ومن المناسب معرفة معنى التحريف ـ ولو إجمالاً ـ والمراد منه لقد ذكروا ما خلاصته: إنّه يُطلق لفظ التحريف ويراد منه معانٍ على سبيل الاشتراك منها: الأوّل: نقل الشيء عن موضعه وتحويله إلى غيره. الثاني: النقص والزيادة في الحروف أو في الحركات مع حفظ القرآن وعدم ضياعه وإن لم يكن متغيّراً في الخارج عن غيره. الثالث: النقص أو الزيادة بكلمة أو كلمتين مع التحفّظ على نفس القرآن المنزل. الرابع: التحريف بالزيادة والنقيصة في الآية والسورة مع التحفّظ على القرآن المنزل والتسالم على قراءة النبي ﷺ إيّاها. الخامس: التحريف بالزيادة بمعنى أنّ المصحف ⇐

⇐ الذي بأيدينا ليس من الكلام المنزل، والتحريف بهذا المعنى باطل بإجماع المسلمين. السادس: التحريف بالنقيصة، بمعنى أنّ المصحف الذي بين أيدينا لا يشتمل على جميع القرآن الذي نزل من السماء فقد ضاع بعضه على الناس، والتحريف بهذا المعنى هو الذي وقع فيه الخلاف فأثبته قوم ونفاه آخرون. ولمزيد من الاطّلاع راجع: البيان في تفسير القرآن للسيّد الخوئي: ٢١٥ ـ ٢١٨، صيانة القرآن من التحريف للشيخ محمّد هادي معرفة: ١١. واللازم بالذكر: أنّ القرآن الكريم لم يستعمل لفظ التحريف في سوى معناه اللغوي، أيّ التصرّف في معنى الكلمة وتفسيرها على غير وجهها، والمعبّر عنه بسوء التأويل أو التفسير بالرأي، وهو تحريف معنوي ليس سواه. انظر: صيانة القرآن من التحريف: ١٤. قال تعالى في سورة النساء الآية: ٤٦ ﴿ **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ** ﴾ وفي سورة المائدة الآية: ٤١ ﴿ **مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ** ﴾ أي بعد أن كان الكلام مستعملاً في معناه الحقيقي الظاهر فيه بنفسه أو المستعمل فيه فحصل التحريف والخيانة في أمانة الأداء والبلاغ. بعبارة أُخرى إزاحة اللفظ عن موضعه الذي هو معناه. وأمّا تصريحات أعلام الطائفة الإماميّة الذين كانوا القدوة في التحقيق والتدقيق فهي واضحة وصريحة في عدم وقوع التحريف، وإليك بعضها:

قال شيخ المحدّثين أبو جعفر محمّد بن علي الصدوق (ت ٣٨١هـ) في رسالته التي وضعها لبيان معتقدات الشيعة الإماميّة: «اعتقادنا أنّ القرآن الذي أنزل الله تعالى على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله هو ما بين الدفّتين وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك...». راجع: ٢٤٥ باب الاعتقاد في مبلغ القرآن. وقال شيخ الطائفة أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ): «وأمّا الكلام في زيادته ونقصانه فممّا لا يليق بهذا منه مجمع على بطلانها. والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا. وهو الذي نصره المرتضى، وهو الظاهر من الروايات. غير أنّه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصّة والعامّة بنقصان كثير من آي القرآن ونُقل شيء منه من موضع إلى موضع، طريقها الآحاد التي لا توجب علماً ولا عملاً، والأولى الإعراض عنها، وترك التشاغل بها، لأنّه لا يمكن تأويلها...» التبيان في تفسير القرآن ١: ٣. وكذلك قال المفسّر أبو علي الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) في مقدّمة تفسيره في الفن الخامس: «والكلام في زيادة القرآن ونقصانه ممّا لا يليق بالتفسير. أمّا الزيادة فيه فمجمع على بطلانه. وأمّا النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا خلافه وهو الذي نصره المرتضى واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيّات». تفسير مجمع البيان ١: ٤٢. وقال العلّامة الحلّي الحسن بن يوسف بن المطهّر (ت ٧٢٦هـ) في أجوبة المسائل المهناويّة عندما سأله السيّد المهنّا: هل نقص ⇐

⇐ من القرآن شيء أو زيد فيه؟ قال العلّامة في الجواب: «الحق انّه لا تبديل ولا تأخير ولا تقديم فيه، وإنّه لم يزد ولم ينقص ونعوذ بالله تعالى من أن يُعتقد مثل ذلك وأمثال ذلك، فإنّه يوجب التطرّق إلى معجزة الرسول ﷺ المنقولة بالتواتر». المسائل المهنّاوية: ١٢١ المسألة ١٣. وقال العلّامة الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ) في كتابه أصل الشيعة وأُصولها: «إنّ الكتاب الموجود بين المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه للإعجاز والتحدّي، وانّه لا نقص فيه ولا تحريف، ولا زيادة فيه، وعلى هذا إجماعهم...» أصل الشيعة وأُصولها: ٢٢٠ (في بحث النبوّة). ونحو ذلك ذكر العلّامة الفيض الكاشاني (ت ١٠٣١هـ) في المقدّمة السادسة من تفسير الصافي التي وضعها قبل التفسير، بعد نقل روايات تُوهم وقوع التحريف في كتاب الله. وقال أيضاً (القول بالتحريف) يتنافى مع روايات العرض على القرآن فيجب ردّه أو تأويله والحكم بفساده. ومن ردّ القول بالتحريف زيادة ونقيصة ودحض كلّ شبهة في ذلك هو الشيخ محمّد جواد البلاغي (ت ١٣٥٠هـ) في مقدّمة تفسيره القيّم «آلاء الرّحمٰن» في قول الإماميّة بعدم النقيصة في القرآن: ٦٣ ـ ٧١. وأيضاً تصدّى لذلك العلّامة السيّد عبدالحسين شرف الدين في كتابه «الفصول المهمّة في تأليف الأُمّة: ص ٢٤١» وذكر ما ذكره بقيّة العلماء في عدم التحريف في القرآن، وكذلك أشار في كلامه إلى أنّ من يُعتدّ بقوله من علمائنا الأعلام متّفقون على عدم النقيصة في القرآن فضلاً عن الزيادة فيه.

وقال السيّد الإمام الخميني ﵀: إنّ الواقف على عناية المسلمين بجمع الكتاب وحفظه وضبطه قراءةً وكتابةً يقف على تلك المزعومة وما ورد فيه من أخبار ـ حسب ما تمسّكوا ـ إمّا ضعيف لا يصلح للاستدلال به، أو مجعول تلوح عليه أمارات الجعل أو غريب يقضي بالعجب، أمّا الصحيح منها فيرمى إلى مسألة التأويل والتفسير، وأنّ التحريف إنّما حصل في ذلك، لا في لفظه وعباراته وأنّ الكتاب العزيز هو عين ما بين الدفّتين، لا زيادة فيه ولا نقصان، وأنّ الاختلاف في القراءات أمر حادث ناشٍ عن اختلاف في الاجتهادات من غير أن يمسّ جانب الوحي الذي نزل به الروح الأمين على قلب سيّد المرسلين...» تهذيب الأُصول ٢: ١٦٥.

إذن بعد ما عرفنا هذه الأقوال، فلا عبرة بما ذكره فئة قليلة من القول بالتحريف قولاً بلا برهان. قال الشهيد نور الله التستري (ت ١٠١٩هـ): «ما نُسب إلى الشيعة الإماميّة من القول بالتحريف، ليس ممّا قاله جمهور الإماميّة، وإنّما قاله شرذمة قليلة لا اعتداد بهم في جماعة الإماميّة». راجع: تفسير آلاء الرّحمٰن ١: ٦٤ ـ ٦٥ عن كتاب «مصائب النواصب». وراجع أيضاً: الفصول المهمّة للسيّد شرف الدين: ٢٤٢ نقلاً عن الشيخ رحمة الله الدهلوي في كتابه: إظهار الحق. وهناك ⇐

من القرآن، واختُلِسَت[١] والله من القرآن[٢].

١١٠٠ ـ ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِى أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٣].

قد عرفت أنّ الصراط المستقيم هو عليّ والأئمّة من ولده عليهم السلام، فالمراد: فاستمسك بالذي أُوحي إليك في قولنا: يا أيّها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك في شأن عليّ؛ لأنّك على صراط مستقيم في ذلك، أو إنّك على حبّ من ولايته عليه السلام.

لما في تفسير الصافي عن الباقر عليه السلام: إنّك على ولاية عليّ عليه السلام، وعليّ عليه السلام هو الصراط المستقيم[٤].

وفي الكافي أيضاً: إنّك على ولاية عليّ، وعليّ هو الصراط المستقيم[٥].

وعنه عليه السلام: في عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٦].

⇐ شهادات ضافية من أعلام التحقيق من أهل السنّة بنزاهة موقف علماء الإماميّة من القول بتحريف القرآن، ولقد تعرّض إلى ذلك الشيخ محمّد هادي معرفة في كتابه: «صيانة القرآن من التحريف» وذكر نماذج منها، راجع: ص ٧٢ وما بعدها.

ولقد تعرّضنا إلى هذا الموضوع لتوضيح بعض الروايات الواردة في المتن ومعرفة المراد منها، وكذلك الردّ على ما نشره البعض في نسبتهم الأباطيل إلى مذهب الشيعة الإماميّة من القول بتحريف الكتاب العزيز وكان ما كتبوه لم يستند على دليل قاطع، بل مجرّد تمويه وتفريق بين المسلمين وشقّ عصاهم وذهاب ريحهم. ولقد ذكرنا ما يخصّ تحريف القرآن في ص٢٣٣ الهامش (٤).

(١) خلست الشيء واختلسته إذا استلبته، لسان العرب ٩: ٩٥ «خلس».

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٦٠ ح ٢٠، عنه في: بحار الأنوار ٣٢: ٣١٣ ح ٢٨١، تفسير البرهان ٤: ٨٦٤ ح ٩٦١٢.

(٣) الزخرف (٤٣): ٤٣.

(٤) تفسير الصافي ٤: ٣٩٣، وراجع: تفسير القمي ٢: ٢٨٦.

(٥) الكافي ١: ٤١٧ ح ٢٤ كتاب الحجّة ـ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية، عنه في: تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٦٠ ـ ٥٦١ ح ٢٢، ورواه الصفار في: بصائر الدرجات: ٩١ ح ٧ باب ما خصّ الله به الأئمة عليهم السلام من آل محمد صلى الله عليه وآله، وعن الكافي في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٣ ح ٤٨، ورواه أيضاً الفيض الكاشاني في: تفسيره ٤: ٣٩٣.

(٦) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٦١ ح ٢١، عنه في: بحار الأنوار ٢٤: ٢٥ ح ٥٥.

ويؤيّده ما قال تعالى بعد هذا: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْئَلُونَ﴾[١] فإنّك قد عرفت أنّ المراد بأهل الذكر أهل بيته صلى الله عليه وآله وقد أمر الله تعالى بالسؤال عنهم في قوله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢] وقد عرفت أنّ أقرب قومه وأهل بيته صلى الله عليه وآله وتصديق ذلك ما رواه في تأويل الآيات الظاهرة عن عليّ عليه السلام: فنحن قومه، ونحن المسؤولون[٣].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: إيّانا عنى، ونحن أهل الذكر، ونحن المسؤولون[٤].

وعن محمّد الحلبي قال: فرسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته صلوات الله عليهم أهل الذكر وهم المسؤولون، أمر الله الناس يسألونهم فهم ولاة الناس وأولاهم بهم، فليس يحلّ لأحد من الناس أن يأخذ هذا الحقّ الذي افترض الله لهم[٥].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: نحن هم[٦].

وعنه عليه السلام: يعني عليّاً أميرالمؤمنين عليه السلام وسوف تُسألون عن ولايته، ويدلّ على

---

(١) الزخرف (٤٣): ٤٤.

(٢) النحل (١٦): ٤٣، الأنبياء (٢١): ٧.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٦١ ح٢٣، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ١٨٦ ـ ١٨٧ ح٥٨، تفسير البرهان ٤: ٨٦٨ ح٩٦٢٨.

(٤) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٦١ ح٢٤، وراجع: الكافي ١: ٢١٠ ح٢ باب أنّ أهل الذكر أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة عليهم السلام، ح ٩٦٣١. ورواه أيضاً البحراني في: تفسير البرهان ٤: ٨٦٨ ح ٩٦٣١، والفيض الكاشاني في: تفسير الصافي ٤: ٣٩٣.

(٥) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٦٢ ح٢٥ عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ١٨٧ ح٥٩، تفسير البرهان ٤: ٨٦٨ ح ٩٦٣١.

(٦) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٦٢ ح٢٦، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ١٨٧ ح ٦٠، تفسير البرهان ٤: ٨٦٩ ح ٩٦٣٢.

ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ ﴾[(١)](٢).

وأُكّد ذلك بما رواه في الطرائف عن الفقيه الشافعي بن المغازلي في كتاب المناقب بإسناده إلى جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله بمنى وإنّي لأدناهم في حجّة الوداع حين قال: لا ألفينكم ترجعون بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، وايم الله لئن فعلتموها لتعرفنّي في الكتيبة التي تضاربكم، ثمّ التفت إلى خلفه فقال: أو عليّ ـ ثلاثاً ـ فرأينا أنّ جبرئيل عليه السلام غمزه، وأنزل الله تعالى على أثر ذلك: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُنتَقِمُونَ ﴾[(٣)] بعليّ بن أبي طالب عليه السلام ﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِى وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴾[(٤)]، ثمّ نزلت: ﴿ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ * رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[(٥)]، ثمّ نزلت: «فاستمسك بالذي أُوحي إليك» في أمر عليّ «إنّك على صراط مستقيم» وأنّ عليّاً لعلم للساعة ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾[(٦)] عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، هذا آخر الحديث[(٧)].

وقد روى السدّي في تفسير كتاب القرآن في قوله: ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُنتَقِمُونَ ﴾[(٨)] قال: بعليّ بن أبي طالب عليه السلام[(٩)].

---

(١) الصافّات (٣٧): ٢٤.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٦٢ ح٢٧، عنه في: بحار الأنوار ٢٣: ١٨٧ ح ٦١.

(٣) الزخرف (٤٣): ٤١.

(٤) الزخرف (٤٣): ٤٢.

(٥) المؤمنون (٢٣): ٩٣ و ٩٤.

(٦) الزخرف (٤٣): ٤٤.

(٧) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٤٣ ح ٢١٧، وراجع: المناقب لابن المغازلي: ٢٧٥.

(٨) الزخرف (٤٣): ٤١.

(٩) تفسير فرات الكوفي: ٤٠٢ ح ٥٣٧.

وقد مرّ في روايات الشافعي وغيره في أخبار يوم الغدير أنّه قال ﷺ: ألا وإنّي يوشك أن أُفارقكم ألا وإنّي مسؤول، إلخ[١].

وأيضاً يصدق ذلك ما قال تعالى بعد هذا: ﴿**وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلِنَا**﴾[٢] فإنّه قد جاء من طرق العامّة والخاصّة منها ما في الطرائف عن أبي نعيم المحدّث ـ وهو من أعيانهم ـ في كتابه الذي استخرجه من كتاب الاستيعاب في تفسير قوله تعالى: «واسأل» الآية، فقال: إنّ النبيّ ﷺ ليلة أُسري به جمع الله بيني وبين الأنبياء عليهم السلام ثمّ قال له: سلهم يا محمّد على ماذا بُعِثتُم؟ فقالوا: بُعثنا على شهادة أن لا إله إلّا الله والإقرار بنبوّتك والولاية لعليّ بن أبي طالب عليه السلام[٣].

ويؤيّده ما في الاحتجاج عن أميرالمؤمنين عليه السلام في حديثٍ: وأمّا قوله «واسأل من أرسلنا من قبلك» فهذا من براهين نبيّنا ﷺ التي آتاه الله إيّاها، وأوجب به الحجّة على سائر خلقه؛ لأنّه لمّا ختم به الأنبياء وجعله الله رسولاً إلى جميع الأُمم وسائر الملل، خصّه بالارتقاء إلى السماء عند المعراج وجمع له يومئذٍ الأنبياء، فعلم منهم ما أُرسلوا به وحملوه من: عزائم الله وآياته وبراهينه، وأقرّوا بأجمعهم بفضله وفضل الأوصياء والحجج في الأرض من بعده، وفضل شيعة وصيّه من المؤمنين والمؤمنات الذين سلّموا لأهل الفضل فضلهم ولم يستكبروا عن أمرهم، وعرف من أطاعهم وعصاهم من أُممهم، وسائر من مضى ومن غبر أو تقدّم أو تأخّر[٤].

---

(١) راجع: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٤٤ ح ٢١٨.

(٢) الزخرف (٤٣): ٤٥.

(٣) الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٠١ ح ١٤٧، ورواه ابن البطريق في: العمدة: ٣٥٢ ح ٦٨٠.

(٤) الاحتجاج ١: ٣٧٠.

ويُعضد أيضاً بما في تفسير الصافي عن الباقر عليه السلام أنّه سُئل عن هذه الآية: من ذا الذي سأله محمّد صلى الله عليه وآله وكان بينه وبين عيسى خمسمائة سنة؟ فتلا هذه الآية: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا**﴾(١)، قال: فكان من الآيات التي أراها الله محمّداً صلى الله عليه وآله حين أسرى به إلى بيت المقدس أن حشر الله الأوّلين والآخرين من النبيّين والمرسلين، ثمّ أمر جبرئيل عليه السلام فأذّن شفعاً وأقام شفعاً، ثمّ قال في إقامته: «حيّ على خير العمل»، ثمّ تقدّم محمّد صلى الله عليه وآله فصلّى بالقوم، فأنزل الله عليه: «واسأل من أرسلنا» الآية، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: على ما تشهدون؟ وما كنتم تعبدون؟ فقالوا: نشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنّك رسول الله صلى الله عليه وآله أُخِذت على ذلك مواثيقنا وعهودنا(٢). وقد سبق نظير ذلك في سورة يونس وغيرها.

وأُيّد أيضاً بما في تأويل الآيات الظاهرة: بالإسناد عن عبدالله بن مسعود قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث الإسراء: فإذا ملك قد أتاني فقال: يا محمّد، سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ماذا بُعِثتم؟ فقلت لهم: معاشر الرسل والنبيّين، على ماذا بعثكم الله قبلي؟ قالوا: على ولايتك يا محمّد وولاية عليّ بن أبي طالب(٣).

ويؤيّده ما رواه ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا عرج بي إلى السماء انتهي بي المسير مع جبرئيل إلى السماء الرابعة فرأيت بيتاً من ياقوت أحمر، فقال جبرئيل: يا محمّد، هذا البيت المعمور خلقه الله عزّ وجلّ قبل خلق السماوات

---

(١) الإسراء (١٧): ١.

(٢) تفسير الصافي ٤: ٣٩٣، وراجع: تفسير القمّي ١: ٢٣٣، عنه في: البحار ١٨: ٣٦٣ ح٦٧.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٦٢ ح٢٩.

والأرضين بخمسين ألف عام فصلٍّ فيه، فقمت للصلاة وجمع الله النبيّين والمرسلين فصفّهم جبرئيل صفّاً فصلّيت بهم، فلمّا سلمت أتاني آتٍ من عند ربّي فقال: يا محمّد، ربّك يقرؤك السلام ويقول لك: سل الرسل على ما أُرسِلتم من قبلي؟ فقلت: معاشر الأنبياء والرسل، على ماذا بعثكم ربّي قبلي؟ فقالوا: على ولايتك وولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام وذلك قوله تعالى: «واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا».

قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: لمّا جمع الله بيني وبين الأنبياء ليلة الإسراء، قال الله تعالى: سلهم يا محمّد على ماذا بعثتم؟ قالوا: بعثنا الله على شهادة أن لا إله إلّا الله والإقرار بنبوّتك وعلى الولاية لعليّ بن أبي طالب عليه السلام[1].

فانظر أيّها الناظر إلى ولاية أميرالمؤمنين صلوات الله عليه فإنّها مفترضة على الخلق أجمعين خصوصاً على النبيّين والمرسلين.

ويؤيّد ما تقدّم أنّ الله تعالى لم يبعث نبيّاً إلّا بها: وعن محمّد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام قال: ولاية عليّ مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولم يبعث الله رسولاً إلّا بنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله ووصيّة عليّ عليه السلام[2].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث الله نبيّاً إلّا بها[3].

---

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٦٣ ح ٣٠، بحار الأنوار ٢٦: ٣٠٧ ح ٦٩.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٦٥ ح ٣٣، المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٩٠، الكافي ١: ٤٣٧ ح ٦ كتاب الحجّة ـ باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، عنه في: نهج الإيمان لابن جبر: ٥٠٢، ورواه المجلسي في: البحار ٢٦: ٢٨٠ ح ٢٤ عن بصائر الدرجات.

(٣) الكافي ١: ٤٣٧ ح ٣ كتاب الحجّة ـ باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية، بصائر الدرجات: ٩٥ الأحاديث ٦ و ٧ و ٨ و ٩ رواه في أسانيد مختلفة في باب آخر في ولاية أمير ⇐

وعن جعفر بن محمّد الصادق عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: قال رسول الله عليه السلام: ما قبض الله نبيّاً حتّى أمره أن يوصي إلى أفضل عترته من عصبته وأمرني أن أُوصي، فقلت: إلى مَن يا ربّ؟ فقال: أوصِ يا محمّد إلى ابن عمّك عليّ بن أبي طالب فإنّي قد أثبته في الكتب السابقة، وكتبت فيها أنّه وصيّك وعلى ذلك أخذت ميثاق الخلائق ومواثيق أنبيائي ورسلي، أخذت مواثيقهم لي بالربوبيّة ولك يا محمّد بالنبوّة ولعليّ بن أبي طالب عليه السلام بالولاية[1].

فإذا كان ذلك كذلك فإنّ المقرّ بولايته أفضل من المقرّ له، والعقل يشهد بصحّة ذلك؛ فيكون النبيّ وأميرالمؤمنين أفضل النبيّين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

وعن عبد الأعلى قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: ما من نبيّ جاء قطّ إلّا بمعرفتنا وتفضيلنا على من سوانا[2].

وممّا ورد أنّ أميرالمؤمنين [أفضل] من النبيّين صلوات الله عليهم أجمعين: وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جابر، أيّ الإخوة أفضل؟ قال: قلت: النبيّين من الأب والأُم. فقال: إنّا معاشر الأنبياء إخوة وأنا أفضلهم، وأحبّ الإخوة إليّ عليّ بن أبي طالب فهو عندي أفضل من الأنبياء؛ فمن زعم أنّ

⇐ المؤمنين عليه السلام، الأمالي للشيخ المفيد: ١٤٢ ح ٩ المجلس السابع عشر، الأمالي للشيخ الطوسي: ٦٧١ ح ١٤١٢/١٩ مجلس يوم الجمعة (أحاديث أحمد بن عبدون)، بحار الأنوار ٢٦: ٢٨١ ح ٣٠ عن بصائر الدرجات.

(١) الأمالي للشيخ الطوسي: ١٠٤ ح ١٦٠/١٤ المجلس الرابع، عنه في: بحار الأنوار ١٥: ١٨ ح ٢٧، ورواه القندوزي في: ينابيع المودّة ١: ٢٤٤ ح ٢٠ مع اختلاف قليل.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٦٦ ح ٣٦، الكافي ١: ٤٣٧ ح ٤ كتاب الحجّة ـ باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية. وفيه: «بمعرفة حقنا» بدل «بمعرفتنا».

الأنبياء أفضل منه فقد جعلني أقلّهم، ومن جعلني أقلّهم فقد كفر لأنّي لم أتّخذ عليّاً أخاً إلّا لما علمت من فضله، وأمرني ربّي بذلك[1].

وبيان ذلك: أنّ معنى الأُخوّة بينهما المماثلة في الفضل إلّا النبوّة؛ لما روى المفضّل بن محمّد المهلّبي عن رجاله مسنداً عن محمّد بن ثابت، قال: حدّثني أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: أنا رسول الله المبلّغ عنه وأنت وجه الله والمؤتمّ به، فلا نظير لي إلّا أنت، ولا مثل لك إلّا أنا[2].

فافهم ذلك، وقس عليه هداك الله إلى سبيل معناه، والموصول إليه..

تمّت المائة الأُولى من الألف الثاني من دلائل عصمة الإمام عليه السلام

تمّ الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع بعونه تعالى

(١) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٦٦ ح٣٧.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ٢: ٥٦٧ ح٣٨.

المحتويات

سورة الكهف وما فيها من الآيات الدالّة على عصمة الإمام عليه السلام